
الجزء الاول من
سلسلة قوارير العطّار
أترقّب هديلك
بقلم كاردينيا73
دعيني اخبرك ...
حمائمك تحمل إليّ أسرارك
تلتقطها مع فتات الخبز من يدك
ثم تأتي الي تهمسها قرب اذني بصوتك
وها أنا ذا ..مع كل فجر جديد
أترّقب.... هديلك !
تصميم كاردينيا73
www.rewity.com


111
الجزء الاول من
سلسلة قوارير العطّار
أترقّب هديلك
بقلم كاردينيا73
تصميم كاردينيا73
أترقب هديلك (111) بقلم الكاتبة كاردينيا73
دعيني اخبرك ...
حمائمك تحمل إليّ أسرارك
تلتقطها مع فتات الخبز من يدك
ثم تأتي الي تهمسها قرب اذني بصوتك
وها أنا ذا ..مع كل فجر جديد
أترّقب.... هديلك !




أترقب هديلك

الجزء الاول من سلسلة

قوارير العطار

" حصرياً لشبكة روايتي الثقافية
ويمنع النقل جزءا او كلّا "

بقلم الكاتبة : كاردينيا73

تدقيق لغوي : كاردينيا73

تصميم الغلافين والفواصل والتواقيع
والصفحات الداخلية : كاردينيا73

تصميم البنر الاعلاني : بحر الندى




تصميم كاردينيا73



المقدمة

فتحت شباك غرفتها قليلا ، اذناها تتأهبان لتلقي اول الهديل عند الفجر ، تمد يدها بفتات الخبز فتنتظر بشوق طفولي حتى يتجمع الحمام وينقر قرب اناملها الفتات الصغير وهي تتضاحك بمرح وكأنها حقا خالية البال !

عند الشباك الآخر ... في البيت المقابل يرتشف قهوته ويراقب مشهدا يتكرر يوميا ... عيناه تلامسان تلك اليد الانثوية كما تلامسها الحمائم المتجمعة حولها طمعا بما تمنحه لها على الدوام ...

ابتسم بسخرية ناعمة ورفع يده ليمرر اصابعه في خصلات شعره التي خطّها بعض الشيب ثم همس بشجن " لن تكبري على هذا ابدا يا آسيا ! "

راقب غروب يدها الممدودة لتتوارى خلف شباكها ، اثقلت نظراته مشاعر الهم ! وانسكبت مرارة على لسانه وهو يهمس " هل ستنسين يوما ؟! بل ... هل ستعترفين انك .....؟!!! "

صمن والحمام يتطاير متفرقا بعد غياب (مطعمته) ، اسبل رضا اهدابه ثم رفع فنجانه لشفتيه يرتشف ما تبقى من قهوته المرّة ..

" رضا ... بنيّ رضا .. "






نداء والدته جعله يضع فنجانه جانبا ويلتفت ناحية باب غرفته متوقعا دخولها الذي لايسبقه استئذان !

ابتسم بحنو .. انها لاتعترف بالخصوصية مع ابنائها مهما كبروا ! دخلت الحاجة سعاد تتوكأ على عصاها الخشبية ترتدي إزار الصلاة الازرق ووجهها البيضاوي يشع بجمال بهيّ لم تصرعه السنون ..

تبسمت الحاجة سعاد في وجه بكرها وهو يتقدم اليها ليحني رأسه مقبلا اعلى رأسها قائلا " اسعد الله صباحك يا حاجة "

ردت وهي ترفع كفها لتربت على لحيته الخفيفة

" وصباحك بنيّ .."

منحته ابتسامة خاصة يعرفها ويفهمها وقد لاحت على تعابير وجهها ذلك الرجاء الرقيق الذي تجيده والدته لتؤثر عليه وتحصل على ما تريده منه ...

يعترف لامه بـــ ... المكر ! اجل انها اكثر النساء مكرا ودهاء لكن عيبها الوحيد هو عيب اغلب النساء ان العاطفة تغلب دهاءها ، واكثر عواطفها قوة وسيطرة هي عاطفتها نحو صغارها كما يحلو لها تسميتهم لحد الآن حتى بعد ان خط الشيب رؤوس بعضهم !





ارخى رضا اهدابه وهو يقول بتسامح " رغم اني سأكون مشغولا جدا هذا اليوم لكن اطلبي ما تشائين يا حاجة "

عاودت التربيت بكفها على خده وهي تقول بمماطلة ناعمة مرحة " حفظك الله للحاجة ولابناء الحاجة واحفادها ! "

ضحك رضا ملئ شدقيه فانشرح صدر امه لتقول بتأنٍ " يا ولدي .. الموضوع يخص اختك .. توأمتك التي تحبها بشكل خاص.. اليس كذلك يا قرّة عيني ؟ "

ما زال وجهه متوشحا باثار ضحكه فظل الابتسام يلوح على شفتيه وبضعة تغضنات تعمقت عند جانبي عينيه ليقول بصبر " ما بها رفيدة ؟ هل تحتاج لشيء ؟ "

ردت ببعض الشجن " انها تشعر بالكآبة بنيّ "

غابت ملامح الضحك واطلق رضا تنهيدة قبل ان يقول " لا حول ولاقوة الا باللّه العلي العظيم ، حسنا يا حاجة ماذا تريديني ان افعل ؟ "

انتاب الحاجة بعض الخجل لكن امومتها غلبت عليها لتقول بتردد غلفه بعض الرجاء " بنيّ انها تشعر بالحسرة على نفسها ، تريد ان تعيش كأي امرأة اخرى ، ان تتزوج وتكون عائلتها الخاصة قبل .. "





بدأ الضيق يغلب على صبر رضا ، موضوع زواج رفيدة له أثر سيء في نفسه ! سيء جدا ..

قال رضا مخفيا حنقه بجهد جهيد " الزواج قسمة ونصيب يا حاجة ، والخير فيما يختاره الله "

قالت الحاجة وقد عاودها التردد " مؤكد بنيّ والحمد لله على كل حال لكن .. الا يفترض ان .. نسعى نحن ايضا ..؟!"

عقد رضا حاجبيه في استهجان واضح ليقول " ماذا تقصدين يا حاجة ؟ هل تريديني ان اعرض اختي للزواج وادلل عليها ؟! "

ردت الحاجة على استحياء " وماذا لو فعلت بنيّ ؟! كثيرون يفعلون هذا لبناتهم "

ثم اضافت بكبرياء " ثم انها رفيدة عقيل الصائغ ! ليست اي فتاة .. بالاضافة ... لكل مميزاتها الخاصة هي ابنة اشهر صائغ في البلد ، عائلة والدك رحمه الله تتوارث هذه المهارة في المهنة منذ اكثر من مئة عام .. ابّا عن جد " ثم تبسمت لتضيف بحنان " وها قد اورثك والدك الصنعه وستورثها ان شاء الله لابنائك " ثم عادت لنبرة الفخر " نحن عائلة لها مقامها الرفيع بنيّ وإرثها العريق المعروف للقاصي والداني وسيكون محظوظا من يصاهرنا وينتسب الينا "





سكنت تعابير رضا للحظات ثم قال بتمهل متعمد " يا حاجة واجهي الواقع ارجوك ، بعيدا عن فخرك بإرث عائلتنا ماذا عنها هي ؟!! انها اختي وانا احبها جدا لكني اراها بتجرد عن محبتي لها "

آلمه ان يرى ملامح امه تنوء تحت حمل الاعتراف بالحقائق ! لكنه كان مضطرا ليواجهها بما تأبى النطق به فقال بما يستطيع من لطف " رفيدة ليست فتاة يا حاجة بل امرأة ارملة في التاسعة والثلاثين ، كما انها ليست ذات جمال باهر ولا تحصيل دراسي انها حتى لم تكمل الثانوية العامة باختيارها هي ! ورغم ذلك عرضت عليها اكثر من مرة ان اساعدها في الحصول على عمل وهي ترفض متعللة بحبها للبقاء في البيت ! كل هذا يقلل من فرصها للزواج .."

صمت قليلا متجرعا مرارة من نوع اخر وهو يضيف " وللاسف زواجها من الحاج يونس العطار اخفض من اسهمها اكثر ! "

شهقة امه الاعتراضية سبقت كلماتها المستنكرة " كيف تقول اخفض اسهمها ؟! لقد كان رحمه الله رجلا ذا شأن كبير لايقل عن شأن ابيك ! صحيح تجارة العطارة ليست كسابق عهدها لكن يشهد الله كيف كانت وما زالت سمعته ومكانته بين الناس "





زمّ رضا شفتيه وهو يتحرك نحو خزانة ملابسه مخفيا تعابيره ثم قال بهدوء وهو يفتح باب الخزانة " الحاج يونس كان نعم الرجل رحمه اللّه لكنه كان في الثانية والستين بينما هي في الثامنة والثلاثين ! لم يكن يصغر ابي الا بخمسة عشر عاما "

ثم التفت نحو والدته ليضيف بهدوء " ورغم ذلك مات قبل والدي العليل بشهر !.. والانكى ... جاءت وفاته على سرير رفيدة وبعد ليلتين فقط من زواجه بها .. حتى هذه اللحظة انا غير مستوعب كيف وافق ابي على هذه الزيجة التي انتهت بفاجعة !! "

احمرت الحاجة سعاد لتوراي عينيها المترقرقتين بالدموع عن ابنها وهي تتمتم " والدك كان يحتضر بنيّ ولهذا السبب اراد الاطمئنان عليها ، كلنا كنا نعلم انه في ايامه الاخيرة ... اما الحاج يونس رحمه اللّه فالاعمار بيد اللّه بنيّ ، واجله انتهى بذبحة صدرية مفاجئة فلا تحمل اختك المسؤولية "

التقط رضا منشفته واغلق باب الخزانة وهو يقول " حاشى للّه انا لااحملها مسؤولية وفاته ، لكنها هي من اصرت على الزواج به مدعية ان لا فرص افضل لها ! ورغم كل محاولاتي لاقناعها بخطأ ما تفعل الا انها أبت الاعتراف ! وليت الامر انحصر بفارق العمر الكبير فقط بل انها تغاضت بحمق عن كونه رجل متزوج ولديه اربع بنات ! "





قالت الحاجة بلهجة مدافعة عن ابنتها " الشرع يحل للرجل الزواج بأربعة وهي ليست اول فتاة ترضى بالزواج من رجل متزوج ، والحاج يونس كان يريد انجاب ولدا ذكرا من صلبه ويحمل اسمه ... "

تنهد رضا وقال باحباط " والنتيجة ان الرجل مات ولم يحصل على الولد الذي اراده وابنتنا ترملت باكرا جدا وكل ما حصلنا عليه خسارة علاقتنا الطيبة مع جيران العمر "

هذه المرة تنهدت الحاجة سعاد وقالت " اجل .. كانت ام آسيا مقربة مني واحببت بناتها كثيرا ... لكن ... "

قاطعها رضا ليقول بغموض " خسرناهم امي بسبب توق رفيدة للزواج واستسلام ابي ليأسها واحباطها ! "

هذه المرة كانت تنهدات سعاد اكثر حسرة فاستدارت مطأطأة الرأس لتقودها خطواتها المعتمدة على عكازها نحو الباب بينما تمتماتها الحزينة تصل اذنيه دون ان يستطيع تفسيرها !

رقّ قلبه لها فناداها بحنان " لا تحزني يا حاجة اعدك ان احاول فعل شيء لاجلها ، عسى اللّه ان يلهمني الطريق الاصوب"





التفتت اليه براسها وهي عند الباب لتهمس له " لاحرمنا اللّه من حنانك هذا الذي لايعرفه احد مثلي يا ابن رحمي .... خلف ملامحك العابسة هذه تسكن روح تفيض رجولة دافئة .. الغبي فقط من لايدرك ذلك ولايقدره .."

اسبل رضا اهدابه وهو يعي من تقصد امه بكلامها بينما غامت ملامح الحاجة وهي تدعو له بدعوة من القلب " اسعدك اللّه بنيّ وعوضك خيرا .."

تركته الحاجة لتغلق خلفها الباب ، وبينما رضا يفك ازرار منامته القطنية ليأخذ حمامه الصباحي سرح بخياله بعيدا ... بعيدا جدا .. الى حيث يحتفظ باسراره الدفينة هو الآخر ...

همس لنفسه بشرود " شيء واحد يعوضني عن كل شيء ! " توقف عن فك ازراره ليقترب من شباكه مرة اخرى مستندا بذراعه على حافته الجانبية ناظرا بعاطفة مشبوبة للشباك المقابل الذي أَحْكِم اغلاقه قبل قليل !

ضربات عشوائية على صدره تزامنت مع صرخاتها الهستيرية (ابتعد .. ابتعد ....ايها الحيوان ... ايها القذر).. ذكرى بعيدة من الماضي تتسلل اليه دوما بكل خبث ورغما عنه ، انها تجد طريقها للتسلل حتى لاحلامه !

غامت عيناه ثم قال بغموض يغلفه الشجن واليأس

" وكم هو صعب المنال هذا الـ(شيء) ! "





الفصل الاول

روماتيزم المفاصل اثقل حركتها وهي تتحامل في خطواتها على عكازها حتى وصلت غرفتها ..

تنهدت الحاجة سعاد وهي تغلق بابها خلفها وتحاول بطريقتها تبسيط الهموم التي اثقلت كاهلها ...

تحركت بنفس الخطى الثقيلة حتى وصلت سريرها لتجلس عليه وهي تكاد تنهت ..

جسدها الممتلئ الثقيل لايساعد حالة الروماتيزم التي اتتها باكرا !

مدت يدها نحو الدرج الجانبي للسرير حيث تحتفظ بما يجلب لها السعادة والتعاسة في آن واحد ...

اخرجت تلك الصورة العائلية القديمة التي تعشقها ..

كان عيد الفطر واصر زوجها على اخذ صورة خاصة عند مصور محترف ...

وها هي في الصورة المؤطرة تجلس على كرسي منجد بقماش كحلي انيق وبجواره كرسي اخر يحتله تماما جسد زوجها الضخم وقد احاط بهما ابناؤهما من الخلف ...





ابتسمت الحاجة وهي تنظر لفستانها البنفسجي المطرز بحرفية واثمت ذلك الزمن وفوق رأسها وشاح مطرز بنفس الطريقة بينما تلألأ صدرها بعقد رائع صاغه لها زوجها بنفسه ...

زوجها ......

تطلعت لجلسته المهيبة مرتديا ثيابا لم يعد يرتديها الان الا شيوخ العشائر في المناطق ذات الطابع القبلي ..

جلباب رمادي مخطط خاص من ارقى الاقمشة وفوقه عباءة سوداء انيقة مطرزة الحواف بخيوط تراوحت بين الفضي والذهبي لتكتمل الهيئة بالشماغ والعقال ....

ذلك الرجل المميز رغم حدة طباعه وسرعة غضبه وقساوته احيانا لكنه كان ابا عاشقا لابنائه .. سخيا ...كريما لابعد حد..

تنهدت وعيناها تترقرقان بالدموع " رحمك الله يا عقيل ... تزوجتك وانا في السادسة عشرة وكنت تكبرني باثنين وعشرين عاما فدللتني واحسنت الي في عشرتك..."

عيناها حادتا نحو ذلك الصغير المبتسم ذي الست سنوات الذي اختار الوقوف بجانب كرسيها تماما متعلقا برقبتها بكل تملك ...





انه صغيرها عبد الرحمن ... اصغر ابنائها والذي صدمها الحمل به وكانت قد نست معنى الحمل مرة اخرى بعد ان كبر ابناؤها وغدوا بالغين ..

تطلعت لعينيه الجميلتين فتألمت لانها لم تعد ترى فيهما الفرح الحقيقي ... هذا الصغير دوما كان سريع التأثر وكتوما في مشاعره ..

وها هو الآن غدا في الثامنة عشرة ولم يتجاوز لهذه اللحظة ابتعاد اخيه حذيفة عن البيت وهجرته الغريبة المفاجئة منذ ثماني سنوات ، حذيفة الذي كان يشيع جوا خاصا حوله ولديه حضور مؤثر على نفس عبد الرحمن بالذات ...

ضجّ قلبها بأنين الألم المبرح وهي تتطلع لحذيفة ... يقف مزهوا كعادته بوسط اخوته في الصورة ، اذرعهم حول اكتاف بعضهم ... حذيفة وبجانبه رضا ثم رفيدة و اخيرا محسن ....

همست بغصة البكاء " لهف قلبي عليك يا حذيفة ... ألم يقتلك الشوق لامك كما قتلها شوقها اليك ؟!!! الا تفكر فقط بأن .. تطمئنني عن .. احوالك ... لاعرف ان كنت حيا ام .. ام ... "

كتمت الكلمة وهي تستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ... وعاودت التحديق بابنائها ... هذه الصورة عمرها اثنتا عشر عاما ... حيث كانت سعيدة بلمة صغارها حولها ...





حذيفة ذو الابتسامة التي يصفها اخوته بالغرور بينما هي تراها بعين الام ... فتقول لهم ... لا... انها ابتسامة الثقة !

لكن في داخلها كانت تعلم الحقيقة ... انها ليست ابتسامة ثقة ولا حتى غرور ... والده فقط من قرأها بشكل صحيح فقال ... انها ابتسامة من لايبالي اذا ارتكب الخطأ !

وكم ابتسامته مختلفة عن ابتسامة اخيه محسن ! اكثر اولادها طيبة ولطفا ، ابتسامة محسن دوما هكذا صافية ونابعة من القلب ... حتى ملامح وجهه لم تتغير عن ملامحه الآن فقط نظارة طبية تناسب وضعه كاستاذ جامعي ...

رفيدة ورضا ... تنهدت من قلبها ... التوأم المختلف ! اختلفا قلبا وقالبا ولم يشتركا الا بشيئين ... ولادتهما في نفس اليوم و..حظهما العاثر !

تطلعت لرفيدة في الصورة وقد ضاع جسدها الضئيل بين اجساد اخوتها الغلظة ، نظراتها متباعدة وكأنها تخجل حتى من النظر ناحية المصور !

للاسف عليها ان تعترف بالحقيقة فابنتها لم تحظَ الا بمسحة جمال باهت بارد بينما توأمها رضا شاب وسيم بابتسامته الصغيرة ونظراتها المباشرة الغامضة دوما ...





كل فتياتها حظوا بالوسامة وليس رضا فحسب وقد جمعتهم نفس الهيئة والملامح لكن قدر الفتاة هكذا ......

حتى طباعها مختلفة عن توأمها .. رفيدة خجولة انطوائية لكنها فجأة تصبح عنيدة ومتصلبة الرأي وكأنها تصحو للحظات فقط من سباتها السلبي الدائم .. لاتتمتع الا بذكاء متوسط واهتماماتها بسيطة اما احلامها في الحياة فواضحة وضوح الشمس لاتتجاوز بيتا واسرة ... اي بيت ... واي اسرة !!

اطلقت تنهيدة اخرى وهي تعاود النظر نحو رضا وتهمس لنفسها " وماذا فعلت الوسامة لبكرك يا سعاد ؟!! ها هو رضا وقد اجتمعت فيه اجمل صفات الرجال من وسامة ورجولة .. قوي .. متفان لاجل عائلته .. هادئ صبور مرن في التعامل ... قد ينفجر غضبه البركاني احيانا كأبيه تماما لكنه غضب الحليم .. ويبقى في داخله حنون ... تلك الغبية التافهة لم تدرك اي كنز حظيت به وتخلت عنه برعونة ! "

استغفرت الحاجة وهي تعيد الصورة لمكانها بينما تحني جسدها برفق الى الجانب حتى استلقت على سريرها لتقول وهي تغمض عينيها " سارتاح قليلا قبل استيقاظ اولاد محسن ..."





اغلقت ازرار فستانها الفضفاض وابتسمت لنفسها في المرآة ، اليوم تشعر بطاقة فرح .. والزهور الصغيرة الملونة التي انتثرت على فستانها تعكس مزاجها المستبشر هذا .. لقد احبت حلمها بوالدها ليلة الامس وهو يبتسم لها ببشاشته المحببة قائلا " انا فخور بك قارورتي ولدي شيء ثمين ارسله لك ..."

جمعت شعرها الداكن في عقدة اسفل رأسها ثم فتحت احد ادراج منضدة الزينة لتلتقط حجابا يلائم الفستان ...

ما ان انتهت من تثبيت حجابها حتى اخذت نفسا عميقا ثم التقطت حقيبتها الجلدية وغادرت غرفتها ...

كانت تنزل درجات السلم عندما ظهرت اختها الصغرى ذات الثلاثة عشر ربيعا من الطابق الارضي وهي تركض لاهثة لترتقي الدرجات دون ان تتنبه لآسيا حتى !

تنحنحت آسيا حتى لاتفزعها ثم قالت بمرح

" صباح الخير يا كلٍّ الرقة ..."

شهقة الصغيرة المتفاجئة ببعض الرعب لم تعجبها فعبست اسيا بينما رقية تتسمر في مكانها مخفية احدى يديها خلف ظهرها وقد احمر خداها واتسعت عيناها الزرقاوان كعيني حبيبة .....

سألت آسيا بلطف

" ماذا تخبئين خلف ظهرك ..؟"





عضّت رقية شفتها السفلى بارتباك بينما آسيا تحدجها بنظرة صارمة وتنطق اسمها بتساؤل مفهوم " رقية ؟؟ "

احنت رقية رأسها بينما تخرج يدها من خلف ظهرها لتكشف عما تخبؤه ....

ارتفع حاجبا آسيا عاليا وهي تنظر لعلبة زينة وجه نسائية قديمة الطراز ! وللحظة تخيل لها انها رأتها من قبل لتتذكرها في اللحظة التالية فقالت باستغراب

" اليست علبة الزينة هذه تعود لامي ؟! "

هزّت رقية رأسها بنعم بينما تهمس وهي ما زالت مطأطأة الرأس " امي لم تعد تستخدمها منذ فترة طويلة ... وانا ... اقصد .. اليوم عطلة .. واردنا .. انا ورباب .. أأ ..."

كتمت اسيا ضحكتها لتقول مدعية الجدية " انت ورباب ؟؟!! اممممممم ... هل ستلعبان لعبة الفتيات الكبيرات ؟! يبدو ان رباب لها تأثير سيء عليك "

عندها رفعت رقية رأسها وهي تقول لاهثة مدافعة عن رباب





" صدقيني آسيا انا من طلبت منها ان تعلمني ..كيف .. اقصد .. انا احببت التجربة .. بوضع بعض الزينة .. لـ.. وجهي .. فقط لارى نفسي كيف سابدو وبعدها... أ .. اعدك.. ان اغسل وجهي بالكامل دون ان اسمح لاحد غير رباب برؤيتي .. "

لم تتمالك اسيا نفسها من الضحك وهي تقول " دوما كنت انثوية يا صغيرة وتحبين افعال الاناث ..."

احمرت رقية وهي تبتسم بخجل بينما اسيا تضيف وهي تعاود نزول السلم " حسنا امرحا في غرفتكما لكن لاتدعي رباب المجنونة تقحمك في مغامرات غير محمودة العواقب "

هزّت رقية رأسها بفرح بينما اسيا تسأل بهدوء عند نهاية السلم " اين حبيبة ؟ هل رأيتها ؟"

قالت رقية ببراءة " لقد ازعجت امي منذ الصباح الباكر واصرت على الخروج بملابس لاتليق .."

تنهدت اسيا وهي تكاد تدرك اي ملابس ارتدت اختها المتمردة ...

بنطال جينز ضيق وبلوزة اضيق !

كم اصبحت متعبة هذه الفتاة وكانت تتصور انها بعد التخرج وتحقيق حلمها بالعمل كمصممة اعلانات في شركة اعلامية انها ستهدأ و... تنسى ...!







لكن للاسف ... هي ما زالت غاضبة ... غاضبة ولاتعرف بمن تفرغ هذا الغضب فتلجأ احيانا لتفرغه في امهن المسكينة لانها تعتبرها احد الاسباب فيما حصل ...

رفضت الاستسلام للمزاج السوداوي ورسمت ابتسامة حلوة على وجهها وهي تدخل المطبخ حيث تكون والدتها عادة عند الصباح ...

" صباح الخير امي "

التفتت الحاجة ابتهال ناحية ابنتها فتبسمت لها بانشراح لتقول وهي تواصل غسل الاطباق في الحوض " صباح الخير حبيبتي ، هل ستذهبين باكرا ايضا ؟"

ردت اسيا وهي تتقدم من امها لتقبل خدها قائلة " اجل امي .. اليوم ستصل بضاعة من الهند "

تعكر صفو وجه ابتهال لكنها صمتت !

فربتت اسيا على كتفها لتقول بحنو

" اعلم انك ما زلت لم تعتادي على تسلمي لعمل ابي لكن انت تعرفين اني مستمتعة فيه ولن اندم يوما ....."

وتركت جملتها شبه معلقة بينما الام تواصل غسل الصحون وصمتها ينطق بأكثر مما للسان ان ينطق به ...





يؤلم اسيا ان ترى امها هكذا ! لقد مر عام كامل منذ ان قرر والدها الزواج لانجاب ولد تحت وطأة احساسه المتفاقم بحاجته لمن يحيي ذكره وذكر عائلته لاجيال قادمة .. ثم الفاجعة بوفاته المفاجئة بعد يومين من زواجه برفيدة وطوال هذا الوقت وامها صامتة !

صمتها هذا كان ممتدا من قبل ان يكشف والدها عن قراره بالزواج فاختفت نظراتها الدافئة وسكنها حزن متدارِ خلف ابتسامة باهتة ورغم تأكيدها فيما بعد ان قرار زواجه تم بالاتفاق معها الا ان اسيا تدرك كم آلم امها هذا القرار وحطمها كأمرأة ....

وما زاد الطين بلّة تمرد حبيبة وقد اتهمت امهم صراحة انها متخاذلة ولم يكن يجدر بها السماح لوالدهم بالزواج من اخرى لمجرد انه يريد صبي يحمل اسمه ...

حبيبة ... حبيبة التي كانت (حبيبة والدها) كما كان يحب ان يدللها ، كان فخورا باختلافها عن اخواتها ويصفها دوما انها تملك روح الصبي الذي تمناه ....

ليفجعها الاب ودون قصد منه بحقيقة انها لن تكون ابدا الصبي الذي يتمناه ...!

قالت الام بحنان " لقد انهيت غسل الصحون سأعد لك الافطار حالا "

لكن اسيا سارعت للقول وهي تتوجه نحو الباب الذي يفضي للمرآب " لاتتعبي نفسك حبيبتي انا اليوم صائمة لوجه الله "





غامت عينا الام بينما ترسم ابتسامة على شفتيها وهي تلوح مودعة لوجه ابنتها الكبرى ...

همست الام لنفسها بعد مغادرة اسيا " وجه صبوح كوجهك وقلب مؤمن كقلبك يستحقان الافضل ، كم اتمنى ان يرزقك اللّه برجل يسعدك لتعيشي حياتك يا ابنة عمري ... لااريد ان تُسرق سنوات عمرك وانت تطمرين نفسك في محل والدك العتيق "

تنهدت وهي تتمتم " سامحك اللّه يا يونس وقد حمّلتني وحمّلت بناتك ما لانطيق ! ألم نكن دوما قواريرك ؟؟ ألم تقل هذا لنا مرارا ؟؟ فما الذي جرى ولم تترفق بتلك القوارير ؟!! فاحدثت شرخا فينا جميعا ...شرخا لن يزول مهما حاولنا ...."

في مطبخها الواسع تتخذ مجلسها المعتاد على كرسي منجد خاص بها ليريحها في الجلوس وتعد شطائر الجبن كما يحبها حفيداها...

تبتسم بفرح ولهفتها لرؤيتهما كل صباح لاتقل ! انهما نور هذا البيت الكبير ولاتريد التفكير باليوم الذي قد يقرر فيه محسن الاستقلال بعائلته في بيت منفصل بعيدا عنها وقد بدأت تشعر ان زوجة ابنها رحاب تميل للاستقلال ...









" صباح الخيييييييييييييير "

هجم سامي ذو الخمس سنوات على جدته وجدته تضحك من قلبها وتقبل ذراعيه الصغيرين وهما تطوقان عنقها لتقول بحنو وبهجة " ايها الصغير الحبيب ، هل تريد ان تقول لجدتك المسكينة انك مبتهج هكذا لانك ستبقى معها بدلا من الذهاب واللعب مع اصدقائك في المدرسة ؟ "

اخذ يقفز في مكانه وهو يصرخ بابتهاج " بل ضفائر جدتي ... ضفائر جدتي ..."

ضحكت سعاد حتى ادمعت عيناها بينما سامي يلفلف ضفيرتيها الطويلتين جدا حول جسده الصغير ...

" توقف سامي ! انت تؤذي جدتك "

لكن سعاد سارعت لتقول وهي تغالب ألمها اللذيذ

" اتركه يا محسن انا احب ان يفعل هذا "

تنهد محسن وهو يتقدم لامه فيحني رأسه مقبلا كتفها قائلا " اسعد اللّه صباحك امي "

فتربت الحاجة على خده وتقبل جانب رأسه وتقول " وصباحك يا حبيب امك "

ابتعد محسن قليلا ليجلس على كرسي قريب بينما امه تصب له من ابريق الشاي الذي اعدته سلفا لتضعه على الطاولة مع الفناجين منذ نصف ساعة وجلست بانتظارهم ليشاركوها الافطار ..





كان محسن هادئا كعادته بينما ابنه سامي يهذر بالكلمات الطفولية وبين الحين والآخر يلثم ضفائر جدته .. قال فجأة ببراءة " لون ضفائرك جميل جدتي .. لما ارَ مثله ! "

ضحكت سعاد ثم مدت ذراعيها لتلتقط جسد حفيدها وتجلسه في حجرها قائلة ببشاشة

" اي غرابة يا نور عينيّ جدتك ؟! انها مجرد ضفائر غلب عليها لون الشيب الابيض! جدتك اصبحت عجوزا ...."

عندها شعرت بكفين كبيرين يحطان على كتفيها ورائحة المسك التي تميز بكرها لينحني رضا مقبلا اعلى رأسها وهو يقول برقة

" بل سامي محق ! هل هناك اجمل من هذه الضفائر السوداء المحناة بالشيب اللامع ..."

ابتسمت الام لابنها ابتسامة تحمل الكثير من معنى اسمه فرد لها بابتسامة احلى ..

ابتهج سامي بينما عمه يداعب شعره ويقبله قبل ان يمد ذراعيه ليحمله بعيدا عن حجر جدته وهو يرفعه عاليا بينما سامي يضحك باثارة ...

تطلعت سعاد لابنها رضا وغامت عيناها بالحزن بينما تتمتم في سرها " كل هذا الحنان بني وقد شارفت على الاربعين ولم تمنحه لابناء من صلبك ! تلك الغبية زبيدة ... صبر عليها وهي لم تصبر على حالها !! "





كتمت الحاجة سعاد تنهيدتها ورسمت ابتسامة حانية على وجهها بينما رضا يجلس على كرسي في الجانب الآخر منها واجلس سامي في حجره وهو يكلم اخاه محسن عن اسعار سبائك الذهب لهذا الاسبوع ...

صبّت الحاجة الشاي لرضا وهي تشعر به منشغل البال اكثر من المعتاد هذا الصباح ! لكنها رجحت انه منشغل بما طلبته منه فجر اليوم فيما يخص رفيدة ... وبينما كانت تعطي شطيرة لحفيدها نظر رضا فجأة لساعة يده ليقول على عجل

" يجب ان اذهب .. اليوم .. اريد السير على الاقدام ايضا فالجو .. رائع .."

عبست الحاجة سعاد بينما تتطلع لرضا وهي تقول " منذ يومين وانت تفعل هذا !! لماذا تصر على استخدام سيارة اجرة ولديك بدل السيارة سيارتين ؟!! انا حقا لاافهم اسبابك !! حتى وان كان الجو رائعا لماذا تتعب نفسك مع سيارات الاجرة ذهابا وايابا ... "

ابتسم رضا ملتزما صمته الغامض كعادته مما اثار غيظها بينما وقف محسن هو الآخر ليقول " انا ايضا يجب ان اذهب ، اليوم لدينا عمل كثير في الاعداد للامتحانات الفصلية القادمة في القسم "





ازداد عبوس امهما وهي تقول بضيق " ما بالكما اليوم انتما الاثنان ؟!! " ثم ركزت نظراتها على محسن بالذات وهي تقول " اليس اليوم عطلة استثنائية للمدارس والجامعات ؟! "

رد محسن بابتسامة رائقة " اجل امي هذا صحيح ولكنها عطلة للطلبة فقط وليس للاساتذة مثلي خصوصا واني مساعد رئيس القسم ولدي مسؤوليات ..."

تنهدت سعاد باستسلام لتسأله " واين رحاب وابنك عقيل ؟ "

تبسم محسن وهو ينحني ليقبل يد امه قائلا " رحاب وعقيل الصغير سينزلان في اية لحظة ولاتقلقي رحاب ليس لديها عمل في الجامعة اليوم وستبقى معك ..."

بدا رضا متململا وهو يعاود النظر لساعته ثم قال وهو يقبل يد امه ايضا ليتحرك نحو الباب قائلا " اسف امي يجب ان اسرع حتى لاأتاخر على عمالي في الورشة ... الى اللقاء .."

ردت امه باحباط " في امان اللّه بنيّ "

فتبعه محسن في الخروج وهو يلوح لامه وابنه الصغير فتتمتم الحاجة سعادة

" في حفظ اللّه كلاكما "





دقائق مرت ....

" صباح الخير خالتي..."

التفتت سعاد وهي ترحب بكنّتها " صباح الخير بنيتي رحاب تعالي وشاركيني الافطار ، الولدان لم يشربا الا الشاي ! "

تبسمت رحاب وهي تفهم من تقصد حماتها بالـ(ولدين) ! بينما تقدم عقيل خطوات امه وهو يقترب من جدته ليقبل يدها كما يفعل والده قائلا بلهجة رجولية لاتتناسب عمره الذي لم يتجاوز السابعة " صباح الخير جدتي .."

قبّلت الجدة خديه بوله وهي تقول له بفخر ملتمع في عينيها " صباحك رائع مثل قلبك ، انت رجلنا هذا الصباح وستشاركنا الافطار"

تبسّم عقيل برزانة ليجلس مكان ابيه بينما رحاب جلست مكان رضا واجلست سامي بجانبها ثم اخذت تصب الشاي لنفسها وهي تسأل بهدوء " اين رفيدة وعبد الرحمن ؟! "

ردت الحاجة " عبد الرحمن كان ساهرا يدرس طوال الليل ولااظنه سيستيقظ قبل ساعة او ساعتين .. " ثم اضافت بهم " اما رفيدة فقد قضت الليل تعاني الارق ولم تنم الا قرابة الفجر بعد ان الححت عليها بشرب اللبن الرائب ليساعدها على النوم "

صمتت رحاب للحظات قبل ان تقول بتأن " الا يفترض ان نحاول اخراجها من هذه الكآبة قليلا خالتي ؟ "





قالت الحاجة بلهفة " يا ليت بنيتي .. يا ليت ... حاولي انت معها ... خذيها لاي مكان .. اذهبا للتسوق او تنزها في اي مكان اخر حتى ولو قضيتما النهار كله بالخارج وانا ساعتني بالاولاد "

هزّت رحاب رأسها وهي تبتسم بلطف " حسنا خالتي ساعرض عليها الخروج اليوم فالجو رائع لكن ما رأيك ان نخرج جميعا ؟؟ اعني انت ايضا والاولاد ... نذهب لاحدى الحدائق فيتمتعون باللعب في الهواء الطلق "

قالت الحاجة ببعض التكاسل " لكني اعاني من الآم الروماتيزم هذه الايام ؟ "

ابتسمت رحاب ابتسامة واسعة لتقول

" والهواء الطلق سيفيدك خالتي صدقيني ..."

ردت الحاجة باستسلام طفولي متذمر

" حسنا ... سآتي معكم ..."

راقبها .. وكم يستحلي عذاب مراقبتها .. !

انها من افضل الايام الربيعية ليس لروعة الطقس فحسب ولكن لانها في هذا الجو تختار السير على الاقدام حتى تصل الشارع الرئيسي ، لكن هذه السنة الربيع معها مختلف .. لانه قرر ان يشاركها ولو بالخفاء عادتها الربيعية ...





منذ يومين وهو يدعي امام الجميع انه يفضل السير على الاقدام ايضا فيتخلى عن سيارته ويسير متتبعا خطاها من بعيد حتى يراها تركب سيارة الاجرة بينما هو ينتظر لدقائق حتى يركب سيارة اجرة اخرى بعد ان يملّي نظره منها ....

اليوم هي مبتهجة ! تبتسم بشرود وتبدو سعيدة بشكل خاص ... لقد قطفت بضعة ازهار وتتشممها بفرح بين الفينة والاخرى ..

وكعادتها عندما تسلك هذا الطريق الموشح باشجار النخيل على الجانبين تنحني لتلملم حبات التمر المتساقط ارضا فتضعها جانبا حتى لاتداس باقدام المارة ...

همس رضا بشجن " لااحد غيرك يشعرني هكذا ... لااحد يدفعني للتصابي بهذه الطريقة وحتى الكذب على امه كمراهق كي يلحق بابنة الجيران ... ! "

شعر بالبؤس وهي تكاد تصل الشارع الرئيسي فتوقف ... رآها تلوح بكفها لاحدى سيارات الاجرة وبعد محاولتين فاشلتين حظيت الثالثة بالنجاح فتفتح الباب وتستقل المقعد الخلفي ...

عادة هي لاتنظر حولها اطلاقا .. ولكن لايعلم كيف حصل والتفتت نحوه فجأة لتكتشف وجوده القريب ! ابتلع ريقه وهو يستوعب اتساع عينيها بخوف واضح وذلك الشحوب الابدي الذي لايكسو وجهها الا ..... لرؤيته !





" هل انت بخير يا انسة ؟! "

كانت اسيا ما تزال تحاول السيطرة على خفقات قلبها بينما سائق الاجرة يسألها باهتمام عابر ..

تمالكت نفسها وهي تقول ببعض الارتعاش

" انا بخير لاتقلق ... اسرع من فضلك قبل ان يتكاثف الزحام في الشوارع "

وهكذا فتحت موضوعا ليثرثر السائق عنه معبرا عن استيائه من ضيق الشوارع وكثرة السيارات بينما هي تركن للصمت تستعيد قوتها وثباتها لتلجم خيالها من الانحدار الى هوة الماضي ، رافضة بكل عناد حتى التفكير ببضعة أحرف تشكل اسمه ..!

على ارضية المكتب المشترك مع ثلاثة مصممين اخرين تجلس حبيبة على ركبتيها ! شعرها الطويل المائل لشقرة داكنة تجمعه في ضفيرة واحدة للخلف لتتمرد بضع خصلات وتهرب من تلك الضفيرة المتراخية فتعطي وجهها هالة من الفوضوية والجموح !

ومن بين تلك الخصلات المبعثرة تراقب بعينين حادتي التركيز الرسم الاولي للاعلان الجديد الذي اسند اليها ...

ضيّقت عينيها قليلا قبل ان تميل بجذعها للامام نحو الورق الابيض المفترش على الارض لتبدأ باجراء بعض التعديلات...





كثيرون يصفونها بالجنون لانها تفضل الرسم بيدها قبل ان تستخدم احد برامج التصميم على الحاسوب .. جهد مضاعف لكن لاغنى لها عنه .. وهذا سر تميزها عن الباقين ..

انها تقدم روحا للاعلان وتعطيه بصمتها حتى اصبحت معروفة وتُطلب بالاسم من قبل العملاء ... مما يثير حسد زملائها وزميلاتها ...

حتى ان البعض كان يحاول سرقة افكارها ويضيف اليها بعض الابتكارات للتمويه لكنها كانت تضحك بثقة هازئة منهم فمهما حاولوا سيقدموا نسخة رديئة عنها...

في النهاية ملّوا سرقتها وآمنوا انها تملك موهبة تفوق قدرتهم على التقليد حتى...

لم يكن يغضبها الا محاولات سخيفة لافساد عملها وتخريب تصميماتها ..وعندها ... كانت تظهر اسوأ طباعها حتى اصبح الجميع يتحاشاها...

"انسة حبيبة هذه قهوتك .."

رفعت حبيبة رأسها للعم صبري وهي تقول له بود " شكرا لك .. دوما اتعبك بطلباتي المبكرة قبل حضور الجميع .. ضعها على مكتبي من فضلك "

تقدم الرجل العجوز من مكتبها ليرفع الفنجان من صينيته ويضعها باعتناء هناك وهو يقول بلطف " لا تعب يا انسة هذا عملي ويسعدني ان اقدم لك اي شيء "





لم يستغرب العم صبري افتراش الفتاة للارض فالجميع تعود عليها ولايتذمرون وربما لايجرؤن على التذمر ..!

حياها العم صبري برأسه مبتسما ثم غادر ...

استغرقت في فكرة الرسم الاعلاني امامها ولم تعد تشعر بما حولها ...

الاعلان كان عن ماركة ملابس نسائية رياضية لموسم جديد ...

اختارت ان تفكر بفتاة تركض عند الفجر على شاطئ البحر بملابس الرياضة ، قرص الشمس يرتفع في الافق تعلن بدأ يوم جديد والفتاة توشك ان تنهي المسافة التي حددتها سلفا لتمرينها الصباحي بجهاز عدّاد للكيلومترات تربطه حول خصرها بحزام خاص ، الفتاة تبتسم لانها تشعر بالراحة والانتعاش ... انها خفيفة .. خفيفة جدا ..... خفيفة الى درجة انها قفزت عاليا بانتهاء المسافة...

عند هذه القفزة كانت حبيبة ترسم الفتاة وهي تقفز مرة اخرى وكأنها تعانق قرص الشمس وتشعر بـ .... الحرية ...

تفاعلت افكار حبيبة وكلمة الحرية تتردد في اعماقها بطعم مختلف !

الشمس التي رسمتها لم تعد مجرد قرص دائري تحتضنها ذراعا الفتاة النحيلتان بل اصبح للقرص .. عينان ... حاجبان ... !





" من صاحبة هاتين العينين الحزينيتن ؟! انهما عينا انثى اليس كذلك ؟؟ "

لاتعرف من اجفلها اكثر صوته الرجولي الساخر ام حقيقة رسمها لتلك العينين المتطلعتين بخيبة امل نحو الفتاة الحرة !

بوحشية رفعت عينيها اليه لتقول بقسوة

" حذرتك اكثر من مرة من الدخول الى هنا دون استئذان "

رفع حاجبا واحدا ليقول " لكني ارى صبري العجوز يدخل دون استئذان "

لم تبالي حبيبة بحقيقة جلوسها على الارض ولم تبالي بنظراته التي تداري اهتمامه الرجولي بها فقالت بتحدٍ " العم صبري يحضر لي قهوتي كل صباح ولايحتاج للاستئذان بينما انت فلا عمل لديك هنا معي .. مكتبك ليس هنا كما اعرف ! "

ضحك مهند قائلا " من العجيب كيف تختارين كلماتك بعناية ووضوح ؟"

حدجته بنظرة نارية فقابلها بنظرة باردة قبل ان يلتفت ليتركها في جلستها على الارض بينما يهمس في داخله

" اقسم يا متوحشة شعرك البريّ هذا سافترشه على وسادتي قريبا .. قريبا جدا .."





يعتزل في غرفته الخاصة بعيدا عن ورشة العمال ليعتكف مع ادواته البدائية التي ورثها عن جده ويمارس هذا الجهد المضني في الحفر على الذهب الاصفر ...

اخطأ عدة مرات فـ....صبر !

لكن في المرة الاخيرة آذى اصبعه فتحامل على شتيمة اوشكت ان تخرج من فمه وبدلا من ذلك وضع الادوات جانبا وتراجع بظهره للخلف يحدق بشرود في خنصره الايمن حيث يستقر خاتمه الفضي المزدان بحجر العقيق لحظات واسبل اهدابه لتغزو خياله تفاصيل وجهها الحبيب الـ....مرتعب !

كم سيصبر اكثر ؟؟ كم سنة يستطيع ان يصبر الانسان على اكثر ما يبتغيه في حياته ولاامل له بالحصول عليه !

انه يصبر منذ اكتشف ان شعوره نحوها لم يعد شعورا أليفا نحو ابنة الجيران اللطيفة ...

عندما اكتشف ان اسيا ابنة التاسعة عشرة تعجبه .. تعجبه جدا ... تردد بوقتها لانها كانت مجرد طالبة جامعية بينما هو عانق الثلاثين ...

هو رأى ان فارق احد عشرة سنة بينهما كثير عليها ... بعد ذلك صدمه عندما سمع صدفة حوارا بين والدها و والده يخبره عن رغبته بتزويج بناته برجال ذوي مراكز علمية عالية ...





لاول مرة شعر بالانتقاص لانه لم ينل تعليما عاليا !

لقد ترك التركيز بدراسته بعد ان اكتشف والده فيه موهبته المميزة في صياغة الذهب فشجعه للاكتفاء بمعهد فني بسيط ثم الالتحاق بالعمل بشكل رسمي ودائمي بدلا من مجرد حضور باوقات متفاوتة ...

انه يحب مهنته ويجد نفسه في هذا الصبر بالاداء والدقة في العمل .. لكن كلام والده اسيا جعله يشعر بالضيق ...

تباعد عنها لفترة.. ثم ... حصل ما حصل ...حصل رغما عن انفه !

تأفف رضا وهو يقف على قدميه ويتحرك بعيدا عن كرسيه ، الصبر .. علّته في الصمت وهذا الصبر .... مرت السنوات ورؤيتها نافرة منه بهذا الشكل تجعله يعاني عذابا لايطاق ... عبر هذه السنوات تسلل اليأس اليه وهو مكبل عن فعل اي شيء او قول كلمة واحدة ...

في لحظة من لحظات ضعفه وغضبه من هذه الضغوط قرر ارضاء امه والزواج بقريبتها زبيدة ... خاصة بعد حزن امه لفراق حذيفة ....

كانت ... غلطة ... غلطة لاتغتفر .... انسانة تافهة مزاجية سليطة اللسان ! لقد كان موشكا على تطليقها لولا ان مرض والده كبّله ومنعه ..







وكأن الصبر وجد فيه مرفأه الابدي ! لتأتي الطامة الكبرى بزواج رفيدة من الحاج يونس ثم وفاة الحاج المفاجئة فوفاة ابيه !

سلسلة متعاقبة من الاحداث المفجعة لينهيها هو بطلاقه اخيرا من زبيدة بعد مشاحنة رهيبة حدثت بنهاية عزاء ابيه ... مشاحنة طالت امه للاسف ، وزبيدة لم ترحم حزنها على وفاة زوجها وترمل ابنتها الوحيدة بعد يومين من عرسها ...

الشيء الايجابي الوحيد هو شعوره بالراحة التامة عندما تم الطلاق اخيرا ، هم وانزاح من على كاهله ... وحمد الله ان الحمل لم يحصل .. ودون اي موانع ! وكأنه سبحانه اراد التخفيف عنهم جميعا في مصابهم فلم يجعل هناك ذرية تعاني التشتت بين الوالدين ....

وها هو عاد حرا ... واسيا ... ما زالت حرة ...!

حرة و.... تكرهه .. بل تمقته ...!!

تقبضت يده اليمنى وهو يرفعها لفمه يعاني من تجرع مر العلقم بسبب هذا الكره ...

اخذ نفسا عميقا واغمض عينيه وهو يرخي قبضته لينزلها ببطئ على ذراع كرسيه ..

لحظات على هذه الحال ثم فتح عينيه فجأة وقال بقرار مفاجئ لاتراجع فيه " لماذا اصبر اكثر ؟!! ولاجل من بالضبط ؟!!! ولأيّ هدف .. كفى ... كفى صبرا وسكوتا يا رضا ..."





ثم دون تردد تقدم نحو مكتبه الخاص والتقط هاتفه وسلسلة مفاتيحه الخاصة وتحرك مغادرا و... عازما !

تحاول التركيز على قراءة عقود استيراد من الهند والبنغال ولا تستطيع ، ما زالت تلك الرجفة السخيفة تسيطر عليها ...

اغمضت عينيها لتحصر ذهنها باتجاه واحد فأبو عبدالله مساعد والدها والذي اصبح مساعدها الآن في ادارة تجارة العطارة سيصعد لمكتبها في اية لحظة وسوف يلومها حتما لانها لم تنجز قراءة العقود والاطلاع على تفاصيلها ..

اطبقت جفنيها بقوة وهي تحث عقلها على التركيز بدلا من الغرق في دوامة احداث الماضي ... لسنوات نجحت في تجاهل تلك الدوامة وعاشت حياتها بايجابية .. منفتحة ومتصالحة مع النفس .. رغم ان هذا التصالح كان يتزعزع ببعض الكوابيس التي تهاجم غفوتها احيانا ...

لقد فعلت كل ما يلزم لتتجنب رؤيته وأعتبرته وكأنه غير موجود اصلا ناهيك عن امتناعها التواجد معه في نفس المكان ..

لم تحضر اي مناسبة تخص الجيران او المعارف تعرف مسبقا باحتمال حضوره ..







لكنها مؤكد لم تستطع الخلاص من رؤيته بالكامل ، وكيف تتخلص منه وهو يسكن مقابلا لها وكلما فرضت الصدفة رؤيته يصيبها نفس الارتعاش والتشوش ...

عندما تزوج تنفست الصعداء واصرّت ان تطوي تلك الصفحة الى الابد .. حتى زواج والدها من اخته لم تنظر اليه كطرف في الموضوع رغم دهشتها عندما وصلهم الخبر انه رافض لزواج اخته التوأم من والدها بل وحاول منعه بشتى الطرق ....!

لكن الحاج عقيل كانت له الكلمة الاخيرة ... وتم الزواج ...

" السلام عليكم .."

ما ان التقطت اذناها الصوت الرجولي من ناحية الباب المقابل لها حتى ارتد جسد اسيا بانتفاضة للخلف وهي تفتح عينيها على وسعهما ...

جحظت عيناها اكثر عندما رفعت رأسها لترى زائر كوابيسها ماثلا امامها ... مهيمنا بهيئته الضخمة عليها.... انه هنا ... يقف ببساطة عند باب مكتبها .. مكتب والدها ...

ان تراه مرتان في نفس اليوم كثير جدا عليها ... يا الهي .. كيف خدعت نفسها باكذوبة طيّ الصفحات ؟!!! ها هو الماضي يختلط بالكوابيس فيتجسد فيه !







لم تقوَ ساقاها على حملها لتقف فظلت جالسة على كرسيها الذي كان يوما كرسيا لوالدها لاشعوريا اخذت تتلمس حافة الكرسي وكأنها تبحث فيه عن قوة لاسنادها وهي تواجه هذا الرجل .... الحقير ... الذي دمر براءة فيها ...

كم هو حقير ؟!! يقف عند الباب مدعيا الادب ! عيناه تنظران اليها مباشرة ورغم غموض نظراتهما الا انه على الاقل لاينظر اليها بفجور مفترض من عقلها الباطن ...

فجور يليق باخلاقه .....!

قالت بنبرة ميته جامدة " ماذا تفعل هنا ؟ اين ابو عبدالله وكيف سمح لك بالصعود لمكتبي؟؟"

وضع رضا يديه في جيبي بنطاله ليقول بنبرة ثابتة مسيطرة " ابو عبدالله يعرفني من سنوات .... اهدأي اسيا .. لاداعي لكل هذا الخوف "

عندها فقط شحنت طاقتها لتهب واقفة على قدميها وهي تقول ببغض شديد " الخوف ؟!! انت تحلم ! ... هل تظنني نفس الفتاة قبل ثماني سنوات ؟! "

ابتسم ! يا الهي.... لعجبها ابتسم ... !!!!





ثم قال بصوت أجش شابه مرح خفيف " ما دمت لاتخافين مني كما تدعين فاعتقد حان الوقت ... لنتكلم"

وقبل ان ترد عليه اضاف بحزم وابتسامته تتلاشى " لم اعد اتحمل نظرات الاشمئزاز والخوف منك ... لااحد يستحق مني هذه التضحية لاتحمل كل ذلك ... ! ليس بعد اليوم ..... "

للحظة تشوشت من تعابيره الغريبة وكلماته غير المفسرة ! لكنها استعادت تركيزها لتقول بلامبالاة ظاهرية " انا لاافهم هذرك هذا ولايهمني ان كنت تعاني ام لا ... اخرج رضا ... غادر حالا .. لااريد التكلم فيما حصل ويكفي اني لم اخبر احدا بفعلتك القذرة معي ... رغم اني نادمة لاني لم افضح نفسك الدنيئة .."

ارتد رأسه للخلف بتأثير الاهانات التي تلقاها ! ثم قال وعبوس ملامحه يتعمق اكثر " لولا اني مقدر لحالتك لكان لي رد اخر ..."

اكتسحها الكره وهي تلقي مزيدا من حقدها عليه قائلة بقساوة ساخرة " حقا ؟!! وماذا كنت ستفعل مثلا ؟؟ تحاول اغتصابي في زقاق مظلم مرة اخرى ؟"

كان تتوقع ان يزداد غضبه لكنها تفاجأت باستعادته لهدوء ملامحه ليسأل بصوت محايد تماما " ماذا تذكرين عن تلك الليلة آسيا ؟! "





ذلك السؤال ....

لم يخطر في بالها ان يسأل هذا السؤال ! انها نفسها لاتفكر باجابة هذا السؤال ... منذ سنوات وهي تحارب جاهدة اي كلمات قد تحدد الاجابة ....

فاكتفت بتحمل الكوابيس التي تزورها احيانا دون ان يكون لها سلطة لمنع الزيارة !! لتتجاهلها حالما تصحو ...

صوته كان فيه مسحة تفهم وحتى رقة وهو يسأل بصوت مبحوح " انت لاتذكرين كل شيء اليس كذلك ؟؟ كما توقعت ..."

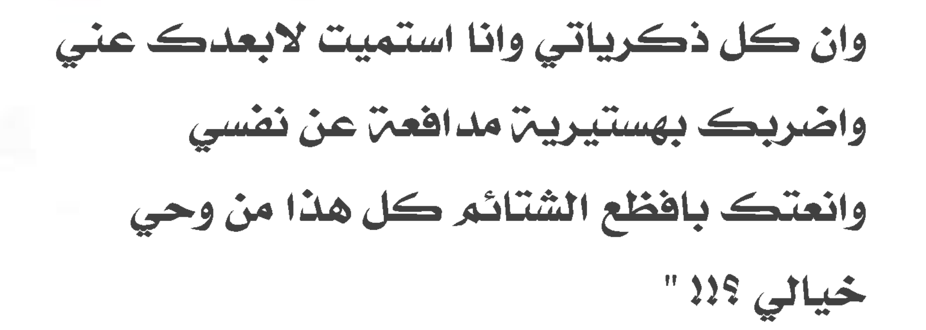
اخذت انفاسها تعلو وتهبط وهي تنظر اليه دون ان تصدق انه يجرؤ هكذا على المجيء ليكلمها لاول مرة وبكل هذا الوضوح وهذه الصراحة ... منذ اعوام ... ثمانية اعوام تحديدا...

اضاف مفسرا بمسحة شجن " لو كنت تذكرين لما استمر حقدك علي وكرهك الاعمى لي ... كنت .... ستعترفين بما حصل فعلا ... ! وها انت بعد ثماني سنوات عاجزة عن النسيان والغفران لي و بنفس الوقت ترفضين حتى الاعتراف .."

كانت كلماتها تهدر كانفاسها وهي تهمس بغضب مكتوم " اعترف ؟!!! ماذا الآن ؟! هل تريد اقناعي اني اهلوس مثلا ؟!







وان كل ذكرياتي وانا استميت لابعدك عني
واضربك بهستيرية مدافعة عن نفسي
وانعتك بافظع الشتائم كل هذا من وحي
خيالي ؟!!! "

غامت عيناه ليقول بهمس بدا وكأنه قادم من
بعيد " لا ... آسيا .. ليس من وحي خيالك ...
لقد حصل ما تقولين بالفعل ...!"





الفصل الثاني

تقف في الشرفة الصغيرة المطلة من الجانب الشرقي من البيت ، تمد جذعها الفتيّ من فوق السور الحديدي وعلى قدر ما تستطيع حتى تنظر لشرفته !

عضت شفتها السفلى بخجل بينما قلبها يخفق بجنون ووجهها يشتعل لهيبا ، لقد تهربت من رباب واوهمتها انها ذاهبة لتغسل وجهها في الحمام من مساحيق التجميل لكنها تسحّبت بخطى مكتومة حتى تسللت لهذه الشرفة التي توصلها للنظر لـ....غرفته ...!

همست بوجه محمر " ألن تخرج لشرفتك كعادتك ؟؟ ما الذي يؤخرك ؟؟ هيا يا عبد الرحمن اريدك ان تراني كيف ابدو كأجمل فتاة ..."

بعد ربع ساعة من الترقب والانتظار غير المجدي هفتت اللهفة واصابها الملل والحسرة !

كانت على وشك الاستدارة لتعود باحباط للداخل عندما اجفلها صوت رباب الناري من الخلف " ماذا تفعلين هنا يا رقيّة ؟!! "

ارتبكت رقية بشدة وهي تستدير بتمهل لتنظر مباشرة في وجه اختها التي لاتكبرها الا بثلاث سنوات فقالت لها بتعثر " انا .. كنت ... اقصد ... لقد .. اردت ان .. اردت ان ...."







عقدت رباب حاجبيها وارجعت شعرها العسلي الطويل بحنق للخلف بينما برقت تلك الالوان المتدرجة لعينيها فطغى الذهبي على الاخضر فيهما لتقول من بين اسنانها " هل مازلت تلاحقين باهتمامك ذلك الكائن الغريب الاطوار الكئيب الملامح ؟!! "

غرزت رقية اسنانها في شفتها السفلى ثم نكست رأسها بخجل فظيع ..

تبدل مزاج رباب (المتقلب بطبيعته) من النارية الى التفهم ! اقتربت من اختها الصغرى لتقول لها بجدية موشحة بالمرح " انت ما زلت صغيرة جدا يا رقية وحتى لو كنت كبيرة لاتدعي احلامك الرومانسية المتعجلة تأخذك نحو هذا الكائن تحديدا ! "

قالت رقية بتذمر وضيق اقرب للطفولية " لماذا تستمرين بمناداته بـ(الكائن) ؟!! انه شاب وسيم ومؤدب و ...."

فقاطعتها رباب قائلة بحزم " و ابن الحاج عقيل الصائغ .. لاتنسي هذا ... وانت تعلمين ما اقصد بكلامي ..."

رفعت رقية رأسها لاختها وهي تقول بأسى وتذمر طفولي " لماذا اختار ابي رفيدة دونا عن سائر النساء ليجعلها زو.....!!"

زجرتها رباب مقاطعة اياها بغضب " توقفي رقية ! الا تهتمين بما يعنيه كلامك ؟!! لقد تزوج ابي على امي ؟؟





الا تشعرين بألم امي ام انك لا تفكرين الا بذلك البائس الكئيب "

كسا الشعور بالذنب ملامح رقية فهمست والعبرة تخنقها " انا اسفة .. اسفة .. صدقيني لم اقصد.. لم افكر .. حقا اشعر احيانا اني سخيفة جدا وانانية ؟ "

ابتسمت رباب بحنان ومالت بوجهها لتقبل خد اختها تواسيها بالقول المرح " بل انت صغيرة مجنونة وهورمونات الانوثة مرتفعة لديك اكثر مما يجب وبشكل مبكر للغاية ؟"

احمرت رقية وهي تهمس بحنق " لاتهزئي بي يا رباب ، اعلم اني ما زلت صغيرة .. لكني لست بالصغر الذي ترونه بي جميعكم "

ضحكت رباب من قلبها بينما تجر اختها من ذراعها لتغادرا الشرفة وهي تهمس لها بشقاوة

" هذا اليوم سنمرح انا وانت كأي طفلتين شقيّتين فدعي حديث الكبار هذا ؟ "

" لا ... ليس من وحي خيالك ... لقد حصل ما تقولين بالفعل ...؟"

نظرت آسيا اليه فاغرة الفم مرتعشة الجسد بينما عيناها تجحظان وشفتاها تهمسان بحشرجة قاسية " وتعترف بهذه البساطة ؟!! انا لم ار في حقارتك واكاد اجن كيف لم اخبر ابي بوقتها لكان انتقم لي منك "





جمود كسا محياه بينما يسأل ببساطة اذهلتها " ماذا تذكرين غير ماذكرت عن تلك الليلة؟! "

قبضتاها تشنجتا على حافة مكتبها الخشبي بينما تزمجر بشتمه " نذل .. جبان ... عديم الرجولة .. عديم الشرف ..."

ثورة غضب مع ألم مبرح خطفا خطفاً في عينيه لكن سرعان ما تلاشى كل شيء ليقول بنبرة هادئة متماسكة وكأنه يسرد حكاية " كنتِ عائدة من الجامعة اليس كذلك ؟! في ذلك اليوم من الاسبوع كنتِ تصلين عادة عند السادسة مساء وقد كان يوما شتويا ممطرا والشمس غاربة تماما .. الظلام انتشر والانارة باهتة في الشارع ... "

هذه المرة اغلقت عينيها ... لاتريد ... ارادت ان تقول له انها (لاتريد) التحدث عن احداث ذلك اليوم ، لكن الكلمات خانتها وخذلتها ولتجد نفسها بدلا من ان تختبأ من تأثير النظر لوجهه الذي يذكرها دوما برعبها تلك الليلة .. وجدت نفسها تغرق بتفاصيلها ... تفاصيل التفاصيل فيها ....!!!

انساب صوته بنبرة غريبة لاذنيها وكانه يساير هتاف عقلها لتتذكر رغما عنها " نزلتِ من الحافلة كالمعتاد ... ثم دخلتِ الشارع الفرعي ..."

اختض جسدها وتملكها خوف رهيب فهمست دون شعورها " كفى ... كفى .. "





صوته هذه المرة بدا اقرب اليها وهو يسألها بالحاح صارم " ماذا حصل اسيا ؟! قولي لي ان كنت شجاعة ماذا حصل بالتفصيل ! ما دمت عاجزة عن النسيان فعلى الاقل اعترفي بما حصل ... "

عندها فتحت عينيها بقوة لتجده قد اقترب خطوة داخل الغرفة ، تذكرت ! اجل تذكرت تلك الظلمة التي لم تكن ترعبها يوما ..

دوما شعرت بالاطمئنان في محيطها وربما هي مجرد اوهامها او ربما هي تربية والدها الذي جعلها تشعر انها كائن يستحق ارق معاملة ...

تلك الليلة كانت هادئة جدا بعد توقف المطر .. هادئة حتى ... حتى ....

هدرت به بشبه هستيرية " ايها الحقير البائس .. فاجأتني من الخلف كأي جبان ، كممتَ فمي بيدك القذرة واخذت تسحبني رغما عني للخلف وانت .. انت... تكاد تخنق انفاسي حتى لا اصرخ .. حتى... لا افضح ... دناءتك "

تنهت وهي تعاود هديرها بغضب اعمى " حقير ... استغليت قوة جسدك وضعفي امام بطشك واصرارك .."

تغنضات وجهه تعمقت اكثر واكثر بشعور الألم الذي تملكه واستبد به .. ألم و... غضب ... غضب مستعر يحرق احشاءه !! غضب لاجلها هي وليس لاجل كرامته ...





تحامل على نفسه ليسأل بصوت مبحوح " هل كلمتكِ آسيا ؟؟ هل قلتُ لك شيئا ؟"

اخذت اسيا تختض كسعفة نخلة تواجه عاصفة عاتية بينما تتطلع اليه بنظرات مرتعبة !!

رعبها كان من الماضي .. ذلك الماضي الذي تجسد فيه الآن ... في حاضرها !!

انصهر قلبه لاجلها فلم يتمالك نفسه ليقول بعاطفة جياشة افلتت منه " لاتخافي .. لاترتجفي هكذا .. اتوسل اليك .. لااحتمل رؤيتك هكذا ...."

دمعات هطلت منها دون ان تشعر لتهمس بما يجول في اعماقها منذ سنوات وتتجاهله

" لماذا فعلت هذا ؟! لماذا .. كنت احترمك .. كنت اراك رجلا رائعا .. لم اتصورك للحظة ستفعل بي هذا .. كان ابي ياخذنا دوما لمحل والدك ليصيغ لنا حلى ذهبية جديدة وانت .. انت .. لم تنظر الي يوما .. بطريقة ..سيئة ! لماذا .. لماذا فعلت بي هذا ؟!!! "

ابتلع رضا ريقه بصعوبة وكبح تهورا احمقا يدفعه قلبه لأن يقدم عليه ، تقبضت يداه يقاوم بشراسة بينما يطالبها بالحاح " تذكري اسيا ... فقط تذكري بالله عليك "

اطرقت برأسها وهي تتساءل في نفسها (ماذا يحدث لك يا آسيا ؟! لماذا تتركينه يفتح جروحا قديمة شقّها هو .. بنفسه ... بيده !)






مسحت دموعها لتهمس بنبرة ميتة تلوح فيها السخرية المريرة " ماذا تريدني ان اقول ؟ ان اعيد كلماتك الفاجرة في اذني ؟ انفاسك المختلطة برائحة مقرفة كانت تبث الرعب عبر اذني بينما تهمس بوقاحة وفجور عن مدى جمال جسدي وكم تشتهي نيله .. ! "

لم تدرك اسيا تأثير ما قالته على رضا ! وجهه شجب للغاية وشفتاه ابيضتا بينما اتسعت عيناه واشتعلت نظراتهما وامتلأتا برغبة مجنونة لأن

....

"رائحتك ... "

اجفل من تلك الكلمة التي خرجت من فمها بتعثر غريب !

هدرت انفاسه وهو يسأل بثقل

" ماذا تذكرين منها ؟؟ "

رفعت وجهها اليه تحدق فيه بنظرات متخبطة لتهمس وهي تهز رأسها " رائحتك .. تتغير ! "

اخذ نفسا عميقا وهو يسيطر على جحيم غضبه ليسألها مباشرة

" اخبريني اسيا ..... هل رأيت وجهي ؟ "

كانت نظراتها ما زالت تتأرجح في تخبط المعاني التي تحملها !





ردت وهي تحدق في عينيه وقد غلب على مشاعرها البغض " وجهك ؟!! وكيف وقد امسكتني من الخلف ولم تواجهني الا بالظلمة رغم ذلك فملامحك المقيتة ميزتها وسط ذلك السواد الشاحب كسواد نفسك المريضة .. "

للحظة واحدة .. تردد ! تردد قبل ان ينطق بما يقض مضجعه " اسيا ... هل فكرت للحظة واحدة خلال كل هذه السنوات انه ... لم يكن ... انا ! "

ارتد راسها للخلف وهي تهتف به " هل انت مجنون ؟! مؤكد مجنون ... لقد اعترفت لي قبل دقائق فقط اني لم اكن اتخيل ضرباتي اليك ..."

ذابت عيناه بشعور لم تفقه هي ليقول برقة

" كان هذا بعد ان فقدت الوعي اليس كذلك ؟"

عاد اليها التشتت والتخبط لكنها تمسكت بما ترسخ في داخلها لتقول بقسوة " قبل او بعد ! ما الفرق ؟!! الى ماذا تريد الوصول ..؟؟ لماذا تريد نبش ماضيك المخزي ؟!! الا يكفي اني صمت ولم افضحك ؟!! "

هدأت ملامحه... اطرق قليلا برأسه ثم بسلاسة وضع يديه في جيبي بنطاله الكحلي وصمت للحظات ثم عاد ورفع رأسه ليقول باعتداد وكبرياء " ليس لدي اي ماض مخز يا اسيا لتفضحيه ...! "





رمشت آسيا بعينيها بينما يضيف رضا بصوته الرجولي الاجش وهو يسبل اهدابه

" في تلك الليلة الشتوية احببت المشي على الاقدام في الشارع ، كنت .. اريد ان .. احاول الاقلاع عن عادة التدخين في تلك الفترة .. "

لاتعلم لماذا توقف للحظات عن الكلام كما لاتعلم لماذا لاتطرده ببساطة !!

اكمل " سمعت حشرجة اصوات مكتومة من احدى الازقة المظلمة وبدافع الفضول... اقتربت ..."

كان ما يزال مسبلا اهدابه " كنت اقترب على مهل وبحذر توقعا مني لرؤية لصوص خاصة وان ذلك الزقاق بالذات ضيق مظلم ولا يحفه الا بيت هجره اصحابه من سنوات ، بيت فارغ قد يكون مطمعا ... ثم فجأة سمعت صرخة ! صرخة فتاة ! "

عندها فقط رفع عينيه اليها مباشرة ليقول بملامحه الغامضة " لم اتوانَ عن الركض واوشكت الوصول لهدفي لاميز صراع ... صراع غير متكافئ على الاطلاق ... فتاة مع ... شاب ضخم .."

بدأت اسيا تستوعب مقصده فاخذت تهز رأسها يمينا وشمالا بحركة رفض وهي تهمس بتشنج " انت كاذب ..كاذب .... هل تقول لي انه لم يكن انت ؟! اني تخيلت صوتك الفاجر في اذني ثم شتائمك عندما عضضت يدك





لتمسك جسدي بقوة وتضربه بالحائط المجاور حتى اغمي علي ؟ اجل.... انا اذكر الآن .. اذكر .... لقد عضضتُ يدك بكل قوتي فأثرت غضبك الجنوني لتؤذيني بكل سفالة ... ؟"

ارتعشت عضلة في خده بينما يزمّ شفتيه قبل ان يقول بصوت غريب " لا ... لم يكن انا ... انا من حضرت نهاية تهجمه عليك وحالما رآني فر هاربا فركضت اليك تاركا اياه لانك ... الاهم ..."

اخذت تضرب على سطح مكتب والدها وهي تهدر " كاذب ... كاذب .."

لكنه اضاف بنفس النبرة " ساعدتك لتستعيدي وعيك وحاولت تدفئتك فخلعت سترتي ووضعتها حول كتفيك "

رفعت يدها لفمها وهي تنظر اليه بدون تصديق بينما يواصل كلامه " عندما افقتِ اخذتِ تضربيني بهستيرية وتكيلين لي بالشتائم "

أبت ان تصدق ؟ أبت ان تفكر حتى باحتمالية صدقه، قاومت تلك الافكار التي يزرعها في مخيلتها وتشبثت بالحقائق التي تفندها ...

قالت بتعثر " لا ... هذا كذب ... لقد كان صوتك من البداية ... اجل انه صوتك ...وملامحك .. اجل ملامحك رغم الظلمة رأيتك للحظة قبل ان اغيب عن الوعي ..."





غامت عيناه وهو يقول بوضوح " لا .. ليس صوتي ولاملامحي ولكن قريبة الشبه منها ..قريبة .. جدا "

ابعدت يدها عن فمها لتقول بتشتت اكبر

" ماذا تقصد ؟! انا لاافهم ما تقول ..."

قال ببساطة " انت قلت الرائحة تتغير ..."

تداخلت الحقائق مع بعضها فلم تعد الى ايها يفترض ان تركن ! فهمست بجزع

" لااعلم ... لااذكر ... "

عيناه تعلقتا بملامح وجهها للحظات قبل ان يقول بما يشبه المزاح الرقيق " اسيا ... انا لااغير عطري منذ سنوات طويلة ... "

عادت لتقاوم وهي تقول باتهام صريح " لا ... انت تحاول التلاعب بافكاري لغرض حقير في نفسك ! "

غابت الرقة عنه ليقول بغضب مكبوت " انا لم اعد احتمل هذا الظلم لسنوات اخرى ... ساخبرك بما كتمته في صدري ولم يعرفه الا ابي رحمه اللّه "

اخذ نفسا عميقا قبل ان يقول بشجن " من حاول الاعتداء عليك ... هو .. اخي ... حذيفة ! "





الرائحة ... اجل الرائحة اختلفت ... الاولى كانت قوية .. قوية جدا ... الثانية كانت خفيفة لكن عميقة كعود المسك الاصيل!

(اهدأي اسيا .. لاتخافي .. لم يحصل شيء .. لم يحصل شيء .. اقسم بالله لم يحصل شيء .. انت بخير ... الحقير لم يصبك بسوء ..)

لسانها طاوع تسلسل افكارها " انت ... انت كنت تهدأني وتقسم وتقول (لم يحصل شيء)!! "

رد بنبرة عتب رقيق " اجل ... وبعدها اخذتِ تضربيني بهستيرية ثم دفعتني وركضتِ ... ومع ذلك ركضتُ خلفك حتى اطمأننت انك دخلت البيت "

صدرها يعلو ويهبط وهي تواجهه بجمود لحظي تملك جسدها الصغير بينما هو يتسمر كأحمق في مكانه يلاحق بعينيه تفاصيلها الصغيرة ...

بضع شعرات ما زال يذكر لونها الداكن قد تسللت من حجابها ولامست جانبي خدها ، ناضل رضا ليقاوم رغبته المجنونة حتى يقترب ليعيدها بنفسه لمكانها محفوظة بعيدا عن كل الاعين حتى عينيه هو ، كم كان مبتهجا عندما رآها بالحجاب لاول مرة بعد دخولها الجامعة بفترة .. كان مبتهجا وفخورا كوالدها تماما الذي احضرها ليصوغ لها هدية خاصة فاختار لها ميدالية على هيئة حمامة مفرودة الجناجين...





حمامة صاغها رضا بيديه ... حمامة كانت اول هديل منها ليجعل قلبه يخفق خفقته الحقيقية الاولى ....

اخذت تهذر " لايمكن ... لايمكن ... لماذا لم تقل هذا من قبل ؟!! لماذا صمت طوال هذه السنوات "

عندها رد رضا بصوت مبحوح " ولماذا صمتِ انت يا اسيا ؟!! لماذا لم تخبري احدا ؟! "

ردت باختناق " كنت ... خائفة .. مرعوبة .. لم استطع اخبار ابي ولا حتى امي .. خدعتهما بالقول ان كلبا مسعورا من الكلاب الضالة هاجمني فوقعت ارضا وفقدت اغراضي وانا اهرب منه ..."

سالت دموعها وهي تضيف بنفس الاختناق الذي مزق قلبه " لماذا لم تخبرني .. انت كنت تعرف اني ظننتك ... الفاعل ... يا الهي طوال .. هذه السنوات .. كنت .... اكرهك .. امقتك ... الى درجة .. لاتتخيلها .. لماذا صمت يا رضا .. لماذا ...؟!!!"

رد بصلابة " لان الفاعل كان اخي .. حذيفة ... اخي يا اسيا ... اخي ! .. انه ابن الحاج عقيل الصائغ ... هل تدركين ما اعنيه ؟!! كنت مستعدا لفعل اي شيء لحماية ابي من فضيحة ستدمر سمعته وسمعة عائلتنا .. وامي كيف كانت ستحتمل الامر وهي تكتشف ان احد اولادها يهاجم فتاة في الشارع كأي حقير فاسق ! "





صمت للحظة قبل ان يفاجئها بالقول " انا كنت مستعدا حتى لتحمل المسؤولية نيابة عنه فيما لو اخبرت احدا ..."

كانت اسيا تحدق في رضا عاجزة عن الرد !

اطرق رضا قائلا بصوت غريب " لكني اعترف اني فقدت تعقلي تلك الليلة ، بحثت عن حذيفة لساعات وكنت كالمجنون بسبب فعلته وعندما عاد للبيت بوقت متأخر كنت بانتظاره في الحديقة وغضبي وصل ذروته وما ان رأيته حتى حصل بيننا عراك عنيف ، لقد كان .. مخمورا ... لحسن الحظ لم يتنبه لعراكنا الا والدي رحمه الله فاوقفنا وبعد كلام كثير .. قرر والدي .. طرد حذيفة من البيت نهائيا "

كانت اسيا ما تزال غير مستوعبة تماما لكل ما يقوله لكنها رددت بذهول " طرده ! بسببي .. انا ؟!! لكنكم قلتم للناس انه ...."

اكمل لها رضا بحزن عميق " انه هاجر .... اجل هذا ما قلناه ... هذا كان خيار ابي .. حتى امي لم تعرف ... لحد هذه اللحظة هي تظنه تركنا بارادته .."

تنحنح رضا قبل ان يكمل " لقد كان عرس محسن بعد ايام فقط فأمر ابي ان تجهز اوراق السفر لحذيفة وفعلا غادر في اليوم التالي من العرس .. "





انهارت اسيا لتجلس على كرسيها تميل للامام مستندة بكوعيها على حافة مكتبها بينما اغرقت وجهها بكفيها وهي تهمس

" ارجوك ... اتركني بمفردي ... ارجوك ..."

لكنه اقترب اكثر ليقف قبالتها تماما لايفصلهما الا المكتب الخشبي القديم قائلا برجولة دافئة " انت مهمة لي اسيا .. مهمة جدا .. مرت سنوات على تلك الليلة لكني لم اكف ولا لليلة واحدة عن التفكير بك وبما عانيته ومدى تاثيره عليك ... لو بيدي ان افعل اي شيء حتى امحو تلك الليلة من ذاكرتك سافعل دون ادنى تردد ..."

اظهرت وجها رقيقا مرهقا من خلف اناملها المرتعشة لتنظر اليه بتلك العينين فتسحره بلونهما الغامض كحجر نفيس محيّر ...

كانت تنظر اليه مباشرة فتاهت منه خفقات قلبه بينما همسها الحزين يغرز اشواكا دقيقة ناعمة في روحه قائلة بوهن " لسنوات رفضت الزواج .. خوفا .. خوفا من ... ان ينكشف ما حدث تلك الليلة ... انا رضيت بحياتي كما هي ... رضيت بحمل همٍّ سكن اعماقي فاغلقت عليه وحرّمتُ عليه الشكوى ... حرّمتُ عليه حتى الانين ! الان ... كل شيء اختلف واختلط في داخلي ... كل .. شيء .."

همس اسمها " آسيا ...."





لكنها قاطعته وهي تسبل اهدابها لتقول بحزم وتماسك " اتركني بمفردي ارجوك .. انا ... "

صمتت للحظة لتضيف وهي ما زالت تأبى رفع نظراتها اليه " انا ممتنة منك لاجل كل شيء ...لكن فقط ... غادر ... اريد الانفراد بنفسي ..."

للحظات طويلة حدق فيها ثم بهدوء استدار وهو يهمس بصوت أجش " الى اللقاء آسيا "

ثم ارغم ساقيه على تلك الخطوات المبتعدة ... عنها ....

عيناها الزرقاوان جاحظتان على تلك الالوان المبهرجة التي غطت على اللون العسلي لشعر اختها رباب !!

قالت رقيّة بجزع حقيقي " ماذا فعلتِ بشعرك يا مجنونة ؟!!"

ردت رباب ضاحكة وهي تتلاعب بخصل شعرها الطويل " ما بك ؟!! انها مجرد الوان تختفي بمجرد غسلها بالماء .."

لكن رقيّة عبست بشدة قائلة بحنق " كيف تفعلين هذا بشعرك ؟! تلك الخصل العسلية المبهرة تستبدلينها بالاحمر والاخضر والازرق والاصفر !!!!





بل اضفت الوردي والبنفسجي ايضا !! ... يا الهي انه اجرام ما فعلته بشعرك ..

اجرااااااااااااااااااااااام "

ضحكت رباب من قلبها وهي تقف على قدميها وتهز رأسها يمينا وشمالا تتلاعب بشعرها بابتهاج ....

تنهدت رقيّة بحسرة وهي تقول " هل تعلمين كم تمنيت ان احظى بلون شعرك العسلي او لون شعر حبيبة المبهر ؟؟ "

رفعت خصلا من شعرها الداكن تتطلع اليها بحنق ! شعرها الذي يأبى حتى ان يستطيل ليصل نهاية ظهرها كما تحلم دوما !

قالت رقية بغيظ شديد " لماذا لم احظَ بلون مميز مثلكما بدلا من هذا اللون الداكن التقليدي كلون شعر اسيا تماما .."

انحنت رباب لتطبع قبلة على خد اختها وهي تقول معنّفة اياها بمرح " ايتها الغبية من لديها زرقة عينيك عليها ان تحمد اللّه صباحا ومساء "

ردت رقية بتذمر " حبيبة ايضا تملك نفس الزرقة ولكنها تحظى بشعر اقرب للشقرة النادرة التي تجعل زرقة عينيها مميزة جدا " ثم اضافت بتنهيدة طويلة " حبيبة اجمل منّا جميعا ... انها مبهرة في كل تفاصيلها وتجتذب الانظار اينما تذهب .."





هزّت رباب رأسها وهي تتضاحك قائلة "
لافائدة منك ..! انت لاتدركين ميزة كل
واحدة منا ... "

ودون ان تسمح لها بالرد سحبتها من ذراعها
كما فعلت عند الشرفة وهي تقول غامزة "
تعالي يا متذمرة ... حان وقت المرح "

قالت رقيّة بفضول طفولي " الى اين تأخذيني
؟!! ماذا ستفعل الآن ؟؟! "

ردت رباب بابتسامة شقيّة ونظرات تدّعي الشر
" بما انك رفضت ان الون شعرك مثل شعري
فساحظى بالمتعة الاكبر لوحدي .. لكني
اعدك انك ستحظين ببعض المتعة ايضا .. "

في الحديقة امسكت رقية بخرطوم مطاطي
احمر والماء ينساب من طرفه بذبول نوعا ما
بينما رباب تقفز وتدور حول نفسها وخصلات
شعرها الملونة تتطاير فتبدو كقوس قزح
شقيّ يمرح تحت اشعة الشمس ....

حثتها رباب صارخة بابتهاج " هيا رقية ... انا
مستعدة .. رشي علي الماء وسنستمتع معا ... "

ترددت رقية وهي تنقل نظراتها بين الماء
المنساب وشعر اختها المتطاير لتهمس
باعتراض " لكن رباب ... "





لم تتوقف رباب عن افعالها المبتهجة وهي تقفز بمرح اكبر وتصرخ بحماسة " هيا رقية ... الم تكوني معترضة على اصباغ شعري المجنونة ؟!!! الان ازيليها عني ... ازيليها عني دون اي رحمة ! "

ثم رفعت رباب ذراعيها عاليا وهي تكمل احتفالها المجنون " هيا يا فتاة ... هيا ... كوني جريئة وحيوية ...."

خرج عبد الرحمن لشرفته وهو يتمطى ويتثاءب ، ثم مال بجذعه قليلا ليستند بكفيه على حافة السور وهو يرخي اهدابه ، اخذ يحرك رقبته ليحني راسه يمينا ثم شمالا محاولا ارخاء عضلاته ..

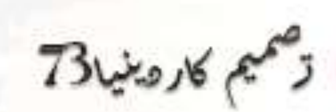
همس لنفسه " احتاج لحمام ساخن حتى اتخلص من هذا التشنج "

اصوات بعيدة استرعت انتباهه ففتح عينيه ليتطلع حوله في الشارع ، لكن الاصوات جذبته عبر الشارع لتصل بعينيه الى بيت الحاج يونس ... البيت المقابل لبيتهم تماما ... وفي تلك الحديقة الظاهرة له رآها ...

ببلوزة بيتية ملونة وبنطال جينز طويل مثني حتى اسفل ركبتيها كانت رباب تقفز وترقص بعشوائية كطفل في الخامسة !









ارتفع حاجبا عبد الرحمن وهو ينظر بدهشة
وبعض الانبهار لشعرها الملون يتطاير في الهواء
... تضحك ملئ شدقيها وشقيقتها الصغرى
رقية تمسك بخرطوم الماء بتردد !!

لحظات وهما تتكلمان بما لايصل لاذنيه الا
كصرخات مستمتعة ثم فجأة شقاوة طفولية
علت ملامح الصغيرة رقية وكأنها انعدت من
شقاوة اختها لترفع الخرطوم وتبدأ رش الماء
على رباب !!

عينا عبد الرحمن لم تفارقا تلك الخصل
الملونة وقد اخذت تبتل .. لايعلم ما الذي
جعله ينبهر بتلك الالوان!! لكن انبهاره لم
يطُل حالما بدأت الالوان تسيل من شعرها
لتختلط بالوان بلوزتها و.. ضحكاتها !

لم يسمع في حياته ضحكات ملونة
كضحكات رباب ! حقا انها فتاة حلوة
كالسكاكر ...

لم يشعر الا وهو يبتسم ابتسامة عريضة
لكن ابتسامته سرعان ما ذبلت وماتت بعد
لحظات فقط .. شع حزنه الدفين من نظراته
فاسبل اهدابه وهو يهمس

" اياك يا عبد الرحمن ... اياك ! "

ثم .. ودون ان يعاود النظر للفتاتين مرة اخرى
استدار للخلف وعاد لغرفته ...





قالت رحاب بهمس وهي تميل ناحية رفيدة " ابتسمي قليلا رفيدة فوالدتك لاتتوقف عن النظر نحونا لترى منك ولو شبح ابتسامة "

لم يؤثر هذا على ملامح رفيدة الحزينة الساهمة وهي تجلس على احدى المصاطب الخشبية في الحديقة وعلى مسافة مترين تقريبا من امها التي تظللت بشجرة كبيرة وقد افترشت على ارضية الحديقة بساطا مخططا بالوان متعددة لتجلس عليه براحة فاردة ساقيها وتغطيهما بمفرش قطني خفيف ...

كانت تدرك ان امها تلقي اليها بنظراتها بين الفينة والاخرى رغم ان سامي يليها كثيرا كعادته وهو يأتيها كل دقيقة متدللا وشاكيا من اخيه عقيل ...

تنهدت رفيدة وهي تفكر ان امها تجيد تدليل الذكور ! ثم اخذت تفكر للمرة الالف لماذا لم تولد ذكرا كاخوتها فلا تحمل عبء عنوسها لباقي حياتها ...

اجل .. هي عانس ... تزوجت صحيح وتحمل لقب ارملة صحيح لكنها في داخلها ما زال احساس العنوسة يقتات من انوثتها وينهكها ..

" رفيدة ... انا تركت خالتي بمفردها لاتكلم معك قليلا .. لماذا لاتحاولين الكلام معي قليلا .. فضفضي عزيزتي .. ربما علاقتنا ليست قوية ولكن ..."





قاطعتها رفيدة بنبرة تنضح بؤسا " لافائدة من الفضفضة يا رحاب .. ماذا سيحدث ان تكملنا لعشر ساعات متواصلة ؟!! سيأتي وقت نتعب فيه من الكلام وننظر حولنا فلا نرى شيئا تغير ! على الاقل حياتي انا لن تتغير ...."

ثم التفتت نحو زوجة اخيها لتضيف بنبرة تقطر احساسا بالنقص " انت لايمكنك الشعور بي .. لايشعر بالنار الا من تكويه بلهيبها ! انت امرأة جميلة واثقة ومثقفة صاحبة شهادة عليا متزوجة منذ سن مبكرة حال تخرجك ولديك ولدان الان وقد تنجبي المزيد فما زلت في الحادية والثلاثين ، مستقرة في حياتك وعملك مع زوج يحبك ويرعاك ، اما انا فلم اطلب اي من مميزاتك ولاحتى طمحت اليها يوما ورضيت بالقليل الذي حصلت عليه من حياتي ، وكل ما اردته اربعة جدران تضمني مع رجل يعاملني بالحسنى ويخلصني من ثقل احساسي اني .. مرفوضة كأنثى واني لاساوي في سوق النساء شيئا ... "

رغما عنها شعرت رحاب بالثقل في صدرها ! لم تكن ممن يفكرون كثيرا بالحسد لكن ان ترى كل هذه الحسرة في عيني رفيدة وهي تعدد ما تملكه جعلها تشعر بانقباض في صدرها ...

تمالكت رحاب نفسها واستعاذت بالله في سرها من الشيطان الرجيم وصلّت على الرسول الكريم قبل ان تقول بلطف :





" لماذا تربطين قيمتك دوما بالزواج ؟! احساسك هذا هو ما جعلك ترضين بالزواج من الحاج يونس رحمه الله رغم انه متزوج و يكبرك بالكثير ... صحيح الحاج رجل رائع والح في طلبك لكن كان يفترض الّا تستلمي لرغبتك بانشاء بيت وعائلة تخصك..."

ندت عن فم رفيدة ضحكة خافتة ساخرة صغيرة جدا لكن معبرة بطريقة مؤلمة .. ثم دمعة رقيقة سالت على خدها لتهمس بعدها بصوت غريب " اجل ... الح في طلبي ! لم يكن يطيق صبرا ليتزوجني !! "

ضيّقت رحاب عينيها وهي تسأل بحيرة " ماذا تقصدين رفيدة ؟! "

مسحت رفيدة دمعتها اليتيمة لتنهض على قدميها وتقول ببرود ظاهري " دعينا نعد الغداء انا لم آكل شيئا منذ غداء الامس ..."

تطلعت رحاب باحساس غير مفسر ناحية قامة رفيدة الضئيلة وهي تتحرك امامها متجهة نحو الحاجة سعاد ...

لاتعرف كنه الاحساس الذي وصلها بالضبط لكنها شعرت بالضيق اكثر بعد كلامها مع رفيدة ...

ارجعت رحاب خصلا من شعرها البني القصير خلف اذنيها وهي ترمش بعينيها ، شعور بالقلق استبد بها دون سبب واضح !





وقفت على قدميها هي الاخرى وتحركت بنفس الاتجاه الذي سارت به رفيدة بينما فكرها يحثها لاخراج هاتفها من حقيبتها الخوصية الكبيرة الملقاة على الارض بجانب حقيبة الطعام .. انساقت وراء رغبتها الداخلية فانحنت لتخرج هاتفها من الحقيبة وهي تستأذن حماتها قائلة انها ستتصل بمحسن تطمئن عليه بينما عيناها تحودان ناحية رفيدة التي جلست بجانب امها لتعود وتنغلق على نفسها مرة اخرى ...

اخفت رحاب تنهيدتها المحبطة وضغطت على الازرار المناسبة وهي تبتعد عن الجمع ..

الرنين طال او ربما احساسها بالتململ جعلها تشعره كذلك .. لاتعرف لماذا سؤال الح بفرض نفسه (ماذا يحدث لك يا رحاب ؟!)

لكن السؤال تلاشى عندما فتح الخط اخيرا وجاءها صوت زوجها العملي اللطيف وهو يقول " مرحبا عزيزتي ..."

ردت رحاب باحساس متفاقم بالضيق

" مرحبا محسن ..."

وقبل ان تضيف المزيد قال محسن " لحظة من فضلك..." ثم تباعد صوته عن سماعة الهاتف وهو يقول بلهجة رسمية " ادخل .."





اغلقت رحاب فمها واخذت تتحرك بقلق وبعض الاضطراب هذه المرة وعيناها تتنقلان بعفوية بين النظر لولديها وهما يلعبان بالكرة وبين حماتها وابنتها اللتين تجلسان على الارض ...

" مرحبا استاذ محسن .."

صوت انثوي تميزه بين عشرات الاصوات ! صوت يثير فيها كل انواع الاستفزاز والتأهب الدفاعي...

تجمدت تماما واختفى في لحظة كل شيء حولها لتتركز كل حواسها على ذلك الصوت المثير والموجه باثارته ودلاله نحو ... زوجها ... تحديدا !

" مرحبا سوزان ، اراك حضرت للجامعة هذا اليوم؟!"

فترد عليه سوزان بضحكة تطرب القلب قبل الاذن " اجل يا استاذ .. انت تعرف ان مشروعي للتخرج متأخر وكنت متأكدة انك اليوم ستحضر فقلت في نفسي انها فرصة لاستحوذ على وقتك واطلب منك المساعدة "

لتضيف بانوثة ودلال متزايد " هل ستساعدني يا استاذ ؟! "

اعتصرت رحاب هاتفها النقال في يدها وشعرت بصداع ينبض في صدغيها ، دون ارادتها همست باسمه " محسن ! "





للحظات بدت طويلة صمت ! حتى انه بدا وكأنه لم يسمع همسها بأسمه ...

اخذ قلب رحاب ينبض بقوة ووساوسها ترسم خيالات في عقلها عن نظرات يوجهها زوجها لتلك الفتاة الفاتنة الهائمة به بشكل واضح!

عاد نفس السؤال يطرق بمساميره القاسية في عقلها (ماذا يحدث لك يا رحاب ؟!)

جاء صوت زوجها مبحوحا بشكل غير عادي وهو يقول بهدوء " مؤكد سوزان ، انا متفرغ الآن واستطيع مساعدتك لنصف ساعة كاملة "

الاضطراب الشديد سيطر على رحاب ورغبة رهيبة بالصراخ وربما حتى البكاء خنقتها بينما جاء صوت زوجها مزيجا غامضا وهو يقول " ساكلمك فيما بعد ، مع السلامة "

لاتعرف كيف تحرك لسانها بلفظ كلمتيّ (مع السلامة) فينغلق الخط بينهما بكل بساطة !

ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تحني رأسها وشعرها يتطاير في الهواء فيخفي معالم وجهها المصدومة ! هل صدمتها من جرأة الفتاة ام من ردة فعل زوجها على تلك الجرأة ام .. من صمتها هي شخصيا على ما حدث !!!





يدها الممسكة بالهاتف ترتعش بينما تقاوم احساسا بالألم ! اجل انها تتألم .. تشعر وبطريقة سخيفة ان زوجها فضّل رفقة تلك الفتاة عليها ...

همست والألم يتزايد " يا الهي ! هل تجذبه حقا تلك الفتاة ؟! هل هو منساق في نزوة مع تلميذته ؟!! هل ..."

لم تكمل همسها بينما الغيرة تجد فيها فريسة سهلة فتهاجمها بشراسة قاسية ساخرة من ضعفها ومتآزرة مع وساوسها الخبيثة ليشكلان معا جبهة واحدة موجهة بضرباتها نحو انوثتها ...مباشرة ...!

دخلت اسيا عبر باب المطبخ ومنه توجهت ناحية غرفة الجلوس ، القت السلام حالما رأت امها لترد لها امها السلام بابتسامة صافية ...

وقفت اسيا عند الباب تتطلع لامها في جلستها على الاريكة تخيط زرا في قميص لاحدى اخواتها ... بادلتها امها النظرات باستفهام لتقول " ما بك آسيا ؟! وجهك شاحب "

خلعت آسيا حذاءها ثم تحركت وهي تخلع حجابها لترميه على كرسي قريب ودون كلمة ترد بها على امها تقدمت منها لتميل بجسدها وتضطجع بجانبها على الاريكة متوسدة حضنها الدافئ ...





اغمضت عينيها بينما تشعر بيد امها تفك عقدة شعرها المتموج وتفرده برقة على كتفيها وهي تقول بحنان " مؤكد اجهدت نفسك اليوم صغيرتي ، انت صائمة ايضا ولابد ان لديك صداع .."

ايضا لم ترد آسيا بينما تغمر وجهها في حضن امها اكثر وتستسلم للمساتها الحانية ..

كم هي مريحة امها ، تعرف متى تحتاج الصمت ومتى تحتاج الكلام .. ورغم كل التفاهم والصداقة الخاصة التي تجمعهما دائما منذ صغرها الا انها لم تستطع يوما البوح لها بما حصل تلك الليلة قبل ثماني سنوات ...

لاتعرف هل خجلت ام خافت ! ام ربما حصل لديها صدمة !!

الصدمة لاتشمل فقط تعرضها لحادث مرعب كهذا وانما صدمتها لان محاولة اغتصابها كانت من رجل كرضا !

يا الهي طوال هذه السنوات كانت تحقد على الرجل الخطأ وتحمله مسؤولية عمل سافل حقير كهذا ! طوال هذه السنوات كانت في حالة صدمة لان رضا تحديدا من فعل بها هذا .. بل من اعتقدته فعل هذا عن يقين مخادع ! كم نتوهم احيانا اليقين لنكتشف اننا مجرد بشر ضعاف العقول .. تسيطر علينا مخاوفنا وترسم لنا حقائق وهمية نعيش عليها ربما لآخر حياتنا !





فماذا كان سيحصل لو لم يقرر رضا الكلام معها اليوم ؟؟ لو لم يصارحها بحقيقة ما حصل ... لقد قضت النهار بعد مغادرته وهي تستعيد الاحداث بتفاصيل ادق ... تفاصيل رضا نفسه لايعرفها ...

لم تكن الرائحة فقط مختلفة .. بل عقلها نشط ليوضح لها كيف شعرت بعدم الفتها لمهاجمها .. تلك الالفة التي نستشعرها مع من نتعامل معهم عن قرب فنألفهم شيئا فشيئا ...

قبل اغمائها وخلال التهجم عليها لم يخطر في بالها انه رضا ابدا .. حتى اللحظة التي سبقت الاغماء..عندما رأت ملامحه ... تلك الملامح التي حاولت التستر بالظلمة لتخدعها فيما بعد الآن اصبحت اكثر وضوحا في مخيلتها ...

لتبتعد تماما عن ربطها بملامح رضا .. اجل ... الان ... هي موقنة ... لقد كان هو .... فعلا .. حذيفة.. !

ذلك الشاب الذي وصفه والدها دوما بالمستهتر وكان يردد (ويخلق من ظهر العالم فاسد) .. فالحاج عقيل رجل عُرف عنه الورع والتقوى لينجب ابنا فاسدا كحذيفة ، شاب التف حوله رفقاء السوء ...

لكنه لم يتعرض لها يوما لا بفعل ولا بكلمة ولا حتى بنظرة .. وربما هي من لم تشعر به ! فلم تكن الا فتاة تغض البصر في طريق ذهابها وايابها .. ولم يكن لها معرفة بابناء الحاج عقيل الا ببكره رضا ...





صحيح ان رضا كان دوما غامضا هادئا لكن فيه شيء كان يجعلها تشعر بالاطمئنان .. فيه شيء كان يجعلها تشعر باكثر من الاطمئنان ..شعور بالانتماء .. وكأنه جزء من عائلتها .. من محيطها الذي تأنس به ..!

لاتعرف مصدر هذا الشعور ربما لانه الوحيد من اخوته الذي تعاملت معه مباشرة لكونه كان يعمل في اهم محلات الحاج عقيل الصائغ واكثر من مرة اخذها والدها مع اخواتها ليصوغ لهن قطع حلي ، وعندما قررت ارتداء الحجاب بعد دخولها الجامعة بعام تقريبا ابتهج والدها ليأخذها من فوره لمحل الحاج عقيل طالبا من رضا تحديدا ان يصوغ بيده

قطعة ميدالية على شكل حمامة بجناحين مفرودين ومعها سلسال مناسب ...

اعتصرت اسيا جفنيها بقوة وخنقت شهقة بكاء مفاجئة وهي تفكر بتلك الميدالية التي ضاعت منها .. تلك الليلة ...

لسنوات تبدو طويلة الآن قضتها تحاول التعامل بايجابية مع احساسها بالكره والمقت نحو رضا ... احساس مر قابض للصدر مزعزع لصفاء النفس ومشتت للفكر ... اجل كان مشتتا لفكرها .. في داخلها تنازعتها المشاعر .. فلم تتقبل ما حصل لها من رضا تحديدا وبنفس الوقت رفضت الاستسلام لاي مشاعر سلبية ..







لكن للاسف لم تكن قوية كفاية لتتجاوز الامر بشكل كامل ، وقد كان يتجدد بطريقة ما كلما التقت برضا صدفة او كلما تقدم احدهم طالبا يدها من ابيها ...

رعب حقيقي كان يسيطر عليها كلما جاءها والدها مبتسما وهو يناغشها عن عريس جديد .. رعب كتمته في اعماقها بشق الانفس ...

لم يكن بمقدورها الارتباط .. احساس فظيع بالخزي كان يتملكها بينما تتصور اي تقارب بينها وبين (اي عريس) ... ثم تدور في فلك نفس الاسئلة مرارا وتكرارا (ترى هل سيبدو علي النفور ؟! او ربما الرعب ....! هل سيسألني مابك ؟؟!! وعندها بماذا سأرد ؟!) لتنغمس باسئلة اكثر رعبا (هل .. هل فعل بي رضا .. شيئا ؟! هل استغل اغمائي و.. اغتصـ...)

هبّت اسيا من اضطجاعها فجأة وهي تنفض الفكرة المقرفة المفزعة من رأسها وتقصي من ذهنها اسم (رضا) عن الالتصاق بتلك الفكرة البغيضة ... كانت الام قد شهقت مجفلة وهي تقول " اعوذ باللّه من الشيطان الرجيم ! ما بك بنيتي ؟! "

ارتبكت اسيا بعض الشيء وهي تمسد شعرها المنثور بتشعث لتقول متهربة " عذرا امي استغرقت بالنوم في حضنك فحلمت حلما مزعجا و.. فزعت منه ..."







نظرت الام بعبوس لابنتها وللحظة بدا عليها عدم الاقتناع ! لكنها تنهدت وهي تقول " حسنا بنيتي خذي حماما وانا سأعدُّ لك الافطار ، ما زال امامك ساعة كاملة لموعد اذان المغرب "

هزّت اسيا رأسها موافقة بينما تلتقط حجابها لتتحرك مبتعدة عن امها وهي تسأل بعفوية

" اين القوارير ؟"

ردت الام بابتسامة " رباب ورقية نائمتان بعد يوم حافل قضيتاه في الحديقة تتلاعبان بالمياه كطفلتين مشاغبتين ! ساوقظهما قبل الاذان لتشاركانك الافطار..."

ابتسمت اسيا بحبور لتسأل " وحبيبة ؟"

تلاشت ابتسامة الام وغامت عيناها بشجن حزين وهي تقول " حبيبة كالعادة في غرفتها ، رفضت ان تأكل شيئا وقالت انها تناولت الطعام في الشركة وطلبت ان لايزعجها احد لانها ستعمل في غرفتها ..."

ثم اضافت ببؤس " لاافهمها ! حقا لاافهم لماذا ترفضنا .. بل ترفضني انا فقط وتفعل اي شيء لتعبر عن رفضها لي ! وكانها تستعِر من شخصي !!! من كوني امها ...! "

ترقّقت نظرات اسيا ورغم شعورها بالارهاق عاطفيا لكنها بذلت كل طاقتها لتهون على امها قائلة " لاتفكري هكذا امي ، انت تعلمين جيدا ان حبيبة تحبك فوق الوصف





لكنها فقط لم تتقبل ما فعله والدي رحمه اللّه ، لم تتفهمه كما تفهمته انا ولم تتفهم ايضا قبولك به واعتبرته ضعف منك مع اني اراه منتهى القوة ... "

فردت الام وعيناه تهيمان بعيدا " اجل .. احتجت كل قوتي لاتحمل ألم انوثتي المجروحة ، لكن ماذا كان علي ان افعل ؟ لقد سيطرت على والدكِ رغبة رهيبة بالحصول على ولد ذكر ؟ انا .. "

خنقتها العبرة لكنها قاومت البكاء وهي تكمل ببعض الحنق " انا حاولت ... طوال سنوات زواجنا حاولت .. بكل الطرق والوسائل التي نصحتني بها النسوة وبعض الطبيبات لتحديد جنس الطفل لكن ... لم يحصل ؟

ماذا بيدي اذا كان الحمل نفسه لايحصل معي بسهولة فاقعد كل بضع سنوات حتى احمل من جديد ؟ "

تمزع قلب اسيا على امها فعادت لتقترب منها ، جلست بجانبها وضمتها لصدرها بقوة وهي تهون عليها قائلة " لاتحزني حبيبتي ولاتلومي نفسك ، لست مخطئة بأي شيء على الاطلاق بل كنت نعم الزوجة ونعم الام ، اما حبيبة فهي فتاة جيدة وذكية وعاطفية جدا ايضا لكنها جموحة بعض الشيء وتميل للتمرد على القيود .. اي قيود ... انها ما زالت صغيرة امي وستتفهم الحياة اكثر كلما كبرت ونضجت .."







اطلقت الام تنهيدة طويلة بينما تحمد الله على تلك النعمة التي انعم عليها بوجود اسيا في حياتها ، انها الاقرب اليها .. صديقتها قبل ان تكون ابنتها .. مصدر دعمها وقوتها.. بلسم روحها ... انها تمنح هذا البيت املا بالحياة وصبرا على محنها ورضا بالمقسوم مهما كان ...

كانت حبيبة تقف خارج غرفة الجلوس تعتصر قبضتيها بقوة بينما يصلها ذلك الحوار بين امها واسيا ...

عاودت حبيبة الصعود على درجات السلم حافية القدمين كما نزلت وهي تهمس في سرها بغضب متجدد " لن اغفر ابدا ولن اتفهم هذا الضعف ! فلتخدع اسيا نفسها وهي تصوره قوة منها لكن امي ضعيفة ... ضعيفة .. لم تتمسك كما يجب بالرجل الذي تحبه ... اكره هذا الضعف والتخاذل ..."

وصلت لاعلى السلم لتتجه يمينا حيث غرفتها فتدخلها وتغلق الباب خلفها ... اقتربت من مرآتها البيضاوية الطويلة في احدى زوايا غرفتها فتتطلع لنفسها .. تواجهها وتشحنها في ذات الوقت ..تشحنها بالرفض والصمود ...!

خصل شعرها متناثرة كالعادة تحاكيان عينيها المشتعلتين دوما بالغضب والتمرد .. قامتها طويلة ورشيقة دوما مثار حسد صديقاتها وهن يصفنها بعارضة الازياء ...





خاصة مع بشرتها العسلية المتضاربة مع لون شعرها ... لكنها لم تهتم يوما بانوثتها بل استحْلت دور الصبي لشدة غبائها !

وها هي تتأرجح بين احتياجاتها كانثى وبين رغبة دفينة ان تكون الصبي المنشود !

فمتى ستتحرر من هذا وذاك !!! وتكون فقط حبيبة ... حبيبة الانسانة لاغير ...

بمنشفة الحمام الكبيرة الملتفة حولها جلست رحاب على كرسيها الصغير امام منضدة الزينة ..

تحدق في شعرها المبلل الذي يكاد يلامس كتفيها العاريين فتتساقط بضع قطرات ماء من شعرها فتسيل على بشرة ظهرها ...

رفعت يدها تلامس خدها وهي تحدق في عينيها البنيتين عبر المرآة .. اسبلت اهدابها وهي تهمس بكلماته " لديك بشرة حليبية لاتقاوم لاغراقها بالقبل... احبك يا جميلة "

خنقتها الخيالات وهي تحاصرها بفورة مشاعر زوجها لها .. مضى زمن على فتور تلك الفورة ! ولاتعلم من السبب بها ؟! هل هي السبب ام هو ام الاولاد ام ربما لبقائهم بين جدران هذا البيت ....؟؟







" رحاب سامي يزعج امي هلا ناديته انت من فضلك ؟ انا لدي عمل كثير لانجزه "

التفتت رحاب نحو زوجها الذي دخل غرفتهما على استعجال دون ان يتطلع نحوها حتى !

كان يفتح ربطة عنقه بتأن مغيظ ! عقدت رحاب حاجبيها ووقفت على قدميها لتتقدم منه قائلة بغضب مكتوم " لماذا تأخرت ؟! "

رد وهو يفتح ازرار قميصه بنفس التأني " كان لدي عمل مضاعف في القسم "

فقالت بتهكم " اجل ... اعمالك كثير للقسم وطلاب القسم حتى انك نسيت ان تعاود الاتصال بزوجتك !! "

التفت اليها وقميصه محلول الصدر لينظر اليها بغموض عبر زجاج نظارته الطبية ثم قال بنبرة تعكس نظراته " آسف عزيزتي .. انشغلت حقا مع..."

فاكملت له وهي تتكتف لتخفي ارتعاشها " مع سوزان ... الطالبة المثالية التي تحضر للجامعة حتى في ايام العطل ! "

صمت محسن وهو ما يزال يحدق فيها بنفس النظرة فاوشكت ان تشد بشعرها من غيظها !

هذا هو محسن ! يوحي باللطف لكن داخله قاس .. قاس ولايدركه احد سواها !





اذا خاصمها يتركها لايام دون كلمة ومما يزيد في غيظها انه يحافظ على واجهة جميلة امام عائلته ليجبرها ان تتصرف بالمثل امامهم وهذا مرهق لاعصابها .. مرهق جدا ....

طال الصمت فاردفت رحاب بفجاجة " ترا هل كانت ستحضر لو علمت انك غير موجود في القسم اليوم ؟!! "

لانت ملامحه للحظة ... وشبح ابتسامة زار شفتيه ثم عاوده الجمود ليقول وهو يقترب منها " ربما لم تكن ستحضر ! "

صدمها ! حقا صدمها وهو يعترف صراحة ان تلك الفتاة مهتمة به وتجد الف عذر وعذر لتتقرب منه !

لم تشعر الا وهو يقف قبالتها مباشرة يحدق في ملامحها دون ان يبدي اي لمحة تأثر ليقول بصوت أجش " نشفي شعرك ستمرضين اذا تركته مبللا هكذا .. "

للحظات طالت ظلا يحدقان في بعض ثم كان هو اول من اسبل اهدابه ليستدير وهو يقول " انا سأقضي ساعتين في غرفة المكتب ارجوك لاتدعي الاولاد يزعجوني .."

صدرها يعلو ويهبط بمشاعر متخبطة طغى عليها الغيظ ! بينما هو يخلع قميصه بتأن بدا لذهنها المشتت ...مبالغا جدا فيه !







طرق رضا الباب على اخته ليسمح صوتها وهي تقول " من ؟! " فرد بهدوء " انا رضا يا رفيدة .."

مرت لحظة .. لحظتين قبل ان تقول بشبه همس " ادخل ..."

دخل رضا ليجدها متقوقعة في سريرها تستند بظهرها لوسادتها وتحدق بنظرات فارغة !

تقدم منها ليجلس على حافة السرير بجانبها فقال بابتسامة رقيقة " ألن تنزلي لتناول العشاء معنا ؟! "

لم تكن تنظر اليه بل تحدق في نقط وهمية هنا وهناك وهي ترد بكئابة واضحة " لا رغبة لي بتناول الطعام .."

تنهد رضا قبل ان يرفع يده ويلامس خصرت شعرها الخفيفة ليقول بحنان " لماذا لاتطيلين شعرك كما كنت تفعلين ونحن اطفال صغار ؟! كنت احسدك على نعومته وانا شعري شديد الخشونة "

اخيرا تطلعت اليه بنظرات لامعة بألم غير محدد بعلّته " لاتبالغ رضا .. شعري باهت خفيف للغاية منذ صغري بينما شعرك دوما كثيف وليس خشنا جدا كما تحاول وصفه الآن ..."

فقال بهدوء وهو يواصل ملامسة شعرها القصير " لم يكن باهتا ابدا .. انا كنت احبه جدا واغفو وانا الامسه مستمتعا بنعومته "







ابعدت رأسها ببعض العنف لتتخلص شعرها من ملاسمة يده وهي تقول بنبرة قاسية " توقفوا جميعا عن محاولة رفع معنوياتي والصاقي بمميزات لااملكها ! اتركوني لشأني .. فقط اتركوني ... انتم تجعلون الامور اسوأ ... اسوأ بكثير ...."

اسبل رضا اهدابه وهو يقول " بل انت من تجعلين الامور اسوأ يا رفيدة ... لانك لاتتقبلين المساعدة وتفضلين ملازمة غرفتك واجترار الرثاء لنفسك ! غير مدركة ان الحياة تسير ولاتنتظرك كما لاتنتظر غيرك ...."

وقف على قدميه واستدار ليغادر لكن شهقة ناعمة خافته جدا صدرت عنها جعلته يتوقف في مكانه ...

كتم غضبه منها وغلب عليه حنانه نحوها ليعاود الالتفات فرآها تنظر اليه بنظرات مزّقت قلبه ... همست بضعف وعينين دامعتين " فقط احتضنني رضا .. فقط للحظات ..."

ذاب رقة لاجلها وعاود الاقتراب ليجلس بجوارها تماما هذه المرة فاتحا ذراعيه لتلجأ لصدره وهو يضمها اليه مغرقا اياها في دفئه وهو يهمس لها " سيكون كل شيء على ما يرام غاليتي .. باذن اللّه سيكون .. على خير ما يرام"







اشرقت الشمس وما زال رضا يقف عند شباكه يتطلع للشباك المقابل .. يده اليسرى تتلاعب بشرود بخاتم يده اليمنى وبين الحين والآخر يناجي والده بهمس هادئ " سامحني ابي .. لم افِ بوعدي لكن من صمتت طوال هذه السنوات لن تفعلها وتتكلم الآن لتسيء لسمعتنا .. كان يجب ان افعل هذا ابي .. وقد اكتشفت كم كان اخي حقيرا ! ومع ذلك ورغم حقارته لكني مستعد لفدائه بروحي ..اما .. قلبي ؟ فلا ! ... لااستطيع .... حذيفة لايستحق مني تضحية كهذه .. "

القلق استبد به وهو يفكر كيف قضت ليلتها بعد كل ما كشفه لها ، هل اعاد اليها نفس الفزع الذي شعرت به تلك الليلة البائسة ؟!

هل هاجمتها الكوابيس ام ان النوم جافاها كما جافاه ...

عيناه ناعستان وهما تتطلعان لشباكها بينما الحمام يتوافد في جماعات متتابعة .. تهبط احداها وترحل اخرى لتطير قريبا ...

حقا انها اشبه بوفود تبدي الطاعة و الولاء للسلطانة ... اسراب عشاقها ينتظرون يحرقهم الشوق اليها ..

" سلطانتي.... الحمام يبحث عنك يقف عند شباكك مترقبا وانا الآخر اترقب هديلك ! لماذا لاتفتحين الشباك آسيا ؟! افتحيه ودعيني اطمئن عليك "







زفر رضا بحنق وهو يشعر باحباط فظيع ليضيف بنفس الهمس " هل كان كثيرا عليك ما اخبرتك به بالامس ؟! سامحيني يا توأمة القلب لم استطع التحمل اكثر .. حتى لو لم استطع الحصول عليك فيكفيني انك علمتِ الحقيقة .. علمتِ كم انت غالية .. اغلى من ان المسك الا في الحلال ..."

تنهيدة عميقة خرجت من صدره وهو يردد بهمس عاطفي " حلالي ... حلالي .. حلالي .."

همست آسيا بقلق " يا الهي اين هي ؟! اين سقطت ؟؟ انا متأكدة انها سقطت في شارعنا ..."

ظلت تبحث يمينا ويسارا على طول مرآى عينيها ثم على اغصان الاشجار علّها تلمح ذلك الجسد الابيض الصغير ... لقد رأتها تسقط امام عينيها دون سبب واضح ، كانت قد استيقظت بوقت متأخر جدا على غير عادتها حتى انها لم تلحق بشروق الشمس ففاتتها صلاة الفجر ..

وبينما تتطلع للحمام المتفرق عن شباكها راتها تسقط بلا حول ولا قوة ...

تحركت اسيا بضعة امتار نحو احراش مرتفعة على جانب الرصيف وممتد لمسافة مترين اخذت تباعد بين الاحراش بيديها تبحث عن ضالتها وشعور باليأس يسيطر عليها !





افكار سوداء سيطرت عليها ... ترى هل اخذها طفل مؤذٍ يتسلى بتعذيبها مستغلا عدم قدرتها على الطيران ؟ هالها شعورها بالالم لاجل تلك الحمامة واخذت تلوم نفسها لانها تأخرت بانقاذها حتى ان عينيها دمعتا وهي تدعو اللّه من كل قلبها ان تجدها لتطببها بنفسها وتعتني بها حتى تستعيد قدرتها على الطيران ...

" آسيا ..."

اجفلت وهي تلتفت ناحية صوته الرجولي لتعدل من وضعية جسدها المنحني وتنظر اليه بهيئته التي تبعد عنها بمتر واحد لاغير ... هذا المتر الذي يفصلهما الان كانت ستعتبره اعجوبة لو فصلهما قبل يوم واحد فقط ...

اما اليوم فكل شيء تغير ... كل شيء ...

حتى نظراته هو تغيرت .. انه ... انه ...

حدقت في عينيه فتاهت فيهما .. همست في داخلها " يا الهي..... ما هذا ؟! لماذا ينظر الي هكذا ؟ كيف يمكن ليوم واحد ان يقلب الادوار وبدلا من ان اكون المجني عليها اصبحت الجانية !! "

ارتفع حاجباها وابتسامة تشق شفتيه وقلبها يخفق بجنون بينما يهمس لها بصوت مبحوح

" حمامتك البيضاء معي آسيا ..."





الفصل الثالث

احنت رأسها وهو يراقبها بعينين ناعستين مستمتعتين .. همسها وصل اذنيه بصعوبة وهي تقول " هلا .. احضرتها لي .. من فضلك ؟! انها مصابة وتحتاج رعاية .. "

شعّت عيناه بالعاطفة وهو يرد بصوت مبحوح

" منذ سنوات لم نتكلم هكذا آسيا .."

رفعت وجها متوردا اليه وقلبه يقصف في صدره وهو يسمعها تقول بنبرة مرتبكة بعض الشيء

" انا .. مدينة لك باعتذار ...و ... شكر ... "

عجز عن الرد بينما ينظر اليها ملئ عينيه غير قادر على ازاحة نظراته بعيدا عن وجهها ...

اسبلت اهدابها بينما يديها ارتفعتا نحو وجهها تتلاهى بتعديل طرفي حجابها بحركة مضطربة لتضيف بتحشرج " انا اعتذر لكل كلمة جارحة قلتها لك بل .. حتى اعتذر عن تحميلك ذنباً لم تقترفه ... "

رفعت عينيها اليه لتقول بهمس ناعم " انا اسفة لكل تلك السنوات رضا .. واشكرك لانك .. انقــذتني .. تلك .."







لم تستطع اكمال جملتها وقد اختنقت
بمشاعر لاقِبَل لها بصدها ... مشاعر جعلتها
لاارادايا تتراجع للخلف وهي تتطلع اليه
بعينين متسعتين ...

ترى فيه - ورغما عنها- تذكيرا قاسيا بما
حصل تلك الليلة وسؤال يجول في خاطرها
يرعبها اكثر مما يريحها (ماذا لو لم يكن
رضا موجودا تلك الليلة ؟!) ....

هذا السؤال رافق ليلتها بالامس وارّقها
بمدلولاته وهي تستعيد تلك التفاصيل التي
همشتها في ذاكرتها طوال ثماني سنوات ...
كانت تغلق الابواب في وجه تلك التفاصيل
وتضع خطوطا حمراء لاتتجاوزها ... انها
خطوط لحماية امانها ..

تريد ان تستعيد هذا الامان بالكامل ..
(امانها) الذي يتوارى احيانا على استحياء من
ان يحيطها بدفئه .. يحتضنها ... كما كان
يفعل وهي صغيرة ...

" اسيا ... انظري الي .. من فضلك ..."

ارتجف راسها قليلا وهي تستعيد الرؤيا
لمحيطها الواقعي بعيدا عن مخيلتها
المتخبطة..

نظرت اليه فوجدته قد اقترب جدا منها
فابتلعت ريقها وهي تقاوم الابتعاد ... تجبر
ساقيها على الثبات وهي تحدث نفسها سرا :





(اصمدي اسيا .. كوني قوية وتجاوزي الماضي .. انه فقط رضا .. نفس الـ(رضا) الذي كنت تحبين شعورك بالامان معه والالفة لوجوده .. استعيدي نفسك وانبذي تلك الوساوس التي يبثها الشيطان في جوفك.. ان اللّه لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ..)

قال رضا بصوت رجولي تغلغل لاعماقها

" لااريد ان ارى نظرة خوف في عينيك ابدا .. لا مني ولا من غيري .. لاتدعي الذكريات المؤلمة تسيطر عليك .. انت فتاة قوية رغم رقتك الظاهرة .. وقادرة على تجاوز ما حدث نهائيا دون ان يترك اثرا مرعبا في نفسك .."

ثم اضاف بنبرة اقرب للهمس " انا قادر على فعل اي شيء لاساعدك .. فقط اطلبي .."

رمشت بعينيها باستغراب لتلك الدمعات التي تعلقت باهدابها لتهمس بألم ودون وعي تقريبا " هل تذكر الحمامة التي صغتها لي بطلب من ابي رحمه اللّه ؟ لقد ... لقد ...اضعتها .. تلك الليلة .. جزء مني ... ضاع ... مع تلك الحمامة وكل ما تعنيه لي ..."

اجبر نفسه على الابتسام وروحه تنتفض لتلك الدمعات التي ما زالت معلقة بالرمشين الساحرين ثم قال بعذوبة " سأصوغ لك اخرى اجمل منها ..."







صوت رقية وهي تناديها من داخل البيت اخرجها من ضبابية الموقف الذي كانت فيه لتدرك انها تقف خارج البيت وعلى الرصيف تكلم رضا ابن الحاج عقيل الصائغ باكثر المواضيع حرجا وخصوصية .....!!

همست دون وعي " يا الهي .. يجب ان ادخل .."

دخلت وهو يراقب بجذل تلك القدمين المتواريتين بخفين بيتيين وثوبها الفضفاض يداعب كاحليها .... ابتسامة عريضة واسعة من القلب .... من قلب القلب جعلته يكاد يصرخ عاليا هنا ... وسط الشارع كعاشق مجنون ...

لكن كل ما فعله استدار بجسده بكسل يترك لخطواته قيادته كيفما شاءت وصوت همهماتها مع اختها الصغرى يصل اليه و يطرب اذنيه وابتسامته الجذلى تختم بختم العشق على محياه ...

دخل البيت فوجد والدته تجلس على احد كراسي المطبخ محتضنة الحمامة الجريحة الجناح في حجرها وتمسد على جسدها الابيض الصغير وحالما احست بدخوله رفعت راسها لتتطلع اليه وهي تسأل بعتب وبعض الدهشة " اين ذهبت وتركتني مع هذه المسكينة بمفردي ولااعرف كيف اداويها واخفف عنها ؟!! "







ارتفع حاجبا الحاجة سعاد عاليا وهي تحملق بملامح ابنها الغريبة وابتسامته التي تشع فرحا غير اعتيادي ثم تفاجأت به اكثر وهو يميل نحوها ليقبل وجنتيها ببطئ هامسا بصوت اجش اغرب من ملامحه " الحمامة قوية امي .. انا عالجت جرحها فقط تحتاج للمسة رقيقة وبعض التدليل ..."

ثم تركها وابتعد وهو ما زال على ابتسامته بينما يضيف بصوت ناعس " انا بحاجة للنوم امي ، اشعر اني لم انم منذ سنواااااات .... "

بحاجبين معقودين سألت الحاجة " تنام ؟!!! لكن ماذا عن عملك ؟!!! "

كان رضا قد غادر باب المطبخ بخطوات فاستدار برأسه فقط ناحية امه وهو يقول بنفس الابتسامة " سانام لساعتين فقط لاتقلقي وبعدها ساذهب للعمل "

ثم غمز لها بشقاوة وهو يضيف " انت فقط اعتني بالحمامة من اجلي ..."

ثم تركها واكمل طريقه بينما امه تحدق فاغرة الفم ، ترى بكرها لاول مرة يترنح من فرط سعادة لاتعرف مصدرها !!







تتكتف وهي تقف امام الاعلان الجديد
الضخم الذي سينقل اليوم لدار نشر معروفة ...

أمالت رأسها جانبها وهي تركز نظراتها الخبيرة
على تفاصيل الاعلان الذي صممته بنفسها ...

رجل خمسيني وسيم يجلس خلف مكتبه
تحاوطه الظلمة الا من اشعة القمر البيضاء
شبه الشفافة ... قادمة من شباك مقابل
لجلسته ... شعره مشعث قليلا واكوام اوراق
مكورة ومتناثرة حوله ، بعضها على الارض
بجانب قدميه وبعضها على سطح مكتبه ...

يسند جانب رأسه على باطن يده اليسرى
وسيجارة دخانها لم يأفل معلقة بين اصابعه ..

بينما يده اليمنى تمسك بالقلم وقد رسمت
على صفحة ورقة بيضاء انعكس عليها ضوء
القمر فتاة تتأرجح ببهجة متعلقة باغصان
ملتفة حول نفسها كالحبال والفتاة ضاحكة
وشعرها العسلي يتماوج سعادة مع ضحكاتها ...
وكتب تحتها (أبلغها أن تطوي العذاب لبرهة
وتعود لتنير بوجه القمر عتمة قلب طال أنينه
منذ احتجبت بهمس صمتها خلف الغياب)

صوت رجولي جاء قريبا من اذنها اكثر مما هو
مسموح به مهما بلغت الالفة " هل اصبحت
تفضلين الروح الرومانسية في اعلاناتك ؟! "







لم تلتفت اليه ولم تكلف نفسها عناء ان تبتعد عن مرمى انفاسه التي تكاد تلامس بشرتها لتقول بلا مبالاة وهي تحرك كتفيها " انا اساير مزاج الكاتبة لااكثر .. "

ثم عادت لتركز على الفتاة المتأرجحة المرسومة في الاعلان لتضيف ببرود " هذا ما يسمى الاحتراف بالعمل يا مهند ..."

ضحكة خافته اتبعها بالقول الممازح بغموض " اممم ..... مدار ... رواية بقلم فاطمة كرم ... هل هي كاتبة جديدة ؟؟ "

ردت حبيبة بصوت عملي " اجل ... انها كاتبة مصرية شابة .. هذه روايتها الاولى التي تنشر ورقيا ... لقد قرأتها كلها ليلة الامس دفعة واحدة لاصمم الاعلان بعدها ..."

همهم بصوت أجش مشاكس " أبلغها أن تطوي العذاب لبرهة وتعود لتنير بوجه القمر عتمة قلب طال أنينه منذ احتجبت بهمس صمتها خلف الغياب ... امممممم ... رأيي ان هذا الكلام لايصدر عن رجل عادة ... تبدو رواية انثوية اكثر مما يجب ؟ "

عندها فقط حصل على نظراتها المباشرة وهي تلتفت اليه لتقول بابتسامة ساخرة

" بل انسانية اكثر مما يجب ؟ "

سايرها بطريقته العبثية " وما علاقة (مدار) بالموضوع ؟؟ "





عاودت حبيبة النظر ناحية الاعلان لتركز على الرجل المرسوم قائلة " محمود كان يظن نفسه ينجذب رغما عنه ليدور في فلك سيناء لكنه اكتشف في النهاية انها هي من تدور في مداره وبارادتها الحرة ! "

همس بنبرة واثقة " تحبين التعقيدات ! "

ردت بسلاسة " بل احب فهمها ..."

ثم التفتت اليه مرة اخرى لتقول باستهانة " شعور لن تجربه ابدا وانت تختصر حياتك ببضعة اهداف بسيطة "

ضحك مهند من قلبه مخفيا نظراته التي كانت تلتهم تفاصيلها الانثوية ثم قال بشقاوة وهو يسبل اهدابه " وما هي اهدافي (المختصرة) بنظرك ؟؟ "

ردت ببساطة " في المقام الاول ... النساء ! "

هذه المرة جلجلت ضحكاته حتى استرعت انتباه بعض العاملين في الشركة لكنه لم يهتم ... ولِمَ يهتم هو وهي (الفتاة) لاتهتم بمن ينظر اليها بشك مريب و دهشة ممتعضة واحيانا حتى ازدراء واضح لتحررها الملفت ...

قال ما يعكس افكاره " لم ارَ فتاة في مجتمعنا تتكلم بصراحة هكذا عن .. احتياجات الرجال "





ابتسمت بطريقة لاتوحي الا بالسخرية لتقول بما يفسر ابتسامتها " فكر بها بطريقة ايجابية ! بأني - حالي كحال معظم نسائنا الشرقيات - همنا وشاغلنا الوحيد التفكير بما تحتاجونه انتم الرجال ! "

عندها اختار الجملة المناسبة وهو يقولها بنبرة مبحوحة مؤثرة " واذا قلت لك انك حاليا شغلي الشاغل هل ستتفاجئين ؟! "

لم تبدي تأثرا او على الاقل هو لم يستشعر منها اي لمحة تأثر لتقول ببرود

" هل انتقلت لاسلوب الاغواء الناعم ؟! "

رد بمراوغة " انه ليس اغواء يا حبيبة بل ابداء اهتمام " ليفيض صوته عاطفية وهو يضيف " اهتمام حقيقي "

هذه المرة التفتت اليه بكليتها لتواجهه بالقول المباشر " مهند جد لنفسك مغامرة اخرى .. صدقني انك تضيع وقتك وجهدك معي .."

ابتسم ابتسامة جانبية وهو يرغم عينيه على عدم التحديق بشفتيها ليقول باسلوب غامض

" لااحد في حياتك .. لم يكن يوما هناك احد ! لقد تأكدت بنفسي .. لماذا حبيبة ؟! فتاة بجمالك ... لماذا ؟! "





سألت وبعض الشراسة غلفت نبرتها " هل تترصدني الآن ؟! " هزّ كتفيه وهو يسبل اهدابه قائلا " انا مهتم .. "

زفرت حبيبة بقوة فرفع عينيه اليها ليواجه عينيها الوحشتيّ النظرات فقال بانبهار رجولي كامل " عيناك تنفثان اللهب دائما .. زرقة محترقة و.. حارقة ... ! "

ردت عليه بحدة وسخرية لاترحم

" يبدو انك بدأت تميل للـ(انثوية) ! "

ضحك بخفة وهو يرد بتلاعب " احببت دوما صراحتك الفجّة فاخبريني السبب ! .... ولاتتهربي ...." قال كلمته الاخيرة عندما رآها ستلتفت لتبتعد متجاهلة اياه كعادتها

سارع عفويا لامساك ساعدها فنفضت ذراعها بقوة ونهشته بنظراتها الضارية فابتسم مدعيا الاسف والمرح وهو يرفع كفيه عاليا ويقول

" عفوا ...! "

رفعت سبابتها امام وجهه لتقول بتهديد ناري واضح " اياك ان تتجرأ مرة اخرى وتلمس شبر واحد من جسدي..."

ثم التفتت هادرة تبتعد بخطوات غاضبة يكتمها حذاؤها الرياضي البسيط الذي لاترتدي غيره في العمل ...





همس مهند وعيناه تشتعلان على طول جسدها الفاتن " سألمسك ... وستطلبينها بنفسك ... فقط الصبر .. كل انثى تحتاج للاسترضاء و... قليل من الصبر .."

تكاد تقضم اظافرها كما كانت تفعل في مراهقتها ! الغيظ يفترسها افتراسها وجبنها وكبرياؤها تعاضدا ضدها فمنعاها من التنفيس عن مشاعرها الملتهبة بالذهاب نحوهما وجر احدهما من شعره !

زوجها او ... تلك متصنعة الانوثة ..سوزان !

منذ نصف ساعة كاملة يقفان بالقرب من بعضهما في نهاية الممر الطويل للقسم وامام جميع الطلبة وتلك التافهة تتضاحك بدلال مستفز بين الفينة والاخرى وهو يعدل بنظارته الحمقاء ويبتسم ببلاهة !

ليس ضحكها فقط مستفز بل وقفتها المتمايلة المتميعة وهي تمسك بمحاضراتها تكاد تحتضنها احتضانا و بانوثة مدروسة متعمدة ... واحيانا تفتعل حركة ناعمة بيدها وهي تلامس خصلات شعرها الطويل ....

تعلقت نظرات رحاب على زوجها وهي تكاد تختنق مما تستشعره منه ، همست في سرها بشبه انهيار ومشاعرها تموج في داخلها " لااصدق وانا استشعر انجذابه اليها ! انه زوجي وانا اعلم به ... البارحة لم يولّني اي اهتمام وكنت شبه عارية امامه ! "







" استاذة رحاب هل انت بخير ؟"

التفتت رحاب نحو احد طلابها لترسم ابتسامة واهية على شفتيها وتجيب بهدوء ظاهري " نعم ماجد انا بخير ، مرهقة فقط ... حسنا هل لديك استفسار اخر ؟"

رد ماجد بابتسامة تبدي اعجابا واضحا

" لا شكرا لك استاذتي .."

واراد ان يضيف المزيد عندما اجفلها صوت رجولي بارد " هل تحتاج لشيء يا ماجد ؟"

تلعثم الفتى العشريني بعض الشيء لكنه تمالك نفسه وهي يواجه استاذه قائلا " لا شكرا لك استاذ محسن ، الاستاذة رحاب قامت بمساعدتي وكنت اشكرها للتو ..."

ابتسم محسن ابتسامة صقيعية بينما يتطلع لماجد بنظرات مباشرة جعلت الشاب يتراجع لينسحب معتذرا ....

كانت قبضتا رحاب متشنجتين للغاية وهي تكاد لاترى امامها بينما جاء همس زوجها البارد " عندما تقفين مع احد طلابك كوني جدية الملامح اكثر من هذا خصوصا عندما يكون هذا الطالب معجب ولهان بك ! "

شهقة ناعمة صدرت عنها وهي تلتفت اليه قائلة بذهول " هل توحي ان اشجع الطلاب على ملاطفتي كأمرأة ؟!! "





رد بتلك النظرات الهادئة المغيظة " انا لم اقل تشجعين احد فلو حدث هذا منك لم نكن سنبقى واقفين هكذا امام بعضنا نتحدث بمدنية ! عندها .... تصرفي سيصعقك ! "

شعرت بالقهر ! فاحتدت نظراتها لتهاجمه بالقول " حقا ؟!! وماذا اذا انعكست الادوار وانت من كنت تشجع طالباتك المفتونات ليتقربن منك ؟! "

اسبل اهدابه ليقول بابتسامة غامضة

" الرجل غير المرأة ! ولابأس من ان تشعره احداهن انه .. مرغوب ! "

شعرت بالشلل في اطرافها وهي تحدق في زوجها دون ان تصدق انه نطق فعلا بما نطق به للتو !

انفاسها ضاعت منها واوشكت على الاختناق حقا ... تلألأت الدموع في عينيها بينما تهمس " هل تبحث عن خيانتي يا محسن ؟! "

رفع رأسه بحدة اليها وعقد حاجبيه قائلا

" لاتكوني سخيفة ... انا كنت ..."

توقف للحظة وهي يتطلع لعينيها الدامعتين فارتعشت عضلة في خده وبدا كأنه يقاوم شيئا ما اقوى منه ففتح فمه في اللحظة التي اغلقت فيها عينيها لتهمس " انا فعلا سخيفة لاني تحملت بصمت كل انواع السخافات حتى ألفتها وتعودت عليها لاصبح جزءا منها ...."





زمّ محسن شفتيه بقوة بينما يرى زوجته تلتفت مبتعدة وهي تقول بصوت بارد " انا سأتاخر اليوم عندي محاضرات متأخرة استلمها نيابة عن زميلتي ، عد بمفردك للبيت وانا ساعود بسيارة اجرة"

تطلع محسن لزوجته واحساس مريع يتفجر في داخله ... ليس الندم ولا حتى الشعور بالذنب بل ... الغيرة القاتلة التي تجعل ارق البشر قساة كجحر جلمود ....!

تسلقت اسيا درجات السلم بتكاسل وهي شاردة .. شاردة وشعور غريب بالتشوش يلفها منذ الصباح .. لا ليس التشوش ... انه شيء مختلف... أنعم! ...واجمل من ان نصفه بالتشوش .. ماذا يمكنها ان تنعته ؟؟ ما هو بالضبط الذي يجعلها بهذه الحالة غير المعرفة لها ؟!!

(حمامتك البيضاء معي آسيا)

طوال النهار تردد هذه الجملة في سرها دون ارادة منها فتغافلها احيانا ليلهج بها لسانها ... منطوقة او غير منطوقة لافرق !

المهم انها في كل مرة تمنحها شعورا مختلفا...

تارة الحيرة تحوم حولها وتارة الرقة تحلّيها وتارة الشجن يشتكي منها ....!





ما زال الكسل يقود خطواتها حتى اخر السلم ... تهادت في مشيتها وفي طريقها لغرفتها مرت بغرفة الفتاتين رباب ورقية ومن شق الباب المفتوح عيناها لمحتا رقية اولا ، كانت تجلس على كرسيها الوردي الوثير عاقدة الحاجبين والساعدين بينما رباب تقف بجانبها تتطلع اليها بنظرة مؤنبة غاضبة وهي تقول لها " انسي هذا الامر .. امحيه من عقلك الصغير تماما لانك لن تحصلي عليه ابدا ، تقبلي ظروفنا كما هي ولاتصبحي انانية ومزعجة ..."

هبّت رقية في جلستها وهي تدافع عن نفسها قائلة " انا لست انانية انا اريد ان نعود كما كنا ! لااريد ان نظل هكذا .."

دفعت اسيا باب الغرفة لتدخل وهي تقول ببشاشة " ما بها كل الرقة تشتكي هكذا؟!"

سارعت رباب للرد بلهجة قاطعة

" لاشيء ... ليس بها شيء .."

عندها وقفت رقية على قدميها لتقول بغيظ

" انا اريد التكلم لماذا تمنعيني الكلام ؟!! "

ابتسمت اسيا بلطف وهي تقول لرباب

" لاتتدخلي عزيزتي ..."

لكن رباب بدت مغتاظة اكثر من رقية وهي تقول ببعض الحدة " انها فتاة بلا عقل ! "

فتهدج صوت رقية وهي تهمس لاختها بضيق

" رباب ..! "





لم تتراجع رباب عن اصرارها وهي تنظر لاسيا وتقول بقوة وثقة " اسيا لاتتعبي نفسك معها انا ساتكفل باعادة بعض العقل الذي فقدته كما يبدو خلال السنتين الماضيتين وهي تظن نفسها كبرت !! "

تقدمت اسيا من رقية التي اخذت تمسح دمعاتها لتسألها بحنو " اخبريني يا زرقاء العينين ما الذي يزعجك ؟! "

ردت رقية وهي تقاوم شهقاتها " سهير.... اغاظتني اليوم ... اغاظتني جدا وهي تتفاخر انها .... ذاهبة لعرس ريم الذي سيقام الخميس المقبل .."

ضحكت اسيا بخفة وهي تقول ممازحة

" سهير وعرفناها ...صديقتك واحيانا عدوتك اللدودة ! لكن من تكون ريم هذه؟ لاتقولي ان فتاة معك بالصف ستتزوج ! "

شعّت ابتسامة رقية وهي تقول لاسيا بمزاح عابث " اسيا !! كيف لفتاة بعمري ان تتزوج ؟! مؤكد مستحيل ! " ثم تحولت ملامحها للجدية وهي تنظر بشبه توسل مضيفة

" ريم هي .. اخت ثريا .. "

عقدت اسيا حاجبيها باستفهام وهي تتساءل بجهل تام " اخت ثريا ؟..."

عندها قالت رباب وهي تحدج رقية بحنق

" قلت لك اسيا ان لاتتعبي نفسك معها انها تحتاج لعلاج مكثف ! "





ضربت رقية بقدمها على الارض لتقول بلهجة اقرب للانفجارية " انا لست مريضة ! الى متى سنظل هكذا ؟!! الى متى سنسجن انفسنا بعيدا عن الاختلاط بجيراننا ؟! الى متى سنرفض العودة لحياتنا الطبيعية .. لقد مللت اغلاقنا الباب على انفسنا ورفض كل الدعوات التي تأتينا لنشارك جيراننا افراحهم وبهجتهم .. هل سنظل هكذا للابد لمجرد ان ابي تزوج من رفيدة ؟!! "

عندها همست اسيا بلهجة مؤنبة " رقية ...! " لكن رقية عادت للبكاء وهي تقول بضيق شديد " انا اختنق اسيا .. اليوم خاصمت سهير لانها اغاظتني بقولها اننا لن نحضر اي مناسبة تحدث في محلتنا لاننا ... لاننا ..."

تلكأت رقية بالكلام عاجزة عن النطق بما تريد قوله وبدت غير قادرة على كتمه في نفس الوقت ! فحثتها اسيا باشفاق

" لاننا ماذا حبيبتي ؟؟ قولي ما يضايقك ..."

ردت رقية بانفجار واضح هذه المرة ودموعها تغسل وجهها " لاننا نخجل من فعلة والدنا ..."

ازاحت رباب رأسها بعيدا وبدت هي الاخرى وكأنها تكتم بكاء يحرق فؤادها !

تمالكت اسيا نفسها لتقول بما استطاعت من الهدوء " ابي لم يفعل ما يخجل رقية ... هناك رجال يتزوجون اكثر من امرأة وهذا شرع الله اباحه للرجل اذا .. توافرت الاسباب الصحيحة والظروف المناسبة .."





عندها هتفت رقية " اذن لماذا لانواجه الناس ونتواصل معهم ؟؟ لماذا نعتزل في بيتنا هكذا ولانخرج ابدا ؟؟"

سبقت رباب بالاجابة وهي ما زالت لاتنظر نحوهما هامسة بصوت متحشرج

" لاننا ... في فترة حداد .."

ردت رقية بتمرد ورفض " لا رباب ... لسنا في حداد ... لقد مر عام على وفاة والدي الا يكفي كل هذا الوقت كحداد متعارف عليه بين الناس ؟! انا لست صغيرة حتى تخدعيني بحجج واهية ! "

التفتت رباب بحدة تحدج رقية بمشاعر مثقلة! ذهلت اسيا وهي تتابع الحوار بين اختيها واذهلها اكثر بل صدمتها تلك النظرات المشعة من عيني رباب تحديدا وهي ترد على رقية بمشاعر هادرة " انت تعرفين انه من المستحيل علينا حضور اي مناسبة في بيت الخالة بدرية على وجه الخصوص .."

فهدرت رقية تسأل بنفس الغضب

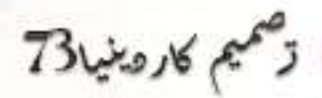
" لماذا مستحيل ؟! لماذا ؟؟!! "

فتواجهت الفتاتان لترد رباب بانفعال متزايد

" انت تعرفين علاقتهم القوية مع بيت الصائغ .. الخالة بدرية هي ام رضا بالرضاعة ... وانت تعرفين هذا جيدا ... كما انها صديقة مقربة جدا من الخالة سعاد ...."









لكن رقية لم تستسلم وهي تقول بلهجة اختلط فيها الغضب بالسخرية " هذه المرة أم رضا بالرضاعة وغدا نسائبهم وبعد غد اقاربهم وبعدها اصدقاؤهم المقربين ... وهكذا سنستمر الى الابد نبتعد عن الجميع لان والدي تزوج رفيدة الصائغ .. !! "

جاء صوت اسيا اخيرا هادئا لكن حازما في نفس الوقت " هل احضروا لنا دعوة ؟"

التفتت الفتاتان معا لتحدقا للحظات طويلة في اختهما الكبرى وكأنهما لايفقهان ما تسأل عنه !

كانت رقية الاسرع بالاستجابة وهي تقول بأمل " اجل ... اجل ... الخالة بدرية زارت امي بنفسها والحت عليها بالحضور ... وهي ردت عليها انها ستفكر ... لكني لااعتقد انها ستقبل يا اسيا ، هي قالت هذا فقط كي لاتحرجها ... "

ابتسمت اسيا قائلة " واين هي امي الآن ؟؟ لم ارها وانا داخلة للبيت .. "

ردت رباب وهي تتكتف " بعد خروج الخالة قالت انها مرهقة قليلا وستنام لبعض الوقت .."

اخفت اسيا تنهيدتها ورسمت ابتسامة حلوة على شفتيها وهي تداعب رقية قائلة " حسنا يا كل الرقة ... اعتقد انك تتكلمين بتعقل على عكس ما تتهمك به رباب "





دون شعورها امسكت رقية بساعد اختها الكبرى ووجهها الجميل البريء ينضح انفعالا وهي تقول " هل تعنين .. اننا ... اننا ..."

ضحكت اسيا عاليا بينما رباب تقول بغضب مكبوت " اجل يا حمقاء .. لقد نجحت خطتك وسنذهب كما يبدو .."

عندها توقفت اسيا عن الضحك لتسأل باستغراب " اي خطة ؟! "

سارعت رقية للقول بعيني لامعتين وابتسامة مراوغة تدعي البراءة " لاعليك .. انها تغار مني لاني استطعت اقناعك ! "

دخلت اسيا غرفتها اخيرا والافكار تتلاطم في عقلها ... " لااصدق انك تريدين فعل هذا ! "

صوت حبيبة بنبرته النارية جاءها من جانب سريرها حيث تقعد حبيبة على حافته بتشنج!

ترتكز بكفيها على حافة السرير من جانبي جسدها المحني بينما خصل شعرها تتناثر بجموح حول رأسها المحني كانحناء جسدها...

رفعت اسيا ذقنها وهي تقف وسط غرفتها وتقول بهدوء شديد " لستِ مجبرة على الحضور معنا "





رفعت حبيبة رأسها بعنف لتتطلع لاختها الكبرى بعنف اكبر وهمست بتحشرج من بين اسنانها المصطكة

" ولستِ مجبرة على اهانتنا واذلالنا اكثر ! "

لم تبدي اسيا الا ردة فعل متماسكة بينما اخذت تخلع حذايئها ثم انحنت لتقطته وتتحرك بعدها بتهمل نحو الخزانة تفتحها بهدوء وتضعهما في اسفلها ...

شعرت آسيا بامواج العنف تتحرك من خلفها فادركت ان حبيبة الحافية القدمين دوما قد تركت جلستها المتشنجة لتتحرك خلفها ..

بدات اسيا بطي حجابها بكل اعتناء ثم تحركت هذه المرة ناحية الادراج الجانبية لتضعه في مكانه بينما انفاس حبيبة اللاهثة من الانفعال تلاحقها لتهدر في النهاية

" هل ستجعلين امي تذهب هناك ؟؟ هل ستذلينها اكثر مما اذلت نفسها ؟!! "

عندها فقط استدارت اسيا بعنف ولم تشعر الا بكفها ينزل على خد اختها لتقول بغضب متفجر " اياك ان تتجاوزي على امنا ! اياك حبيبة ... الا امي ... كوني مجنونة .. كوني غاضبة وعاقبينا بالتباعد عنّا كما تشائين ... انكري وجودنا بجفائك كيفما تحبين ... كوني انانية ولاتفكري الا بصدمتك الطويلة الامد بزواج والدنا رحمه اللّه ...





افعلي ما تشائين وانت ترتدين ثيابا تكاد تعريك لمجرد ان تثبتي انك حرة وانك خارج سرب النساء المستضعفات تحت رحمة الرجال ... لكن امي ... خط احمر ...! "

كان صدر حبيبة يعلو ويهبط بقوة ويدها على خدها المصفوع بينما عيناها جاحظتان في صدمة !

للحظة اوشكت اسيا على الانصياع لرغبتها باحتضان هذه المجنونة الغاضبة لكنها لم تستطع ... يكفي ... اكثر من عام وهي بهذا الغضب الذي يسممها ويسمم كل ما حولها ....

لم تشعر اسيا الا وهي تهمس بحشرجة الالم " هل فكرت يوما كيف تشعر امك ؟؟ هل فكرت كيف عانت بصبر لاجل عائلتنا حتى لاتتفكك ؟؟ وما ادراك انت انها لم تحاول ثني والدنا عما اراده ؟؟!! لماذا تتسرعين بالحكم القاسي الجائر عليها ؟!! لماذا لاتحاولين تضميد جرح انوثتها ؟! انها تتآكل من الداخل وانت بكل سخف تفرغين فيها غضبك الاحمق ! "

اخذت حبيبة تحرك رأسها دون معنى بينما تواصل اسيا انفجارها الهامس وعيناها تترقرقان بالدموع رغما عنها " هل فكرت يوما باختيك الصغيريتين وما تعانيان ؟!!





رقية لاتدرك المأساة ولكننا نجبرها على تحمل توابعها ! انها تكاد تدخل في كآبة لانعزالنا عن الجميع وكأننا فعلا مسؤولات عما حصل وكأن ما حصل خزي رغم انه لايعدو ان يكون حالة متكررة وبكثرة في مجتمعنا ... وماذا عن رباب ؟؟ تلك القوية الجميلة المتفجرة بالابتهاج... انها فتاة رائعة وعقلها كبير وتحاول جهدها اعادة التوازن لحياتها رغم احساسها الداخلي بالألم لكنها على الاقل اثبتت انها اكثر نضجا منك وانت ابنة الثالثة والعشرين !! "

بدأت انفاس حبيبة تختنق بينما سالت دموع اسيا مدرارا وهي تكمل نشيج كلماتها " وماذا عني انا حبيبة ؟!! هل فكرت بي يوما ؟ هل تعلمين كل ما مر علي في حياتي ؟؟ انت لاتعرفين شيئا ... لاتعرفين ... لاتعرفين ما مررت به وما امر به حاليا ... انت حتى لا تدركين كيف احاول لم شتات عائلتنا ولا اجد منك اي مساعدة ؟؟ بالعكس انت هم اخر علي التعامل معه فما ارتقه انا من جهة تفتقينه انت من جهة اخرى ! "

انزلت حبيبة يدها من على خدها ببطئ وبدأت الصدمة تغادر ملامحها ليغزوها الجمود ، نار عينيها الزرقاوين انطفأتا بينما تحركت شفتيها لتقول بتوتر مكتوم :





" اذن اذهبي و(رتّقي) كما تشائين ! اما انا ... فكما وصفتني تماما ... خارج السرب !! "

ثم استدارت لتغادر تاركة اسيا تنظر اليها باحباط ويأس ....

" اين الحمامة امي ؟!! "

لم يتنبه رضا ان امه ليست بمفردها وهو يدخل عليها غرفة الجلوس طارحا سؤاله المتلهف ...

" ايّ حمامة يا ولد ؟!! "

ضحك رضا وهو يقترب من امه (الثانية) التي تجالس (الاولى) ، انحنى حين وصل لمجلسهما وقبّل رأسها قائلا " مرحبا امي بدرية ، اسف لم اعرف انك في بيتنا "

ضحكت الحاجة بدرية بوجهها البشوش وهي تحرك حاجبيها باغاظة نحو الحاجة سعاد الحانقة بطفولية لتقول " امك سعاد لاتطيق مناداتك لي بأمي بدرية ! " تأففت الحاجة سعاد قبل ان تقول " الا تملين تكرار نفس الكلام ؟!! "

ضحكت الحاجة بدرية عاليا بينما تمد كفيها لوجه رضا القريب نسبيا وتقول له بحب خالص " تعال يا ولد لاقبل لحيتك المشيبة هذه... "

ضحك رضا وهو ينحني اكثر لتقبل لحيته من ارضعته في المهد فاكتسب اما حانية اخرى .... واختين واخ بالرضاعة ....





عندما ابتعد قليلا ظلت تمسك بوجهه بين كفيها الممتلئين ، تنظر اليه بفرح الفخر ثم همست له بحنو " بنيّ الغالي .. اختك الصغيرة ريم ستتزوج يوم الخميس ان شاء اللّه ، ثريا تقول لك يجب ان تحضر باكرا لترقص معها وتغيظ زوجها ..."

ضحك رضا عاليا وهو يقول " تلك المجنونة ... الا تكف عن ازعاجه ؟!! "

ردت الحاجة بدرية وهي تشاركه الضحك " ستظل كما هي لاتتغير ! لكن لاتقلق عليها انها تعرف كيف تعامل زوجها جيدا ، .. حسنا بني .. امك بدرية تريدك ان تقف كتفا بكتف مع اخيك عبداللّه والحاج ابي ثريا ..."

تبسم رضا وهو يقول " دون ان تطلبي .. انها اختي الصغرى "

اتسعت ابتسامة الحاجة بدرية بينما تربت على خديه ثم حركت يدها لتتنزل حتى ذراعه تسحبه وتجلسه بجانبها وهي تقول

" اخبرني ... الم تجد فتاة دعت لها امها في ليلة القدر لتتزوجك ؟!!"

اسبل رضا اهدابه واكتفى بالابتسام بينما الحاجة سعاد تتنهد بغم وتقول " انه لايطيعني يا بدرية ! لااعرف ماذا افعل معه ؟! اقول له يجب ان تبحث عن عروس قبل ان تبلغ الاربعين ... "





استمر رضا بصمته بينما الحاجة بدرية تضع كفها على ركبته وتربت عليها قائلة بحنان متدفق " امك معها حق يا حبيب أمّيك الاثنتين .. عليك ان تتزوج لتنجب اطفالا تفرح بهم وتأنس بحياتك معهم ... "

ثم مالت قليلا ناحيته وكأنها تسره بسر هامسة " اياك ان تقول لي انك تريد استعادة تلك الـ..زبيدة ؟! "

شهقت الحاجة سعاد وهي تضع يدها على صدرها قائلة :

" معاذ اللّه ! هذه المرأة كانت شؤوما ! "

قال رضا بهدوئه المعهود " قسمتي مع زبيدة انتهت امي بدرية ، لكني لاافكر بموضوع الزواج الآن .."

تنهدت الحاجة سعاد مرة اخرى وهي تتمتم بضيق كلمات متفرقة ...

لكن الحاجة بدرية قالت بلطف " حسنا جيد انك لاتفكر بطليقتك لاني سمعت انها ستتزوج قريبا من ابن خالتها ..."

شهقة اخرى من الحاجة سعاد قاطعتها الحاجة بدرية وهي تضيف متطلعة لوجه رضا بتدقيق :





" يوم الخميس اريدك ان تفتح عينيك جيدا وتنظر بجدية للفتيات من حولك واختر فقط من تعجبك واقسم برب العزة لاخطِبنّها لك بنفسي صباح اليوم التالي "

عندها قالت الحاجة سعاد بلهفة " اجل يا بدرية ، ادفعيه ليختار بنفسه ، انا كما تعرفين لن استطيع الحضور لاحثه بنفسي "

تطلع رضا نحو امه ليحاول تغيير الموضوع قائلا " امي لماذا لاتحضرين ؟!! لقد مر عام على وفاة والدي رحمه اللّه "

لكن الحاجة سعاد اصرّت قائلة بحزم " لا بنيّ لايصح ! المرأة متى توفي زوجها لايفترض ان تحضر افراح واعراس قبل مرور سنتين او ثلاثة ...هكذا تعلمنا ممن سبقونا ..."

تنهد رضا باستسلام ليقف على قدميه قائلا " حسنا امي كما تشائين .. لكن رفيدة ستحضر اليس كذلك ؟! "

عندها نظرت الحاجّتين لبعضهما قبل ان تنتقلان بالنظر اليه لتقول الحاجة بدرية

" بصراحة.. كنا نتكلم بهذا الموضوع انا وامك عند دخولك علينا لان حالة رفيدة مختلفة عنها ، المسكينة لم تشم معنى الزواج لتترمل ! لكن امك مترددة .. بسبب كلام الناس .. وايضا .. رفيدة قالت انها لاتريد وتركتنا وصعدت لغرفتها ..."





ثم ترددت الحاجة بدرية للحظة قبل ان تقول وهي تواري عينيها عن الحاجة سعاد " وهناك امر آخر ، انا ... ذهبت بنفسي لادعو ابتهال وبنات العطار للعرس .. "

تشنجت الحاجة سعاد بينما تضيف الحاجة بدرية على عجل " ابتهال لن تحضر اكيد لكن قد ترسل الفتيات مع ان الاحتمال ضئيل فقد بدا واضحا انها لاتريد ...لكن كل شيء جائز ... "

تسمّر رضا في مكانه حالما سمع كلام امه بدرية بينما قلبه يرفرف .. يرفرف حتى ضج باضلاعه ....

بدأت الحاجة سعاد تعاتب غافلة عن ابنها " لماذا لم تخبريني يا بدرية ؟! ماذا لو كنت اقنعت رفيدة وذهبتُ لعرس ابنتك ؟! ماذا كان سيحصل اذا التقت ببنات العطار ؟! "

ردت عليها بدرية بالقول الليّن " يا حبيبتي يا سعاد هذا الموضوع يجب ان نطويه لمصلحة الجميع ، قد لاتعود العلاقة بين العائلين كما كانت لكن على الاقل لنزل هذا الحاجز الضخم ونجعل الامور طبيعية ولو بالنذر اليسير ... لقد توفي الحاج يونس وانتهى الامر فيكفي تباعدا وجفاء .. "





ادارت سعاد وجهها جانبا وقد بدا عليها الزعل بينما بدرية تسترضيها بالقول " انه لمصلحة ابنتك رفيدة ايضا يا سعاد ، دعيها تخرج من محنتها وتواجه العالم بدل هذا الانغلاق الذي تعيش فيه والعمر يمضي بها ... دعيها تلتقي الناس بشكل طبيعي ومن يعرف قد تجد قسمتها حيث لاتدري ..."

انحسر غضب الحاجة سعاد قليلا لتنظر لرفيقتها بطرف عينها وتقول " حسنا يا بدرية قد يكون كلامك صحيحا لكن .. كيف سنقنع رفيدة ؟!! "

ابتسمت بدرية لترد عليها " دعينا نستمر بمحاولة اقناعها ولن نخسر شيئا ..."

لتكمل بتفاؤل " أشعر ان نصيبها بانتظارها في عرس ابنتي ..."

رفعت الحاجة سعاد كفيها وهي تدعو " يا رب .. اتمنى رؤيتها فقط سعيدة وراضية ببيت زوجها ... "

تنحنح رضا يحاول كتم انفعالاته هامسا بصوت مبحوح " امي.... اين الحمامة ؟!! "

ليأتيه سؤال منطوق من الامّين وفي نفس الوقت " ايّ حمامة ؟!! "





يوليها ظهره ويدرك انها ما زالت مستيقظة مثله لكنه لايلتفت اليها ويجيد خداعها انه غارق بالنوم !!

نشيج مكتوم بدأت اذناه تلتقطانه منها ، تصلب جسده وانتابته موجة من .... الغضب !

الامر خارج عن سيطرته ، يبقى في داخله ابن الحاج عقيل الصائغ الذي رباهم ليكونوا غيورين جدا على نسائهم ، هذه الغيرة الفجّة التي هذّبها خارجيا فقط ليبدو بهيئته اللطيفة كاستاذ جامعي مرموق ومثقف ، لكن في داخله هو كما هو ... نار مشتعلة ببركان الغضب .....

ضغط جفنيه وبارادة حديدية اغلق عقله عن استلام تلكل الذبذبات الناعمة منها فتفقده سيطرته على نفسه ....

لا ... هو محسن عقيل الصائغ وسيبقى هكذا في داخله الى الابد ولتتعلم رحاب ان تدفع الثمن .... !!

بين كفيه يلامس ريشها الابيض بحنان بينما يتطلع من شباكه ناحية شباكها المغلق المظلم ...

رفع الحمامة قريبا من فمه يهمس لها بابتسامة تفيض عشقا تنضح به جنبات روحه :





" انت معي حمامتي .. فقط لو ترضى عنا السلطانة .. "

ليضحك بشقاوة رقيقة وهو يضيف " تخيلي لو كانت هي من معي الان بدلا منك ! مؤكد ساصاب بنوبة قلبية !! "

لثم الحمامة بتنهيدة من اعماقه ثم انزلها وهو ما يزال يلامس ريشها هامسا بشرود وعيناه ملتصقتين بالنظر للشباك المقابل

" اليوم حلمت بها .. كانت تضحك وتفرد ذراعيها للحمام المتطاير من حولها ، بدت سعيدة كما احب ان اراها دوما ان تكون ... كم اتمنى ان تحضر عرس ريم ..

لااريد الا رؤيتها ... فقط رؤيتها لااكثر ... يكفيني ان انظر اليها لباقي حياتي ..."

تعثرت خفقات قلبه وهو يرى النور يتلألأ فجأة من شباكها ولم تمر الا لحظتين حتى لمح خيالها ليكتسحه شعور جارف يكاد يحطم اغلال كل العهود التي يحملها في رقبته ...

تراءت له اخيرا فهمس وعيناه تتسعان باحساس عطش خطير " يوما ما سأنهار فأجن واختطفك لي رغما عن الجميع ... رغما عنك انت شخصيا... آسيا !! "





الفصل الرابع

ابتلع ريقه بصعوبة وهو يراها تفتح الشباك لتمد كفيّها ! لم يكن يراها بوضوح كافٍ ومشبع ليدرك تعابير وجهها بالكامل ..

كالعادة تلبس إزار الصلاة لكن .. الوقت ما زال مبكرا جدا لصلاة الفجر !

كفاها حفًا بعضهما ليرتفعا عاليا نحو السماء ... انها ... تدعو !

همس وهو مختنق من شدة انجذابه لصورتها البهية " جعل الله لك بكل دعوة استجابة عاجلة تبهج قلبك يا توأمة القلب ... "

ثم اضاف دون ان يشعر وانفاسه مشتعلة بلهيب العاطفة " وجعلك ...لي... دنيا وآخرة ... "

" يا رب ... ساعد اختي حبيبة واحمها من شر الغضب الذي يضطرم في اعماقها ، يا رب ابعد عنها كل شرور ... شر نفسها وشر ما خلقت .."

خنقتها العبرة وهي تضيف بتهدج " ربي اغفر لي ولوالدي .. ربي ارحم ابي وساعدني كي اراعي امي واخواتي .. "

يداها تلكأتا قبل ان تقول بهمس خجول " ربي .. جاز رضا خيرا لستره عرضي وحفظه شرفي "

هبطت الكفان وانفاسها تخرج باسترخاء مع نسيم الفجر القريب ...





لقد استيقظت من نومها على حلم مزعج باختها حبيبة .. حلمت ان حبيبة تخوض في ماء ضحل آسن دون ان تدرك ! لكنها في لحظة ما بدت خائفة ! خائفة على غير طبيعتها الشجاعة الواثقة .... لاتعلم هل هي اضغاث احلام بسبب ما حدث في اليوم الفائت ام ان حبيبة في خطر فعلا !

تنهدت وهي تبتعد عن الشباك دون ان تغلقه ... ستقرأ القرآن حتى اذان الفجر ...

(تجلس على حافة السرير تطرق برأسها غارقة بفستانها الابيض والخجل يسيطر عليها بشكل لايوصف ... ليس الخجل فقط لكن الاضطراب الشديد ايضا ...

شعرت بخطواته الهادئة تقترب ناحيتها وقد بدت تلك الخطوات لمسامعها مترددة بعض الشيء ! لحظات و شعرت بيده تلامس رأسها المغطى بحجاب ابيض حريري يناسب فستان الزفاف ... صوته بدا لطيفا جدا وهو يقول

" استرخي عزيزتي ... رفيدة.. ")

طرقة على الباب اجفلت رفيدة وجعلتها تصحو من خيالاتها البعيدة ... لعام كامل تتذكر تفاصيل ليلتين مع الحاج يونس .. تحاول ان تجد تعزية ولو صغيرة لاحساسها بالـ.....





طرقة اخرى جعلتها تدرك انها لم ترد على الطرقة الاولى التي اجفلتها !!

ابتلعت رفيدة ريقها وقالت بوهن " من ؟!"

فأتاها صوت توأمها " انه انا عزيزتي ، هل استطيع الدخول؟؟ "

تنهدت رفيدة بقوة قبل ان تقول ببعض الحنق

" ارجوك رضا لاتلح علي مرة اخرى ، انا لن اذهب معكم الليلة ... اذهبوا بدوني .."

عقدت حاجبيها والباب يفتح فتدثرت تلقائيا بغطاء سريرها وكأنها تضع حاجزا بينها وبين توأمها الذي وقف للحظة عند الباب مبتسما ببعض الشقاوة ...!

انحلت عقدة حاجبيها لترتفعا قليلا وهي تنظر لرضا نظرات لامعة منبهرة ثم همست

" تبدو وسيما جدا اخي ..."

اتسعت ابتسامة رضا ليدخل غرفتها ببدلته السوداء الانيقة لتتفاجأ رفيدة بدخول عبد الرحمن الضاحك ايضا ثم محسن في اثرهما !

الثلاثة كانوا بقمة الاناقة وعلى اهبة الاستعداد للذهاب للعرس ...

عادت عقدة حاجبيها وهي تنظر اليهم بريبة وتقول " حسنا ... تبدون انتم الثلاثة في ابهى طلة ... هل تريدون مني شيئا آخر ؟!! "





اسبل محسن اهدابه وهو يبتسم ابتسامة صغيرة بينما رضا تكتف ليتراجع بجسده مستندا لحائط خلفه وهو يغمز ناحية عبد الرحمن ويقول " هل ترين هذا الفتى الذي كنا قبل بضع سنين نتناوب انا وانت لتغيير حفاظه ؟؟ "

اعترض عبد الرحمن وهو يتورد قليلا " رضا ! "

ضحك رضا بينما رفيدة تنظر اليهم ثلاثتهم وهي تشعر ببلادة وقصر التفكير لتدرك ما يبغيه اخوتها بالضبط ! او الاصح ما يبغون فعله لدفعها على الذهاب معهم للعرس ..

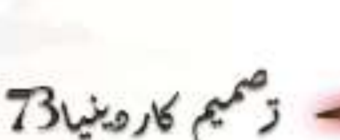
قال رضا وهو ما زال على وقفته المسترخية

" حسنا هذا الفتى غدا شابا قوي البنية كما ترين وهو مستعد لحملك الآن والذهاب بك للعرس ! بل ومستعد لحملك طوال الحفل كملكة واعادتك لغرفتك عند انتهائه .. همممممم ما رأيك يا رفيدة ؟؟ هل يحملك الصغير الذي كبر ام ستأتين بارادتك وعلى قدميك ؟؟ "

رغم كل بؤسها شعرت بالتأثر لما يفعله هؤلاء العمالقة معها ... اجل هم العمالقة في كل شيء .. جسدا وروحا ... دوما شعرتهم هكذا وربما هي من كانت تتقزم امامهم !! لاعجب ان الحاج يونس اختارها هي تحديدا عسى ان تنجب له ولدا يغدو رجلا كاخوتها ....









كتمت تأثرها لتتكتف كما يتكتف رضا
وادارت وجهها بعيدا عنهم وهي تقول بتعنت

" لن اذهب رضا .. فلا تتعبوا انفسكم .. لن
اعرض نفسي لنظرات الناس المتفحصة
وكأني فأر تحت المجهر ؟ "

عندها قال محسن بهدوء " ابنة عقيل الصائغ
لن تكون يوما بعيون الناس فأرا تحت المجهر
... بل بقاؤك معتكفة بالبيت هو ما يعطي
انطباعا انك فأرة ؟ فأرة خائفة ومن لاشيء ؟ "

ارتعشت شفتا رفيدة فاغلقت عينيها في رفض
صامت تتعلق به علّهم يتركونها وشأنها ...

لم تدرك ان رضا غمز لعبد الرحمن ليقترب
الفتى منها ودون تردد وضع ذراعيه تحت جسد

اخته الضئيل ثم يرفعها بسهولة شديدة وهي
تشهق باعتراض وتتلوى مهددة اياه بالقول

" انزلني يا ولد ؟ لم يبقَ الا انت لتجبرني على
الذهاب ؟؟ انزلني حالا اقول لك ... انزلني
والا سانادي امي "

كان عبد الرحمن يضحك من قلبه وهو
يهزها كأنه يلاعب طفلة صغيرة مشاغبة
بينما رفيدة تضرب على صدره القوي وكتفيه
ثم اخذت تستنجد لاشعوريا برضا صارخة

ببعض الهستيرية " رضا ؟ رضا ... تعال ... رضا
... ارجوك ... رضا تعال ..."





صوتها ترقق شيئا فشيئا لتكتفي بنطق اسمه بنبرة تدمي القلب " رضا ... رضا ... " حركاتها تبطأت حتى تلاشت بينما صوتها تحول للهمس المختنق بالبكاء

" رضا ... رضا ... "

تصلب الاخوة الثلاثة ليميل عبد الرحمن بوجهه نحوها قائلا باعتذار مرتبك " ارجوك لاتبكي .. انا ..اسف اختي ... كنا نريد ابهاجك .."

اخذت رفيدة تنشج ولم تشعر الا بجسدها ينتقل من ذراعين لاخرى .. اكثر صلابة .. اكثر حنانا ....

غمرت وجهها في صدر رضا تتمسك بسترته وتركن لدفئه وهو يهدهدها همسا ..

الصمت حلّق حولهم ليقطعه فجأة صوت رحاب المبتهج " ها قد حضر الفستان لترتديه .."

لكن بنظرة واحدة لمشهد الاخوة امامها ادركت رحاب ان الامور لم تسر على ما يرام بينما تتطلع لرفيدة تحديدا وهي تبكي في احضان رضا الذي يحملها بين ذراعيه ، اما عبد الرحمن فكان يقف محتارا وملامحه تحمل شعورا بالذنب !

التفتت رحاب ناحية زوجها لتسأله بعفوية وصوت منخفض " ماذا حصل ؟ هل فشلتم في اقناعها ؟؟ "






للحظات تعلقت عينا محسن بشفتي زوجته اللامعتين بالبرونزي المغري كلون فستانها الاكثر اغراء .. ثم رفع نظراته لتلامس شعرها المعقود للخلف باناقة لتترك بضعة خصل تحف خديها الابيضين من الجانبين ثم تركزت نظراته على عينيها الجميلتين ليقول بصوت هادئ غامض " ضعي الفستان على الكرسي لو سمحت ، لنترك الامر لرضا هو يجيد التعامل معها اكثر منا جميعا .."

احمرت رحاب وخفق قلبها بينما تضع الفستان الزهري على كرسي قريب .. لقد مر ... زمن ... زمن لم .. ينظر اليها زوجها بتلك الطريقة ...

" هيا عبد الرحمن ... تعال معنا .."

غادر محسن تسبقه زوجته وهو ينادي اخيه الصغير الذي بدا مترددا للحظة ليتحرك عبد الرحمن هو الآخر متنهدا وهو يلقي نظرات مشفقة نحو اخته رفيدة المختبئة في عمق احضان رضا ...

حالما غادروا تحرك رضا وهو ما زال يحمل رفيدة ليجلس على سريرها وهو يضمها اكثر اليه هامسا لوجهها المختبئ :

" لماذا كل هذا يا رفيدة ؟؟ لماذا اختاه ؟ يؤلمني رؤيتك هكذا تختبئين منّا جميعا .. تختبئين حتى من نفسك ! "





كان جسدها يتشنج بين ذراعيه فتنهد رضا قبل ان يقول برقة متناهية " اريدك ان تأتي معي غاليتي ، لا احب ان اذهب وانت تبقين هنا ، تعالي لاجلي انا على الاقل .. والا ساضطر ان ابقى معك وامي بدرية لن تغفر لي ابدا تخلفي عن حضور عرس ريم .."

همست بصوت مكتوم " لا.. استطيع .. الكل .. سيحدق بي .. الكل سـ...."

قاطعها رضا قائلا بلطف " انت من تعطينهم الاسباب ليحدقوا بك رفيدة ، بقاؤك حبيسة البيت هو ما يثير حولك التساؤلات ويكثر حولك التكهنات ، اخرجي لمحيطنا مرة اخرى والتقي بناسنا الذين عاشرناهم منذ زمن طويل .. بخيرهم وشرهم ...

يكفي عام كامل لاتغادرين البيت الا لماماً ! الليلة انا سأكون معك .. واخوتك ايضا سيكونون معك .. "

امسك ذقنها ليرفع وجهها الباكي اليه وهو يضيف بابتسامة حانية مرحة " هل تتوقعين من احد ان يمسّك بكلمة او حتى نظرة ونحن موجودون ؟؟ "

كان رضا في داخله رافضا ان يطمئنها بوجودهم حولهاهكذا ، ارادها ان تكون قوية بنفسها لكنه كان مدركا ان الوقت مبكر جدا وان لكل شيء خطوة اولى ...

انه لايستطيع ان يطالب رفيدة باكثر مما تقدر عليه ... على الاقل الآن ..





همست بتردد وهي تتطلع اليه بخوف تفيض به عينيها الصغيرتين " اخشى .. ان افسد عليكم .. بهجة الحفل ! وقد لااحتمل البقاء هناك لفترة طويلة "

ابتسم رضا ابتسامة عريضة وهو يقول " ستفسدينه علينا اذا لم تسمعي الكلام وترتدي ذلك الفستان الزهري الذي اشتريناه لك ..."

غمز لها وهو يضيف " انه ذوقي انا بينما رحاب ساعدتني بالقياس واختيار حجاب مناسب "

ابتسامة مرتعشة سبقت لمعة دموع في عينيها وهو تتطلع لتوأمها بامتنان وتهمس " انت تعرف اني احب الزهري "

لامس شعرها الناعم القصير وهو يقول براحة " اجل غاليتي اعرف هذا ، فقط لاتخذليني وتعالي معي ..."

اسبلت اهدابها وهي تهز رأسها قبولا ويرتعش جسدها كله بنفس الوقت ..

تحركت نحوه بثوبها الاحمر المشاغب كطبيعتها ، انها ثريا التي ولدت قبله باسبوعين فقط ، اقتربت من رضا وهي تبتسم ابتسامة واسعة وتغمزه ، اشرأبت بقامتها لتقترب من خده وتطبع قبلة عليه وهي تقول

" ما هذه الوسامة يا رجل ؟! "





رد بتسامح " توقفي ثريا عن اثارة غيظ زوجك ! انه يرمقنا بنظرات غير راضية "

ضحكت ثريا ببشاشة لترفع حاجبيها وتهمس بشقاوة محببة " لاتخش شيئا .. انه غيور كالعادة "

ابتسم رضا ابتسامة جانبية وهو يسأل " هل ما زال يتشكك في حقيقة انكِ اختي بالرضاعة ..؟؟ "

قوست حاجبا واحدا وهو تقول بمرح " ما زال يحاود امي لتروي الحكاية مرة اخرى تلو اخرى !! لايكف عن السؤال وهي لاتمل تكرار الاجابة ! تستمتع وهي تحكي القصة الازلية وبكل فخر كيف انها قررت مساعدة امك التي كانت صغيرة جدا لتعتني بتوأم فحاولت اخذ رفيدة لكن اختك رفضت ان ترضع من غير صدر امها بينما انت كنت طفلا نهما ولاتهتم بالمصدر ! "

لتضحك من قلبها وهي تضيف " نتيجة لنهمك هذا خسرنا انا واختي ريم رجلا تتقاتل عليه فتيات الحي ! "

كان قد تعود مزاح ثريا الذي لايعرف الحدود فتبسم لها بحنان وهو يقول " اي فتيات ؟!! لاتحاولي رفع معنوياتي .. الشيب غزا شعر رأسي ولحيتي ... كما اني .. غير مهتم ..."





تطلعت في عينيه مباشرة ووضعت يدا على صدره مكان قلبه بتعمد مشاكس بينما تقول بشقاوة "حقا ؟! اممممممممم غير مهتم ؟؟ ام ان الامر ببساطة ان ابنة العطّار موجودة لتلغي بوجودها اي وجود اخر لبنات حواء "

ما ان قالتها ثريا حتى تسارعت نبضاته التي لم تهدأ اصلا منذ الصباح الباكر .. نظراته حادت يمينا بعيدا عن وجه ثريا ليتطلع بتعطش نحو ذلك الجدول الرقراق المتمثل بآسيا ...بهية وكأنها ليست أنسية ، ترفل بطيات فستان مميز يحوم حولها بطبقات متعددة كضياء متوهج بلون اللؤلؤ الصافي ..

لم تحضر مع اختيها الصغيرتين الا منذ نصف ساعة وهو يكاد يختنق من تسارع نبضاته ...

وكلما ارغم عينيه على الابتعاد يحاول التقاط انفاسه يغافله قلبه فيجذب العينين اليها مرة اخرى ..

همسة مشاغبة قريبة منه " قلبك سينفجر من نبضاته ... وان لم يفضحنا هدير قلبك ستفضحنا عيناك ! "

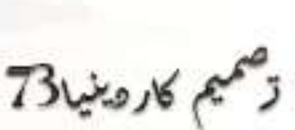
اسبل اهدابه وهو يبتسم هامسا اسمها بعتب رقيق " ثريا ! "

نظرت اليه بتعاطف محبط لتقول برقة حانية " انت تعلم انه الان صعب جدا ان ترتبط بها .. بعد .. ما حدث مع والدها .."

تنهد وهو يرفع نظراته اليها قائلا باختصار " اعلم ..."









ثم تركزت عيناه هذه المرة نحو رفيدة التي تجلس بجانب امه بدرية تحظى برعايتها الكاملة بينما رفيدة تعاني من محاولات مستميتة لتغض بصرها عن الجميع ووجهها يتورد كلون فستانها ويا ليتها حمرة الخجل ! انما هو يعرف بانها حمرة الارتباك وعدم الثقة بالنفس ....

قالت ثريا فجأة " فقط لو اعرف لماذا لم تطلب يدها قبل سنوات ؟!! لازلت غير مقتنعة ان السبب لانك سمعت اباها يخبر اباك عن رغبته بتزويج بناته لذوي المكانات العلمية العالية .. "

ابتسم رضا وهو يلتزم الصمت بينما ثريا تواصل كلامها المتسائل :

" هناك شيء حصل ومنعك اليس كذلك رضا ؟! لماذا لاتخبرني رضا ؟؟ انا لم افش لك سرا من قبل ! قل لي ... هل هذا ما جعلك يائسا لتتزوج تلك البغيضة سليطة اللسان ! "

رغم لطف ابتسامته لكن الغموض التام يظلل محياه بامتياز ! ادركت ثريا انه لن يفصح عن سره هذه المرة او حتى اسراره ... انها متأكدة ان ما ردعه لسنوات يتعدى سببا واهيا كتحصيل علمي عالٍ ، هناك امر ما وقف بين رضا واسيا ليُقفل تماما بزواج اخته رفيدة من والدها...

همست في سرها وهي تحدق في رضا " ترى ماذا حصل بينكما اخي ؟ كم اتمنى لو اعرف عسى ان استطيع مساعدتك ..."





التفتت ثريا قليلا لتنظر لبنت العطار اللاهية بالنظر بلطف فيما حولها وهي تبتسم بصفاء ، تلك الـ(آسيا) تملك قلب هذا الرجل الرائع دون ان تدري كما يبدو !!

شعرت بالغيظ لاجله بينما ترى اسيا تتضاحك الآن مع اختيها رباب ورقية اللتين بدتا سعيدتين جدا باجواء حفل العرس المقام في حديقة الدار الشاسعة ...

كانت انغام جميلة تصدح عاليا وبضعة شباب يرقصون يتوسطهم عبد الرحمن واخوها عبدالله ...

عضت ثريا شفتها السفلى بصبيانية لتمسك بذراع رضا تجره وهي تقول باصرار

" تعال لنرقص .."

حاول ايقافها وهو يقول " ثريا ... لكن ..."

قاطعته وهي تنظر اليه بعناد " دع ابنة العطار تتحسر ! "

قادته حيث الفسحة المعدة للراقصين امام الفرقة الموسيقية وفي طريقها مرت امام والديها فانحنت لتقبل ظاهر يد ابيها وتسحب بشقاوة مسبحته من بين اصابعه ، اعترض والدها بينما تضاحكت امها وهي تقول " اتركها يا حاج " اما رضا فكان مستسلماً للهوها العبثي وهو يضحك ايضا ...





حالما اقتربت ثريا من الفرقة همست لهم ببضع كلمات وما إن بدأت الفرقة بعزفها لموسيقى الدبكة العربية حتى وضعت ثريا كفها في كف رضا ورصّت جسدها باستقامة الى جانب جسده كتفا بكتف ثم رفعت يدها الحرة عاليا تحمل مسبحة ابيها لتبدأ على الانغام ترقص الدبكة معه ..

لحظات وانضم اليهما الشباب والكل يتحرك بمرح صاخب .. باكتافهم المتراصة التي تتحرك بتناسق الى الامام والخلف ، الارجل ترتفع سوية وتهبط بقوة لتضرب الارض سوية ،الساق الايمن ثم الايسر ،وثريا تزيد الحماسة بالاصوات الحماسية التي تطلقها وهي تقودهم ويدها ترتفع اكثر ملوحة بالمسبحة ...

وسط التهليل والوغاريد يد خشنة امسكت تلك اليد لتأخذ منها المسبحة وتضم كفها .. تطلعت ثريا لزوجها المغتاظ فابتسمت له بحلاوة انثوية جعلته ينسى غيظه لينظر اليها باستسلام ويستلم منها القيادة !

تحشرجت انفاس رقية من شدة ابتهاجها وهي تراقب الراقصين بما يشبه الهوس !

وعيناها ترتكزان على واحد لاغير .. عبد الرحمن ... وبين الفينة والاخرى تلكزها رباب محذرة بغيظ " اقسم باللّه ان لم تكفي عن افعالك هذه ساخبر اسيا بكل شيء "





فترمش رقية في وجه رباب تستعطفها بنظراتها مدعية الخجل والبراءة !!

ببعض الشرود تصفق آسيا وهي تنظر اليه وسط الراقصين ، تراه لاول مرة مبتهجا بطريقة مختلفة عما اعتادته منه من الجدية ، تذكرت همسته وهي تدخل الحفل مع اختيها (مساء الخير) قالها وهو يمر بجانبها بينما تطرق هي برأسها والخفر يفرض سلطانه عليها...

لم تكن الا همسة غير مسموعة عداها هي شعرتها كانفاس تلفحها فالجمت لسانها بدفئها الغريب ! وللحظات علقت نظراتها على سترته السوداء دون ان ترتفع لوجهه ..

تحركت دون ان ترد وهو بدا وكأنه لم يكن بانتظار رد قد يحرجها امام الناس !! واصلت المسير وغمامة خجولة حاوطتها بنعومتها وهي تستشعر انه يراقبها .. مراقبة خفية اربكتها .. اربكت حسا انثويا غامضا فيها .. ولم تستيقظ من تلك الغشاوة الا بتعثر خطوات رباب ! لتعرف السبب خلال ثوانٍ وهي ترى تصلب نظرات رباب نحو تلك الجالسة المرتبكة ... زوجة ابيهن وارملته ... رفيدة .... ربتت على كتف اختها وهي تهمس قرب اذنها " هيا حبيبتي لنذهب ونسلم على العروس ووالديها ثم نجد لنا كراس جيدة نجلس عليها ونستمتع بالحفل ..."





عادت تتطلع لرضا وهو يضحك من قلبه برجولية ملفته جذابة ... انها تنظر اليه الان بحرية وقد تجنبت النظر اليه طوال الوقت ...

ترى فيه صورة الشخص الرائع الذي عرفته طوال طفولتها ومراهقتها وسني شبابها الاولى لتتحطم تلك الصورة بليلة سوداء لعب فيها دور المنقذ لتوصمه هي بدور المغتصب !!

وكأنه ادرك خلجاتها التي تحوم حوله فرفع عينيه الضاحكتين في تلك اللحظة بالذات لتواجها عينيها ...

تجمدت اسيا للحظة كما تجمد هو وذابت ضحكاته وتلاشى الصخب من حولها لتغرق في صخب من نوع آخر ...

عيناه تقولان كلاما كثيرا لاتفهمه ! تلك النظرات تجعلها تشعر بالاضطراب .... تجعل قلبها يخفق بقوة دون ان تتفهم الاسباب ..

اجفلت من يد رباب على كتفها فالتفتت اليها وهي تهمس لها " اسيا .. دعينا نعود ... "

فاعترضت رقية بتذمر

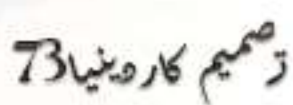
" لا ... اريد البقاء اكثر .."

عندها شعرت اسيا ان المغادرة حانت فعلا فوقفت على قدميها لتقول

" اجل .. دعونا نعود .."

ولم تلتفت لتذمر رقية بينما تحركت اسيا فستانها يهفهف حولها لتسلم على الخالة بدرية وتبارك للعرسين ..







وفي طريق خروجها لم تنظر ناحية رضا ابدا لكنها تفاجأت برحاب زوجة محسن تقترب ناحيتها مبتسمة ثم قالت بلطف

" مرحبا آسيا "

فردت اسيا بتماسك ولطف " مرحبا رحاب ..."

ثم التفتت رحاب نحو رباب ورقية لتسلم عليهما ببشاشة " كيف حالكما عزيزتيّ "

فردت الفتاتان بنفس القول مع اختلاف النبرة " الحمد للّه " فبينما نبرة رباب تدعي الهدوء كانت رقية عفوية ومرحة حد المبالغة !

ثم استأذنت رحاب بلطف لتبتعد فلم تبالغ بسلامها ولم تحرجهن باطالة الوقوف معهن ..

شعرت اسيا ببعض الارتباك من حركة رحاب هذه رغم انها كانت ممتنة لخطوتها الايجابية لكن مع ذلك شعرت ان العيون انصبت عليهن وتراقب ردود الافعال ...

ابتلعت اسيا ريقها وتحركت لتغادر بيت الخالة بدرية عائدة مع اختيها لبيتهن مشيا على الاقدام ...

لم يكن البيت يبعد سوى بسبع او ثمان بيوت وقد كان الظلام سائدا بعض الشيء في الشارع لكن بهجة اضواء العرس أضفت ألقا مريحا عليه يبعث على الطمأنينة ...

كانت تسير بخطوات متمهلة بينما اختيها تتناقران بهمس امامها !





لم تسألهما عن سبب النقار هذا فقد كانت ساهمة تماما باحداث الليلة ...

ما ان وصلت البيت سبقتاها رباب ورقية بالدخول ، لاتعلم لماذا شعرت برغبة بالاستدارة جانبا ناحية بين الخالة بدرية ، هاتف ما دفعها لفعل هذا وربما مجرد حدس !

بوقفته المهيبة الشامخة .. رأته .. يقف بمنتصف المسافة بين البيتين يضع يديه في جيبيه وينظر اليها مباشرة لاتحيد عيناه بعيدا عنها قيد أنملة ..

يدها على قلبها الخافق وعيناها تتسعان .. بينما هو يقف نفس الوقفة وعلى نفس المسافة فلم تشعر الا بساقيها تتحركان بها بما يشبه الهروب بعيدا عن مرمى تلك العينين....!

ابتسامة عذبة صافية كصفاء قلبه الذي كان ..... تطلعت ابتهال لصورة زوجها الحبيب والتي تحتفظ بها في علبة مجوهراتها كأعز ما تملك وتتملك بل .. ما كانت تملك وتتملك !!

رجل بشوش اسمر لوحته الشمس الدافئة بعينين زرقاوين اورثهما لابنتيه حبيبة ورقية ..





طويل القامة نحيف البنية يفضل دوما ارتداء جلبابه العربي الابيض وفوقه عباءة مهيبة ولايغطي رأسه الا بطاقية بيضاء مشغولة اليد بالسنارة مما كان يحضره معه بكثرة من مكة المكرمة في كل حج وعمرة ...

دموع ترقرقت في عينيها وهي تضم الصورة لقلبها وتهمس " اشتقت اليك يا يونس ، عسى الله ان يمنحني الصبر والسلوان على فراقك يا حبيب القلب ، اشتقت لصوتك الاجش وانت تناديني (قارورتي الاجمل) .... جعلتني حبيبتك وزوجتك وابنتك ... آآآآآاه كم افتقدك ... ورغم عمق الجرح أحن اليك ..."

طرقات على باب غرفتها جعلتها للحظة تبتهج وهي تفكر أنها لابد ان تكون حبيبة فليس معها بالبيت غيرها وباقي الفتيات ذهبن للعرس ..

احلام راودتها ان ابنتها ربما قد أتت لتعتذر اليها عن كل ما بدر او على الاقل تتسامر معها وقد طال اعتزالها عنهم جميعا ...

سارعت ابتهال لاعادة صورة زوجها لمكانها واغلقت العلبة ثم وضعتها في مكانها في الخزانة لتلتفت ناحية الباب وهي تقول بارتعاش مترقب " ادخلي يا ابنتي ..."

لكن حالما فتح الباب أطل وجه آسيا المبتسم وهي تلقي السلام فاصابت ابتهال خيبة الامل !

عقدت اسيا حاجبيها قليلا وهي تسأل ببعض القلق " هل انت بخير امي ؟ "







ردت الام وهي تجاهد لرسم ابتسامة على شفتيها قائلة " نعم حبيبتي بخير ، لقد عدتن مبكرا جدا ! لم اتوقع عودتكن قبل ساعتين او ثلاث ...."

اسبلت اسيا اهدابها لتقول " ساعة واحدة بالعرس تكفي امي ... "

سألت الام بحنو " هل استمتعت الفتاتان ؟؟ "

ردت اسيا وهي ترفع لامها نظرات متوهجة بالفرح " نعم .. رقية كانت في حالة اثارة لاتوصف .."

اتسعت ابتسامة الام وهي تقول برضا " الحمد لله .. كنت دوما اشعر بالحزن لاجل تلك الصغيرة بالذات ، انها لاتعي .... حقا .... ما حصل "

اقتربت اسيا من امها وقد لانت ملامحها باللطف قائلة بنوع من الحزم والاصرار " ما حصل انتهى امي وعلينا ان ننهي توابعه ايضا ، ابي توفاه الله ونحن ما زلنا احياء نواجه الواقع مهما كان بحلوه ومره ، علينا ان لانحمل الامور اكثر مما تحتمل "

ران الصمت المعبر على الام بينما اسيا تسأل

" ألم تخرج حبيبة من غرفتها ؟؟ "

ردت الام وقد كسا ملامحها الهم " لا ... كالعادة ! "





ابتسمت اسيا وهي تقترب اكثر لتضم امها اليها وتقول بثقة " سترين انها قريبا جدا تعود لطبيعتها وتتقبل الواقع كما تقبلناه نحن .."

تنشقت الام رائحة ابنتها المحببة تستمد منها فرحة تعم القلب وتنشر السكينة في روحها لتهمس بعدها " ان شاء الله حبيبتي .. ان شاء الله ...."

بشعور من تعرف انها فعلت شيئا خاطئا اخذت رقية تعضعض شفتيها وتراقب اختها رباب بوجهها العابس الحانق وهي تخلع عنها تنورتها لتبقى بقميصها الملون الطويل وتتحرك نحو حمامهما الخاص ...

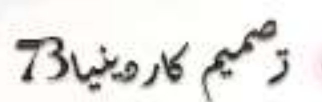
انتظرتها حتى عاودت الخروج فتحت فمها لتتكلم لكن رباب تجاهلت النظر اليها لتتوجه نحو سريرها ترفع اغطيته وتندس تحتها مولية رقية ظهرها ...

تقدمت رقية بتردد نحوها وبتردد اكبر جلست على حافة السرير وهي تنظر لظهر اختها قائلة بهمس مشحون بالضيق " ارجوك رباب كلميني .. انت لم تتوقفي عن تقريعي همسا ونحن في الشارع فلماذا سكتِ الآن؟؟!!! اريد ... مصالحتك ؟ "

عندها هبّت رباب لتستدير نحو اختها الصغرى قائلة بغضب ظاهر " انا غير راضية عن افعالك رقية ، ليس هكذا تتصرف الفتيات المحترمات "









عادت رقية لتعضعض شفتيها وهي تهمس بانكار واهٍ " انا لم افعل شيئا ! "

لكن رباب هدرت بها " بل فعلت ! كنت آخذ الامر انه مجرد لهو عابث بريء منك لكن ان تلاحقيه بنظراتك الصريحة هكذا كان شيئا مخجلا ومعيبا بل مهينا ! "

نكست رقية رأسها وهي تقول بطفولية " انا ... آسفة .. اعلم انك لاتفضلين عبد الرحمن بسبب رفيدة "

رفعت رباب عينيها للسقف في حركة احباط وهي تتنهد كأنها تقول (لاجدوى) لكنها عاودت النظر لاختها وقالت بتركيز :

" انا لااتكلم الان عن عبد الرحمن يا رقية .. انا اتكلم عن تصرفاتك الحمقاء ! سواء كان المعني عبد الرحمن او غيره ..."

احمرت رقية بشدة وهي ما زالت لاتجرؤ على النظر بوجه اختها لتضيف رباب قائلة بتحذير حانق " اياك ان تهدري كرامتك هكذا وكوني مترفعة عن سخافات الفتيات وتصرفاتهن المتهورة مع الفتيان ، هذا معيب وحرام ايضا ... "

انكمشت رقية على نفسها اكثر واكثر فاشفقت عليها رباب لتمد يدها ناحية شعر اختها تلامسه بلطف وتقول بنبرة جدية





" ثم لاتنسي ابدا اننا القوارير .. قوارير العطار التي لاتُكيل حتى بالذهب ! نحن لانرخص انفسنا لاحد ولدينا من احترام الذات ما يجعلنا نتعالى عن افعال رعناء تهدر الكرامة ، هل فهمت ما اعنيه يا متهورة ؟؟ "

تمتمت رقية بخجل فظيع وتذمر محبب

" تبدين ممتعة اكثر وانت تمرحين بطريقتك المجنونة ! "

ردت رباب برقة " المرح لايعني قلة العقل يا رقية .."

رفعت رقية عينيها في عيني اختها لتعترض بقولها المعتاد " انا لست .. قليلة العقل .."

ابتسمت رباب ابتسامة شقيّة ثم اخذت تنقر باصبعها على رأس رقية وتقول " بل انت كذلك اذا استمريت بالعيش بادوار العشق والهوى الخيالية التي تملأ رأسك الصغير ! اليوم عبد الرحمن وغدا فلان وبعدها علان .... "

تنفست رقية بعمق ومالت برأسها لتضعه على صدر رباب وهي تعدها بالقول " حسنا .. اعدك اني لن افعل شيئا مماثلا مرة اخرى .."

لم ترد رباب بينما تمسد على شعرها شقيقتها حتى غفت !





قالت رحاب وهي تخلع قرطيها الذهبيين

" الولدان قررا النوم مع جدتهما ... طبعا ارضاء لجدتهما التي اقنعتهما بذلك .."

لم يرد محسن وهو يخلع سترته ويعلقها في خزانته لكن رحاب واصلت الكلام وهي تخلع عقدها هذه المرة " لااحب ان يتعودا النوم خارج سريريهما ...."

رد محسن ببساطة مغيظة " عندما تريدهما امي ليناما جنبها ينتهي الامر وتنفذ رغباتها دون اي اعتراض ..."

رمت رحاب عقدها ببعض العنف على منضدة الزينة لتلتفت نحو زوجها وتقول بغضب مكبوت :

" لماذا تتعامل معي هكذا ؟! انها مجرد ملاحظة ابديها حول طريقة تربيتنا للولدين ولااقصد بها شيئا ..."

ايضا ... لم ينظر نحوها وهو يخلع قميصه ويعلقه ببرود بينما رحاب ترغي وتزبد !

همست بتحشرج " ما بك محسن ؟! ما الذي يحصل لنا ؟!! "

عندها فقط حصلت على نظراته ويا ليتها لم تحصل !! بدا فيهما شيء وحشي يتصارع ليخرج ! اخافها الامر .. ولاتعلم كيف اخافها بالضبط ...

ثم فجأة بهتت نظراته لتنزل بجذل نحو شفتيها تستقر هناك لاتتزحزح !





ابتلعت رحاب ريقها وهي تراقب انفعالات زوجها بترقب متوتر !

اخذ نبض قلبها يعلو بينما تراه يقترب منها ببطئ .. ببطئ شديد حتى وقف امامها عاري الصدر وانفاسه متسارعة !

رفع يده ببطئ فاحتضن فكها وعيناه ما زالتا مستقريتين على شفتيها ، لامس بابهامه شفتها السفلى وهو يقول بهمس غريب " ما الذي جعلك تسلمين على آسيا العطار ؟! "

فاجأها السؤال ! فلم تكن تظن انه متنبه لها في حفل العرس وقد كان شبه متجاهل لوجودها !

همست بتعثر " انا .. احببت ان .. احاول رأب الصدع بيننا ... اسيا فتاة .. رائعة .."

تضاعفت نبضات قلبها ومحسن يبتسم ابتسامة ساحرة ليهمس بحرارة " شفتاك مشتعلتان اغراء بهذا اللون المتفجر ..."

وفي لحظة مال بوجهه نحوها وخطف انفاسها لتمتد ذراعه الاخرى تضمها بعنف لصدره ..

عندما سمح لها بالتنفس كانت شبه منهارة من هجومه العاطفي المفاجئ وغير المتوقع !

كل ما استطاعت التفوه به هو اسمه ...

بعدها لم تشعر بما يحصل حقيقة وقد فقدت كل شعور بالمقاومة او الرفض او حتى السؤال !





فتحت الحاجة سعاد الباب على بكرها وهي تناديه باسمه " رضا ... بني رضا ..."

تفاجأت الحاجة بمنظر ابنها وهو شبه مستلقي على سريره يعقف ذراعه الايمن خلف رأسه ..

كان ما زال ببدلته السوداء وقد حل ربطة عنقة المخططة وفتح بضعة ازرار من قميصه الابيض ..

لم تكن هيئه ما تثير الاستغراب فقط بل شروده بملامح غريبة ! نوع من الجمود ونظرات مشتعلة بطريقة تثير الارتباك !

نادته الحاجة مرة اخرى وهي تقترب منه

" رضا .. رضا ..."

رمشت الحاجة ذهولا وهي تحدق في ابنها الذي لايشعر بوجودها حتى الآن !!

اصابها القلق وهي تقترب بخطى متسارعة متعثرة لتقول برعب " ماذا بك بنيّ ؟! رضا رد علي ! " عندها فقط رمش متنبها لتتسع عيناه قليلا بمفاجأة وجود امه قربه دون ان يشعر ..

ملامحه عادت لتحمل تعابيره المألوفة وهو يقول بلطف " اسف امي .. لم اشعر بدخولك "

جلست الام بجانبه على السرير وهي تستعيذ باللّه من الشيطان الرجيم وتقول بانفاس متقطعة " لقد اوجعت قلبي يا ولد وانا اناديك وانت لاترد ! "





ابتسم رضا بحنوه المعتاد ومال برأسه ليقبل ظاهر كف امه ويقول " لا ابقاني اللّه على وجه الارض ان اوجعتك يوما اماه .."

شهقت وهي تعاتبه بامومة مفرطة " ابدا لاتقل هذا يا حبيب امك ، والا اوجعت قلبي حقا ، اطال اللّه بعمرك وافرحني برؤية ذريتك الاعز لدي من ذرية كل اخوانك "

كتم رضا تنهيدة تحرقه بينما يبتسم لوجه امه ويقول " حسنا يا حاجة هل تحتاجين لشيء مني ؟"

مدت الحاجة سعاد يدها واخذت تلامس رأسه وهي تسأل على استحياء " كيف كان العرس .. اليوم ... اقصد من حضره .. "

تطلع اليها بطارف عينه وهو يقول بغموض " اعلم من تقصدين ، اجل حضرت.. بنات العطار .. اسيا واختيها رباب ورقية ..."

فسألت امه بتوجس " هل حصل شيء ؟"

رد رضا وهو يعاني الامرين " لم يحصل شيء امي .. اطمئني .. كنّ في حالهن ولم يبقين الا ساعة او اكثر بقليل ثم غادرن .. "

تنفست الحاجة الصعداء بينما تقول براحة " حسنا اعلم انهن مؤدبات جدا وتربيتهن فوق الممتازة ولم اتوقع ان يفتعلن موقفا متشنجا لوجود اختك رفيدة في الحفل .."





لكن مع ذلك قلقت وظلت الوساوس تطاردني ولم استطع النوم قبل ان اطمئن ولم استطع سؤال رفيدة خوفا من تعكير مزاجها وقد عادت مبتسمة باشراق لاول مرة منذ عام كامل .."

اطرق رضا وهو يلتزم الصمت بينما وقفت امه على قدميها وهي تقول ببعض الارهاق " حسنا بنيّ اتركك لتنام وانا ساعود لغرفتي .."

ثم اخذت تغمز بكلتي عينيها وهي تبتسم بفرح طفولي " هناك صغيران حبيبان ساتدفأ بهما الليلة ..."

ضحك رضا بخفة بينما غادرت امه لتتركه يعود تدريجيا لما كان غارقا فيه دون بارقة نجاة منه .... آسيا ... تلك التي يطالب بها القلب باستبداد غيور .. وهو .. ينصاع لاستبداد قلبه برحابة صدر !

(لااعلم كيف سيكون غضبك لجرأتي لكني اتقبل اي شيء ما دام منك .. انا حتى لا اعلم لماذا اكتب لك رسالة باردة على الهاتف وانا استطيع قول كل ما اريد وجها لوجه .. ربما لانك تربكينني حبيبة .. بل يربكني ما تجعلينني اشعر به .. كم اود ان اراك منطلقة ... سعيدة ... مبتهجة بكل ما لديك ... انت انثى خاصة يا حبيبة .. انثى من النوع الذي لايتكرر ...





كم اتمنى ان تدركي هذا وتكفي عن

الاستسلام لغضب داخلي لاعرف اسبابه ...

حتى ... الان ... من يومين وانت بحالة مختلفة

عن اي حالة رأيتك بها سابقا ... صامتة

اكثر من المعتاد وغاضبة اكثر من المعتاد

ايضا ... هل ستخبريني يوما بالسبب ؟؟ هل

ستمنحيني فرصة يا حبيبة ؟؟)

تطلعت مرة اخرى لفحوى تلك الرسالة التي

وصلتها قبل ساعة لااكثر ...

رمت هاتفها على السرير واخذتها خطواتها نحو

منضدة الرسم الخاصة بها ...

جلست على كرسيها العالي واخذت تثبت ورقة

بيضاء جديدة على سطح المنضدة المائل ...

امسكت باحد اقلام الرصاص واخذت ترسم

شخبطات غير مفهومة ... انها وسيلتها للتنفيس

.. تعرف هذا .... احيانا تترجم برسوماتها

انفعالات داخلية لاتدرك وجودها حتى ...

ارتعش راسها وذكرى تفاجئها لصفعة مدوية

في اعماقها ...

اصبحت خطوطها اكثر عمقا وغضبا حتى

اخذت تنهت بانفاسها ! ثم لانت الخطوط فجأة

وبدأت تأخذ شكلا محددا .... صندوق !

صندوق فارغ مغلق بقفل والمفتاح في يد ... يد

بعيدة لاتعرف كيف ترسم وجها لصاحبها

لانها ببساطة لاترى ملامحه في خيالها ... !





اثار من نقاط متفرقة ذهبية لامعة هو ما تبقى على شفتيها المبتسمتين برضا بينما النوم يأخذها بعيدا عنه لتغرق باحلامها ...

في انارة خفيفة قادمة من مصباح منضدي يشرف عليها محسن بجسده مستندا على مرفقه يحدق فيها بنظرات ثابتة ...

لايلمسها مع انه يريد ابتلاعها ! لقد حطمه الاشتياق لها والحاجة للشعور بعاطفتها ... وللحظة تخوف من برود متكرر سابقا سيكتنفه نحوها لكن يبدو ان الشوق انتصر على ترهات العقل وهواجس الشكوك ...

شفتاها تحركتا فتشنج جسده واحتدت نظراته بانتظار متوتر ... ثم .. لاشيء .. مجرد حركات معتادة لشفتيها اثناء النوم دون ان تنطق بحرف ...

حرف ؟!! لا .. ليس حرف ما يقض مضجعه .. بل هي اربعة حروف ... اربعة حروف فقط ....

(وسام) ....

اخذ نفسا حارقا ثم ابتعد بجسده ليستلقي على ظهره وهو يضع ذراعه على جبينه ليعذب نفسه مرة اخرى بذكرى قديمة لشفتيها الحالمتين وهما تنطقان في نومها بتلك الحروف .... اربعة ... حروف ...!





مع الصباح الباكر كان عبد الرحمن يمشي الهوينة على الرصيف شاردا الى حد ما ...

لم يبقَ الا شهران على انهائه امتحانات الثانوية العامة وبعدها يجب ان يحدد وجهته ..

همس لنفسه ببعض القلق " هل سيقتنع رضا بوجهة نظري ليقنع امي ام انه سيرفض بشكل قطعي ؟!! "

تنهد عبد الرحمن بينما يخرج الورقة الصغيرة من جيبه فابتسم بحنو وهو يقرأ طلبات امه من البقالة ، خطها يشبه خط طفلة تعلمت الكتابة للتو !

اتسعت ابتسامته وهو يتذكرها كيف تعافر لتزين خطها وتجعله اكثر جمالا ووضوحا .. وللاسف كل محاولاتها فاشلة !!

" حليب .. بيض .. خبز ... نقانق .. زبدة ... جبنة بيضاء .. اوراق ريحان .. زيتون اسود وزعتر ... لبنه ..... ما هذا هل هي وليمة ام مجرد افطار ؟!! "

كان عبد الرحمن يتمتم بهذه الكلمات وهو يتطلع لطلبات امه لصبيحة يوم الجمعة ..

رفع رأسه بينما يعاود وضع الورقة في جيب بنطاله الجينز وقد اوشك الوصول الى المجمع الصغير في حيّهم والذي يضم عدة محلات صغيرة ،





من بينها بقالة ومخبز ومحل ملابس نسائية رخيصة وصيدلية وورشة متواضعة لتصليح السيارات ..

ارتفع حاجبا عبد الرحمن وهو يرى عن بعد عدة امتار ظهور مميز لفتاة مراهقة رشيقة تحني جسمها للامام وهي تدحرج اطار سيارة !

عرفها من قميصها الملون الذي حضرت به العرس ليلة الامس .. !

كتم ضحكته وهو يفكر " لااصدق انها تستخدم نفس القميص لكل خروجاتها !
وكل ما تغير ان التنورة الانيقة البيضاء حلّ محلها بنطال جينز شبه مهترئ والشعر المفرود بنعومة على الكتفين مغطيا ظهرها بالكامل مرفوع الان كذيل حصان عسلي طويل ..."

لم تكن متنبهة اليه وهي تركز على دحرجة الاطار المطاطي حتى انها وصلت بموازاته وتجاوزته دون ان ترفع نظراتها نحوه ..

لم يقاوم ان يستدير ليتطلع اليها فابتسم بحبور وهو يهمس " كم هي فتاة مبهجة للنظر هذه الـ(رباب) ؟! "

تذكرها ليلة الامس كيف تضحك مع اختها الصغيرة وترمش بعينيها بمشاكسة لكنه لمح ارتباكها اكثر من مرة ، وادرك باشفاق بأنها تعاني بصمت ظهورهن الاول بعد وفاة والدهن ...







اختها رقية بدت اكثر اندماجا مع الحفل حتى انه لمحها تنظر اليه اكثر من مرة وتبتسم ابتسامة جميلة فاشفق عليها هي الاخرى فلا بد انها تحاول التصرف وكأن شيئا لم يحدث !

تنهد عبد الرحمن وهو يعاود الالتفات ليكمل طريقه نحو المجمع وهو يقول " رقية ما زالت طفلة ولاتدرك ما تدركه رباب ، ان ما حدث كان خطأ فادحا ...." اكتأبت نظراته ليضيف " اخطاء كثيرة .. وجسيمة ..."

تراءت له الآن اسيا ... الاخت الكبرى .. كانت تبدو جميلة جدا ومتماسكة امام بعض النظرات المحدقة المراقبة .. الناس احيانا لاترحم .. انهم يجدون لذة لاتقاوم وهم يراقبون دون رحمة هكذا ...

من بعد عشرة امتار كانت رباب قد بدأت تتعرق رغم برودة الجو وهي تتمتم بغيظ " ما الذي أتى بذلك الكائن في هذه اللحظات بالذات ؟!!! الا يفترض ان يكون نائما ؟! " تأففت لتضيف " لقد خرجت باكرا جدا حتى لايراني احد وكاد الامر ينجح ... كاااااااااااد ... لولاه هو ! هل كتب علي ان انام وانا بمزاج معكر بسبب هوس رقية به ثم يعكره بطلّته الكئيبة صباحي ايضا ؟!! "





قال محسن وهو يمسك بيد سامي جيدا "
سآخذ الولدين لاشتري لهما بعض المثلجات "

تطلع رضا بابتسامة لعقيل الصغير الذي يقف
وقفة مهيبة دون ان يمسك بيد والده ثم قال
" حسنا ... لكن لاتنس نصيبنا .."

لوح محسن مبتسما ثم اكمل طريقه نحو
الاسواق بينما دفع رضا باب البيت الخارجي
ليدخل ومعه عبد الرحمن ، كان قد بدأ
يشعر ببعض الراحة بعد ادائهم لصلاة الجمعة
، لكن الامر لم يُجلَ بعد في داخله ...

صمت عبد الرحمن لم يرحه ايضا فقد بدا
ساهما مشغول الفكر ...

حتى محسن كان غريب الاطوار بعض الشيء ،
دوما محسن له عالم خاص وفي داخله يتخذ
هذا العالم اشكالا مختلفة ومتناقضة
لتتمسك بقناع اللطف والوداعة على حدوده
الخارجية ..

فتح رضا باب المطبخ المطل على المرآب وقبل
ان يلقي التحية جاءه صوت زوجة اخيه وهي
تقول بانفعال " ماذا تقولين رفيدة ؟!! "

القى رضا السلام بينما ينقل نظراته بين
النسوة الثلاث حيث ساد الوجوم بينهن ..

بدت امه مرتبكة اكثر منها واجمة ! اما
رفيدة فكانت واجمة مع ملامح اصرار وتعنت
يعرفهما جيدا !





سأل رضا بهدوء " ماذا يحصل ؟! "

تطلعت اليه امه وملامحها تنطق بالرجاء ! لم يعجبه الامر بينما رفيدة لاتنظر اليه وما زالت تتمسك بنفس الملامح ..

اما رحاب فهبت من جلستها على احد كراسي مائدة الطعام في المطبخ لتقول بانفعال " رضا لقد اتيت في وقتك .. لن اصدق انك ستوافق على زيجة تعيسة كهذه ! لااصدق جرأة تلك المرأة لتتصل هاتفيا وتطلب ما طلبته !! "

عندها قالت رفيدة ببعض القساوة " لاتتدخلي رحاب .. انت زوجة اخي هذا صحيح لكن .. لادخل لك بهذا الموضوع "

احمرت رحاب خجلا من اسلوب رفيدة الجاف معها بينما الحاجة سعاد يزداد ارتباكها لتمد يدها نحو كف رحاب تربت عليه وتسترضيها بالقول " لاتنزعجي حبيبتي انها كأختك "

قالت رحاب وهي تطرق بنظراتها " انا منزعجة لاجلها خالتي ، انها تستحق افضل من هذا بكثير "

التفت رضا قليلا نحو عبد الرحمن ليقول بصوت هادئ يغلب عليه الحزم

" اذهب لدراستك عبد الرحمن .."







استاذن عبد الرحمن وهو ينظر نحو رفيدة بقلق بينما امه تقول له " اذهب حبيبي وانا ساعد لك شايا واحضره اليك بنفسي ليساعدك بالتركيز في الدراسة "

ابتسم عبد الرحمن لامه وهو يتحرك ليغادر المطبخ بينما رحاب اخذت تبعد كرسيها لتتحرك وهي تقول بتماسك ودون ان تنظر لاحد " اترككم لتناقشوا الموضوع ، انا قلت رأيي ويشهد اللّه من محبتي لرفيدة وتقديري لها ولكم ..."

غادرت رحاب هي الاخرى بينما اقتربت خطوات رضا من طاولة الطعام حيث تجلس امه واخته ، كانت الام تراقب وجه بكرها وهي تشعر بقلق متزايد ، لاتزال تذكر غضبه عندما تقدم الحاج يونس للزواج من رفيدة فماذا سيفعل الان اذا علم من تقدم اليها ؟!!

تسلطت نظرات رضا على توأمه ليسأل بشكل مباشر وصوت ثابت " يبدو ان هناك من تقدم لخطبتك ، فمن يكون يا ترى ؟؟ "

للحظة ارتعشت شفتا رفيدة وهي تتطلع لعيني رضا المباشرتين ولمحة من هوان كست محياها لكن سرعان ما تمسكت بعنادها لتقول بصلابة " انه الحاج عبد الودود .."

احتدت نظرات رضا بينما سارعت الام لتقول " ان .. الحاج .. سيجهز لها بيت لها بمفردها و زوجته ام حسام سـ..."





قاطعها رضا بصوت لاح فيه الغضب المكتوم " منذ متى المرابي عبد الودود اصبح حاجّا ؟! "

تمردت عينا رفيدة وهي تنظر لاخيها وتقول " هذا كلام الناس فقط ، نحن لانعرف هل هو حقيقة مرابي ام لا ..."

ابيضت شفتا رضا فادركت الحاجة انه وصل اقصى حد من حدود كتمه لغضبه ليقول بصوت هادر " هل تقولين ان والدك رحمه الله كان يكذب بهذا الخصوص ؟؟ ام كانت من طباعه الاخذ بالاشاعات حول سمعة الناس ؟ وحتى دون كلام والدك فمن تدعونه بـ(الحاج) يعترف صراحة بالامر ولايخجل منه مدعيا ان حاله كحال البنوك التي تقدم القروض بفائدة ..."

ابتلعت رفيدة ريقها بينما الام تنظر اليهما بقلق ، لكن رفيدة لم ترضخ لتقول ببعض الصلف " اذن هو كالبنوك فما المشكلة في هذا ؟!! "

ضرب رضا بقوة على سطح الطاولة وهو يقول بصوت جلل " هل تريدين العيش بمال حرام وتتغاضين ايضا عن هذه الحقيقة ؟!! "

تشنجت رفيدة بالكامل بينما يكمل رضا وهو يمسك بتلابيب غضبه المستعر " وان تغاضينا (مثلك) عن هذه الحقيقة فلا اعرف كيف تريدين الزواج برجل تعدى الستين وعرف عنه انه مزواج ، وقد اقترن اسمه باكثر من حالة طلاق مع فضائح في المحاكم ولديه كتيبة من الاطفال ولم تبقى معه الا زوجته الاولى





ام حسام التي تعمل لديه كخاطبة للنساء وساعية لطلاقهن بعد اشهر فقط ..."

دمعت عينا الحاجة سعاد بينما ترى رأس ابنتها ينكس بقهر ويداها تتشابكان في حجرها بألم واضح ...

هدر رضا بقسم غليظ " ورب السموات السبع لن يحدث هذا ما دام النفس في صدري ..."

ثم تحرك مغادرا المطبخ بخطوات نارية وهو يقول من بين اسنانه " سامنعك ولو بالقوة من تدمير حياتك يا رفيدة ... يا الهي ... كلما دفعتك خطوة تتراجعين عشر خطوات ! "

سالت دمعة تتبعها اخرى بينما ترد رفيدة همسا " اي حياة اخي ؟!! اي حياة ؟؟ "

ثم استسلمت للذراعين المكتنزتين لامها الحنون وعلى صدر تلك الام اجهشت بالبكاء لتفرغ ولو لحظيا احباطها وقلة حيلتها ...

من جلستها على كرسي الخيزران في الحديقة الخلفية اخذت اسيا تراقب رباب وهي تبذل جهودا مضنية حتى تمكنت من عمل شقين في جانبي الاطار الضخم الذي احضرته صباحا ثم اخذت وبمساعدة رقية بحشر الحبال عبر هذين الشقين ...

ابتسمت اسيا بجذل بينما تراقب الآن مساعي الفتاتين لتعلقا ما صنعتاه من (ارجوحة) بين نخلتين ضخمتين في الحديقة ..





لتقرر رباب تسلق الشجرة فنادتها اسيا ببعض القلق " احذري رباب .." فطمأنتها رباب بالقول وهي تتسلق باحتراف على جذع النخلة الباسقة " لاتقلقي اسيا ، لقد فعلتها مرارا .."

ضحكت اسيا بخفة وهي تقارن بين اختيها ..

رباب بشعرها المربوط كذيل حصان وقد تشعثت بضع خصلات منه وتناثر غبار الطلع عليه اما ملابسها فقد عفرتها الاتربة وتعلقت بها بعض الحشائش حتى ان قميصها قد تمزق من جانبه دون ان تهتم او تبالي ...

اما تلك الـ(رقية) فقد كانت تحافظ على نفسها الى درجة تثير الغيظ والضحك في نفس الوقت !

شعرها البني على نفس تصفيفته الجميلة وملابسها ذو اللمسة الانثوية الناعمة قمة في النظافة والترتيب ...

كم تبدوان مختلفتين ومتفقتين في نفس الوقت ...

شردت نظراتها بعيدا عن اختيها ليشرد عقلها نحو ما حرمها النوم ليلة الامس ...

اغمضت عينيها وهمسته الحارة تهاجمها بضراوة (مساء الخير) .... لتهاجمها نظرات عينيه بضراوة اكبر ...





تذكرته قبل سنوات ... سنوات تبدو بعيدة جدا ولكنها حاضرة بالذاكرة حيّة باحداثها ..

البارحة استعادت اشياء صغيرة مرت عليها تخص رضا ولم تكن متنبهة لها ، الآن بدأ عقلها يفسرها بطريقة لم تكن تخطر في بالها سابقا ..

(ساصوغ لك اجمل منها) قالها لها بنبرة دغدغت مشاعرها وكأنه وعد عاطفي تماما !

ضحكات اختيها وهما تتأرجحان معا أتتها وهي مغمضة العينين لتجعلها تشعر بالخجل !
همست لنفسها " ما الذي يشعرك بالخجل يا اسيا ؟؟ هل احساسك به ام احساسه بك ؟! "

ارتج جسدها مع صرخة مدوية

" اااه ...."

فتحت عينيها بينما رقية تصرخ بجزع

" رباااااااااااااب ...."





الفصل الخامس

" ابي يريد مفتاح سيارته "

لم يمهلها عقيل اللاهث حتى لتسأل ماذا يحصل قبل ان يلتقط مفتاح سيارة ابيه محسن من موضع تعليقه في المطبخ ثم يعود راكضا للخارج مرة اخرى بينما سامي يخطو بتعثر ناظرا لجدته بانفعال شديد اخرسه وعيناه مفتوحتان على وسعيهما ... وجهه الصغير ملطخ باثار المثلجات التي لوثت حتى قميصه المفضل ...

نادته جدته ببعض القلق " ما بك يا حبيب جدتك ؟ تعال قربي لانظف لك وجهك وقميصك ثم احكي لي ما يحصل ؟؟ "

اقترب سامي من جدته التي امسكت كتفه بيد واخذت تمسح وجهه بمنديل باليد الاخرى فانفكت عقدة لسانه ليقول باندفاع وانفعال شديدين " كنا عائدين من الاسواق وسمعنا صراخا .. صراخا كثيرا مرعبا جدتي ! .. ركض والدي وهو يحملني لبيت الخالة .. اسيا ... "

شهقت الحاجة سعاد وهي تضع يدها على صدرها بارتعاب " ماذا حصل لاسيا ؟! "





هدر صوت رضا فجأة من خلف امه

" ما بها اسيا ؟! "

ارتبك سامي من الوجوه المرتعبة فأخذ يردد بتلكؤ " ليست ... الخالة اسيا بل .... اختها رباب .. وقعت من الارجوحة وآذت ذراعها .. ابي سيأخذها للمستشفى ..."

كان رضا قد وصل الباب المؤدي للخارج في خطوتين بينما امه تتحامل على نفسها لتقف وهي تردد بقلق " سترك يا رب ... سترك .."

كان محسن يحمل رباب بحذر شديد بين ذراعيه مقتربا من سيارته التي اخرجها سلفا من المرآب للشارع وقد عاد ليحمل رباب التي

كانت تكتم صرخات التوجع بشجاعة الصبيان بينما رقية تجهش بالبكاء المرير واسيا تحاول التماسك دون ان تملك السيطرة على دموعها التي انسابت على وجنتيها بينما تحاول تهدئة امها شبه المنهارة واختها الصغرى المرتعبة ...

لم تتصور اسيا ان صراخهن مسموع لهذه الدرجة الا عندما سمعت صوت محسن ينادي وهو يدق بقوة على الباب الحديدي الخارجي للبيت عندها لم تتردد للحظة في الركض نحو الباب وطلب المساعدة منه خاصة ان السيارة قد اخذتها حبيبة منذ الصباح ولاتعلم متى ستعود ولم تأخذ هاتفها حتى ....





هدوءه وثقته بالتصرف منحاها الدعم وبعض التماسك ، وجعلها تمتثل لتوجيهاته وتثق بحسن قراراته ...

" اجلسي للخلف لو سمحت اسيا حتى اضع رباب لتسند جسدها اليك واحرصي ان لا تنضغط ذراعها المصاب ..."

هزّت راسها موافقة وهي تمسح دموعها لتهرول وتجلس كما طلب منها وبينما كان يضع رباب بحذر شديد ظهر لها وجه رضا من خلف كتف محسن ...

اذا كان محسن قد منحها الهدوء والثقة فرضا كان مصدرا لاينضب من الشعور بالاطمئنان .. ان كل شيء سيكون على ما يرام ...

لم تعلم انها بدأت تبكي بنشيج مسموع الا عندما ابتعد محسن ليقترب رضا قليلا نحوها قائلا بملامح قوية " لاتبكي ... ستكون بخير ..."

هزّت رأسها وهي تكاد تشهق بالبكاء كطفلة فلانت ملامحه وفاضت بالكثير الكثير الذي لم تستوعبه ...

قال محسن باسلوب عملي وهو يلتف حول السيارة ليجلس في مقعد السائق " خالتي ابتهال تفضلي واركبي للامام .."

كانت ابتهال مشوشة تماما بينما تعلقت بها رقية الباكية تتبشث بجسدها باضطراب شديد ..





التفتت اسيا ناحية امها لتقول وهي تمسح دموعها " ابقي مع رقية امي ... سنكون... بخير لاتخافي .. لاداعي لذهابنا جميعا ستكون رباب بخير ان شاء اللّه كما ان ... محسن معنا .. وحبيبة قد تعود في اية لحظة فلا تجدنا .... ساتصل بك من المستشفى لاطمئنك ... لاتخافي "

عندها قالت الام بتشوش وهي تنقل نظراتها الجزعة بين بناتها " لكن ... لكن ..."

فاقترب رضا مطمئنا اياها " لاتقلقي يا خالة ساذهب معهم ايضا .. "

تحرك رضا ليفتح باب سيارة محسن فلمح خروج امه المتعثر مستندة لعقيل وسامي فركب في المقعد المجاور لمقعد اخيه وهو يقول " اعتني بالخالة ابتهال امي ..."

انطلقت السيارة بينما الحاجة سعاد تتلقف جسد صديقتها القديمة التي انهارت بين احضانها في بكاء غريب وكأنها تبكي اكثر بكثير من مجرد قلق على احدى بناتها ...

كانت الحاجة سعاد تربت على ظهر ابتهال وهي تطمئنها بالقول " اذكري اللّه يا ابتهال ، اذكري اللّه ..."





لحظات وكان عبد الرحمن ورحاب ايضا في الشارع ليستفسروا عما حصل بينما خلف باب الحاج عقيل الصائغ تقف ابنته الوحيدة متوارية عنهم جميعا لايظهر منها الا جزء من عينها اليسرى بما يسمح لها بالرؤية ...

تراقب الخالة ابتهال وهي تبكي باحضان امها فتنزل دموعها هي الاخرى ربما لاسباب مختلفة ولكن بطريقة ما شعرت ان الألم .... واحد ...!

تلتقط صورها بحرفية وهي تتنقل في انحاء المدينة .. توقف سيارتها على جانب الطريق احيانا لتسير على قدميها مفضلة التقاط الصور عن قرب اكثر تأثيرا ...

لقد التقطت صور لبضع جوامع مميزة بمعمارها الاسلامي وكنائس قديمة اثرية ، المتحف التاريخي باثار مكتشفة لارض قديمة قدم الخليقة ثم متحف الشمع الذي يحكي دون كلمات قصص متناثرة لاهل هذا البلد باجوائه الشعبية البسيطة .....

بعض هذه الاجواء ما زال حيا ، فكانت جولة حبيبة التالية لتلك المقاهي القديمة التي يمتد عمرها لما يقارب المئة عام واصحابها يتوارثوها ابا عن جد ...





وكلما اتى وارث جديد علّق صورته بفخر واعتزاز جنب صور اجداده .... انها ارض الوراثة الذكورية بلا منازع !

الكل يرث ... والكل يفخر بالوراثة وتخليد اسمه واسم عائلته عبر نسل الذكور من صلبه....

اخذت حبيبة صورة مميزة للصبي المراهق الذي يعمل في المقهى وهو يقف بمريلته البيضاء التي يرتديها فوق ملابسه .. مبتسما فخورا حاملا صينية رصّ عليها اقداح الشاي الاحمر كحمرة غروب الشمس ....

ابتسمت له حبيبة بلطف بينما تقبل منه قدحا من الشاي كتعبير عن شكره لانها اختارته لتظهره في اعلان جديد لشركة سياحية ... رغم ان حبيبة لديها شك كبير في مدى استيعاب الفتى لكل ما اخبرته به ...

المهم انه سعيد وهي سعيدة بصورها المميزة التي ستخلق منها عدة اعلانات ضخمة مبهرة....

شكرت حبيبة الفتى على الشاي وهي تعطيه القدح الفارغ بينما يناديها عجوزان بشوشان يلعبان الطاولة طالبين منها ان تأخذ لهما صورة ايضا !

ابتسمت حبيبة وهي تحقق لهما مطلبهما فكانت صورة مميزة بحق جعلت ذهنها يتفتق بمزيد من الافكار ...





بعض الشباب المتسكعين قرب المقهى اخذوا يرمون لها كلمات فجّة كنوع من الغزل البذيء فتصدى لهم الفتى ليلحقه صاحب القهوة فيطردهم وهو يتعذرن حبيبة لكن عينيّ الرجل كانتا تحملان نوعا من اللوم لتواجد فتاة مثلها هنا !

اخفت حبيبة امتعاضها من نظراته المؤنبة ردا لجميله على الاقل ، لكنها كانت حقا ممتعضة من هذه الافكار السائدة حول ضعف النساء والتي تسكن عقول الرجال بمجملهم ! لكن منظورهم لهذه الافكار ينقسم لنوعين ، النوع الاول يراه انتقاصا بعقول النساء فيستغل - ما يعتقده - من هذا الضعف لينفش ريشه ويستخدم اغوائه سعيا لاصطياد ضحية ترضي متعته القذرة او قد يكون اكثر صراحة ووضوحا بسعيه فيعتمد التحرش المباشر اللفظي والجسدي ليتمادى البعض للضرب والاغتصاب ، اما النوع الثاني فينفش ريشه ايضا لكن... ليفرض حمايته قسراً وتحجيما للانثى تبعا لذلك الاعتقاد الراسخ حول كون المرأة ضعفا يجب اسناده بقوة الرجل الازلية !!

لم تهتم يوما بالتحرش اللفظي الذي تتعرض له باستمرار خاصة مع انتشاره كثيرا هذه الايام ، انها تتجاهله تماما وكأنها لاتسمعه ! تعتبره مجرد ذبذبات مزعجة تتواجد في المكان حالها كحال اي ذبذبات اخرى.. مروحة .. جهاز التبريد .. اجهزة الطباعة ...





اي نوع من الاصوات التي تعودت على تجاهلها لتركز في عملها ... نوع من الانعزال الاختياري عن محيطها مع اعطاء واجهة باردة تكفيانها لتحصل على ما تريد ... انها لاتحتاج للحماية .. الرجال هم من يحتاجون للشعور انهم عظماء بحمايتهم للنساء ... النساء ... الكائنات الاضعف في السلسلة البشرية ...

تحركت حبيبة مودعة لصاحب المقهى وصبيه بعد ان شكرتهما ومقصدها هذه المرة الاسواق الشعبية ....

اسواق عامرة ... دوما كانت عامرة ومميزة بروائحها المختلفة وروادها المتنوعين ...

سوق الصاغة والحلي الذهبية المتلألئة بزبوناته من الاناث اللواتي تلتمع عيونهن شغفا احيانا بما اشترينهن وحسرة مرّة لما لم يستطعن شراءه !

رائحة هذا السوق عجيبة ! انها فقط رائحة البشر .. روائح متغيرة على الدوام تعكس انماطا مختلفة من رواده .. كل حسب مقداره وقيمته وطريقة اعتنائه بنفسه ...

مرت امام عينيها لوحة مذهبة مميزة (محلات عائلة الصائغ) حيث كتب تحتها بخط اصغر (من الاجداد الى الاباء ليتسلمها الابناء) ... بحرفية متمكنة اخذت حبيبة الصور المناسبة للمحل بمصوغاته الذهبية المميزة ...







عندما تعمل تسيطر عليها حرفيتها واي عاطفة تتراجع خلف جدار عازل .... رغم انها تعمل بكل عاطفية لكن بروح وفكر حبيبة المصممة لا حبيبة الانسانة ...

تحركت حبيبة تاركة سوق الذهب لتأتيها روائح النحاس .. انه سوق المصنوعات النحاسية الصفراء والبرونزية التي تنافس الذهب بريقا دون ان تجرؤ على مجاراته قيمته! ثم روائح الفخار وبعدها رائحة الاقمشة والوانها المتنوعة واصوات اصحاب هذه المحلات التي تناغش النسوة بمعسول الكلمات اطراء مبالغا فيه، في ظاهره يبدو موجها للنسوة لكن في باطنه لايعدو ان يكون اطراء للاقشمة بحد ذاتها ...

اخذت حبيبة نفسا عميقا واجفانها تسترخي تلقائيا وقد هلّت عليها رائحة المسك والعود ثم البخور لتمتزج بكل انواع البهارات ...

انه سوق العطارة ....

غصة خنقتها لكنها وبارادة صلبة دحرت تلك الغصة لتتحرك في دروب هذا السوق وغيوم من الروائح تحاوطها ...

لم تشعر الا وقد غرقت في ذكرى قديمة ...

في غرفة الجلوس واحدى امسيات السمر يوم الخميس مع والدهن ...





كعادته يصر على اجلاس امهن بجانبه بينما اسيا المبتسمة باكتفاء يجلسها على الجانب الآخر لافًا ذراعه القريب حول ظهرها يضحك من قلبه على فكاهات تطلقها رباب بينما رقية تبدي بعض الغيرة والحنق لانه لايضحك على فكاهاتها بنفس الابتهاج ! لتقف ..هي.. حبيبة ... على بعد خطوات شامخة .. مرفوعة الرأس ... مبتسمة بفخر تراقب عائلتها بفرح داخلي تفتقده الآن .....

اطبقت حبيبة فكيها بقوة لتتذكر كلمات والدها التي كان يصف بها بناته فيزرعها زرعا في ارواح قواريره (اسيا .. حبات الهيل الاخضر تطرد اي روائح خبيثة فتنعش الحياة بطيبها وترسم بسمة الرضا بأريجها ، حبيبة .. فلفلة حمراء حرّاقة من يريدها يتحمل لهيبها فيدرك بعدها اهمية ما جنى ! رباب هي اعواد القرفة ... ملكة البهار ... رائحة مميزة بينهم جميعا مع لسعة محببة فيها الشفاء ...) فتعترض رقية بتذمرها الطفولي (وانا ابي ؟!! هل نسيتني ؟!) فيضحك من قلبه ثم ينظر اليها بحب مدله قائلا بصوته الشجي (انت نالك من كل واحدة نزر يسير ثم مزجناه بالعسل فكنتِ خلطتنا السحرية يا كل الرقة)

فتضحك رقية بفرح غامر وتقفز بطفولية مفرطة ...

" انسة حبيبة ! ماذا تفعلين هنا ؟! "





التفت حبيبة لصاحب صوت تعرفه وتألفه منذ الصغر لتتمالك نفسها وتمسك سيل ذكرياتها وتقول بابتسامة واهية " مرحبا عم ابو عبد اللّه .. كيف حالك ؟"

فيعتذر ابو عبد اللّه قائلا " اسف يا ابنتي لم اسلم عليك كما يجب لكني قلقت عندما رأيتك هنا من شباك المحل ، فاليوم هو الجمعة حتى اسيا لاتحضر هنا لتقضيه معكن ..."

لمحة حنان أسرت قلبها باحساس عفوي ...
هذه هي آسيا ... حبة هيل خضراء .....

تحشرج صوتها وهي تطرق براسها قليلا وتقول " حسنا يا عماه ، اعذرني يجب ان ارحل فما زال لدي عمل لاكمله فانا اصور الاسواق الشعبية من اجل اعلان جديد "

تبسم ابو عبداللّه وهو يقول بحنو " يسر اللّه لك امرك يا ابنتي ، واذا احتجت لشيء اخبريني انا موجود في المحل طيلة اليوم .."

تمتمت حبيبة بما يشبه الشكر لتتركه وتكمل دربها بينما ابو عبد اللّه يتطلع اليها ببعض القلق ، فملابسها ليست لائقة لاسواق شعبية ذات طابع متحفظ ، صحيح انها لاتظهر جسدها لكن الفتاة ملفتة بجمالها المختلف عن المألوف هنا ..





قالت سعاد والهم ينضح من نبراتها " كلميها بدرية ... منذ الصباح وهي ليست بخير .. لقد عجزت عن جعلها تفتح لي الباب حتى ! رضا غاضب منها منذ الصباح بسبب موضوع عبد الودود فلا اجرؤ ان اطلب منه ان يكلمها بنفسه "

ردت بدرية وهي تضع فنجان قهوتها على طاولة خشبية قريبة " ولدي معه حق بغضبه من اخته ! كيف تفكر حتى ان تقبل بذلك المرابي الجشع ؟!! هل جنت ؟؟ ..."

تنهدت سعاد من اعماقها بينما بدرية تضيف موبخة لها " وانت يا سعاد كيف تسايرينها فيما تريد ؟! الحاج يونس وسكتنا وقلنا رجل ذو اصل وشرف ، اما هذا الكريه كشجرة خبيثة تطرح السحت ثمارا لها فكيف ترضينه لابنتك ؟!! "

ترقرقت الدموع في عيني سعاد وهي ترد على صديقتها المقربة وعشرة سنين طويلة " انها ابنتي يا بدرية .. ابنتي التي لااطيق انكسارها الذي يدمي القلب ..."

زفرت بدرية وهي تمد يدها لتربت على يد سعاد وهي تقول بهدوء " الزواج قسمة ونصيب يا سعاد فان لم يكن لها نصيب فيه لماذا لاتبحث عن نصيب اخر لها في الحياة ، الله لم يخلقنا فقط لنتزوج وننجب ، هناك من يكون لهم نصيب اخر من الدنيا ينفعهم في اخرتهم .."





مسحت سعادت دمعة فرّت من عينها لتقول باحباط " ماذا افعل وقد عجزت ان اساعدها او ادفعها لتفعل شيء اخر .. حتى اخوتها عجزوا ! انها فتاة عنيدة جدا يا بدرية .. لاتسمع لاحد الا صوت عقلها فقط .."

التزمت بدرية الصمت وبدا عليها التفكير بينما تردف سعاد بحسرة " بعد ما حصل مع الحاج يونس اشعر انها انكسرت اكثر ، تبدو كأنها غريقة تبحث عن قشتها المفقودة ..."

اخذت بدرية تتحرك في جلستها على الاريكة لتقف على قدميها وهي تقول بهدوء " حسنا يا سعاد ... ساحاول ان اكلمها بنفسي ... علينا ان لانيأس لنجد لها مخرجا ..."

قرعت الحاجة بدرية على باب غرفة رفيدة وهي تقول بحنان امومي " افتحي الباب يا رفيدة ، انا خالتك بدرية .."

مرت لحظات وبدرية تسمع صوت خطوات الفتاة من خلف الباب فتنفست الصعداء عندما سمعت قفل يدور ثم فتح الباب ليطل وجه رفيدة المبتئس هامسة بنبرة باهتة

" مرحبا خالتي .."

تبسمت الحاجة بدرية لتقول ببهجة تميزها

" يا روح خالتك .. هل تسمحين لي بالجلوس معك قليلا ؟؟ نتسامر لوحدنا دون ان تحشر امك انفها في كل كلمة ..."





غامت عينا رفيدة بالاسى لكنها اكتفت بأن هزّت رأسها بالقبول وهي تتنحى جانبا لتسمح للحاجة بدرية بالدخول ....

حالما جلستا على جانب السرير قالت رفيدة بأسى متفاقم " تريدين الكلام عن الحاج عبد الودود اليس كذلك خالتي ؟ "

حنقت الحاجة بدرية قليلا وهي تقول

" لاحول ولاقوة الا بالله .. يا ابنتي لاتدعيني احمل ذنب الرجل ! لكن لوجه الله ارأفي بي ولاتناديه بـ(الحاج) امامي حتى لاافقد صبري وتحكمي بلساني ..."

نكست رفيدة راسها فشعرت بدرية بكل انخذالها ويأسها ....

قالت لها بحنو ممزوج بالتأنيب " كيف لمن تزوجت الحاج يونس ذو السمعة العطرة والرجولة المميزة ان تقبل الزواج من رجل كهذا ؟!! "

شعرت بدرية ان توتر مريب يسيطر على رفيدة ورعشة غريبة انتابت الفتاةبينما تنكس رأسها اكثر ! اكملت بدرية بحذر وتمهل وهي تحاول استيضاح الصورة بطريقتها " اعلم انهما كانتا ليلتين فقط لكن رجل كالحاج يونس يكفيك فخرا انتمائك اليه ، لقد كان رحمه الله من معدن اصيل بوجهه السمح وطيبته وانسانيته وحبه لبناته "





فجأة همست رفيدة بحدة

" و لأم بناته ...! "

ضيقت الحاجة بدرية عينيها العسليتين بتركيز ثم قالت مستفزة رفيدة

" نعم ... لقد كان يحبها .. "

عندها رفعت رفيدة وجها قاسيا لتقول بشفاه شاحبة " وظل يحبها لاخر نفس فيه ..."

تطلعت الحاجة بدرية بتمعن لملامح رفيدة تدرسها وتدرس تلك النظرات التي تفيض بألم جرح عميق ! قالت الحاجة

" كلامك غريب ... رفيدة .."

عندها ادارت رفيدة وجهها جانبا لتهمس بنبرة ميتة " لاتبالي بي خالتي ..."

حاوطتها الحاجة بذراعها وهي تقول بحنان مشجع " كيف لاابالي يا روح خالتك .. كلامك يقطر... أسى .. وغضب ! "

شعرت الحاجة بتشنج شديد في جسد رفيدة الضئيل ، بدت وكأن المشاعر الحبيسة تقتاها وتقتلها ببطئ !

اخذت الحاجة بدرية تدلك ظهر رفيدة بكفها وهي تسألها بتأن " هل .. حدثك الحاج يونس عنها ؟ اقصد عن ابتهال ؟؟ "

توتر رفيدة تصاعد وتصاعد بينما تزم شفتيها بقسوة !





قالت الحاجة بدرية بجدية " رفيدة ثقي بخالتك بدرية ، انا قادرة ان اساعدك .. فقط اخبريني بما يقض مضجعك ويجعلك بكل هذا الانكسار ؟؟ "

فجأة التفتت رفيدة نحو خالتها وقد اشرقت عيناها بالدموع لتسألها باندفاع متفجر " هل انا قبيحة خالتي ؟ منفرة .. الى درجة تمنع اي رجل للتقرب مني ؟؟ "

شهقت الحاجة وهي تقول باستنكار عفوي للفكرة " معاذ الله ... من زرع بك هذه الافكار السخيفة ؟! "

كان صدر رفيدة يعلو ويهبط ودموعها تهطل بينما مشاعرها المحطمة ما زالت حبيسة نظراتها تأبى التحرر الكامل لتعبر عن نفسها واسبابها ....

رمشت عينا الحاجة بدرية وهي تحاول ان تستوعب الاشارات التي تلتقطها كانثى من انثى اخرى يمزقها الشعور بالهوان والذل .. الشعور بالرفض!!!

سألت بدرية وقد بدأت افكار معينة تتشكل في رأسها " ماذا تقصدين بالتقرب يا رفيدة ؟؟ "

تحركت شفتا رفيدة لكن .. رفضت الكلمات التسربل اليهما .. عيناها البالكيتان كانتا تتوسلان الفهم دون مزيدا من الذل ......





عندها سألت الحاجة بشكل واضح ودون اي مواربة " صارحيني رفيدة وبقول مباشر .. هل الحاج يونس عاشرك ؟ "

شعرت ان الفتاة ستختنق وكأنها في مخاض ولادة متعسرة ! واول الفرج هل مع كلمة مسحوقة بالقهر " لا ..."

اتسعت عينا الحاجة بالادراك بينما الكلمات تتحرر الواحدة تلو الاخرى

" لم ... يحتمل ....مقاربتي ..."

همسة خرجت من فم الحاجة دون ان تشعر

" يا الهي .."

بينما رفيدة افلتت زمام سيطرتها على ما تحبسه عميقا في صدرها ولعام كامل .....

قالت وهي تنشج ببكاء ناعم وملامح منهارة

" الليلة الاولى... تركني ! وقال لي ... ارتاحي الليلة .. نام .. في الغرفة الا....خرى ..."

اخذت تشهق وتطلق الاعترافات المذلة لانوثتها " صباح اليوم التالي .. كان .. حانيا .. رقيقا في تعامله ... لكن .. دون ان يمسني ولو بطارف اصبعه ! ... كان متوترا .. متباعدا .... يا الهي لم ينظر... الي حتى وهو يشاركني الطعام !! .... وفي الليل ... في الليل..."

بكاؤها تعالى فبدا اشبه بالصراخ المكتوم فحمدت الحاجة بدرية ربها انها اغلقت بنفسها الباب فلا تريد لاحد ان يدخل عليهما ويرى رفيدة بحالتها المنهارة هذه ...





الواقع الحاجة بدرية نفسها كانت تتمالك اعصابها بشق الانفس بينما تستوعب ما خفي من حقائق ... اللّه اعلم ما الذي ستسمعه بعد ؟!!

اخذت الحاجة بدرية تضم جسد رفيدة المتقلص وتكلمها برقة وتشجيع " اهدأي حبيبتي .. اهدأي واخبريني بكل شيء ..."

كان رأس رفيدة على صدر الحاجة بدرية الآن وهي تلفظ المزيد من الآمها " في .. الليل ... لقد .. حاول .. حاول ان يقـــ...بلني ولم .. يستطع ... حتى افلت منه .. اسمها .. ابتهال .. عندها ... كل شيء توقف ... "

عادت لتشهق بالبكاء وجسدها ينحسر اكثر في احضان الحاجة وهي تقول بتقطع " لم ار في ...حياتي بؤسا ... كالذي رايته على.... وجهه وسكن محياه ... ابتعد عني ... كالملـ..سوع ... لم يتحمل حتى ...النظر لوجهي ... اعلم اني لست ....جميلة ... لكني .. لست منفرة لهذا الحد ... اليس كذلك خالتي .. لست منفرة .... قميئة ..."

كانت الحاجة بدرية تمسد على شعر رفيدة لتقول لها باشفاق داخلي " استغفر اللّه العلي العظيم ... يا ابنتي .. فقط اكملي ما حدث ولي كلام اخر معك ..."





اصبح الكلام يخرج بسلاسة كئيبة من فم رفيدة وهي تكمل دون مقاومة " اخذ يردد اعتذارات واستغفارات دون ان افهم جيدا ما يقول ... ثم تركني..! تركني وخرج من الغرفة.. !! بعد ساعة من الذهول الذي جمد اطرافي لملمت جراحي وتحركت لابحث عنه ، وجدته في الغرفة الاخرى ، رايته من شق الباب .. كان ... يجلس على السرير يسند كوعيه لساقيه مخبئا رأسه بين كفيه ... لقد كان ... يبكي ! "

همست الحاجة بتأثر بالغ " يا اللّه ! "

لكن رفيدة لم تتنبه لردة فعل الحاجة بدرية بل كانت منغمسة بسرد ذكريات عايشتها بمفردها كل يوم ولعام كامل ....

" كان يبكي ويردد كلمات متفرقة (ماذا فعلت ... رحماك يا رب ... اغفر لي ربي .. سامحيني قارورتي ... ماذا فعلت ؟؟ ماذا فعلت ؟؟ ... خدعتني الدنيا بطمع ان اخلد اسمي عبر صبي من صلبي فظلمت نفسي يوم ظلمت شريكة عمري ... كيف ابدلك باي شيء ... باي شيء ... كيف يا حبيبة القلب ....) "

سكنت الانفاس ليحط الواقع المرير حملا ثقيلا عليها ... اصبحت الكلمات تخرج همسا من فم رفيدة حاملة رائحة الذل " كل كلمة مزروعة في عقلي وقلبي خالتي .. كل كلمة خنجر خبيث مسموم يطعن اشلاء انوثتي وينشر سمه ببطئ في اعماق روحي ... كل يوم .. اتذكر كلماته ..





كل يوم اعيد شريط تلك الليلتين التي انتهت بأن عدت اليه عند الفجر لاجده نائما بنفس ملابسه ... كان دامع العينين رقيق المحيا ... ثم ادركت خلال لحظات انه لم يكن نائما بل .. ميتا ...."

اخذت الحاجة بدرية تضمها لصدرها اكثر واكثر وهي تقول بحنان امومي متدفق " يا لهف قلبي عليك يا ابنتي ... اعلم انك عانيت الامرين فما مررت به ليس سهلا ابدا .. لم يكن عليك كتمانه وتحمله بمفردك ... " كان جسد رفيدة قد تحول لخرقة بالية بين ذراعي الحاجة فاخذت تمنحها الدعم وتشد ازرها ببعض الحقائق " انت بلا خبرة في الحياة حبيبتي ، وكله بسبب انغلاقك على نفسك ، بقليل من الخبرة كنت ستعرفين ان الحاج يونس لم يكن يرفضك انت بل كان يرفض خيانة زوجته ، للاسف هو لم يحسب حساباته بشكل جيد ربما كان من حقه الحصول على ولد يخلد اسمه واسم عائلته لكنه لم يحسب حساب طول عشرته لزوجته وتعلقه بها اللذين غلبا في النهاية ..."

عادت رفيدة للبكاء لكنه بكاء من نوع مختلف وكأنها تطبطب على جروحها لتخرج قيحها على مهل عسى ان تندمل يوما وترتاح ..

واصلت الحاجة همسها الحنون " ابكي حبيبتي .. ابكي حتى ترتاحي .... فليفرج الله همك وكربك "





اغلقت الحاجة بدرية باب غرفة رفيدة على مهل حتى لاتصدر صوتا وتقلق منامها الذي حصلت عليه بعد موجة بكاء حار من الاعماق ...

" امي بدرية ! "

سمّت الحاجة باجفال ثم اغمضت عينيها وهي تضع يدها مكان قلبها وتقول بتانيب

" اجفلتني يا ولد ! "

عبس رضا قليلا وهو يتساءل " امي بدرية ... ما الذي كنت تفعلينه بغرفة رفيدة ؟!! "

رغم السر الذي اكتشفته بدرية قبل دقائق وقد اثقل صدرها بالهم وارهق ذهنها لتجد له منفذا ليجلو عن صاحبته الا انها بحنكتها

اخفت عن رضا ما يجول في خاطرها وادّعت الحنق وهي تعقد حاجبيها قائلة " هل تحاسبني يا ولد لاني كنت اتسامر مع اختك ؟!! "

اطرق رضا وهو يقول بفكر مشتت " عفوا امي .. لكني استغربت وجودك هنا في هذه الساعة من الليل ، ليس من عادتك ... "

غامت عيناها بالحنان وهي تمد يدها لخده تربت عليه وتقول " ما بك يا حبيب امك ؟ لاتبدو على طبيعتك ..."

مرر رضا اصابعه في شعره وهو يتنهد ويقول

" فقط ..مشغول البال .... امي .. "





ابتسامة صغيرة مرت على شفتي الحاجة قبل ان تقول بمكر خفي " هل اخت اسيا بخير الان ؟ "

تنحنح رضا قبل ان يقول بتحشرج " نعم .. انها بخير .. ستبقى هذه الليلة في المستشفى لزيادة الاطمئنان لان حرارتها ارتفعت قليلا "

كتمت الحاجة ضحكة مشاكسة لتقول بدل ذلك وهي تتنهد بشكل مبالغ فيه " هذه الفتاة اسيا غير محظوظة ابدا ... "

رفع رضا راسه بقوة وتطلع بعبوس للحاجة بدرية متسائلا " لماذا تقولين هذا امي ؟؟!! "

اسبلت اهدابها وادّعت البراءة والعفوية وهي تقول " كنت عازمة على زيارة امها عصر اليوم وانا احمل لها طلبا للزواج من عريس لايرفض!"

وكأن احدهم لكمة في معدته مباشرة ودون سابق انذار ! تعرق جسده كله بينما داخله ينتفض بغضب اعمى جمده تماما ...

اكملت الحاجة بدرية وهي مستمتعة بما تفعل " ام طارق جُنّت بها هي ليلة الامس عندما رأتها بعرس ريم ولم تكف عن الاتصال بي منذ الصباح الباكر تطلب وساطتي لتطلبها لابنها ، انت تعرف ان الفتاة قد رفضت اكثر من عريس وام طارق تخشى الرفض لابنها ايضا رغم كل مؤهلاته التي تجعل الفتيات يلهثن وراءه..."





طال صمته المتشنج المشحون ، صمت يحكي الف حكاية وحكاية بينما الحاجة كانت تتطلع اليه بتركيز تصارع ذهولها وانبهارها ! همست في سرها " كيف لم اتنبه لمشاعرك من قبل ؟ كيف استطعت اخفاء الامر عنا جميعا طوال هذه السنوات ... يا حسرتي عليك وانت تعاني كل هذا دون شكوى !! لم اصدق تلك المشاغبة ثريا كنت اظنها تمازحني وهي تخبرني بعشقكَ لابنة العطار الكبرى !! يا الهي كيف ارتبطت وتوأمك مع عائلة العطار بهذا الرباط الوثيق المحير ؟! تقطعه رفيدة بوصالها المرفوض وتوصله انت بقلبك الذي لاينسى محبوبته ..."

في لحظة قررت الحاجة ان تخطو خطوة اكبر فقالت بلهجة موحية " هذه الـ(آسيا) جوهرة ! وتستحق رجلا يقدر قيمتها ويحفظها"

اهتز رضا وعيناه تشتعلان وهما تحدقان في مرضعته التي ابتسمت له ابتسامة مغيظة محببة وهي تكمل مركزة على كل كلمة " الغبي ... اجل (الغبي) فقط من يفرّط بفرصة الحصول على هذه الجوهرة ويحتاج لضربة على رأسه بمقلاتي القديمة الثقيلة التي ورثتها عن امي ! لو لم يكن ابني عبد اللّه يحب زميلته في العمل ويريد الزواج منها لحظي مني بتلك الضربة على أم راسه وبعد ضربه كنت فعلت المستحيل لاجعلها من نصيبه رغما عنه ..."





لم تشعر الحاجة الا بخطوات رضا الهادرة وهو يبتعد عنها ويقول بانفاس ثقيلة " اعتذر امي بدرية يجب ان اخرج حالا ! "

ابتسمت الحاجة بمكر محبب وهي تتجه بالاتجاه المعاكس نحو السلم هامسة بحنو " تحرك يا فتى وافرح قلبك بامتلاك من تحب ، لمرة واحدة في حياتك فكر في نفسك واسعَ لاقتناص نصيبك ولاتخف فامك بدرية من ورائك وستحل لك كل العقبات باذن اللّه "

" امي .. هل .. هل تعتقدين ان هناك من يدفع ثمن اخطاء غيره ؟؟ "

ارتفع حاجبا حبيبة دهشة لتنظر عبر المرآة الامامية لاختها الصغرى رقية التي كانت طوال طريق العودة تضع رأسها على صدر امها ..

ردت الام ببعض الشجن " اجل .. هناك من قد يدفع ثمن اخطاء غيره دون ان يكون له اي ذنب ! "

شعرت حبيبة بالاختناق ودون وعي داست على عتلة الوقود لتزيد سرعتها بينما يصلها صوت رقية شبه الباكي " اذن فـ.... رباب .. تدفع ثمن .. خطأي انا ؟!! هل يعقل انها وقعت وآذت نفسها متلقية عقابا من اللّه بدلا عني وانا التي تسرف بارتكاب الاخطاء وهي من تنصحني وتمنعني "





سارعت الام لتهدئها بالقول " لا حبيبتي حاشا لله ان يعاقب انسانا دون ذنب ، انه الحاكم العادل ، انا ... لم اقصد هذا .. لم افهم سؤالك بهذه الطريقة ..."

لكن رقية اخذت تشهق بالبكاء وتقول " لا .. امي انا السبب .. لقد قالت لي ان بعض اعمالي حرام وسيعاقبني الله عليها ..."

اخذت الام تمسح وجه ابنتها وتهمس بحنان عذب " يا صغيرتي الرقيقة ... ماذا تعرفين عن الذنوب وارتكابها ؟! انت ما زلت صغيرة جدا ليعاقبك الله ، سبحانه الحنّان المنان ، رفيق بعباده لطيف بهم ... رحمته سبقت غضبه ... يغفر ويرحم ويسامح ...وانت يا كل الرقة ما زلت تتعلمين الخطأ والصواب ..."

ضمت رقية نفسها اكثر واكثر لصدر امها بينما تهمس برجاء " دعيني انام جنبك الليلة امي .. ارجوك ... "

اخذت الام تمسد على شعر ابنتها والحنان يتدفق منها هامسة " كما تشائين حبيبتي وان اردت ان اقص لك حكاية ايضا سافعل .. "

ضحكت رقية بطفولية لتقول بهمس خجول " حسنا ساطلب منك حكاية خاصة .. خاصة جدا ..."

ابتسمت الام وهي ترد " اطلبي ما شئت .. "

كم مضى على اخر مرة نامت فيها على صدر امها ؟!! تستنشق تلك الرائحة المحببة فيها ..





طوال طفولتها كانت تظن ان امها وحدها من
تملك رائحة خاصة محببة لكنها اكتشفت
ان كل الفتيات يعشقن رائحة امهن وكل
واحدة تظن ان رائحة امها متفردة عن غيرها !

همست حبيبة في سرها بشعور كئيب " ماهذا
الذي يضيق عليك الخناق يا حبيبة
ويشعرك بالوحدة ؟؟ هل هو افتقاد فقط
لرائحة امك التي خذلتك بضعفها ام هو
افتقادك لموقعك بين اخواتك البنات ...

في المستشفى رباب المتوجعة من ذراعها
المجبّر كانت تتحامل على المها لتضحك في
وجه امهن تطمئنها انها بخير ثم تمازح اسيا
انها تشخر بالليل وستحرمها النوم وتشاكس
رقية انها السبب بسقوطها لانها لم تربط
الحبل جيدا بالاطار ، كنّ يتضاحكن وكل
واحدة تؤازر الاخرى دونك انت !! انت التي
كنت تجلسين على كرسي بعيد تدّعين
معاينة الصور التي التقطتها بكاميرتك هذا
الصباح بينما اذناك تلتقطان كل صغيرة
وكبيرة يتفوهن بها ! "

راقب عبد الرحمن من شرفته عودة سيارة بنات
العطار ، زفر متضايقا وهو يتطلع لدخول
السيارة المرآب ثم ترجل حبيبة اولا لتلحقها
الخالة ابتهال والصغيرة رقية ...





اذن رباب ستبقى حقا هذه الليلة في المستشفى كما اخبره اخواه واختها اسيا ستبيت معها ...

نسيم بارد داعب وجهه فاغمض عينيه ينشد طرد ذلك الشعور بالضيق الذي يكتنفه ... اشعة ملونة تتدفق لخيالاته ، خصل شعرها ذلك الصباح تدور وتطاير بفرح ... لايتخيلها ابدا بجبيرة بيضاء تلف ذراعها بينما جسدها الرشيق يضطجع على سرير المستشفى الباهت .... انها فتاة خلقت للفرح معجونة بالمرح ... فتح عينيه فعاوده ظلام الليل وسكونه الكئيب ! تنهد بينما شعور بالندم يسيطر عليه لانه لم يجد حجة مناسبة للحاق بهم في المستشفى والاطمئنان عليها بنفسه ...

لكن ... الكثير من الموانع تقف في وجهه وتكبل اي انطلاقة لرغباته ....

عوده الضيق وسيطرت عليه الكآبة فاستدار مغادرا شرفته عائدا لغرفته وهو مستغرق بالتفكير ...

منظر الخالة ابتهال وهي تبكي اليوم في احضان امه حفر عميقا براسه ومسه في الصميم ... شعر بالخجل بل الخزي !!

خزي سيرافقه طيلة حياته لكل ما فعلته عائلته بـ...عائلة العطار ...!





"ماذا يحصل له ؟!! لماذا يرد علي ببرود ؟؟ يا الهي لم اعد اطيق تقلبات مزاجه ... حقا لم اعد اطيق !!

البارحة جعلني ... جعلني اشعر وكأني .. عروس ... عروس في ليلة زفافها وعريسها متلهف كالمجنون اليها ! اذن ..ماذا حصل ؟؟ "

اخذت رحاب نفسا عميقا وهي تلملم غرفة المعيشة الخاصة بجناحهم وتلك التساؤلات تثقل عليها ولاتجد لها اجابات ....

قالت لزوجها الجالس على الاريكة والمتلاهي عنها بالنظر لحاسوبه " محسن سآخذ الولدين غدا بعد المدرسة واذهب معهما لبيت امي نتغدى هناك ومنها سنخرج عصرا لبيت خالتي سميرة "

هل تشنج ام انها تتخيل ؟!! مع ذلك لم يرفع عينيه عن شاشة الحاسوب بينما يسأل

" وماذا تفعلين في بيت خالتك ؟! "

اغاظها سؤاله البارد ! فقالت بحنق " اذهب لزيارتها كما يفعل كل الناس وهم يتزاورون ! وكنت اتمنى لو تحضر انت ايضا متناسيا ضيقك منها ! "

رد بنفس البرود وهو ما زال يتطلع لتلك الشاشة اللعينة " وماذا افعل انا هناك ؟! بعد وفاة زوجها وسفر ابنها المتكرر كطيار لم يعد مناسبا ذهابي وجلوسي وسط النسوة ! "





ردت رحاب بعفوية وهي تنحني ارضا لتلتقط لعبة لسامي " وسام سيكون موجودا غدا فقد عاد من رحلته ليلة الامس "

لم تتخيل انها حالما سترفع جسدها ستواجه هيئة زوجها الضخمة المشعة بالغضب !

متى ترك الحاسوب العزيز على قلبه ومتى هب واقفا دون ان تشعر ؟!!

قبل ان تقول شيئا كان يمسك مرفقها بقوة يشد عليه بقسوة لاترحم كنظراته المرعبة فخنقها الألم وهي تهمس متوجعة " آآآه .... محسن ....انك تؤلمني ......محسن .."

كلماته تحمل رائحة الهياج رغم نبرتها المنخفضة " كيف عرفت انه عاد ؟؟ "

كانت تعاني الالم بينما تحاول تخليص ذراعها من قيده " آآه .....امي .. اخبرتني ... اترك ذراعي محسن ... انك تؤلمني بشدة ...! "

خفف من ضغطه ليهمس من بين اسنانه بخطورة " اذن فهو لايتصل بك .. اليس كذلك ؟؟ وانت ... هل تتصلين لتطمئني عليه كلما علمت بتواجده في البلد ؟؟ ام ربما تلتقينه في مكان ما من وراء ظهري ! "

اتسعت عينا رحاب بصدمة لتهمس بنبرة مخنوقة " هل جننت ؟! هل تشك بي ؟؟ "

عيناه اتسعتا هو الآخر لكن بلهيب الغضب المستعر ليقول دون تراجع

" الشك دائما .... موجود "





رغم غضبها المتوقد الا ان شعورا بجرح القلب
طغى على كل شيء لتهمس بنبرة حملت كل
ألمها " هل تشك اني .. قد اخونك ؟!! "

رد وهو يهزها بانفعال " الخيانة يا زوجتي
الحبيبة المحترمة لاتكون جسدية فقط ....
" ثم اشار بيده الحرة ناحية راسها واضاف
بقسوة وقودها الغيرة " عقلك هذا قد يخونني
باللحظة بالف خيال وخيال ... خيالاتك
واحلامك عن حبيب مراهقتك الاوحد .."

تخاذلت قواها وهي تنظر اليه وتهمس بنظرات
متألمة غير مصدقة " يا الهي .. ما الذي اعادنا
لفتح صفحة وسام مرة اخرى ؟! انا لااصدق
انك ما زلت تحمل علي بعد كل هذه السنوات
!! ولكن الذنب ذنبي لاني اخبرتك بكل

حمق وبراءة اني ظننت نفسي احبه عندما
كنت بسن الرابعة عشرة !! كنت غبية وانا
انظر للامر كمجرد مزحة اتشاركها معك
فاذا بها انقلبت لمشكلة كبرى جذورها ما
زالت تمتد بخبث بيننا ودون ان اشعر بها !! "

عندها رأت في عينيه ما لم تره يوما ! مزيجا
غريبا وحشيا لايمت للانسانية بصلة بينما
يهمس بنبرة اقشعر لها جسدها " نعم ...
اعترافك الصغير البريء ! اذكره جيدا
وكأنه حدث بالامس فقط وليس منذ خمس
سنوات !! اذكر تورد خديك وانت تضحكين
بخفر تدارين تأثرك بينما تربتين بيدك
على بطنك التي تحمل طفلنا الثاني





والشروود يملأ نظراتك اللامعة فتعكس احساسك الذي لايموت بحبيبك الاول ! "

خنقها البكاء الذي يأبى التعبير عن نفسه بالدموع فكأن داخلها يبكي ويضج صدرها به !! همست باختناق متزايد " انت تتجنى علي ! انه خيالك الذي يصور لك الامور بهذه الطريقة البشعة !! لايحق لك ان ..."

صرخ مقاطعا اياها " اخرسي رحاب ... اخرسي ... لاتدفعيني لاكثر مما تطيقينه مني ..."

عندها انفجرت هي قائلة " انا لم افعل شيئا .. لم افعل ... غلطتي الجسيمة اني اخبرتك عن مشاعر حمقاء تمر بأي مراهقة لابن عمها او ابن خالتها او حتى ابن الجيران ... لتكتشف في النهاية انها لاتعد الا مشاعر اقرب للاخوة والصحبة الطيبة "

اشرست نظراته اكثر وهو يعاود ضغطه على مرفقها قائلا بنبرة غريبة

" هل كانت مجرد مشاعر مراهقة يا رحاب ؟! هل هذا كل ما جمعك بابن خالتك الوسيم؟؟ "

تشوشت رحاب فسألت وهي تتطلع لعينيه الهادرتين " ماذا تقصد بالضبط ؟؟ "

عندها نفض مرفقها بقوة ليرفع ذقنه ويقول ببرود " اسالي... امك ...."





(متى ياتي صباح السبت ؟! اصبح يوم الجمعة طويلا الى درجة الملل ... انظري الى ساعتك حبيبة وكلما نظرتِ تذكري اني انظر لعقارب ساعة مماثلة انتظر ساعة اراك فيها... نسيت ان اقول في رسالتي الاولى .. هذا انا .....مهند ... ☺)

زفرت حبيبة وهي تغلق هاتفها ثم تحركت لتربطه بالشاحن الكهربائي ثم عادت لسريرها ورمت جسدها بانهاك عليه ، تستلقي على ظهرها وشعور مميز بتسرب تعبها الجسدي منها لتمتصه نعومة فرشتها الزرقاء المفضلة ...

همست وهي تغلق عينيها " اصبحت ذبذباتك اعلى من ان اتجاهلها يا مهند ! ماذا تريد مني بالضبط ؟! احيانا اشعر انك لاتنظر الي الا كصيد واحيانا تحيرني وانت تقرأني باجتهاد مؤثر! لماذا لاتتركني في حالي فانا نفسي لم اعد افهم نفسي !! "

ابتسامة جانبية مستمتعة بينما يضع هاتفه جانبا على منضدة بجوار سريره المزدوج ثم فتح درجا صغيرا والتقط علبة سجائره وقداحته...

اشعل السيجارة واخذ نفسا عميقا بينما يتوسد ذراعه الاخرى ... حركة خافتة جنبه على السرير ثم ملامسه ناعمة من جسد انثوي متفجر اغراء ..... و ... عارٍ تماما !





تطلع مهند للحظات نحو تلك التي عاشرها قبل اقل من ساعة لتمنحه بعض الرضا الجسدي رغم كل جهودها (القيّمة) في اثارته بكل الوسائل ... لكن مع ذلك لم تمنحه الا الـ(بعض) .... البعض فقط ...

عليه ان يعترف ان شهوته لمعاشرة النساء فسدت كما يبدو جليا ولم تعد كما كانت ! وكله .. بسببها هي ... تلك الوحشية الملهبة لكل حواسه وشهواته ورغباته...

همس بحشرجة خطيرة وهو ينفث دخانه عاليا " ستأتين الي حبيبة .. انت فعليا تخطين نحوي دون ان تشعري وفي النهاية وبارشادي الخاص ستصلين ... وعندها ... ستبذلين كل الجهود لتتعلمي ارضائي .. بوحشيتك وجمالك.. وعلى سريري هذا تحديدا ستنهارين عاشقة بلا حدود ولا قيود .. وعندها سأقرر انا هل شفيت منك ام لا ؟"

تقرأ القرآن همسا على نور اضاءة خافتة حتى لاتزعج منام رباب ....

طرق خفيف على باب الغرفة فتصورت اسيا انها احدى الممرضات فلا داعي للرد لتمنحها اذن دخول قد يوقظ اختها النائمة بعمق الى درجة الشخير !

فعادت لتنهي اخر آية وصلت اليها قبل ان تدخل الممرضة لكن تفاجأت بطرقة اخرى اخف !!





همست اسيا (صدق اللّه العظيم) وهي تتطلع للباب ببعض الاستغراب ، اغلقت كتاب اللّه لتقف على قدميها تلبس خفيها وتعدل حجابها فربما هو الطبيب ومحرج من الدخول دون سماع الاذن وهو يعلم بتواجدها الليلة مع اختها ... وصلت الباب وفتحته بهدوء وهي تبتسم بلطف لتجمد ابتسامتها من المفاجأة وهي تنظر للوجه الغريب الملامح امامها فتهمس له ببلاهة

" رضا ؟؟! .."

بملامح صلبة ونظرات غامضة مربكة همس ببحة رجولية " مرحبا .."

ارتفع حاجبا اسيا قليلا ثم توردت وهي ترد بحيرة متزايدة " مرحبا ... ! "

ما زالا عند الباب يقف امامها هكذا ولايفعل شيئا سوى التطلع اليها بنظرات ... نظرات ... يا الهي ماذا يعني بهذه النظرات التي تطالب بما لا تفهمه !!

بتلكؤ فاضح قالت " أأ .. رباب ... بخير .. حرارتها انخفضت وغدا ستخرج ان شاء اللّه ..."

همس بخشونة ونظراته تشتعل " اسيا ..."

ردت وهي تتبلعم " نعم ..."





اسبل اهدابه ليرحمها من تفسير نظراته المربكة ثم همس " اعلم بكل ما يخص رباب .. لقد سالت الطبيب بنفسي ، لكني اتيت اليك الآن لاني ... اريد .. ان اتكلم معك .."

سألت بعفوية " الان ؟! "

ابتسم ... تلك الابتسامة الصغيرة التي تخصه وتميزه فتظهر فجأة من العدم لتهذب ملامحه الخشنة ......

قال بما يشبه الدعابة " اعلم انها انانية مني والوقت غير مناسب .. لكني ...."

صمت ليرفع نظراته اليها مرة اخرى فيربكها بلهيب اكثر اتقادا وارباكا وهو يقول مكملا جملته المبتورة آنفا " لم اعد اطيق ...! "

تواجهت نظراتهما للحظات طالت ! هو يحدق بثبات لاتراجع فيه وهي تحدق كمن كان يعرف ان القادم ... قادم !

تشجعت اسيا لتتحرك بعفوية وهو منحها المساحة لتعبر باب الغرفة نحوه وتغلقها خلفها بحذر ، تقف الآن مستندة للحائط الابيض المخضر خلفها متكتفة فلا تعرف اين يفترض ان تكون ذراعيها لتشعر ببعض السيطرة على خلجاتها المتخبطة .....!





ابتدأته بالكلام وهي تقول بصدق " انا اعلم عن اي شيء تريد ان تحدثني .."

لمحة استغراب وشيء اخر لم تفهمه مر على ملامحه فاكملت وهي تأخذ نفسا عميقا " عن رفيدة .. صح ؟ وزواجها من ابي ..."

غامت عيناه ولم يرد فاطرقت قليلا وهي تقول ببعض الحرج " بالمناسبة اعتذر لجفاء اختي حبيبة معك انت و محسن عندما وصلت المستشفى ورأتكما ... انها .... تجافينا حتى نحن .... عائلتها ...! "

سأل برقة " لماذا ؟! "

ردت وهي ما زالت مطرقة " باختصار وبساطة ... انها تحمل امي مسؤولية زواج ابي .. ترفضنا جميعا وتجعلنا متنفسا لغضبها من هذا الزواج "

سال بنفس الرقة مع لمحة حنان مؤثر

" وانت ..... ؟ من تحملين المسؤولية ؟ "

أبت ان ترفع نظراتها اليه فابتسمت بلطف وهي تهز كتفيها قائلة " انا اتفهم لحظة الضعف التي سيطرت على ابي رغما عنه وهو يفكر انه سيموت ويموت معه اسم العائلة فغلبته اللحظة ليتزوج من اخرى ... لقد تكلمنا قليلا.. انا وهو .. عن هذا الموضوع ولذلك اعلم ان اختك ليست السبب ،





فاختك كانت مناسبة له من عدة اوجه خاصة لكونها من عائلة طيبة يعرفها منذ سنوات طويلة ، لذلك ... لايهم ان كان تزوج اختك او اي امرأة اخرى، المهم انه تزوج ولم يحصل للاسف على مايريد .. " صمتت بينما ابتسامتها تضمحل لتضيف بحشرجة " والمهم ايضا ... انه ترك امي مجروحة متوجعة وتكتم الآه فلا تنطقها.. فقط لاجلنا .. "

قال ببساطة صادقة " انا آسف .."

عندها فقط رفعت عينيها اليه لتقول بعذوبة

" لاتأسف فليس ذنبك ولاحتى ذنب رفيدة ..."

سألها فجأة " هل تكرهينني اسيا ؟"

اتسعت عيناها بذهول وهي تقول " يا الهي لماذا تقول هذا الآن ؟!! "

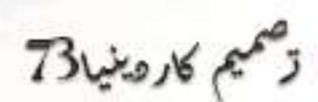
انفاسه الهادرة كانت تعطيها اشارات متسارعة بينما يسأل بهمس أجش " ماذا تشعرين نحوي بالضبط وقد علمت حقيقة ما حصل قبل ثماني سنوات ؟ "

ابتلعت ريقها وهي تحمر قليلا لتهمس له بنفس الصدق والعفوية المباشرة " صدقا ؟؟...

لااعرف .. ! لسنوات ظننت اني ارى بوضوح كل ما حولي لاكتشف دون مقدمات ان كل شيء كان مشوشا ومضببا ! فجأة اجبرتني على ارتداء نظارة الحقيقة لاراها واصعق ببساطتها المنطقية !! "









حادت برأسها جانبا وهي تشعر بالتشوش مرة اخرى ...... ناداها ....." اسيا ... انظري الي ..."

اخذت نفسا وزفرته لتعاود النظر اليه فرأت تصميما تنطق به ملامحه وهو يقول بقوة وصلابة " لم يعد يهمني كل ما حدث في الماضي .. ما يهمني هو ... انت ... وفقط انت "

حركة من يده اليمنى لتكتشف انه يحمل علبة في يده لم تتنبه لها قبلا ...

لاتعلم لماذا تعلقت عيناها بتلك العلبة التي يرفعها لمستوى نظرها دون ان يفتحها ، قلبها ينبض بعنف وهي تسأل" ما هذا ؟! "

رد بنبرة مشحونة " انها ... لك ..."

شهقة ناعمة افلتت منها بينما تحركت نظراتها لعينيه تسأله بلا تصديق

" هل صغت لي حمامة جديدة ؟!! لم يكن عليك فعل هـ...."

فتح العلبة امامها فجذبت عينيها واخرست لسانها للحظة بينما هو صامت يحدق في ملامحها المذهولة وشفتاها تهمسان بما يفسره عقلها " انها .. حما..متان ...."

انفاسه الحارة حاوطت كلماته وهو يهمس

" تحملان اليك ... قلبي ..."





الفصل السادس

انفاسه الحارة حاوطت كلماته وهو يهمس

" تحملان اليك ... قلبي ..."......................

" رضا ؟ ..."

هو الذهول مغموس بهمس خجول تسربل من بين شفتين بنعومة حرير مغزول ...

المرة الاولى التي يجد نفسه ماخوذا عن كل دنياه ليحدق في تلك الشفتين المتفردتين بغزلهما الحريري فتعطي اسمه بعدا آخر كان يعرف عن يقين بوجوده دون ان يصل اليه يوما..

عيناه ارتفعتا لعينيها المتسعتين بنظرة مصدومة لكن مستنجدة ؟ انها تستنجد به ؟!!

كله يصارع كله ؟ حرب طاحنة يُخاض غمارها في عمق رجولته ...

فكيف تقرع طبول الحروب ويجثوا المحاربون على الركبتين اسارى القلوب ؟!!!

بصوت رجولي أجش " هل تعلمين ان النظر اليك مشبع بطريقة غريبة ؟ لسنوات وانا لااكف النظر ...؟ "

همست وهي ما زالت في صدمتها

" تنظر الي... أنا ؟! "





ابتسامته الصغيرة داعبت ثغره بينما عيناه تلمعان بتوهج " النظر لمن نحب آسيا ليس ككل النظر ! ان انظر ليديك تطعمان الحمام قبيل الفجر تعني اكثر بكثير من الشوق للمسهما ، انها تعني كيف أغار من خلق صغير ناعم كذلك الطير وهو يحظى بدلال محبوبتي دوني ، ان انظر لعينيك وملامح وجهك فلا ارى فقط انثى سبحان من خلقها وصورها بل روح عذبة تناغش روحي وتهذب من خشونتها وتوقها الجامح اليك .. ان اراقب مشيتك صباحا وحركات يديك وهما تلامسان الزهور وتجمعان حبات التمر من على الارض لاتعني اغواء حواء لآدم بل هي اشارات دالة لقلبي التائه يا توأمة القلب .."

تعثرت قليلا وهي تتراجع للخلف دون ان تشعر وعيناها تتسعان اكثر واكثر ...

اغلق رضا العلبة وانزل يده وهو يسبل اهدابه .. صمت ... دون ان يبدي اي حركة اخرى بجسده ...

همس اخيرا بصوت مبحوح " انا احبك اسيا .. هكذا ببساطة ! احببتك منذ تسع سنوات .. وربما قبلها .. لااعلم .. كل ما اعلمه قبل تسع سنوات دخلت علي المحل بصحبة والدك بحجابك الذي ابرز نور قلبك وصفاء روحك وعندها ... انتهى الأمر ... اسرتني للابد .. واصبحت اغلالك بهجة لقلبي تؤنسه في وحدته .. فهل رأيت يوما اسيرا مثلي ؟!! "





وضع العلبة في جيبه ثم رفع رأسه بقوة كقوة ضربات قلبه الذي جنّ بين جنبات صدره ينظر اليها بنظرات مباشرة لاتعرف التراجع حتى امام صدمتها التي اخرستها تماما ...

قال بصوته الرجولي ونبرة متملكة ارجفتها

" انا اريدك زوجة لي اسيا .. كثيرة هي العقبات التي وقفت بيني وبين رغبتي الوحيدة في هذه الحياة ، وما زالت تلك العقبات شاخصة تعاكسني بجبروتها .. "

اصابع يده اليسرى لامست بشرود خاتمه في بنصره الايمن ليضيف بلهجة قاطعة " لكني اقسم برب العزّة لن اتخلى عن تحقيق حلمي بأن تكوني لي "

صدرها يعلو ويهبط ووجهها يصرخ بالحمرة فابتسم كعادته وهو يتطلع لخديها بنظرات جذلة مستمتعة ليقول بهمس يذيب الصخر

" الحمامتان تقرعان شباكك اسيا وعندما تقررين فتحه لهما عليك القبول بما تحملانه اليك .. والى ذلك الحين.... ستبقى شبكة زواجك في جيبي ..."

توهجت عيناه للحظة قبل ان يستدير وهو يضيف بمرح رقيق " هذا لايعني انهما لن تواصلا النقر على شباكك حتى تفتحيه ..."

تحرك مغادرا بخطى ثابتة بينما انهارت اسيا على كرسي قريب جسدها يرتعش بالكامل وقلبها ... ينتفض !





كل واحد منهما ينام على جنبه مولياً ظهره للآخر ، الظلمة تحاوطهما من الخارج و ... الداخل ...! ظلمة كجدار شيطاني يعزلهما عن بعض فيرسم لهما بخبث بعد المسافة بينهما رغم انهما يكادان يتماسا جسدا و... روحا ... !

محسن يحدق في الحائط امامه ثابت النظرات قاسي الملامح الغيرة تحرقه والشك بمشاعرها ينهشه ..

رحاب مرتبكة الافكار مشتتة التركيز ترمش بعينيها بين الفينة والاخرى لتمنع نفسها من البكاء ..

كانت تحاول الوصول الى كلمات تمنحها القوة لتواجه بها شكوكه المجنونة ، لكنها... لاتصل لأي حرف من تلك الكلمات!!

في داخلها يتردد سؤال حانق واحد

" ماذا قلت له امي ؟!! ماذا قلت بالضبط ؟!! "

تقبضت يدها متذكرة نظراته اليها وهو يتهمها بالخيانة !

خنقتها العبرة فرفعت تلك القبضة المتوترة لفمها تكتم حشرجة بكاء مكتوم ...







" امممممممممم اخبريني يا اخر العنقود اي حكاية خاصة تريدين ؟؟ "

تلامس شعر صُغرى بناتها بينما تلف ذراعها الآخر حول جسد رقية الفتي الفائر حديثا ، تكتم في داخلها كل الانفعالات المرهقة التي فاضت من اعماقها باحداث اليوم ...

همسة ابنتها الناعسة جاءتها بما اجفلها من الوجع ! " اريد حكايتك مع ابي "

يدها التي كانت تمسد شعر ابنتها تجمدت ثم .. ارتعشت .... همست الام بصوت مبحوح من صدمة المفاجأة " ماذا تقصدين رقية ؟؟ "

رفعت رقية وجهها لوجه امها الجميل لتقول بحماسة طاردة النعاس الثقيل " اقصد كيف رآك لاول مرة فوقع في هواك وطلبك للزواج ؟؟" غصة .. غصة ممزوجة بلهفة الذكرى التي لاتنسى !

تطلعت لعيني رقية فأطلت عيناه هو .. حبيب الروح ... يونس ...

ألحّت رقية وهي تميل لتقبل كتف امها " ارجول امي .. ارجوك .. كان دوما يناغشك بالقول (من ارسلك اليّ ذلك اليوم لتسحريني بنعومة صوتك فانسى مطلبك فخلطت القرفة مع الزنجبيل بدلا من الفلفل الاسود !) "

دمعت عينا ابتهال فاغمضتهما وهي تتذكر كيف اصر يومها على تجهيز مطلبها بنفسه !





اوشكت رقية ان تعاود الالحاح عندما حلق صوت امها كطيور ناعمة مرفرفة بالفرح الخجول " كنت في التاسعة والعشرين ، وحيدة والديّ عزيزة عليهما الى حد الشغف ، كنت قد قاربت العنوسة بل حتى تخطيتها وهما مصران على رفض خطابي الكثر ..."

رفعت رقية حاجبيها عاليا وهي تتساءل بذهول " في التاسعة والعشرين وتخطيت العنوسة ؟!! هل اختي اسيا على وشك ان تصبح عانسا؟!! "

فرّت دمعة من عيني ابتهال وهي تضحك برقة وتقول " يا صغيرة السن والعقل ! انا اتكلم عن زمن آخر ... وحياة اخرى ... حيث كانت العوائل تتسابق لتزويج بناتهم ما ان يطرقن ابواب العشرين خاصة لمن لم تحصل على تعليم عالٍ..."

همهمت رقية وقد عاودها الحماس " هممم وبعد ؟! ماذا حصل ؟ "

ردت ابتهال بابتسامة سارحة " ارسلتني امي رحمها الله لسوق العطارة ، كانت لدينا مأدبة ضخمة وهي تحب الاعتناء بطبخها واضافة نكهاتها الخاصة ..."

تألقت عيناها وهي تكمل بحشرجة ناعمة

" امي كانت معتادة على الشراء من محل معين لاتحب تغييره ولكني حالما وصلت وجدت ذلك المحل مغلقا للتصليحات





فأرشدني صاحبه الى محل اخر لابتاع منه ما اريد .. محل ابراهيم العطار ..."

هتفت رقية بابتسامة واسعة " محل جدي .."

ابتسمت ابتهال بحنو وهي تعاود التطلع لعيني صغيرتها فتقول بهمس محبب " ورأيت والدك هناك جالسا بمهابة جنب ابيه ، طويلا اسمرا بعينين زرقاوين مشعتين بالمرح ..."

كان قلب رقية يدق بانفعال وعيناها تلمعان تأثرا وهي تقول " اكملي امي ... ارجوك "

اشعاع فرح تخلل ابتهال وهي تتذكر تلك النظرات كيف تجمدت حالمال راتها ،

لقد جعل قلبها يخفق من تلك النظرة حتى انها تلعثمت وهي تكلم احد العاملين هناك عن مطلبها من البهارات ...

جاء صوت رقية متذمرا هذه المرة " اكملي امي .. لماذا صمتِ الآن ؟؟!"

فقالت الام كأنها تعزف لحن الحياة .. لحن حياتها هي " نظر الي يونس وتقدم الى حيث اقف قرب احد العاملين لديه ، عيناه تلكأتا على اصابع يدي اليمنى ثم اليسرى وبعدها رفعهما الى وجهي ولم يقل الا (انا من سيحضر المطلب بنفسي) "







ارتعشت ابتهال ووجها ينير بحمرة لذيذة بهرت رقية لتضيف الام بعتب رقيق " احرجني وهو يحدق بي لاتحيد عيناه عني بينما يخلط البهارات مع بعض ..."

وجه رقية احمر كامها وهي تسأل " لذلك لم يعطك الخلطة الصحيحة اليس كذلك ؟؟ كان مشغولا بالنظر لجمال وجهك .."

أنبتها ابتهال وهي تتضرج بالحمرة " من اين تعلمت هذه الكلمات يا فتاة ؟!! "

لكن رقية ضحكت بشقاوة وهي تضم نفسها لصدر امها وتقول " لن اقول شيئا اخر .. فقط اكملي الحكاية ... احببتها جدا "

تنهدت الام برقة لتكمل وهي تلامس ذراع ابنتها " حسنا .. لم تطلع شمس النهار التالي الا وتقدم لخطبتي ..."

علّقت رقية وقد غلبها التثاؤب " اجل .. اخبرني ابي يوما بهذا ... "

فاضافت الام وهي تسرح بذكرياتها " لكن والدي رفضه كما يفعل مع غيره ، فعاود خطبتي في اليوم الذي يليه والذي بعده والذي بعدهما ....! لم يكل ولم يمل وهو يحضر معه في كل مرة رجل من عليّة القوم مكانة وهيبة ليؤثر على والدي ... وبعد شهر كامل حسمت انا الامر واخبرت امي وابي وبصراحة لم اجرؤها سابقا .. اخبرتهما اني موافقة على يونس العطار ...."





كانت رقية قد غرقت في نوم لذيذ بينما ابتهال تواصل ذكرياتها لنفسها " تزوجته ... كنت قارورته الاجمل ... رفيقته .. حبيبته ... ام بناته .... "

فجأة خنقتها الغصة بشكل موجع وهي تردد

" بناته ... فقط .. ! دون صبيان يكحل عينيه بهم ... يمنحونه الفخر ... الاستمرارية لجذور عائلته دون ان تنقطع ..."

كتمت ابتهال شهقة البكاء فاغمضت عينيها بقوة وهي تضم ابنتها لصدرها اكثر وتهمس

" سامحني يونس .. سامحني ... وانا .. ساسامحك "

صباح اليوم التالي

كانت تُلبس سامي قميصه المدرسي وهو يكاد ينام على كتفها فقالت له بتأنيب " لو سمعت كلام امك وغسلت وجهك بالصابون لما التصق بك النعاس هكذا ! "

طبع سامي قبلة على رقبة امه وهو يهمس لها شبه نائم " انا احبك امي .."

ذاب قلب رحاب لكلمات ابنها العفوية ، انه يعبر دوما عن كل ما يختلج في نفسه بسلاسة دافئة محببة ! كم هو مختلف عن والده !!





لم تقاوم بأن تغرق وجهه الصغير بقبلاتها وهي تقول له بعاطفة امومية متدفقة " وانا اذوب حبا بك يا صغيري "

صوت رجولي من خلفها قال ببرود " أجلي قبلاتك النارية هذه ! لقد تأخرنا بما فيه الكفاية .."

لم تنظر اليه رحاب وهي ترتب ملابس سامي ثم وقفت على قدميها وهي تقول " انا جاهزة وسامي ايضا جاهز .."

شعرت بعينيّ محسن تتماهلان على جسدها من فوق لتحت فاصابها التوتر ليقول بعدها ببرودة اشد " اعتنيت بمظهرك دون فائدة للاسف ! "

التفتت اليه لتجده يتطلع اليها بنظرة تعكس برودة صوته فعلمت عن يقين انه غاضب .. غاضب جدا ...

جازفت وسالته " ماذا تقصد ؟! "

رد ببساطة " بامكانك اليوم تناول الغداء مع والدتك وجالسيها لأي وقت تشائين .. لكن حالما تقرر والدتك الخروج لبيت اختها اتصلي بي لآتي واقلك مع الولدين ..."

عقدت رحاب حاجبيها قليلا بينما يضيف بابتسامة مستفزة " بيت خالتك منذ اليوم ... محرم عليك ... واقسم باللّه ان كسرتِ كلمتي يا رحاب فلن يوقف جنوني شيء "





شهقت رحاب بخفوت بينما يستدير زوجها ليوليها ظهره ثم تحرك مبتعدا بسلاسة !

" صباح الخير آسيا ..."

ارتج قدح الماء في يدها وهي تواجه ضخامته التي حجبت عنها نور الصباح الخجول القادم من الشباك ..

رفعت عينيها لتنظر لمن سهّدها ليلا فجافاها النوم وهاجمتها الافكار و.. اقلقتها المشاعر ..

ابتلعت ريقها وعيناها تتلمسان ابتسامته الناعسة لترد عليه بتحشرج " صباح الخير .."

سأل برقة " هل تناولت فطورك ؟ "

تلعثمت وهي تردد بارتباك " نعم .. لا .. اقصد .. شربت الشاي واكلت بكسويت .."

اتسعت ابتسامته وهو يقول بنفس النبرة المدغدغة " بسكويت فقط ؟!! لاعجب انك رقيقة البنية هكذا .."

رغم رقة نبرته لكن عينيه توهجتا بخطورة غير مألوفة لها وهو يقول تعليقه البسيط ...

تلك الخطورة لاتخيفها بل تخلب لبها بطريقة لم تشعرها في حياتها .... غموض .. اثارة ... رهبة ... ذوبان .. احتراق ....!!

شعرت بالحرارة تخرج من خديها .. اذنيها وحتى عينيها !! يدها الحرة ارتفعت لجبينها تمسده باضطراب وتهمس :





" ارجوك ... توقف عن النظر الي هكذا انا ... لم .. انم ليلة الامس ..."

فرد بهمس متحشرج " وانا نمت قرير العينين !"

حدقت فيه ببعض الذهول وهي تردد " قرير العينين ؟!! "

نظراته تلامس كل جزء من وجهها وكأنها ترسم ملامحه ! رد بخشونة وهو يقترب

" سنوات وانا اطالعك من بعيد أسيا اكتم في جوفي كل ما اشعر به نحوك حتى عن اقرب الناس الي ، تحملت حقدك وكرهك لي ، نفورك مني ومن النظر لوجهي ... قلبي كان ينشطر باحتراق متفجر فاعاني الالم الف مرة وانا امنع اللسان عن البوح "

اقترب حتى اصبح بمواجهتها تماما ليضيف بهمس متحشرج " فهل لك ان تتصوري الآن كيف شعرت بالامس وانا احرر عقدة لساني لاتحرر معها في ان اطلق مشاعري كما اشاء .."

لاتعرف كيف وجدت صوتها لتقول جملة غريبة بزغت من العدم " لكنك تزوجت ..! "

تنهد بعمق وهو يغمض عينيه ويرفع راسه عاليا ويقول

" كنت اعلم ستقولين هذا ! "

همست

" اسفة .. ولكني احاول .. ان استوعب"





مرر يده في شعره بضيق وهو يضيف " لاتقولي لي الان انك تريدين الرفض لانه سبق لي الزواج ! بالله عليك من بين كل الاسباب التي تفكرين بجعلها سببا لدفعي بعيدا امحي هذا السبب من قائمتك لاني لن احتمل ! "

رفعت حاجبيها وهي ترد ببعض الانفعال " رضا انا لاافكر باسباب للرفض ! انا في مرحلة لاتوصف من الانشداه !! احاول ان افهم .. احاول ان اعيد ترتيب افكاري التي بعثرتها تماما خلال فترة بسيطة .."

همس بانفعال " وانت بعثرتني شخصيا منذ سنوات فعلى الاقل اشعري بالنزر اليسير مما اعاني "

احمرت حرجا وهي تسبل اهدابها وتقول " اعتذر مرة اخرى .. قد لايكون من حقي سؤالك عن امر خاص جدا كأمر زوا..جك.."

نظر اليها مباشرة ليقول بثبات " انت اسيا لك ما ليس لغيرك من البشر .. من حقك سؤالي عن اي شيء .. اي شيء دون استثناء "

ارتبكت اكثر لكلماته تلك ليضيف بعد لحظات وهو ما زال يحدق فيها " كوني بكر عقيل الصائغ فانا حملت الكثير من الاعباء على كتفي دون اي شكوى بل حملتها بطيب خاطر وولاء نابع من اعماقي ... ولست نادما على هذا ابدا ..."







رفعت نظراتها اليه ليضيف بنبرة مست قلبها دون تفسير " لكن .. بعد الذي فعله ...حذيفة معك اصبحت اتعرض لشتى انواع الضغوط ... ابي .... جعلني اقسم امامه على كتاب اللّه اني سأحمي عائلتي دوما من اي شيء يهددها ، حذيفة طُرد بل نفي وانا أتمزع بين رغبة لتمزيقه اربا وبين قهر لفراقه ! امي بكته ليل نهار حتى اوجعت قلوبنا واثقلت كاهلنا اكثر انا وابي دون ان ننطق بحرف ، الخزي شعور ثقيل اسيا .. ثقيل على كرامة الرجال الشرفاء ، لقد تحطم ابي داخليا لفعلة حذيفة ... لم يكن يتصور انه وصل لهذا الدرك ! "

عيناها لاترفان فقط وجهها يشحب !

همست بتوتر " لااصـ..دق انه ابن الحاج عقيل ... وأنه .. اخـ..اك ! انت ... مختلف ... كما لااصدق انني لسنوات كنت .. مرتعبة منـ...ك لدرجة لايمكنك تصورها وانا اراك حتى في ... كوابيسي .. اسوأ .. انواع الكوابيس ..."

ارتعشت عضلة في خده الايسر فسأل بهمس مبحوح " هل .. ما زلت ... ترينني في تلك الكوابيس؟؟ "

تراجع توترها شيئا فشيئا فاغمضت عينيها لترد بارتعاشة " لا .... لقد تلا....شت تماما .. منذ ان واجهتني ... منذ ان واجـ..هت نفسي بالتفاصيل التي رفضها عقلي .. لسنوات ..."





قال بصلابة " اجل .. سنوات اسيا .. سنوات وانا اتحمل كرهك لي ... شحوب الرعب على وجهك ما ان تقع عيناك علي ... "

فتحت عينيها لتقول برقة وعيناها تنضحان بالأسف " سامحني ... لم .. اكن اعرف ، كان فوق قدرتي لاواجه نفسي .. لاواجهك .. لم استطع فعلها بمفردي .. حتى اجبرتني انت .. طوال تلك السنوات كان الامر صعبا بل .. مستحيلا ! "

ابتسم ... ثم اطرق قليلا وقال " وما كان مستحيلا عليك حطمني انا ! كنتِ اكثر الضغوط قسوة علي ، ومع باقي الضغوط التي تكالبت فوقي اخذت امي تلاحقني ... تبكي وتتوسلني لاتزوج واملأ لها البيت بالاحفاد "

رفع عينيه اليها وقال بصوت أجش " في لحظة قنوط شديد أرتضيت بمن اختارتها لي ... قريبة لها من بعيد... زبيدة !.. لثلاث سنوات وربما اكثر عشت في جحيم مستعر معها ، الكل كان مشفقا عليّ مستغربا صبري لانها لم تناسبني من كل النواحي ، لكن لااحد يعلم ان الجحيم كان اكثر بكثير من مجرد عشرة امرأة غير مناسبة ... الجحيم كان بعشرة امرأة اخرى .. غيرك .. انتِ ..."

زفر بقوة مضيفا " انه العذاب اسيا .. عذاب لايطاق ... ويشهد اللّه حاولت مرارا معها لكننا كنا كقطبين متنافرين لايلتقيان ابدا ..."





عاودها الاحمرار فيما هو يردف بعتب رقيق

" هل ستقسين علي انت ايضا وتعاقبيني بالرفض لاجل زواج بائس كهذا ؟!! "

ازاحت وجهها جانبا وهي ترد بحشرجة " الامر .. ليس كذلك ..كل ما قلناه ليس هو العائق الحقيقي .. أنت .. تعرف ..جيدا ما اقصد ومن اقصد .. الرباط الذي تطلبه لايخصنا وحدنا لافكر فيه كأي فتاة ، انه يخص عائلتينا ايضا .. سيجرحهم بعمق من الجانبين .. "

سأل بصوت أجش " هل افهم من كلامك ان اعتراضك الحقيقي الوحيد هو .. رفيدة ؟"

التفتت اليه تواجهه باندفاع " لاتستهن بالامر ! امي تلعق جراحها بصمت وحبيبة تصرخ بالألم كلما حانت لها الفرصة .. رباب ورقية تعانيان التخبط والحيرة والاحساس بالخجل امام الناس .."

سأل مرة اخرى وبنفس النبرة " أنا سألت .. هل هذا اعتراضك الحقيقي الوحيد ؟؟ "

تطلعت اليه وتفاجأت بملامحه المتأهبة !

ردت بعفوية " وهل هناك سبب اهم من هذا ؟"

ابتسم .. يا الهي .. لديه ابتسامة تجعل ساقيها تترنحان ......

قال بانفاس لاهبة " اسمعيني يا ابنة العطار ... انت قلت للتو .. انك توافقين على زواجك بي ...! "





اتسعت عيناها بذهول وتشوش لتهمس باختناق عاطفي " انا ؟! .... انا ...قلت هذا ؟!! "

ضحك بخفة وهو يضيف بشقاوة صبيانية

رققت ملامحه " اجل .. انت .. ما دمتِ لاتجعليني سبب رفضك فانت لاترفضيني حقا يا توأمة القلب "

ارتبكت جدا بلفظة التحبب التي باغتها بها .. انه يقطع اشواطا نحوها بسرعة رهيبة ..! اخذت تدور برأسها يمينا وشمالا وقد حارت اين تختبئ منه !

اشفق عليها من خجلها وانصهر عشقا فيها ليهمس في سره بنفاد صبر

(يوما ما يا توأمة القلب ستصبحين حلالي وعندها سأدلك على مخبأ آمن .. بين ذراعي وعلى صدري ...)

قال برقة مداعبة " حسنا دعينا نتكلم بما جئت لاجله هذا الصباح .. من سيعيدكما للبيت انت و رباب ؟؟"

ردت بتعثر وهي ما زالت لاتستطيع مواجهته

" حـ..بيبـة ... حبيبة ستاتي عند الحادية عشرة ..لماذا تسأل ؟ "

اتسعت ابتسامته ليقول بتحسر ناعم " خسارة ! كنت احلم اني ساقلكما بنفسي ... ! "





اطلقت نفسا مضطربا وهي تهمس " ألم اقل لك ؟ انت تتعجل الامور ولاتمهلني حتى لالتقط انفاسي ، لهذه اللحظة انا لااستوعب طلبك الزواج مني انا تحديدا وانك .. وانك.... "

عضت شفتها ووجها يتضرج بالحمرة القانية فاكمل لها برقة " اني احبك ؟؟ " ضحك باستمتاع ثم امال رأسه يحدق فيها هامسا كأنه يدلل طفلة " يا اميرة البنات حتى الحب لايجد توصيفا لحالتي معك فقد تجاوزته بمراحل .. فلا تتعبي مشاعرك بالخجل من بضعة كلمات باهتة امام ما اشعر به نحوك .. الحقيقة الوحيدة في هذا كله .. انك مقدرة لي ! .."

رفعت عينيها فحدقت بذهول في الاصرار الخطير المتوهج في عينيه ليضيف مؤكدا كلامه " لي انا ... رضا عقيل الصائغ .. لقد وصلت لهذه القناعة عن يقين ولااعلم من اين اتاني حقا ؟!! " ضحك بخفوت وكأنه ألقى دعابة بينما اسيا تواجه ملامحه عن قرب تحاول جهدها ان تفهم سر هذا السحر الذي يلفه ويجعلها عاجزة عن قول كلمة (لا) !! بينما رضا يواصل بصوت رجولي عميق

" لذلك لاترتبكي هكذا ولاتقلقي من شيء ، التقطي انفاسك الغالية على قلبي .. نفسا نفسا .. وانا ساكون معك في كل نفس فلا طاقة لي لابتعد بعد اليوم .. لاطاقة على الاطلاق يا اميرة البنات ..."





تتكتف وهي تتطلع عبر نافذة المكتب تشغل خلايا عقلها بصور متحركة للبشر ، جذبها منظر صبي بزي مدرسي بدا نزقا وهو يقود دراجته الهوائية متمايلا يمينا ويسارا ليتجاوز المارة لابد انه تأخر عن طابور المدرسة الصباحي ثم تنبهت لامرأة تلاحق الفتى بخطوات متعجلة عاقدة الحاجبين بشعر مشعث وملابس غير منسقة ، تحمل حقيبة كبيرة على كتف وطفل رضيع على الكتف الآخر...

شعورها بالشفقة على تلك المرأة امتزج بالغيظ .. هل عليها تحمل كل هذا العبأ مع طفليها بمفردها ؟؟ اين زوجها يا ترى ؟؟

صوت نقر على الباب ثم دخول تسبقه رائحة القهوة المميزة التي تحبها فعلمت حبيبة انه العم صبري قد جاء بقهوتها ....

بعفوية كانت تقول وهي توشك على الالتفات اليه " شكرا عم صبري .." لكنها فجأة عادت والتصقت بالنافذة شاهقة بصوت خافت بينما ترى الصبي يقع ارضا ويتكوم مع دراجته وامه تقترب بخطواتها المتعثرة لتنحني نحو ابنها تحاول مساعدته بينما رضيعها قد بدأ بالبكاء !

زفرت باحساس متفاقم بالحنق ! لكن حنقها خفت وهي ترى رجلا عجوزا يساعد الصبي ويبتسم للمرأة بحنو ..







شيء رقيق دافئ تحرك في صدر حبيبة وهي ترى اسارير تلك المرأة تنشرح وبدت انها تشكر العجوز الذي اخذ يربت على كتف الصبي ..

حتى الرضيع هدأ وهو يلف ذراعيه حول عنق امه ويحرك رأسه ببشاشة وعندها فقط اكتشفت حبيبة ان الرضيع ليس رضيعا وانما ... رضيعة .. !

لم تتنبه للامر في البداية وقد كانت الام تلفها باغطية متعددة الالوان لكن قطعة صغيرة وردية معلقة بطرف شعرها النابت كشفت لحبيبة عن جنس الطفل فجعلتها تبتسم رغما عنها وهي تهمس " انها فتاة ! "

فجاءها صوت من الخلف " وايُّ فتاة ؟!! "

التفتت حبيبة بقوة لتعقد حاجبيها وهي تحدق في مهند الذي يقف على بعد خطوتين فقط منها حاملا بيده فنجان قهوة ! لا ليس فنجان قهوة بل (فنجانها) الخاص للقهوة والذي اشترته بنفسها من احدى البزارات وتستخدمه هنا في مكان عملها ...

ابتسامته كانت مميزة وقد تكون ساحرة في اوقات وظروف اخرى !

لم تلقَ بالا لنظراته المتفحصة برجولية واضحة فقالت بملامح متصلبة " من سمح لك باستخدام فنجاني الخاص ؟"





اتسعت ابتسامته وارتفع حاجباه قليلا بطريقة مميزة ثم قال وهو يضع الفنجان على حافة مكتبها " انها .. لك وليست لي ..."

لم ترد عليه بينما هو يعاود النظر اليها مضيفا بصوت مبحوح " لقد اعددتها لك بنفسي ، شيء كنت اتمنى فعله منذ زمن طويل .."

شعرت بنغزات غريبة في صدرها فازداد توترها وازدادت عقدة حاجبيها لتقول بحدة ساخرة " ماذا كنت تتمنى ان تفعل ؟؟ تعد قهوة لي ؟"

بابتسامة جانبية ونظرات مباشرة تواجه نظراتها قال بصوت أجش " بل تمنيت ان المس اي شيء يخصك بشكل شخصي وحميمي ..."

النغزات تكالبت عليها وانتشرت من صدرها حتى وصلت اطراف اناملها ! قبّضت يديها بغيظ وانبعثت النار من عينيها الزرقاوين لتقول ببعض العنف " لاتتلاعب معي يا مهند ، رسائلك السخيفة على الهاتف ومحاولاتك السمجة هذه لاتصل بك الى لطريق الخروج من الباب خلفك ! "

ابتلع مهند كل اهاناتها ليتمسك بواجهة ثابتة من ابتسامة رقيقة لكن في داخله كان يغلي ! يغلي بالغضب ..

الوعود بامتلاكها كانت تضخ ضخا في اعماقه وتسري في دمائه فتنعشه باحساس لذيذ يتضاءل امامه اي احساس بالاهانة !







استخدم كل ما لديه من سحر فيسبل اهدابه بحركة مدروسة وقال بحرارة " استخدمي الكلمات كيفما شئت يا حبيبة لكنها لن تؤثر بي وتدفعني بعيدا عنك ، اعلم ما يختبأ خلف تلك الكلمات القاسية التي تستخدمينها بتفرد .."

زمّت شفتيها وهي تسأل بحدة " وماذا اخفي ايها العرّاف ؟!! "

عندها فقط واجهها بنظرات بثها كل ما يستطيع من (ايحاء بالتفهم) ليقول بثبات

" انت متألمة حبيبة ، غضبك هذا يعكس ألمك العميق ، لست انا المعني بألمك ولكنك تنفسين عنه بي .."

صمت للحظة ثم اضاف بثقة " انا .. انا من يسمح لك بفعل هذا لاني اعرف اني سأصل يوما الى عمق تلك الفتاة المبهرة التي تشغل عقلي و .. قلبي ..."

احساس مبهج يجعله يكاد يلهث وهو يرى تأثرا في عينيها الثائرتين ... سيصل ... مؤكد سيصل ... لم يكن صعبا جدا فهم حالة حبيبة مع معرفة اوسع بعائلتها وظروفها ... انها العقدة الازلية لبنت تزوج والدها على الدتها من اجل انجاب صبي !

روح متمردة بطبيعتها كروح حبيبة مؤكد ستتخذ هذا الطابع من العنف والرغبة باثبات الذات عبر معاكسة كل ما هو مألوف ..







همس في سره " اخرجي عن المألوف يا متوحشة كما تشائين وسيكون من دواعي سروري ان ارشدك لطرق ممتعة غير مألوفة اكثر مما تطمحين اليه ... فرسة جامحة ولجامك معي ...شيئا فشيئا ساحولك لفرسة وديعة ناعمة لكنها تحتفظ بجموحها لترضي سيدها فقط ... ولن يكون لك سيد غيري يا حبيبة ..."

استدار بتوقيت مناسب وهو يهمس لها " القهوة ستبرد حبيبة ، اتمنى ان تعجبك اكثر من قهوة صبري ..."

ثم تحرك مغادرا وحبيبة تنظر اليه تشعر بالغيظ منه والغيظ من نفسها ايضا !!

همست لنفسها من بين اسنانها " اياك يا حبيبة ان تجعليه يؤثر بك ! لايهمني صدقه او كذبه .. لا رجل ... لا رجل على الاطلاق يستحق تملك قلبك مهما كان ..."

تبسمت الحاجة بدرية بطريقة اغاظت صديقتها سعاد الجالسة بقربها لتهدر سعاد بالقول " ما بك ؟!! كلما اخبرتك بأمر عن اولادي تبتسمين بغموض مستفز هكذا وكأنك تملكين اسرارهم وتفهمين تصرفاتهم الغريبة اكثر مني !! "







نظرت بدرية بتمعن لسعاد ثم ببساطة ادارت وجهها ناحية فنجان الشاي الزجاجي الصغير لتمد يدها اليه وترفعه نحو فمها بتمهل !

كزّت سعاد على اسنانها وادارت وجهها بتجاهل طفولي متعمد بينما بدرية تطالعها بطارف عينها وتفكر " يا صديقتي الماكرة ... اعلم انك تحاولين جهدك وبكل وسائلك لدفعي حتى ابوح لك بسر ما حصل ليلة الامس لتوأمك الغالي ، رضا ورفيدة ... "

سعاد لاتعلم كم ان مشكلة الاثنين مرتبطتين مع بعض ، فما يريح احدهما يعذب الآخر وهكذا دواليك يدوران هما الاثنان في حلقة بين عذاب وراحة ...

عقل بدرية كان يحلل الخيارات ، هل هذا هو الوقت المناسب لاخبار سعاد ام لا ؟!! هل تخبرها ببعض ما تعرف ام كله ؟؟ ام الافضل التكتم عن كل شيء على الاقل في هذه الفترة حتى تتأكد من سير الامور بخطوات صحيحة ؟

فسعاد امرأة شغوفة بابنائها اكثر مما يجب ولديها استعداد ان تقلب الحق باطلا والباطل حقا لاجل اسعادهم ... ومن لديه هذا الاستعداد قد يجور على الاخرين ويظلمهم ...

فماذا سيكون شعور سعاد اذا علمت ان ابنتها رفيدة تعاني الامرين بسبب رفض الحاج يونس لمعاشرتها ؟!!





ستثور دون ادنى شك دفاعا عن كرامة ابنتها المهدورة وثورتها هذه قد تظلم رضا وفرصته مع فتاة احبها منذ سنوات ولم يستطع نسيانها..

الحق يقال ان اسيا تستحق وهي تستحقه ايضا ، انها تناسبه بل تكمله بطريقة فريدة من نوعها ...

كيف لم تتنبه للامر من قبل ؟!! كيف ؟!!

قالت سعاد وقد غيرت اسلوبها من ادعاء الحنق لادعاء التمسكن

" بدرية لا تتلاعبي باعصابي الآن ... انت تعلمين كم يقلقني امرهما "

ردت بدرية وهي ترتشف شايها " ألم تقولي انهما ناما بعمق قريري العين ليلة الامس ؟؟ ماذا تريدين اكثر من هذا ؟؟ "

عندها انفجرت سعاد بالكلام المتدافع " ماذا فعلت بهما بالامس ؟؟ اخبريني بدرية .... رفيدة تكلمت معها لساعة واكثر لتنام بعدها نوما هادئا لاول مرة منذ عام كامل ولم تستيقظ الا قرابة العاشرة صباحا وقد لانت ملامحها وبدت السكينة على وجهها مع ابتسامة هادئة ... اما رضا فهذا حالته اكثر غرابة ! لقد خرج ليلة الامس والغضب يسابق خطواته ولم يرد على نداءاتي الا (فيما بعد امي) ثم عاد بحال غير الحال !





مبتسما هائما سارحا في ملكوت اللّه فيقبل جبيبني ويقول (دعواتك يا غالية) وقبل ان ارد عليه تركني وذهب لغرفته لادخل عليه بعد دقائق فأجده غارقا بالنوم وهو يبتسم للملائكة في حلمه!! "

راوغت الحاجة بدرية لتتجنب هجوم صديقتها " وما دخلي انا بحالة رضا الهائمة ؟!! "

عقدت سعاد حاجبيها وهي تضع كفيها على فخذيها بتأهب قائلة " لاتنكري بدرية ! سامي اخبرني ان رضا كان يتكلم معك بالطابق الثاني قريبا من غرفة رفيدة "

رفعت بدرية حاجبيها ببراءة وقالت " انا تكلمت مع رضا ؟!! اممممممم ربما .. ربما سلمت عليه فقط لااذكر جيدا .."

عندها هتفت سعاد وهي تلوح بسبابتها " انت تراوغين ! انا اعرف هذه النظرة والابتسامة منك ، ثم ان سامي قال بأن عمه بدا غاضبا وغريبا وهو يكلمك !"

ضحكت بدرية بخفة ثم اخذت تحرك حاجبيها باغاظة وتقول " رحاب لن يعجبها تجنيدك لولديها كمتلصصين يا حاجة سعاد "





تأففت سعاد باحباط ويأس بينما بدرية تضع فنجان شايها جانبا على الطاولة الصغيرة لتقف على قدميها استعدادا للمغادرة وهي تقول

" حسنا ..انها الرابعة عصرا وقت جيد لزيارة ابتهال والاطمئنان على ابنتها "

بدت سعاد كأنها تنوي قول شيء ما لتتراجع الكلمات في جوفها ، نظرت اليها بدرية بطرف خفي ثم قالت بلهجة مرحة

" لاتتلكأي وتؤخريني ! هيا بنا "

ادّعت سعاد عدم الفهم وهي تقول

" هيا بنا الى اين ؟!! "

تنهدت بدرية وهي تلتفت لسعاد قائلة " البسي ملابسك للخروج يا سعاد وتعالي معي ، ابتهال تستحق منك هذه الزيارة ، افعليها وكوني السبّاقة لردم الهوة البغيضة التي فرقت بينكما ، فما حصل انتهى ويجب ان يرحل مع من رحلوا لدار حقهم ... "

سألت سعاد ببعض الحرج " هل ترين ذهابي به خير يا بدرية ؟ ام انه قد يزعجها ويؤلمها "

ردت بدرية بلطف " من يسعى بالخير يجد الخير يا سعاد ولو بعد حين والنبي صلى اللّه عليه وآله وسلم اوصانا بالجار.. "





صلت سعاد على الرسول الاكرم وهمّت واقفة على قدميها بتثاقل فلم تملك بدرية الا ان تغيظها بالقول " خففي من وزنك يا امرأة ! لم تتجاوزي الستين وانت تعانين الامراض بسبب ثقل جسدك وانت بهذه القامة القصيرة ! "

هدرت سعاد بالقول الحانق " منذ اربعين عاما وانت لاتكفين عن نصحي في كل ما يخص حياتي ! الم تملي من هذا ؟!! "

ضحكت بدرية من قلبها بينما تتحامل سعاد على نفسها لتجعل خطواتها اكثر سرعة وتوازنا ... !

" انا لااصدق امي ! لااصدق انك قلت له كل هذا الكلام !! لماذا فعلت هذا ؟ لماذا ؟؟"

كانت رحاب قد انزوت بامها بعد الغداء وبعيدا عن مسامع والدها لتسألها عما اخبرت به محسن حول وسام ...

ويا ليتها لم تسأل ! امها كالعادة تصرفت باسلوبها المعتاد باضافة (البهارات) كما تسميها فجعلت القصة تبدو بخيال جامح !!

قالت الام وهي ترمش بعينيها ببعض الارتباك " ماذا تقصدين لماذا فعلت هذا ؟!! فعلته لاجلك طبعا .. لأنعش علاقتك بزوجك باضافة قليل من الغيرة وتلميحات عن منافسة قريبة منه !





هذا نفع اختك وزوجها الذي زاغت عيناه على سكرتيرة متميعة تافه تعمل في نفس الشركة التي يعمل بها ..."

دلكت رحاب جبينها باضطراب شديد وهي تهمس بجزع " ارجوك لاتقحمي موضوع اختي وزوجها الذي يختلف عن شخصية محسن جملة وتفصيلا ! فقط قولي لي كيف تقولين له ان وسام كان يريدني زوجة له واننا كنا نحب بعضنا بجنون والادهى تخبرينه ان وسام اوشك على الانتحار عندما رفضه والدي !! كيف ادّعيت كل هذا ؟! "

عادت الام لترمش وهي تدافع عن نفسها " انا لم اكذب تماما ، فهذا جزء مما حصل ..."

هتفت رحاب وهي تكز على اسنانها " امي ! "

فردت الام ببعض الخجل " اعلم اني بالغت قليلا .. والامر لم يعدُ ان يكون كلاما قلناه انا واختي في صغركما عن رغبتنا بان ترتبطا لانكما كنتما مولعين ببعضكما "

زمّت رحاب شفتيها وهي تحدج امها بتحذير مبطن فتنهدت الام معترفة بكامل التفاصيل " حسنا حسنا .. اعترف انه لم يكن ولعا عاطفيا ، وانك ما ان نضجت حتى رفضت موضوع الارتباط لانك لاتشعرين نحوه الا بعاطفة الاخ ووالدك ايد رفضك لان وسام شاب عابث بعض الشيء "





حارت رحاب بين رغبة بالصراخ او الارتماء ارضا والانهيار بالبكاء !! فايّ الرغبتان تملك ان تحققها الآن دون ان تثير فزع والدها مع ولديّها ؟!!!

قالت رحاب متحاملة على رغباتها الانفجارية

" يا امي .... فقط قولي لي متى تحدثتِ عن هذا مع محسن بالضبط ؟؟"

ردت الام وشعور قاتل بالذنب يسيطر عليها

" منذ .. ما يقارب العام بل .. اقل ... منذ تسعة اشهر او حتى ثمانية ... لااذكر بالضبط .. لكني فعلت هذا لانك كنت تعانين من جفائه معك منذ وفاة والده وترمل اخته وكل تلك المصائب التي تكالبت عليهم دفعة واحدة "

ترقرقت عينا الام بالدموع وهي تقول مدافعة عن نفسها " كنت اريد مساعدتك فقط ، لم احتمل ان اسمعك وانت تخبريني عن احساسك بالنبذ من زوجك ، بابتعاده عنك وبروده معك .... خفت ان تكون عيناه زاغت هو الآخر !! "

تنهدت رحاب بحرقة ورفعت عينيها للسقف تناظر الـ.. لاشيء !

فقط تريد حلاً يهبط اليها من السماء ويخبرها كيف ستقنع شخصا عنيدا معتدا بنفسه كمحسن ان كل ما قالته امها مجرد ترهات !





تصميم كاردينيا73



ترهات اختلقتها لتجعله .. لتجعله ...يهتم بها؟!!

همست بيأس " يا الهي ماذا ساقول له ؟!! "

هل ما مرت به منذ البارحة هو ما يجعل ذهنها يتوهم الامور ؟!!؟ لكن لا .. الخالة بدرية لم تكف عن النظر نحوها بنظرات غريبة لم تفهمها وتلك الابتسامة الصغيرة التي تعلو ثغرها قد اكتشفت للتو انها كابتسامة رضا!! هل ارضعته ابتسامتها لترسمها على شفتيه ؟!!

حاولت اسيا جهدها التركيز على امها والخالة سعاد وهما تتبادلان الكلام بخجل وتعثر !

اشفقت على حالهما معا فقد كانتا مقربتين حقا فيما مضى، همست في سرها بارهاق ذهني متفاقم " يا الهي .. حدث واحد ويقلب الامور كلها رأسا على عقب .. سامحك اللّه ابي كنت تعتقد انك تحسن صنعا باختيار رفيدة حتى نتطمئن لها ونتقبلها لكنك اخطأت .. اخطأت التقدير في كل شيء ..!"

تنبهت اسيا ان الخالتين سعاد وبدرية قد وقفتا استعدادا للمغادرة بعد ان اطمئنتا على رباب ..

قالت الخالة بدرية وهي تداعب شعر رقية بحركة عفوية " الحمد للّه على سلامة رباب يا ابتهال ، قدّر ولطف والحمد للّه .."






ابتسمت ابتهال في امتنان لتجد نفسها مسحوبة في حضن سعاد وهي تقول لها بتأثر

" حفظهن لك الله من كل سوء ، نعم البنات ونعم البيت الطيب "

تحشرجت كلمات ابتهال وهي تتمتم بتأثر مماثل " يبارك لك في بيتك وابنائك يا سعاد "

كان موقفا مؤثرا جدا حتى الصغيرة رقية كانت دامعة العينين باسمة الوجه بفرح داخلي يشع منها اشعاعا ...

اقتربت بدرية من اسيا واحتضنتها بحنان وهي تقول " نعم الفتاة انت يا ابنتي ، جوهرة .. "

فرددت ابتهال بفخر امومي

" اجل انها جوهرتي .."

توردت اسيا للمديح بينما تضيف بدرية بلهجة غامضة " ويوما ما قريب جدا ان شاء اللّه ستصبح جوهرة لغيرك يا ابتهال ، رجل يعرف قيمة الجواهر ويقدرها كما تستحق واكثر "

للحظة ارتبكت اسيا وتضرج وجهها بالحمرة وعفويا انتقلت نظراتها للخالة سعاد فوجدتها منشغلة عنهن بمداعبة وجه رقية وهي تسالها عن مدرستها ...

عادت اسيا لتنظر للخالة بدرية فوجدتها هي الاخرى تتطلع فيها بسؤال .. سؤال لاتتشكل كلماته لكنها بطريقة ما تفهمه !





اخيرا .... تنفست اسيا الصعداء بمغادرة المرأتين قبل وصول حبيبة من العمل فيكفي ما فعلته بالامس وهي تتجاهل محسن ورضا بكل قلة ذوق ...

تحركت اسيا بخطوات تعكس ارهاقها فنادتها امها " هل اعد لك طعام العشاء حبيبتي ؟"

ردت اسيا بابتسامة واهنة " لا يا امي سلمت يداك .. ساطمئن على رباب ثم اذهب لاخذ حمام ساخن واخلد للنوم فغدا لدي عمل متراكم في المحل "

اومأت ابتهال بينما رقية تتذمر قائلة " هل سنجلس بمفردنا امي ؟؟"

ردت الام بارتياح داخلي افتقدته كثيرا

" سنعد قالب حلوى يا كل الرقة احتفالا بسلامة اختك "

صوت ابتهاج رقية بصنع قالب الحلوى ابهج اسيا وهي تدخل غرفة امها حيث اختها رباب تغط في نوم عميق .. جلست على طرف السرير وطالعت وجه اختها الجميل وقد استعاد لونه المتورد ... مررّت يدها على خد اختها بينما عيناها تحدقان في تلك الجبيرة البيضاء التي تحيط بذراع رباب الايمن ..

ابتسمت اسيا ببشاشة وهي تفكر ان رباب مؤكد ستجد فكرة مجنونة لجبيرتها الثقيلة ...





يحاول بجهد اخفاء لهفته وهو يسأل امه

" كيف .. هي رباب ؟ "

ردت سعاد بسؤال آخر هامسة به بتوجس

" هل سألت رفيدة عني ؟؟"

كتم عبد الرحمن تأففه وهو يقول

" لاتقلقي امي .. سألت مرة واحدة واخبرتها انك مع الخالة بدرية في مشوار للسوق وانا قضيت كل الوقت معها واعددت لها الشاي كما تحب والحمد لله مزاجها ما زال رائقا وهادئا لحد هذه اللحظة .." تنهد وهو يسأل ببعض الغيظ " الان .. كيف هي رباب ؟؟"

ردت سعاد بابتسامة حلوة " انها بخير الحمد لله ... وماذا عن رضا هل عاد للبيت ؟؟ "

تحامل على نفسه ليرد بتعجل حتى ينهي الأمر

" رضا عاد وجلس معنا قليلا انا ورفيدة ثم غادر مرة اخرى"

عقدت الحاجة سعاد حاجبيها وهي تتساءل

" خرج ؟!! اين ذهب ؟؟ "

زفر عبد الرحمن وهو يقول بصبر نافد

" لاعلم امي .... لاعلم .. انا لااملك ان اسأله اين سيذهب !! كل ما اعرفه انه كان بمزاج رائع وجعل رفيدة تضحك كثيرا وحالما سأل عنك وعلم انك في مشوار مع الخالة بدرية نزل عليه سهم الله ثم قال (ساخرج لبعض الوقت)!"





افلتت ضحكة من الحاجة بدرية فرمقها كل من عبد الرحمن وامه سعاد بنظرات يعلوها الاستغراب والتساؤل !

فرفعت بدرية حاجبيها ببراءة وهي تقول مبررة " فقط حظرتني نكته القتها ثريا المشاكسة على مسامعي قبل ايام "

هزّت سعاد رأسها وكأنها تقول (لافائدة منك) ثم عادت لتسأل صغيرها عبد الرحمن

" اين سامي وعقيل ؟؟"

اوشك عبد الرحمن ان يشد شعره غيظا !!... لايعرف كيف تستطيع امه تحويل الموضوع بعفويتها المفرطة ليبتعد عن تفاصيل يتلهف لسماعها عن حال رباب ...

تبرم قائلا " انهما لم يعودا بعد ، محسن ذهب لاعادتهما مع رحاب من بيت عائلتها "

مطّت الحاجة سعاد شفتيها بامتعاض وهي تتمتم " الايكفي انها تناولت الغداء مع والديها وقضت طيلة العصر هناك ؟ لماذا تطيل البقاء أكثر من ذلك ؟؟ سامي وعقيل لديهما مدرسة في الغد ام انها لاتتذكر هذا الا عندما اريدهما ان يسهرا قليلا معي ؟!! "

تطلعت سعاد لبدرية ترجو منها تعليقا ممتعضا كتعليقها فتفاجأت بنظرات بدرية المحدقة بصغيرها عبد الرحمن ..!!





كانت بدرية تحدق بعبد الرحمن وتكاد تنفجر ضاحكة ! همست في سرها " هل يعقل ان عبد الرحمن ايضا يستهويه هذا الرباط الخفي مع عائلة العطار ؟!!!"

ودون ان تشعر ابتسامة مستمتعة لامست شفتيها وهي تفكر " لنحل مشكلة الكبير المستعصية ونتفرغ للصغير ! انا متأكدة بأن ولدي الحبيب رضا بانتظاري في بيتي الآن والهواجس تفتك به وبقلبه ... لهف قلبي عليه وعلى قلبه العاشق ...."

الصمت خيم على رحلة العودة كما توقعت رحاب تماما ، لابأس .. هذا افضل .. عليها ان تستعيد ثقتها بنفسها لتحاوره بالعقل ...

مهما تكن طباع زوجها فهو مثقف وله شخصية قوية مميزة ، لقد تصرفت حسنا انها لم تناقشه بأي شيء قبل ان تتكلم مع امها اولا لتستفهم منها عمّا حصل بينها وبين محسن ..

حسنا الآن الصورة مكتملة .. مكتملة وتعرف الخلل اين يكمن ... كانت غلطة منذ خمس سنوات عندما اخبرته عن مشاعرها الحمقاء نحو ابن خالتها .. لكن الغلطة الاكبر عندما عادت والدتها وفجرت الموضوع قبل اشهر وبطريقة سيئة جدا ... حسنا ستحل المسألة .. اجل ستحلها ... وتنهيها !





محسن يحبها ويغار عليها .. هذا كل ما في الامر ، عليها ان تكون سعيدة بهذه الغيرة ... اليست الغيرة وجه من وجوه الحب ؟؟!

غمزت بدرية لزوجها فتنحنح الحاج وهو يقول انه ذاهب لبعض شؤونه تاركا زوجته الماكرة مع ابنها رضا ...

تطلعت بدرية لوجه رضا الذي كان غامضا مبهم التعابير ! هذا هو رضيعها بئر عميق لانهاية له ... لانت ملامحها بمشاعر الحب والعاطفة الفياضة التي تحملها نحوه ، انه ليس رضيعها فحسب بل تشعره ابنها حقا .. من لحمها ودمها ... بل اكثر حتى من هذا .. انه تشعره ابنها اكثر من عبدالله ابن رحمها ! لاتعلم سر تعلقها الشديد بهذا الفتى الذي يوشك ان يعانق الاربعين ...

ربتت على يده فالتفت اليها برأسه يناظر ابتسامتها الامومية فرد لها الابتسامة لتتغضن خطوط وجه فيتغضن قلبها حسرة على حظه العاثر !

لكن لا .. هذا الفتى سيكرمه الله .. حتما سيكرمه ...

اتسعت ابتسامتها وهي تقول له بحنو " ماذا يا حبيب امك ، تبدو ساهما منشغل البال "

اسبل رضا اهدابه وهو يقول " هناك ما يشغلني فعلا امي بدرية "





قالت بتنبه " احكي لي يا غالي ، ماذا يؤرقك ؟"

مرر يده في شعره فلامست نظرات بدرية خصل الشيب المبكر في رأسه فاقسمت الايمان انها ستفعل المستحيل لتعوضه عن كل شيبة هم اثقلت روحه ...

سأل اخيرا بصوت مبحوح " امي بدرية .... اين ذهبتِ مع امي سعاد عصر اليوم ؟ "

غلبتها شفقتها على مخاوفه لتمسك كفه الكبير وتقول " ذهبنا لبيت الحاج يونس لنعود رباب ونسلم على امها ابتهال وباقي البنات "

شعرت بكفه يتشنج قليلا ليقول بنفس النبرة " حسنا .. هل كان اللقاء جيدا ؟ اقصد امي والخالة ابتهال .."

ضغطت كفه برقة تطمئنه " اجل ، كانتا مرتبكتين قليلا لكنهما كسرتا ذلك الحاجز البغيض "

تنهد رضا براحة بينما لم تملك بدرية الا ان تغيظه " الفتيات بدونَ سعيدات ايضا عدا حبيبة لاني لم ارها في الواقع ، لكن اسيا ونعم الـ آسيا ... هذه الفتاة جوهرة ... درة مكنونة ...."

ابتلع رضا ريقه بوضوح وهو يسال بتحشرج

" كيف ... هي ؟ "





ادّعت الحاجة بدرية انها لم تفهم من يعني بالسؤال فردت ببراءة ظاهرية " رباب بصحة ممتازة والحمد للّه ستتعافى قريبا ان شاء اللّه "

رفع رضا رأسه لامه يتطلع اليها بنظرات لامعة ليقول بصوت أجش " انا قصدت اسيا امي ولم اقصد الصغيرة رباب "

واجهت بدرية نظراته دون ان تعقب بشيء تاركة له المبادرة ليخبرها بنفسه ، ولم يطل الامر وهو يسألها والغيرة تحترق في عينيه

" هل اخبرت الخالة ابتهال عن ام طارق ؟ "

ردت بدرية بابتسامة صغيرة " لا .. ليس بعد .. الوقت لم يكن ملائما خصوصا مع وجود امك والموقف الصعب بينهما .. لذلك اجلت طرح الموضوع لوقت آخر "

اتسعت عيناه قليلا وبدت نظراته مهيبة رجولية تشع قوة واصرارا ليقول بثبات " ماذا ان قلت لك اني اريد آسيا لنفسي يا امي ؟ هل ستسعين لي ام لـ......"

اسكتته وهي ترفع يدها لتضعها على فمه وقد ترقرقت عيناها تأثرا فهمست بحشرجة " يا حبيب امك يا غالي ... اقسم اني سافعل المستحيل لاجعلها لك ... لاحد احق منك بها .. اراها بعيني قلبي توأمتك الروحية التي تكملك بصفاتها وطبائعها وروحها الشفافة "





ارتعشت شفتاه وهو يهمس ببحة " انا احبها امي احبها منذ سنوات طويلة ولم احب يوما في حياتي سواها .. "

هطلت دمعتها لكنها ضحكت عاليا بينما تقرص خده وتقول بمشاكسة " امك سعاد ستقتلنا نحن الاثنين من غيرتها لانك أخبرتني قبلها "

اطرق رضا وهو يضحك بخفة بينما تردف الحاجة بدرية بجدية " لاتقلق بنيّ ... انا اعلم ان الامر قد لايكون سهلا لكن ان شاء اللّه آسيا لن تكون لغيرك ..."

تنحنحت وهي تميل نحو رأسه وتسأله ببعض الهمس " هل صارحت آسيا برغبتك في الزواج منها ؟ "

هزّ رضا رأسه دون ان يتطلع لامه بدريه بينما يزفر بحرارة ويقول " اجل امي .. لقد انفجرت انفجارا ليلة الامس واكملت انفجاري صباح اليوم ... مؤكد اني ارعبت الفتاة ! "

ضحكت بدرية وهي تغمز وتقول " اذن لهذا بدت الفتاة مشوشة متوردة الوجه سارحة النظرات، بدت على غير طبيعتها تماما ! "





رفع رأسه بقوة وهو يسأل بلهفة " حقا ؟ لكن .. ألم تقل شيء امي ؟ هل بدت انها اخبرت امها بشيء ؟؟ انا لااطيق صبرا لاتقدم رسميا لها فقط لو تقول لي نعم وسافعلها دون لحظة ابطاء ..."

عادت يدها لتربت على كفه وتقول " الصبر .. بعض الصبر .. يا رضا .. اعلم انك متلهف اليها لكن اصبر حتى نرتب الامور اولا يا بنيّ ... "

تنهد وهو يعيد رأسه للخلف ليقول سارحا " لقد صبرت كثيرا امي ، صبرت اكثر مما يجب .. لم اطلب يوما لنفسي شيئا الا هي .. فقط هي .. وقد تعبت من حرماني منها .. تعبت ولم اعد استطيع الكتمان .. اريدها امي .. وساخذها مهما حصل ...."

وضعت سامي النائم في سريره ثم حاولت مساعدة عقيل في تغيير ملابسه فأبى بملامح معتدة .. يا الهي كم يشبه والده !

اخذت نفسا عميقا وهي تغادر غرفة ولديّها بعد ان اطمأنت لاستقرارهما في سرريهما لتقطع الطريق عبر غرفة المعيشة الدافئة الخاصة بهم ومنها نحو غرفة نومها ، انها تعشق جناحها هذا .. انه مملكتها الصغيرة ..

حتى مطبخها الصغير تعشقه رغم انها لاتستخدمه كثيرا بسبب اصرار حماتها على تناول الطعام مع العائلة في الطابق السفلي ...





لايهم ... كل هذا لايهم ... المهم ان تكون علاقتها بمحسن جيدة .. انها لاتتحمل ان يتباعد عنها .. تشعر بقلبها ينقبض وينعصر عصرا ... تقتلها الوحدة ويعذبها الفراغ العاطفي الذي لايملؤه الا محسن ...

دخلت الغرفة فوجدت زوجها الصامت في السرير ومعه حاسوبه ، كتمت انزعاجها وتحركت نحو خزانة الملابس ...

هل توهمت انه يراقبها خلسة وهي تغير ملابسها ؟؟ ترى .. هل تعجبه مثل السابق ؟

في سنواتهما الاولى كان محسن زوجا عاشقا تحسد عليه .. عقدت رحاب حاجبيها قليلا وهي تسرح شعرها وتفكر ..

" متى تباعد عني محسن بالضبط ؟ الخلل حصل بعد اعترافي السخيف وانا حامل بسامي! لكن مرت الازمة و عادت علاقتهما نوعا ما للتوهج فنسيت تماما تلك الحماقة التي اقدمت عليها بغباء مفرط .. ثم .. ثم .. ماذا ؟؟ متى حصل التغيير مرة اخرى ..؟؟ "

التفتت فجأة لتتطلع لزوجها فوجدته يراقبها بتركيز اربكها ! تلعثمت قليلا ونسيت كل ما حضرته من كلمات فصيحة عقلانية لتقول له بدلا من ذلك وبتعثر مضحك " محسن .... لماذا .. تتباعد عني منذ فترة ؟!! "

ابتسم بسخرية ليقول " ما اجمله من موقع تريدين اتخاذه قاعدة لهجومك علي .. الا يقال خير وسيلة للدفاع هي الهجوم ؟؟"





رفضت ان تنساق لتهكمه فقالت باصرار وهي تقترب منه " لاتراوغ بالسخرية مني يا محسن ، انت تتباعد عني منذ اشهر طويلة تقارب السنة ... منذ وفاة والدك رحمه الله وما رافقها من احداث مؤسفة للعائلة "

اسبل اهدابه وهو يقول بابتسامة باهتة " ماذا الآن ؟!!! هل ستشكين احساسا بالوحدة ؟!!! "

ثم رفع نظراته ليقول بقسوة " خير حجة لتبرري مشاعرك الخائنة نحو حبيبك القديم! "

جسدها يرتجف وهي تحاول السيطرة عليه دون جدوى فقالت باختناق " هل جننت محسن ؟!!! "

شفتاه ابيضتا لكنه قال بهدوء مرعب " ولماذا اجن ؟! اليست هذه هي الحقيقة ؟؟ لولا رفض ابيك لاخلاقه البائسة لكان هو حبيبك القديم ... الجديد ! "

حاوطت نفسها بذراعيها بينما تقول بألم " انت مخطئ وتظلمني كثيرا ... ما قالته لك امي لم .. يكن صحيحا ... اعلم ان فعلتها لاتغتفر .. ولكنها .. لكنها ..."

تلكأت بعجز فسأل وهو يرفع حاجبيه باستهانة " ولكنها ماذا حبيبتي ؟!!! اكملي .. ام هل نسيت ما اتفقتما على اخباري به انت وامك ؟؟"





دموع ترقرقت في عينيها وقلبها ينعصر اكثر واكثر في صدرها فقالت وهي توشك ان تنهار

" لماذا لاتثق بي ؟! لماذا محسن ... هل اعطيتك يوما سببا كي لااكون اهلا للثقة؟!! لماذا لاتحاول ان تسمعني .. تسمعني حقا وتفهمني ...؟"

صمت ... صمت وملامحه جامدة لاحياة فيها فيها فغلب النشيج الباكي على كلماتها وهي تنفجر قائلة " انا لست مسؤولة عن طريقة امي في تقديم المساعدة لي ، انا مسؤولة عن افعالي فقط .. اعترف اني اخطأت قبل سنوات يوم اعترفت لك بمشاعر مراهقة لاقيمة لها تصورت ان الامر سيكون مجرد مزحة .. حسنا يا محسن يا عظيم .. انا اسفة ... اسفة لاني جرحت كبرياءك الرجولي ... اما امي فهذه حكاية اخرى ... بل هي غلطة اخرى ارتكبتها يوم تكلمت امامها عن تباعدك عني ... هي .. هي ارادت المساعدة فقط .. اقسم لك .. امي امرأة تاخذ الامور ببساطة ، لقد سبق وفعلت المثل مع اختي الكبرى وزوجها ، لتثير غيرته بابن الجيران الذي ظل يلاحقها لسنوات ..."

اخذت نفسا متحشرجا وهي تكمل انفجارها

" انا ووسام كنا متقاربين في صغرنا كمجرد اخوين .. كنا نلعب سوية ونمرح كثيرا ثم ما ان كبرت قليلا حتى انتابتني مشاعر المراهقات ولم تدم الا بضعه اشهر ثم بهتت وماتت ...





امي وخالتي كانتا تتحدثان بمزاح عن رغبتهما بتزويجنا لكن الامر لم يتعدَ هذا الكلام وانا من انهيته برفضي الاقتران به لاني شعرت ان وسام لايملك الا معزة الاخ في قلبي وابي وافقني الرأي وانتهى كل شيء قبل ان يبدأ حتى ..."

اغرقت رحاب وجهها في كفيها لتكمل وهي تبكي بحرقة " اقسم باللّه العظيم كل ما قالته لك امي مخالفا لقولي هذا انما كان من وحي خيالها المحض ¡ ""

عندها قال محسن ببرود قاتل

" انت السبب في تباعدي عنك ...¡ "

ابعدت يديها عن وجهها المنتفخ من اثر البكاء، اخذت تنظر اليه بصدمة وهي تهمس بألم " انا ؟؟ انا السبب ؟!! ماذا تقصد ؟!؟ "

ابعد حاسوبه اخيرا ليغادر السرير ويتقدم نحوها بملامح قاسية وهو يقول " انت.... تحلمين به .. تهمسين باسمه ¡ "

تشوشت رحاب وهي تهمس بتساؤل " احلم ..به ؟! اهمس بـ..أسمه ؟!!! من ؟؟ "

ثم اتسعت عيناها بصدمة الادراك

" وسام ؟ تقصد وسام ؟؟ "

نظراته التي اشتدت قسوتها كانت خير اجابة! تملكها الغضب .. الغضب والشعور بالظلم ¡



تصميم كاردينيا73



هدرت وهي تقبّض يديها " هذا كذب .. كذب وافتراء ... انه خيالك المريض ! "

صرخ بها " اياك وتجاوز حدودك معي ! "

ارتعدت من صوته فانكمشت على نفسها بينما يضرب محسن بقبضته على صدره بعنف وهو يقول هادرا " انه انا ... انا من استمع اليك تلك الليلة بعد وفاة ابي .. كنت تهمسين باسمه .. تناديه .. حتى كنت ... تتضاحكين فرحا في حلمك معه ... ثم فعلتها مرة ثانية بعد مرور اسابيع من المرة الاولى ! "

كانت ترتجف من اخمص قدميها لقمة راسها لتخرج الكلمات بشق الانفس

" يا الهي اتحاسبني على حلم ؟! حلم .. مجرد حلم كنت اجد فيه متنفسا لتوتري تلك الفترة ؟؟ وسام كان وما زال كأخ لي .. لو كنت افكر به كما تعتقد فما الذي جعلني اتزوجك انت؟؟ "

عندها صعقها بما لم يخطر على بالها يوما عندما قال بعينين تنضحان بمشاعر الهياج

" هذا ما لم افهمه ! لماذا تزوجتني انا ؟ هل فكرت يوما لماذا تزوجتني انا يا رحاب ؟؟ ماذا امثل لك بالضبط ؟ العريس المناسب ؟؟"

همست وهي تترنح من هول ما يقول " محسن ! ماذا تقول ؟! انت تعرف .. عاطفتي ... نحوك "





عندها فاجأها وهو يخلع نظارته ليرميها بعيدا دون اكتراث ثم في لحظة اخذها عنوة لصدره هامسا بنبرة غريبة " تعالي الي ... اشعريني بتلك العاطفة ما دمت تعجزين عن النطق بها ... ! "

تتقلب في السرير يمينا .. شمالا .. ثم تعاود لجهة اليمين .. تستغفر الله .. تستعيذ به من الشيطان الرجيم .. لكنها ابت النوم رغم شدة الارهاق ....

استلقت على ظهرها وشعرها الطويل المتموج يتناثر على وسادتها ..

همست لنفسها " ما الذي تعجزين عنه بالضبط اسيا ؟؟ هل تعجزين عن صد مشاعره التي تدفقت دفعة واحدة نحوك كشلال هادر ؟! ام تعجزين عن تفسير مشاعرك انت نحوه..؟!!"

استقامت بجذعها باضطراب شديد وهي تواصل همسها لنفسها " هل اشعر .. بشيء نحوه ؟! متى بل ... كيف ؟؟ "

تذكرته ... بوجه رضا البعيد وهي تدخل مع ابيها محل عقيل الصائغ ....





عفويا تبحث عنه وما ان تراه حتى تشعر بالارتياح ، ارتياح بمذاق خاص لم تشعره نحو احد من قبل ، اما هو فيبتسم لها وتتوهج عيناه فتشعر بالدفء يزحف لقلبها ولايعتق خديها ....

ثنت ساقيها وضمتهما معا لصدرها ثم امالت وجهها لتسند خدها على ركبتيها ونور القمر يلقي بضيائه عليها فبدت كلؤلؤة ...

همست وهي تغمض عينيها " صعب يا رضا ... كم هو صعب قول نعم ... "

تنهدت وهي تدور بوجهها لتسند جبينها هذه المرة وهي تهمس بخفوت

" انه كصعوبة قول الـ(لا) بالضبط !! "





الفصل السابع

فتاة تتضاحك بشقاوة ، كانت في الثالثة وربما الرابعة لكنها لاترى منها الا ظهرها ولاتسمع سوى ضحكاتها المفرحة ، شعرها كان اكثر ما يميزها .. شديد الشقرة ! شقرة شاحبة غريبة لم ترَ مثلها من قبل .. تجلس على ارجوحة خشبية معلقة بحبلين من الجانبين وتتأرجح الطفلة ذهابا وايابا...

مدت رأسها لتتتبّع نهاية الحبال واين علقت فلم تصل عيناها الا للسماء الواسعة !! عقدت حاجبيها وهي تفكر " كيف تتعلق ارجوحة في الهواء هكذا ؟!! ومن علّقها وكيف ؟؟"

فجأة اكفهرت السماء بالغيوم السوداء والارجوحة يزداد تسارع حركتها الى الامام والخلف ... ثم حدث الاعجب وارض غريبة تمتد على مرمى البصر .. ارض جدباء بشواهد من بقايا اشجار رمادية مقطوعة !! المنظر كان مرعبا قابضا للقلب بينما سرعة الارجوحة مستمرة في التزايد وعندها اخذت الفتاة الصغيرة تصرخ مفزوعة بكلمات باكية لم تفهمها ... صدحت اصوات مرعبة ما بين ضحكات شيطانية واصوات رياح مخيفة ! الفتاة تصرخ وتصرخ ويداها الصغيرتان تتشبثان بالحبلين بقوة وفجأة انقطع احد الحبلين ثم علا صوت هادر مناديا

" سعاااااااااااااد "





هبّت سعاد مستيقظة اخيرا من كابوسها ، جسدها المكتنز يتصبب عرقا يختض ودموعها تسيل على خديها دون توقف ، جسدها يرتعش ووجهها مازال يعكس صدمة حلم يخادع العقل انه واقع !

تلفتت حولها بلا وعي وانفاسها كأنها محشورة في صدرها تخنقها ! ثم جاء صوت (الله اكبر .. الله اكبر ...) ومع اذان الفجر تراجع كل شيء رويدا رويدا وفرض واقعها الحقيقي نفسه بينما ما زال جسدها يرتعش تأثرا !

اغمضت عينيها واخذت تبكي بحرقة وتستعيذ بالله من الشيطان الرجيم بينما تتذكر اخر النداء في الحلم

(سعااااااااااااااااااا) لقد بدا ... بدا كأنه صوت زوجها عقيل ! هل كان يناديها لتنقذ الفتاة ؟ ام ماذا يعني بالضبط ؟؟

قهوته التي يعدها بنفسه عند الفجر تشاركه حنينه لسلطانة لم تتعطف على مُريديها فلم تفتح لهم الشباك ..

انه الفجر الثاني على التوالي الذي يفتقدها فيه .... فجر الامس كانت في المستشفى مع اختها اما اليوم ......

ابتسم برقة وهو يؤنب نفسه قائلا " هل كان يجب ان تهذر بكل شيء وتخبرها عن مراقبتك لها وهي تطعم الحمائم ؟!!





فتاة تنضح عفة مثلها مؤكد ستمتنع عن فعل ما اعتادته لسنوات طويلة ..."

تنهد بحسرة ليهمس بعينين لاتملّان الشوق لمرآها " اخرجي لحمامك يا توأمة القلب وانا اعدك ساغض طرفي عنك وساضمد جراح الشوق بخيالات حفرت حفرا في اعماقي ..."

يقرأ القرأن في غرفة الجلوس الصغيرة لكن فكره ينشد بين الفينة والاخرى مع تحركات ذابلة في غرفة نومه ...

كانت الافكار قد بدأت تتوارد لعقله باضطراد منذ ان التقطت اذناه ما يدل على استيقاظها فألهته رغما عنه عن التمعن بما يقرأ من ايات اللّه ...

صدّق وهو يغلق القران الكريم ثم قبّله و وضعه في مكانه المعتاد على طاولة مستديرة انيقة اشترتها رحاب قبل عامين ...

امسك مسبحة واخذ يسبح وهو يطرق برأسه ، شعور بالضيق الشديد جعله يلجأ لربيع الصدور ... من بعد صلاة الفجر وهو يقرأ القرآن ليبحث في هداه عما يبرد ناره واحساسه المريع لما فعله بالامس مع زوجته ...





لقد كان ...عنيفا .. قاسيا جدا .. باردا بتعمد في اخذ حقوقه منها ... حجب اي عاطفة يكنها لها ليعاقبها لكنه في النهاية عاقب نفسه ايضا وهو يشعر انه تصرف كحيوان !

والاسوأ انه تركها في السرير تجري دموعها بصمت يرتعش جسدها قهرا بينما هو يشتم مرتديا ملابسه ملتقطا نظارته الطبية من الارض حيث رماها آنفا ليغادر الغرفة تماما ويلجأ لغرفة الجلوس متخذا من الاريكة مضجعا لجسده المرهق ...

اغمض محسن عينيه وهو يوقف تسبيحه ويستغفر اللّه ويقول

" انه امر ليس بيدي .. ليس بيدي ... حبها ليس بيدي وغضبي الجامح منها ليس بيدي ايضا ...! "

شعرت بالغيظ من حبيبة لانها لم ترضَ بترك السيارة لها ! همست بحنق " هذه الفتاة سيشيب رأسي بسببها ! لاتقدر معنى اهمية تواجدي باكرا جدا في المحل لاعمال ضرورية ..."

اشارت اسيا بيدها لسيارة اجرة وهي تقطع المسافة سريعا لتقف على الرصيف المطل على الشارع العام ...لكن السائقة تجاهلها !





كزّت على اسنانها وهي تتطلع لساعة يدها وتعاود همسها الحانق " لابد ان نشتري سيارة اخرى ، لن ينفع ان اظل تحت رحمة مزاج حبيبة المتقلب ..."

لمحت سيارة اجرة اخرى فاخذت تلوح لها حتى توقفت على بعد خطوات منها ليتطلع اليها السائق في مرآته الامامية ثم اخذ يتراجع بسيارته للخلف فزفرت اسيا براحة وهي تحمد اللّه بينما تتقدم باتجاهه في خطى متعجلة

...

انزل الشباك للمقعد المجاور له فعلمت حبيبة انه يريد التأكد من وجهتها اولا فمالت برأسها قليلا لتكلمه عبر الشباك المفتوح فقالت ابتداء " السلام عليكم .."

عبست اسيا بامتعاض من نظرات السائق السخيفة نحوها وقد اخذ يحملق في وجهها دون ان يرد السلام ليتبعها بابتسامة اسخف ارتسمت على شفتيه وهو يقول بتفكه :

" اي مكان انا بالخدمة ! "

ظل ضخم وصوت رغم هدوئه الظاهري لكنه يوحي بالغضب المكتوم وهو يرعد من جانب اسيا " الآنسة لاتحتاج اليك "

اجفلت اسيا وهي تبتعد قليلا لترى رضا واقفا بجانبها يوجه لسائق الاجرة نظرات نارية ودون ان يعطيه مجالا للرد ضرب عدة ضربات بكفه على سقف السيارة من الخارج وهو يقول بصرامة " توكل على اللّه .."





كانت اشارة واضحة للسائق ان ينصرف فلوح السائق بيده مودعا وهو يحرك سيارته وقد اذهل اسيا سرعة تحول ملامحه من الصفاقة الى الاحترام وادعاء البراءة !!

التفتت ناحية رضا لتجده يتطلع اليها بملامح رجولية متملكة قائلا لها بصوته المبحوح

" لا احب ان تستقلي سيارة اجرة .."

احمرت وهي تبتعد بعينيها عنه قائلة بعفوية

" حبيبة اصرت على اخذ السيارة اليوم "

تنهد برقة مازحا بعذوبة " الحل بيدك ! قولي نعم وستجديني رهن اشارتك اقلك حيثما شئتِ "

تنحنحت وهي تتحسس على حجابها بحركات مرتبكة لتقول ببعض الجدية " حسنا .. من الجيد اني .. رأيتك الآن .. كنت .. اريد التحدث معك ..."

كلماتها فقط من صبغتها جدية واهنة لكن وجهها كله ينطق بالخجل اللذيذ ، وقفتها تتململ بالارتباك ونظراتها تتبعثر هنا وهناك بحثا عن اي شيء يلهيها عن النظر مباشرة اليه ..

قال بصوته الاجش " اميرة البنات لا تكلم رجلا غريبا في الشارع امام اعين الناس التي قد تجرحها بسوء الظن "





ثم ترقق صوته وهو يضيف " خاصة اذا كان الرجل متيما بها مثل حالتي ! ومستعد ان يموت الف مرة قبل ان يصيبها خدش صغير"

ابتلعت ريقها وهي تفكر انها حقا بمنتهى السذاجة !! هل يعقل انها بهذا العمر وبهذا الزمن وتعجز عن التعامل مع غزله وتغرق في في الخجل كمراهقة غريرة ؟!!!

لقد واجهت بصرامة العديد من المغازلات والملاطفات سابقا وخاصة بفترة الجامعة ... فما بالها تقف كالبلهاء امامه هكذا ؟!!

ام ان العلّة ليست فيها وانما في هذا (الضخم المشتعل) والذي قرر على حين غرة ان يطرق دون رحمة كل الشبابيك والابواب حتى تفتح له مذعنة راضية !

شعرته يبتعد قليلا ويقول بخفة " اذهبي يا اميرة البنات وانا ساحضر لمحل والدك عند الظهر وكلميني عندها كما تشائين "

فتحت فمها لتعترض عندما وجدته يلوح لسيارة اجرة يقودها رجل عجوز فاوقفها وهي تحدق فيه ببلاهة !

كانت غارقة في تخبطاتها عندما ادار وجهه ناحيتها فخطفت قلبها تلك الابتسامة المشعة كاشعاع عينيه الجذابتين وهو يقول لها " لقد اتفقت مع العم ليوصلك حيثما تشائين "







مدت يدها لعتلة الباب تفتحها بينما يقترب منها هامسا " لقد دفعت له ..."

رفعت رأسها اليه وهي تقول بعجب " متى ؟! "

ضحك بخفة ثم قال غامزا بمرح " عندما كنت شاردة بافكارك بعيدا "

اعترضت بحرج " لكن رضا ... لايجوز ان تد..فع لي ... "

تراجع مرحه ولم يبقَ الا ابتسامة صغيرة علقت بشفتيه وهو يهمس بصوت اجش

حازم " اصعدي اسيا .. الرجل ينتظر يا اميرة البنات.."

ارتفع حاجباها وهي تحدق فيه ! لم تر رجلا مثله ... لديه كل هذه الرقة لكن بعمق صلب لايركن للضعف ...

همس بحشرجة دغدغتها " هيا اسيا .. ارحميني مما تفعلينه بي ..."

ابتلعت ريقها محمرة وهي تسارع لفتح عتلة الباب التي ما زالت ممسكة بها بغباء !

ما ان استقرت حتى اغلق لها الباب بنفسه ثم ابتسم وهو يتطلع للعجوز ويقول " اختي امانة معك يا حاج .. في حفظ اللّه كلاكما "

اومأ الرجل العجوز وهو يرد على السلام الذي القته اسيا بخفوت بافضل منه ..





ثم انطلقت سيارة الاجرة ورضا يشيعها بنظراته وصدره كقلبه الهادر ينبض ينبض ينبض ...

قالت بنبرة باهتة دون ان تتطلع اليه " سأذهب لبيت اهلي ..."

تطلع محسن اليه ببروده الظاهري المعتاد وداخله يغلي ! يغلي غضبا ورفضا ...

قال بنوع من التهكم " ألم تكفي نصائح الامس لتهرولي لوالدتك تطلبي منها المزيد؟!!"

وجهت نظراتها اليه ويا ليتها لم تفعل !! ما ان نظرت لملامحه ذو المسحة الموحية بالارستقراطية حتى تدفقت مرة واحدة ذكريات ليلة الامس وكيف ارتسمت الوحشية على تلك الملامح .. وحشية باردة تنهش فيها بانانية متعمدة !!

ارتعشت شفتاها ألما فخرج صوتها متعثرا بذلك الألم " احتاج ليومين ... بعيدا عن اجواء ... البيت ... "

اتسعت عيناه بثورة غضب هائج ثم هفتت سريعا و....صمت !!

قلبها كان يقرع هادرا بخوف ! انه الخوف من فقدانه يوما !! ... لن تحتمل فقدان محسن ... يا الهي سيتفتت قلبها وتتحطم كليا ...





انها لاتحتمل عندما يعاقبها بالبرود وتظل كطفلة تائهة تتتضور جوعا لحنانه ودفئه ... دلاله .. عاطفيته المتفجرة خلف قناع الرقة الخادعة ... حبه الذي كان يبثها لها بالكلمات الملتهبة قبل الفعل الجسدي ....

لا احد غيره يستطيع ان يعيد اليها توازنها .. لااحد غيره ... لا امها ولا ابيها ولا اختها ولا حتى ولديها الحبيبين ... انه فقط هو محسن من بيده كل المفاتيح ....

اخيرا قال وهو يلتفت ليلتقط حقيبته الجلدية من الارض ويقول ببساطة " تريدين زيارة اهلك مرة اخرى لا مانع لدي لكن .. ان تبيتي هناك ؟؟؟ فـ...لا .... ! "

ثم ادار وجهه اليها وملامحه تشع تأكيدا لكلماته المختصرة " لا ..يا رحاب ... لا ....! "

تحرك نحو باب غرفتهما ليضيف بصوت أجش

" الليلة سانام في غرفة الجلوس ! "

شهقتها الناعمة لم يبدِ لها تأثرا بينما يفتح الباب ويقول بهدوء " هيا بنا لقد تأخرنا بما فيه الكفاية ..."

يرمقها باستغراب منذ مجيئها في الصباح الباكر ، ما بها هذه الفتاة ؟!! ليست على طبيعتها اطلاقا .. انها توقع الاشياء وترتكب الاخطاء وهذا ليس من شيمها ابدا ...





في البدايۃ تصور انها مرهقۃ بسبب حادث اختها لكن الامر لايستدعي ان تكون محمرة الوجه طيلۃ الوقت ونظراتها هائمۃ وتسرح دوما باتجاه باب المحل الرئيسي !!

لا .. هناك شيء ... شيء يشغلها ويقلقها ايضا ... فآسيا تلك الطفلۃ الجميلۃ الوديعۃ تربت امام ناظريه ويعرف كل خلجاتها ، انه متعلق بها اكثر من باقي اخواتها البنات ربما لان الحاج يونس اعتاد احضارها بكثرة لمحل العطارة فيدللها هو وكل من يعمل هناك ، انها فتاة خلقت للدلال حقا ...

وربما سر تعلقه بها لانها تذكره باول ايام له في محل ابراهيم العطار ... شاب عشريني ترك تعليم المدارس لاجل لقمۃ العيش ، كان بارعا في الرياضيات ووجد متعۃ في الحساب وهكذا ظل يتنقل من محل لمحل يمسك دفتر الحساب ... حتى وصل لمحل ابراهيم العطار ...فمنحه الحاج ابراهيم نفس الوظيفۃ ثم تقوت اواصر الود واصبح يثق به ثقۃ عمياء ثم توطدت صداقۃ متينۃ بينه وبين ابن الحاج الثلاثيني ... يونس العطار ...

كم مضى على تلك الصداقۃ ؟ اكثر من عمر آسيا بل ممتدة لما قبل زواج يونس ..

وها هو يلحق بخطواتها الشابّۃ وهي تدخل مكتب والدها فيتذكرها ابنۃ العامين تتحرك بخطى متعثرة فيلاحق هو تلك الخطوات الصغيرة يخشى عليها الوقوع ....





استجلبت تنهيدتها انتباهه ليخرج من دائرة الذكريات تماما ويتطلع اليها بتدقيق وهي تلتف حول المكتب الخشبي القديم لتجلس على كرسي والدها ..

وكأنها ادركت نظراته اليها فرفعت وجهها المحمر اليه ليواجهها ذلك الاستغراب منه ...

ارتبكت ثم ... عزمت ! لكن صوتها بدا اقرب للهمس وهي تناديه " عم ابو عبدالله "

تبسم لها رادّا " نعم بنيتي "

رآها تتردد للحظة ثم قالت وهي تطرق بنظراتها " انا .. بحاجة ...لاتكلم معك .."

تقدم ليجلس على كرسي مقابل لمكتبها وهو يقول بلطف " كلي آذان صاغية "

شابكت يديها امامها بقلق واضح وما زالت لاتتطلع اليه لتقول "احتاج ...الن...صيحة في امر .. مهم ... امر لااستطيع اطلاع .. والدتي عليه ... على الاقل الان ... انه موضوع خاص .. يخص حياتي .. لكنه يمس عائلتي ايضا .."

رد عليها يطمئنها " انا كوالدك بنيتي اخبريني ولاتخجلي ، فانت واخواتك امانة في عنقي "

اخذت نفسا عميقا وزفرته ببطئ ثم رفعت وجهها اليه لتقول بتماسك " باختصار ودون اي مقدمات ... رضا طلب مني .. الزواج "

للحظة لم يسعفه عقله ليتساءل" اي رضا ..؟؟"





ابتلعت ريقها بوضوح بينما احمرارها يتضاعف

"رضا ابن... الحاج ...عقيل الصائغ "

ارتفع حاجبا ابو عبدالله عاليا ونظرات عينيه تعكسان استيعابا متباطئا للمفاجأة ليردد بعفوية اول ما خطر في باله " تعنين توأم رفيدة الصائغ ... زوجة أب...."

لم يكمل وقد اشبعهما هما الاثنان الادراك لتلك الحقيقة الحاضرة ....

ارتعشت شفتاها وهي تردد بلمحة قنوط " هل رأيت يا عم ؟! هذا اول ما خطر في بالك .. انها زوجة ابي ! او الاصح من تزوجها ابي لتكون ضرة لامي ... الموضوع لايحتمل التفكير به حتى ! لافائدة ... ولاامل .."

تمالك ابو عبد الله نفسه ولملم اثار دهشته ثم اخذ يتطلع لآسيا ويدرسها عن كثب ...

لقد تقدم لخطبتها الكثيرون لكنها رفضتهم ! فما الذي يؤرقها ويصعب عليها قول كلمة الرفض لرضا الصائغ ؟؟!!

ماالذي تعانيه هذه الفتاة بالضبط ؟؟؟

قال اخيرا بهدوء " افهميني يا ابنتي الموضوع من اوله ، متى تقدم اليك رضا الصائغ ؟؟ هل عندما حضر الى هنا قبل فترة ؟ ام متى بالضبط ؟؟ كلامك معي في البداية يوضح ان عائلتك لاتعلم بعد ..."





نفسا مرتجفا اخرجته اسيا ثم رفعت يدها لجبينها تمسده باضطراب وتهمس " مؤكد لم اخبرهم ! لقد .. لقد طلبني في المستشفى .. عندما كنت مع رباب هناك ... "

ازداد اضطرابها وهي تضيف بتشتت " لااعلم لماذا لااقول لا وانهي المسألة .. لاينفع الامر .. ابدا لاينفع ... امي ستتألم مجددا وحبيبة مؤكد ستجن من الغضب ! وماذا عن رفيدة ؟!!! كيف يمكن التعامل معها ... ؟!! "

هدأها ابو عبدالله بالقول " اسمعيني اسيا .. تماسكي قليلا وفكري جيدا بالموضوع ، فربما يكون ارتباطكما فيه منفعة للعائلتين وليس الضرر كما تعتقدين ..."

رفعت وجهها اليه ومسه ذلك الرجاء والامل الذي افلتته ملامحها فلم تخبئه قالت " كيف عماه ؟ كيف ؟؟ اشرح لي لاني لااري اي خير في هذا ..."

ابتسم لها بلطف ثم سأل بنبرة مباشرة

" اخبريني انت اولا ، لو لم يتزوج والدك رحمه الله من رفيدة هل كنت ستقبلين برضا زوجا لك ؟؟ "

للحظة صعقتها بساطة السؤال ! فزاد عجب ابي عبدالله !! طال صمتها المصدوم فاعاد السؤال بصيغة اخرى " صارحيني يا ابنتي ، هل ترين رضا مناسبا لك كزوج ؟ "





رمشت ولم ترد لكن الاحمرار عاودها ثم انزلت وجهها في خفر ، ترقفت ملامحه فابتسم قائلا " ونعم الاختيار بنيتي ، رضا رجل قد ندر وجود امثاله ، اصيل ومن بيت اصيل "

همست له باستحياء شديد " وماذا ان كان يا عماه ؟!! لايفترض ان أؤلم عائلتي لاني اجده .. مناسبا لي .."

قال ابو عبدالله بتأن " امك يا اسيا قد تألمت وانتهى ، سامحه الله والدك كم نصحته ان يتروى اكثر بالموضوع لكن سكوت والدتك ورضوخها لما اراد شجعه ليكمل "

رفعت عينيه اليه لتقول بغصة " كانت تريد اسعاده عماه ، لكنها تألمت جدا .. رضوخها هذا لم يجعلها تخسر ابي فقط بل خسرت حبيبة ايضا ! فحبيبة ما زالت تلومها على قبولها بالامر ، عام كامل مرّ ونحن نعيش نفس الدوامة ..."

عندها قال ابو عبدالله " اذن حان الوقت لتتجاوزوا الامر جميعا ..."

ترددت اسيا قبل ان تقول " البارحة حضرت الخالة سعاد والدة رضا ومعها الخالة بدرية والدته بالرضاعة ، اصبت بالذعر للحظة وانا اتخيل انهما قادمتان لخطبتي لكن الحمد للّه كانتا فقط قد أتتا لتطمئنا على رباب ، الامر صعب عماه .. صعب ... حتى لو تقبلته امي وسكتت عنه حبيبة ماذا عن رفيدة ؟؟ كيف اعيش معها بنفس المكان ؟؟





هي الاخرى تتألم وقد تقوم مشاكل كبيرة داخل عائلتهم بسببي ..."

اطرق ابو عبدالله مفكرا ثم قال " خذي وقتك اسيا ولاتسبقي الاحداث وتسارعي لتوقع المشاكل ، ولاتنسي ان رضا سيكون معك في هذا ولن تواجهيه بمفردك ، وهو رجل عند كلمته وقادر على مواجهة العوائق "

" السلام عليكم ..."

التفت الاثنان مرة واحدة ناحية الباب حيث يقف رضا غامض التعابير هادئ ولو ظاهريا ..

لم تعرف كم مرّ من الوقت بعد السلام المتبادل بينه وبين عمها ابو عبدالله ثم اسئتذان الرجل الاكبر ليغادر المكتب تاركا اياهما بمفردهما ...

شحنات تكاثفت في الجو ، وبشفافية ادركت انها شحنات توتر .. منه ومنها ...

تقدم نحوها بسلاسة وهو يقول " هل كنت تخبرين ابو عبدالله ..عنّا ؟؟ "

اضطرت ان تنظر اليه فقالت بهمس متحشرج

" اجل .. كنت اريد ... نصيحته "

يعترف انه شعر بالغيرة !! اجل انه غيور .. لقد اصبح متملكا نحوها بطريقة منفلتة جدا ! كل المشاعر تدفقت منه باعترافه الانفجاري ، كل شيء ..! كل ما يمكن لعاشق ولهان معذب ان يشعره نحو معشوقته ...





ربط على غيرته وتحامل على نارها ليسأل وهو يسبل اهدابه " وماذا قال ؟"

تنهيدتها احرقت جوفه .. تنهيدة عميقة تفصح عن شلال من الكلمات ...

قالت اخيرا " انه ينصحني التروي ..."

عندها همس وهو يحدق فيها بعاطفة متوقدة " التروي بقول الـ نعم ام الـ لا ؟! "

ردت باختصار وهي تتحاشى النظر اليه

" الاثنان ..."

تنهد وهو يسأل برقة

" هل يزعجك ان اجلس ؟"

احمرت وهي تسارع للقول مشيرا للكرسي امامها " اسفة .. لا طبعا لا امانع ... تفضل بالجلوس "

ابتسامته الصغيرة شقت شفتيه وهو يستمتع بحرجها هذا ..

جلس حيث كان ابو عبد الله جالسا قبله وبدأ بالقول " انا ساكون محددا ومباشرا .. قبل ان نتحدث عن العقبات احتاج ان اعرف منك امرا بشكل صريح "

توترت وهي تسأل " اي امر ؟؟! "

ذابت نظراته حرارة ليهمس " احتاج ان اعرف لولا موضوع رفيدة هل كنت .. ستقولين نعم؟"





الحرارة تشع من كل مكان ورغما عنها تهربت باول ما خطر لها " عم ابي عبدالله سألني نفس السؤال ! "

اغاظه واثار غيرته مرة اخرى لكن كتم في داخله وسأل " وماذا كان ردك عليه ؟؟"

يداها المرتعشتان تتلاعبان بأي شيء على مكتبها ، قلم .. اوراق .. اي شيء !

وهو جالس هكذا امامها يستعذب عذابها ويتجرع ناره وكأنه ينبوع ماء عذب ...

ناداها همسا " قوليها اسيا .. اريحيني بالله عليك .. "

زاد ارتباكها وهي تبعثر الاوراق اكثر لتهمس اخيرا وبعد طول العذاب بتعثر شديد

" انا .. اقصد ... انت رجل .. رائع .. ومؤكد .. انت تعرف .. "

وضع كفه على الاوراق التي تبعثرها فرفعت عينيها لتواجها عينيه المحترقتين بالعواطف فسأل بصوت مبحوح " نعم ... ام لا آسيا ..؟"

هزّت راسها كخرساء لكنه أصر والاشتعال في عينيه يتأجج " نعم ام لا ....يا اميرة البنات ؟"

عادت لتهز رأسها بينما الهمس خرج باستحياء على شفتيها " نــ..عم .."

زفر بقوة وهو يتراجع للوراء ويغمض عينيه هامسا " اخيرا......."





قلبها سيشق صدرها ! مؤكد .. في اية لحظة
الآن ستجده رابضا امامها على مكتب والدها !

والدها ؟! ... والدها ...! اجل والدها الحبيب !

عقدة الخرس انحلت لتقول بحشرجة نشيج
ناعم " ما معنى كلمة الـ نعم رضا .. ؟؟ انها
لاتعطي الاجابة التي تريدها حقا .. انت
تتخيل الامور ستحل بكلمة واحدة فقط !

لكن هذا غير صحيح ... امي .. اختي حبيبة
.. اختك .. رفيدة ..."

ذاب لنشيجها وهو يحدق بملامحها المتألمة
فقال بحنان متدفق " هوني عليك يا توأمة
القلب ، اريدك ان تهدأي وتفكري .."

قالت وهي تمسح دمعة فارّة من عينها " هذا ما
قاله العم ابو عبد اللّه ايضا "

فرد بحنق رقيق " العم عبد اللّه بدأ يثير
غيرتي الشديدة لانه يسبقني دوما بخطوة
معك "

تطلعت اليه للحظة وفاجأته كما فاجأت
نفسها بضحكة عذبة اخرجت معها توترها
كله ...

هل هذه غمازة خفيفة على خدها الايسر ؟!!

انه .... مسحور .. يكاد يقسم باللّه ان هذه
الفتاة عملت له سحر من النوع الابدي !

همس لنفسه مأسورا بضحكتها "يا ويلك يا
رضا ويا ويلها هي مما تثيره فيه "





عادت يداها لتلاعبان اوراقها لكن هذه المرة بدت شاردة مع ابتسامة نقية لتقول " هل تعلم ان والدي وعمي عبد الله لديهما نفس الافكار حول انجاب الذكور والاناث ؟! "

راقه ان يتحول قليلا بالموضوع ورغم غيظه من ابي عبدالله الا انه مستمتع بسماع صوتها الشجي ليسأل بصوت أجش " كيف ؟! "

ردت وهي ما زالت على ابتسامتها " الذكر والانثى يتحددان من الرجل هذا يعرفانه لكن لديهما اعتقاد راسخ ان هناك ارحام خلقت لتحتضن بين ظلماتها الثلاث اجنة الاناث فترعاها وتتمسك بها بينما تلفظ كل ما يتعلق بالذكور وهناك العكس !

وهناك ارحام قوية محظوظة تحتضن النوعين معها دون تفريق ... ! "

رفعت عينيها اللامعتين كالاحجار النفيسة لتكمل بعذوبتها " لااعرف مدى صحة هذا الكلام ... لكن الغريب رغم قناعة العم عبدالله بهذه النظرية عارض والدي عندما اراد الزواج باخرى لاجل انجاب صبي ! "

قال رضا وهي يملي عينيه منها " انا لايهمني بنين او بنات .. ما يهمني ان يكونوا منك انت يا اميرة البنات ... ان انجب الف طفل وطفلة فقط ليربطوكِ بي فلا تجدي فكاكا مني الا بموتي ..."





كانت تطالعه منبهرة بتلك العينين فتثيران جنونه ، فيهدر السؤال في صدره (هل حان وقت اختطافك رغما عنك يا ابنة العطار ؟!؟ هل ستجعليني اخرج من جلدي حتى انالك ؟)

قال بصوت يفيض قوة " رفيدة انا ساتكفل بمشكلتها ، وقد حان الوقت لتدرك ان الاكوان لاتسير في فلكها !! حان وقت ان تعترف بخطأ قبولها الزواج من ابيكِ وان تتجاوز عن هذا الخطأ ... عليها ان تتعلم كيف تحمد اللّه على نعم كثيرة مِنّ بها عليها فتلهيها النواقص عن ادراك قيمتها ..."

ما زالت تنظر اليه بعينين متسعتين كأنهما تحاولان استيعابه هو شخصيا فيما اكمل بنفس القوة والاصرار " حتى والدتك عليها ان تتجاوز ألمها آسيا وتتقبل نتائج ما رضت به ... لقد اذهلني بوقتها هذا القبول منها لكني فيما بعد ادركت انها مؤكد احبته بعمق لترجو سعادته حتى ولو على حساب انوثتها .."

همست بحشرجة متسائلة " وحبيبة ؟؟ "

رد وهو غارق في عينيها " ستتعلم هي الاخرى درسا في الحياة حول تجاوز اخطاء الماضي والبدأ من جديد ... لااحد يتعلم دون ثمن .."

ردت بعدم ثقة " لااظن حبيبة ستفهم .... انا خائفة رضا .. قلبي لايطاوعني حتى لاخبر امي ... لااريد .."





اقلقه ردها وباغته الألم لفكرة رفضها له لكنه اخفى كل ما يعتمله وقال بغموض

" اعلم اني فاجأتك بكل شيء دفعة واحدة .. لذلك ساصبر اسيا .. ساصبر ... وخذي كل الوقت لاخبار الخالة ابتهال ..."

بدأ احساسها بالسكينة الذي حظيت به ليوم كامل بدأ يتلاشى ببطئ .. ! يتسرب كالرمال الناعمة من بين اصابع روحها المتألمة ...

تمسك قطعة قماش نظيفة وتمسح الغبار عن اثاث غرفة المعيشة بشرود بينما احساس مألوف بالاختناق يتسلل اليها مع تسرب شعور السكينة منها قطرة قطرة !

اعترافها بالحقيقة للخالة بدرية رفع حملا ثقيلا عن كاهلها وبضع كلمات من الخالة ضمدت جراح انوثتها النازفة علّها تلتئم...

اليوم الفائت لم تفكر بالحاج يونس ابدا ، لاول مرة منذ عام عقلها لايجاهد لمقاومة الذكريات لانها ببساطة لم تحضر !

لكن مع اشراقة هذا اليوم عادت لرتابة حياتها ... عادت لرفيدة العانس التي ستبلغ الاربعين قريبا ... الاربعين !!

شهقت وهي تضع يدها على فمها ويتحشرج صوتها وهي تهمس باختناق " سافقد اخر فرصة قريبا ... قريبا جدا ! "

" رفيدة ..."





التفتت رفيدة وشعور الاختناق ما زال ماثلا على ملامحها لتواجه توأمها بنظراته العميقة المتطلعة اليها ...

قالت بعفوية " رضا ؟! ما الذي اعادك للبيت مبكرا هكذا "

لم تفهم غموض ملامحه وهو يقول بهدوء

" عدت لاجلك رفيدة .. اتيت اخذك لنخرج سوية وبمفردنا تماما .."

رمشت بعينيها وقد تلاشى من ذهنها التفكير بشعور الاختناق لتتساءل دون استيعاب " ماذا ؟!!! الآن ؟!!! وماذا عن عملك ؟!!! انها ما زالت الثانية بعد الظهر !! "

شعّت ابتسامته وهو يقول متجاهلا اعتراضها وتساؤلاتها " ابدلي ملابسك ... عشر دقائق فقط وكوني جاهزة والا سآتي لغرفتك واغير لك ملابسك بنفسي ..! "

استنشقت رفيدة الهواء النقي من شباكها المفتوح بينما رضا يقود سيارته بسلاسة ... وبعد ربع ساعة قضياها صامتين في رحلة مجهولة الهدف بالنسبة لها رأته يعطي اشارة جانبية نحو اليمين ثم فجاة رأته يخفف امام مدخل لمبنى معين لتعبس رفيدة وتزم شفتيها بارتعاش داخلي رافض وهو تلتفت نحو رضا قائلة بحنق :







" لماذا احضرتني لملجأ ايتام يا رضا ؟! كم مرة قلت لك انا لااحب العمل في اماكن كهذه .. لااجيد التعامل مع هكذا حالات كما انه لارغبة لي بالعمل اصلا ! لماذا تريد اجباري على شيء لااريده ...؟!! "

لم ينظر اليها رضا ولم يلتفت لاعتراضاتها الغاضبة بينما ركن سيارته بهدوء في المرآب الخاص للملجأ ...

اطفأ محرك سيارته وهبط منها ثم استدار حول السيارة ليفتح الباب لاخته ويدعوها للترجل قائلا بهدوء " انزلي رفيدة ، ليست غايتي ان تعملي هنا .. تعالي معي فقط اختي.."

تكتفت رفيدة بتعنت رافض ولم تنظر اليه فناورها رضا بالقول اللطيف " اقسم لك اني صادق ، لن اطلب منك العمل هنا على الاطلاق ..."

اطبقت فكيّها بتوتر قبل ان تدير رأسها لاخيها وتقول بتوجس " هل تعدني رضا ؟! هل تعدني انك لن تحاصرني بفكرة العمل هنا؟"

تبسّم وهو يرد بصدق " اقسم لك .."

تنهدت رفيدة والتفتت بجسدها لتترجل من سيارته ...

ما ان دخلا مبنى الميتم القديم حتى عاودها التوتر وبشكل اسوأ !





رضا استأذنها ان تنتظره لبعض الوقت حتى يكلم مديرة الملجأ بموضوع فرجحت رفيدة انه ربما أتى للتبرع لهم ببعض المال فلم تمانع انتظاره ...

بينما تنتظر لمحت بعض الوجوه الصغيرة الفضولية تتوجه نحوها بالنظر ..

اربكها الامر ! لاتعرف لماذا اربكتها هذه الوجوه !!

عندما عاد رضا تنفست الصعداء لتقول له بتوتر " الحمد لله لم تتأخر ، هيا بنا لنغادر"

تطلع اليها رضا للحظات ثم قال بلهجة غامضة " كنت اتصورك ستتجولين قليلا في المكان"

فردت وهي تمسك كفه بنفس التوتر " لا .. لم ارد ان ..."

قاطعها وهي يشد على كفها بقوة ويسحبها معه " لابأس سآخذك في جولة بنفسي ، لقد استأذنت المديرة ..."

قبل ان تعترض بالرفض كانت قد اصبحت وسط تلك الوجوه ... تحاوطها هي ورضا من كل جانب ... فتيات وفتيان لم يتجاوزوا عمر العاشرة!

جاءها صوت اخيها هامسا قريبا من اذنها

" راقبي وجوه هؤلاء الاطفال بتمعن يا رفيدة .... اقرأيها ...





اشعري بما وراء ملامح طفولتهم التائهة والمهدورة ... انظري اليهم ولاحظي الفروقات بين تعابيرهم ...!! "

كان يتكلم وعيناها تمران على هؤلاء الاطفال وقد بدأوا يتجمهرون تتسلط انظارهم عليها هي دون رضا ....! انظار تطفح بالجوع ! ماذا يريدون منها بالضبط ؟!!

صوت رضا بدا وكانه يصدر من مكان آخر بينما يقول وهو يفك طلاسم هذه الوجوه البائسة " ستجدين وجوه بين باكية ومتباكية ! من يبكي يشكو ألمه .. خوفه ... ارتباكه من وحدته وجزعه من ضعفه في هذه الدنيا !! ومن يتباكى يحاول جهده رسم البكاء علّه يستجلب الشفقة فيحصل على عائلة تتكرم عليه وتتبناه ! "

ارتعشت رفيدة وهي تقرأ ما يقول على بعض تلك الوجوه فتشعر باحساس غريب لم يكتنفها في حياتها !

احساس بالألم ..! ألم فظيع لكنه ألم بمذاق مختلف .. بمذاق اكثر مرارة مما شعرته في حياتها كلها ...

اكمل رضا وقد بدا صوته بلمحة مرارة "وهناك من يبتسم باسراف مبالغ فيه وهو يتخذ طريقا اخر لاستجلاب الشفقة ! يريد من يعجب به ويأخذه تحت كنفه ويقدم له بيتا وحياة طبيعية كباقي اقرانه ! "







عندها لمحت فتاة صغيرة جاءت راكضة
واخذت تتدافع مع بقية الاطفال المتجمعين
لتحشر جسدها الصغير وتقف في المقدمة
فتظهر نفسها بوضوح وهي تبتسم ابتسامة
عريضة تمزق القلب شفقة عليها وقد فاحت
منها رائحة صابون رخيص فشع وجهها
بالنظافة ولمع شعرها الاسود بقطرات الماء
حيث بدا واضحا انها استخدمته للتو لترتيب
شعرها الطويل ذو الضفيرتين ...

خنقتها الغصة وهي تفكر " يا الهي انها ..
بعمر سامي ! "

تدافع الاطفال حتى وقع بعضهم على بعض
ليجذب نظرها طفل يقف بعيدا في زاوية قذرة
بدا يكبرهم جميعا ينظر ناحيتها بغضب
غريب ليفك رضا طلسمه قائلا بمرارته اشد "
وهناك الغاضب على القدر المتمرد الرافض
حتى ان يشفق عليه احد ! يفضل ان يصبح
عنيفا ويأخذ حقه المسلوب من الدنيا ولو بحد
السكين ..."

كان الوجع يقتلها .. يمزقها فسالت دموعها
مدارارا لتهمس لرضا بتوسل " اخرجني اخي ..
ارجوك لم اعد اتحمل ..."

نظر اليها رضا بصمت للحظات طويلة ثم قال
اخيرا وهو يسحبها من كوعها " هيا بنا رفيدة
.. هيا بنا ... اردت ان اريك عالما اخر لم
تفكري فيه عن كثب من قبل ، اريدك ان
تدركي كم انت محظوظة بعائلتك ...
بمحبة امك ودلال اخوتك ..





كم انت محظوظة ان لك بيتا دافئا .. انعم
اللّه عليك بالصحة وتمام الخلقة وانعم
عليك بالمال فلا تؤرقك لقمة العيش ... انت
في رفاهية رفيدة ! رفاهية لاتشعرين بها ..
ناكرة لوجودها .. فاحذري الجحود اختي لانه
يُفني النعم ... "

غادرا الملجأ بنفس الصمت لكن رفيدة
خرجت بغير الذي دخلت به ... احساس
يخجلها من نفسها ولاتعرف كيف تتعامل معه !

ووسط شعورها بالخزي والخجل بقيت صورة
تلك الفتاة الصغيرة ذات الضفائر تؤرق
افكارها طيلة طريق العودة !

بعد المغرب ....



بينما كانت منشغلة بوضع اللمسات الاخيرة
لمخطط اعلاني مثبت على لوح الرسم الخاص
بها دخلت عليها رباب دون استئذان وهي تخلع
عن رقبتها رباط الحامل الطبي الذي تستخدمه
لرفع ذراعها المجبر المكسور وقالت بعينين
عازمتين " حبيبة.... احتاج منك لمعروف "

وضعت حبيبة قلمها الرصاص في فمها ثم
التفت بكرسيها الدوار لتواجه اختها بكلمة
واحدة " قولي .."





اقتربت رباب وهي تمسك بيدها السليمة قطعة القماش القطنية البيضاء ثم قالت وهي ترفع حاجبا واحدا " اممممممممم هل تذكرين عندما احضر لك والدي كاميرا رقمية هدية لتخرجك من الثانوية العامة ؟"

قبضة وعصرة قلب ! لكن حبيبة ردت بسلاسة مخفية مشاعرها " نعم .. اذكر "

ابتسمت رباب بطريقتها المحببة وقالت بشقاوة تنضح من عينيها " حسنا ... هل تذكرين اننا جننا بوقتها واخذنا عشرات الصور المضحكة ؟؟ "

تكتفت حبيبة وهي تميل برأسها وتقول باختصار " وبعد ؟"

فجأة قالت رباب بابتسامة مشاكسة " بالمناسبة لقد كنتِ فتاة ممتعة جدا في ذلك الوقت ولم تكوني كئيبة مثل الآن "

بنظرة تحذير قالت حبيبة " رباب .. "

تنحنحت رباب لتغمز قائلة " آسفة ... لاتحنقي ... حسنا ... هل ما زلت تحتفظين بكل الصور ؟؟"

ضيّقت حبيبة عينيها بتفكير وهي ترد " اجل.... اظن ذلك .."

تنهدت رباب براحة والتمعت عيناها باستمتاع خفي لتقول بلهجة مرحة " احتاج الصور التي تخصني انا ورقية فقط "





رفعت حبيبة حاجبيها بدهشة لتضيف رباب ضاحكة " اريد منها اكثرها جنونا واحراجا على الاطلاق ! وضعي تحت كلمة احراج ثلاث خطوط.... "

رغما عنها وجدت حبيبة نفسها تشعر بعدوى الاستمتاع لتعض شفتها السفلى وتسأل اختها بشقاوة مماثلة " ماذا تنتوين فعله يا عود القرفة اللاسعة "

بابتسامة فخورة ردت حبيبة " بل انت من ستفعلين يا حبة الفلفل الحمراء ! "

ثم مدت يدها لحبيبة بالحامل الطبي الذي تمسكه ..

مساء ...

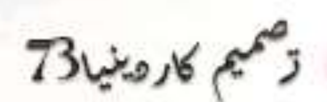
سامي يجلس على بطنه وعقيل بجانبه بينما يضطجع رضا على سريره يراقب رسومات عقيل المميزة ...

كان يرسم ما يشبه مخططا لبيت لكن المخطط اكثر نضجا من ان يكون لطفل في السابعة ! هذا الفتى دقيق الملاحظة جدا ويعتني بكل تفصيلة ...

كان سامي يتحرك على بطن عمه بشقاوة وهو يتكلم مع نفسه حول احداث رجحها رضا من احد افلام الرسوم المتحركة الخاصة بالرجال الآليين المقاتلين ..









ابتسم رضا بحنو بينما سامي يهتف باثارة

" ساحطمك الآن وابعثر اجزاءك على المجرات .. " فيغير سامي صوته ليرد على نفسه وكأنه شخص اخر " لن تستطيع فعل هذا فالحاجز الكهروماتيّ سيعزلني عنك ايها الغبي ! "

اطلق رضا ضحكة من القلب وهو يمد كفيه ليمسك خديّ سامي يسحب وجهه اليه ويقبله بحب قائلا " ما هو الكهروماتيّ هذا ايها الشقيّ؟!! "

ضحك سامي باستمتاع بينما رضا يدغدغه في بطنه ...

قال عقيل وهو يرفع رسمته لعمه " انظر عمي ؟ ها قد اكملته .."

تطلع رضا للرسم ويقسم ان هذا المخطط يشبه بيت يونس العطار !!

سأل رضا باهتمام " لمن يعود هذا البيت يا عقيل ؟؟ "

رد عقيل بابتسامة واثقة " انه بيت الخالة آسيا ..."

نبض قلب رضا لمسمع اسمها فقال برقة " اجل انه بيتها .. على الاقل حتى هذا الوقت هو بيتها ..."

ففاجأه سامي بالقول " الخالة اسيا جميلة .. جميلة جدا .. "





ضحك رضا عاليا وهو يمسك الفتى الصغير من خصره ويرفعه عاليا لتحلق ساقاه في الهواء وهو يضحك بينما رضا يقول له بمرح " ايها الفتى الكهروماتي ! غير مسموح لك بقول هذا ... الخالة اسيا ملك لرجل واحد يغار عليها بشدة ..."

توقف سامي عن الضحك بينما عمه رضا ينزله ليمدده هذه المرة على بطنه ، نظر سامي لعيني عمه بتركيز وهو يفتح عينيه كأنه سيقول امرا خطيرا ليتبعه بالقول " ابي ايضا يغار على امي ! لقد سمعته مرة يقول لها هذا..."

سارع رضا ليضع سبابته على فم الصغير ويحذره بلطف قائلا " لايصح نقل الكلام يا سامي ولا يصح ايضا استراق السمع ! اللّه ينظر اليك دائما وسيغضب منك اذا فعلت امرا كهذا وقد يعاقبك ! "

رمش سامي بارتباك بينما عقيل يعقّب وقد عاود صب اهتمامه لرسومه " لقد اخبرته مرارا عمي ان هذا لايصح وابي سيغضب منه لكنه لايستمع مني "

رد سامي ببراءة " جدتي تطلب مني هذا وانا .."

كتم رضا ضحكته بينما يقاطع الصغير قائلا " جدتك مؤكد لاتعلم ان اللّه لايرضى بذلك لذلك عليك اخبارها بالامر اذا كنت تحبها ولاتريد ان يغضب منها اللّه هي الاخرى .."





هزّ سامي رأسه بانفعال ليهب مبتعدا عن عمه تاركا السرير وهو يقول على عجالى " سأذهب اليها الآن واخبرها .."

فحذره رضا وهو يعاني من ضحكاته المكبوتة " اخبرها بسرية تامة يا فتى فلا يجب ان يعرف احد غيركما بالامر .."

عاد سامي لهز رأسه بنفس الانفعال وهرول راكضا مغادرا غرفة عمه بينما عقيل يقول بنبرة توحي بنضوجه المبكر " انا لااريد نقل الكلام عماه لكن امي كانت تبكي بصمت هذا اليوم وابي بدا متضايقا جدا لكنه لم يحاول مصالحتها ..."

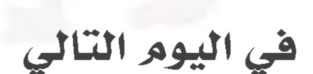
ابتسم رضا بحنان وقال لابن اخيه " لاتقلق عزيزي ، كل الازواج يحصل بينهما المشاكل لكنهما يتصالحان في النهاية "

فتطلع اليه عقيل لتبرق عيناه بالذكاء وهو يقول معقبا على كلام عمه " لكنك لم تتصالح مع الخالة زبيدة وافترقتما ؟ "

ذهل رضا من منطق الطفل لكنه تمالك نفسه ليرد بابتسامة مطمئنة " انا وخالتك زبيدة كانت لدينا مشاكل اكبر بكثير بني ، كما اننا لم يكن لدينا ولدين رائعين مثلك انت و سامي لذلك لاتقلق فكل شيء سيكون بخير ان شاء اللّه ..."







عاد عقيل لرسومه بينما رضا تملكه القلق من اجل اخيه وزوجته ، محسن من النوع الكتوم المستقل ولم يظهر يوما اي اشارات لوجود مشاكل مع رحاب .. لكن الاطفال يكبرون ومهما الاباء حاولوا اخفاء توتراتهم عنهم فلن يفلحوا ! ومؤكد التوتر انتقل للطفلين وشعرا بوجود مشاكل بين والديهما ...

اخذ رضا يحمد اللّه انه لم يرزق باي طفل من زبيدة ، لكانت كارثة الآن ....

تنهد في سره قائلا " يا اميرة البنات .. متى ستهديني اميرة مثلك ؟؟! تنمو بين احشائك وتأخذ كل صفاتك ... الصبر يا رب ..."

في اليوم التالي

نقرت حبيبة على الباب لتدخل مباشرة وهي تقول بابتسامة مشعة " هل انتهيت مجد ؟؟ "

للحظة اشعة الشمس القادمة من الشباك خلف مكتب مجد حجب عنها هوية الرجل الذي يجلس على حافة المكتب ...

اقتربت حبيبة لتتوضح لها هوية الرجل الجالس باسترخاء مستفز بينما تسمع مجد يرد من موقع جانبي في الغرفة " اجل حبيبة انتهيت ... انظري ..."





كان مجد قد اقترب من مكتبه والتف حوله ليفتح درجا لتتقدم حبيبة هي الاخرى وتقف امام المكتب مباشرة وذلك المسترخي يقول بصوت مبحوح " صباح الخير ..."

تطلعت اليه ببرود ظاهري فترد بملامح ثابتة

" صباح الخير .."

للحظات تشابكت نظراتهما ، هي متحدية في أنفة تخفي تأثرها الوليد به وهو يتطلع اليها بابتسامة حلوة ونظرة شقية بينما تتدلى سيجارته من فمه ...

تنبهت حبيبة لصوت مجد وهو يقول " هذه هي .. هل كما توقعتها ام ان الالوان بارزة اكثر مما يجب ؟؟ "

التفتت حبيبة لمجد واشرأبت بجسدها قليلا وهي تمد ذراعها لتأخذ منه قطعة القماش وهي تقول بفرح عفوي متناسية (المستفز) الذي بجانبها " رائعة .. رائعة جدا ... ستفرح بها رباب جدا .."

عيناه كانتا قد ثبتتا على تلك البشرة العاجية الذهبية التي ظهرت من تحتها قميصها عندما مدت جسدها لتلتقط القماش من مجد ... كانت اصابع يده تهفو ليمررها على تلك البشرة ويختبر مدى نعومتها ....

رفع نظراته من بطنها وخصرها وقد عاد القميص ليغطيهما باغاظة ليوجه نظراته نحو قطعة القماش التي بدت بشكل اقرب للمثلث،





حاجباه ارتفعا قليلا بدهشة وهو ينظر لمجموعة صور متفرقة طبعت على تلك القماشة ، صور لفتاتين صغيرتين .. بدت صور عفوية ومرحة وبعضها مضحكة جدا ...

الفتاتان بملامح قريبة متقاربة ومألوفة احداهما بدت لاتتجاوز السابعة بشعر داكن وتملك عينيّ حبيبة الزرقاوين اما الاخرى فاكبر سنا ببضع سنوات لها شعر عسلي مميز وعيون لامعة كالقطط الشقيّة ...

تنحنح سائلا " هل هما اختاك ؟! "

ردت حبيبة باختصار " نعم ..."

اخذ مهند ينظر لتلك الصور التي توزعت بطريقة فنية ... ذات العيون الزرقاء مرة باكية وقد تلطخ وجهها وملابسها بالطين ومرة ضاحكة وقد وقفت بجانبها تلك القطة الشقيّة ملطخة الوجه ايضا والاثنتان تضحكان ببشاشة للكاميرا وترفعان اصابعهما الصغيرة باشارات النصر !

صورة اخرى و(القطة) تحني جذعها برشاقة للامام بشكل كامل حتى وصلت الارض بكفيها وقد اولت ظهرها للكاميرا بينما يظهر وجهه العفريتي الملامح من بين ساقيها المفتوحين ! ثم تلك الجميلة الزرقاء العينين في لقطة مضحكة تقف على يديها بصعوبة وقد هطل فستانها حتى بانت ملابسها الداخلية برسومها المضحكة بينما العفريتة تمسك بساقيها وتغمز !





عبّر مهند بافتتان حقيقي بالصغيرتين

" انهما طفلتان لذيذتين جدا ومحببتين ..."

اظهرت حبيبة بعض الدهشة لنبرته الدافئة الصادقة لترد بهدوء " شكرا لك ..."

ثم التفتت ناحية مجد لتقول بلطف " شكرا مرة اخرى مجد لانك انهيتها سريعا هكذا "

اخفى مجد حنقه من نظرات صديقه مهند الجريئة ناحية حبيبة قبل لحظات ليرسم ابتسامة على وجهه رادّا لحبيبة " اتمنى لها الشفاء العاجل ..." اتسعت ابتسامة حبيبة الممتنة ثم استدارات وهي تلوح بيدها وتقول " شكراااا "

بينما تغادر حبيبة غرفة مجد كانت نظرات مهند منصبّة على قامتها باشتهاء واضح !

هتف به مجد حالما ابتعدت حبيبة عن مرمى السمع " توقف عن النظر اليها بهذه الطريقة القذرة ! الا تخجل وهي زميلة لنا في الشركة نفسها ؟!! "

رفع مهند حاجبا واحدا بتسلية بينما يبعد سيجارته عن فمه ويقول بصوت مبحوح ساخر

" انها شديدة الاغراء فهل استطيع منع عينيّ عنها؟؟! "

قست ملامح مجد وهو يقول بجدية " احذرك مهند ... انها ليست كالحثالة اللواتي ترافقهن بل هي فتاة رائعة ومحترمة جدا "







هزّ مهند كتفيه ليقول بلامبالاة ظاهرية واستهانة واضحة " من تريد الاحترام لاتلبس ما يظهر جسدها بهذا الاغراء خاصة مع علمها بكونها جذابة وجميلة .. ان لم انظر لها انا هكذا فغيري كثير يفعل بلا ريب ! "

تأفف مجد بينما عض مهند على طارف شفته السفلى وهو يبتسم ابتسامة حسيّة ويقول بنظرات لامعة بالوقاحة " كان يجب ان تجلس مكاني عندما كانت تمد جسدها نحوك لتأخذ قطعة القماش من يدك ، بشرة بطنها ظهرت من تحت القميص ، ذهبية حارة ملهبة حرّاااااقة للحواس ! "

عقد مجد حاجبيه بغضب ليرفع سبابته زاجرا بجدية " احفظ لسانك مهند واتق اللّه فيها ، قد تبدو لضيق افق مثلك انها ..."

رفع حاجبيه وهو يقاطعه بسخرية " انها ماذا يامجد .. لاتتعمد الاغراء ؟ او .. انها بريئة جدا وترتدي تلك الملابس دون ان تنظر لنفسها في المرآة لتدرك كيف تبدو ؟!

يا رجل انها اغراء مبهر بحد ذاتها دون تلك الملابس الملفتة التي ترتديها ، تبدو كعارضة ازياء بطولها الفارع وقامتها الهيفاء وهي تتهادى بين اروقة الشركة مشعلة الرغبات لدى جميع من ينتمي للجنس الذكوري ..."





تصلبت ملامح مجد وهو يمعن النظر في مهند ليسأل ببعض الحيرة " ماذا تريد منها بالضبط ؟ لاافهم اطلاقا تركيزك عليها ! هل يعقل انك غبي حقا وتظنها ستتصرف بناء على حكمك لطريقة ملابسها ؟؟! ان كنت فعلا تظن هذا فأنت مخطئ مهند ، حبيبة فتاة قوية الشخصية ومحترمة جدا وستذهلك ردة فعلها فيما لو حاولت التصرف معها بخسة ونذالة "

لوح مهند بيده بلا مبالاة بينما يرفع سيجارته لفمه ليأخذ نفسا ثم ينفثه ويقول بملامح لاتعبر عن شيء " لاتأخذ الامور على محمل الجد هكذا انما اقول وجهة نظري لااكثر واعتقد ان لديها الذكاء الكافي لتدرك انها وجهة نظر تدور في خلد الكثيرين غيري دون ان تعيرها اهتماما "

ثم ابتسم مهند بصفاقة ليضيف وهو يتطلع لرفيق مراهقته القديمة " لولا اني اعرف حبك لخطيبتك لقلت انك تميل لحبيبة الملتهبة ! "

كشر مجد بقرف قائلا

" الاناء ينضح بما فيه ! "

جلجلت ضحكة مهند وهو يتحرك مغادرا تاركا مجد حائرا .. هل يستحق الامر ان يقلق على حبيبة من مهند ؟؟ ام انها قوية كفاية كما يظنها لتصده ؟؟







جلس مجد على كرسيه ليكلم نفسه بصوت مسموع " ربما انا من يبالغ ! فمهند يبدي ملاحظاته الوقحة على اي فتاة ومؤكد حبيبة تستفزه اكثر لانها مختلفة ... لذلك لااعتقد بأنه يأخذ اغواء حبيبة على محمل الجد..."

اوجعها قلبها من شدة الفرح ! لم تصدق رؤية حبيبة تدخل البيت بملامح مستمتعة لتقدم لرباب ذلك الحامل القطني المميز بتصميمه مما اثار موجة من الفرح المجنون لدى رباب وموجاااات من الاعتراض والغضب الطفولي لرقية!

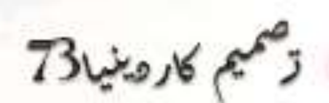
كانت حبيبة تضحك من قلبها ومندمجة جدا مع الفتاتين في هرجهما المرح .... همست في سرها بحنان " اخيرا يا حبيبة .. اخيرا خطوت عائدة نحونا مرة اخرى .. على الاقل انها الخطوة الاولى ..."

تطلعت لامها التي التزمت الصمت فوجدتها تحدق مثلها بضحكات حبيبة الحلوة ، بدا واضحا ان امها تمنع جاهدة عينيها من البكاء تأثرا ...

سرحت اسيا رغما عنها بعيدا عن عائلتها لتفكر فيه ... رضا... ارتعش قلبها كالعصفور المرتبك وهي تتذكر كلماته ...











همست لنفسها بشرود " هل انت مميز هكذا
بشكل فريد يجعلني منجذبة اليك بقوة
تفوق قدرتي على المقاومة ام هو الاطمئنان
الذي افتقدته لسنوات ... سنوات وانا اعيش
نفس الشعور المرتعب كلما تقدم احدهم
لخطبتي .. انت محوت كل شيء ... كل شيء
يا رضا ... ثم كتبت على صفحتي البيضاء
كلماتك الخاصة فلم اعد اقرأ رجالا في
الكون غيرك .. ! "

دخل مهند لشقته المظلمة بعد منتصف الليل
بجسد متراخ من تأثير كأسيّ خمر لم يشرب
غيرهما الليلة ، سيجارته تعلقت بطارف شفتيه
متدلية باهمال من جانب فمه ...

اغلق الباب خلفه تاركه لمزاجه المتراخي ان
يقوده لاريكة جلدية في غرفة الجلوس
وهناك رمى جسده ليضطجع على ظهره
ممسكا سيجارته بين اصبعيه يسحب نفسا
عميقا ويطلقه بتمهل بينما عيناه تحدقان
بظلمة السقف !

نفس اعمق ونفث ابطئ للدخان الابيض ...

غيوم بيضاء في الظلمة الباهتة صورت له
خيالها ! وبدلا ان يكون الخيال متمحورا حول
بشرتها الذهبية التي برزت من تحت قميصها
وكاد يموت قهرا للمسها تسللت اليه صورة
اخرى تماما !...





صورتها بعد مغادرته لمكتب مجد ... لمحها واقفة بجانب احدى موظفات الاستقبال في الشركة تمسك بقطعة القماش التي صممتها لاختها وببساطة تخيطها بذلك الحامل القطني ذو الرابط الذي يستخدمه من تصاب ذراعه او كتفه بكسر او فطر او تمزق اربطة عضلية ..

ساقها الايمن التفت بطفولية حول ساقها الايسر ، ساقان طويلتان زاد بنطالها الجينز الضيق من ابراز رشاقتهما .. شعرها الطويل كذيل حصان مشاغب يتأرجح كلما حركت رأسها ، لسانها ! ذلك اللسان الاحمر الصغير يطل بمشاكسة خارج فمها الشهي ولتسرق انفاسه وهي تضغط عليه باسنانها فيما كانت تركز بما تفعل ...

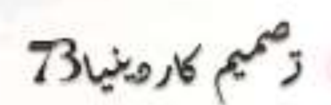
رغم شدة الاغراء الجسدي لكن تعابيرها الملفتة جذبته اكثر !!

همس وهو ينفث مزيدا من الغيوم البيضاء

" انت... خطر ...! خطر يا حبيبة .. وعليّ تدارك الامر قبل ان يستفحل خطرك في خلاياي ويدمنه دمي ! لن اسمح لخيالاتك الخطأ ان تستعمر عقلي .. انها ليست من اهدافي .. ليست على الاطلاق !! لم اخلق لهذا النوع من المشاعر ولا انت ايضا يا حبيبة ... لم تخلقي لها!









انت مثلي بالضبط تحبين ان تعيشي على هواك مستمتعة بأي شيء يرتضيه مزاجك الناري دون ان تبالي بالقيود الاجتماعية المنافقة ...!! "

بعد اسبوع ...

منتصف النهار

كادت بدرية ان تصل بيت الحاج يونس عندما لمحت من مسافة خروج امرأة منه ومعها امرأة اخرى ...

عبست بدرية وهي تتعرف على الاولى كأم طارق بينما الثانية لم تكن الا ابتهال ...

بدا واضحا ان ابتهال تودعها بتعابير سعيدة لاقت انعكاسا لها على تعابير ام طارق ...

ازداد عبوس بدرية وهي تتمتم لنفسها " اذن ام طارق فعلتها وأتت بمفردها حتى تطلب يد اسيا لابنها ..."

تلكأت بدرية في خطواتها متعمدة حتى رحلت ام طارق في الاتجاه المعاكس فتسارعت خطوات بدرية بعزم حتى وصلت بيت الحاج يونس وهناك ضغطت على زر الجرس ...

استقبلتها ابتهال بفرح وبدت مرتاحة الوجه جدا مما جعل بدرية تقلق ...

بعد دقائق كانت بدرية تجالس ابتهال وهما تشربان الشاي بالهيل ...







سألتها بدرية عن احوال بناتها ورباب تحديدا فردت ابتهال بالحمد والشكر للّه ..

صمتت قليلا ثم وضعت شايها جانبا لتقول بهدوء " رأيت من بعيد ام طارق وهي تغادر بيتك "

فردت ابتهال ببشاشة " اجل هذا صحيح .. انت لست غريبة بدرية لذلك ساخبرك ، حيث ان ام طارق اتت لتخطب اسيا لابنها ، الحمد للّه .. الشاب مهذب وعائلته نعرفها منذ سنوات.."

عبست ابتهال ببعض الدهشة وهي ترى بدرية تلتزم الصمت وتطرق رأسها بتفكير عميق !

سالتها ابتهال " ما بك بدرية ؟ هل هناك خطب ما ؟؟ "

رفعت بدرية رأسها والتمعت عيناها بالذكاء والفطنة بينما تقول " اجل هناك خطب يا ابتهال "

ساور ابتهال القلق وهي تسأل " خير ان شاء اللّه"

فردت بدرية بلطف " مؤكد خير .. باذن اللّه كل الخير لابنتك الجوهرة "

لم تعقب ابتهال وهي تنتظر لتردف بدرية بثبات " اسيا يا ام اسيا لها خيّال آخر..."

رمشت ابتهال مرددة بعجب " خيّال آخر ؟!! "





فهزت بدرية راسها ايجابا وهي تضيف بشكل مباشر وصريح " ابنتك يا ابتهال ليس لها الا رضا الصائغ .. انه خيّالها ومن سيقدر جوهرها "

رفعت ابتهال اناملها لفمها وهي تهمس بلا تصديق " رضا ؟! رضا الصــ..ائغ ؟؟ "

فردت بدرية بفخر " اجل ولدي رضا يريد اسيا وقد تقدم لخطبتها منذ اسبوع "

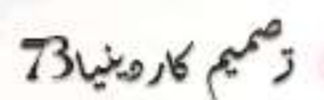
الصدمة لوحت تقاسيم وجه ابتهال وهي تقول " خطبها منذ اسبوع ؟!! وممن خطبها ؟؟ وكيف ؟ "

بهدوء قالت بدرية " لقد خطبها من اسيا نفسها يا ابتهال "

شهقت ابتهال وهي تقول " من اسيا ولم تخبرني ؟؟ كيف هذا يا بدرية ؟؟ كيف ؟؟"

عندها ردت بدرية ببعض الانفعال " كيف لانهما كتب عليهما ان يدفعا ثمن اخطاء ارتكبها غيرهما ! كتب عليهما ان يصمتا ويكتمان امنيات داعبت قلبيهما النقيين دون ان يملكا الافصاح عنها ... ابنتك يا ابتهال مؤكد صمتت حتى لاتؤلمك .. وكله بسبب زواج فاشل كزواج الحاج يونس رحمه اللّه من رفيدة ... وما ذنب ولدي رضا ليتعذب وهو يتمناها حتى شاب شعر رأسه ؟ وما ذنب الفتاة لتضطر ان ترفض رجل كرضا يستحقها وتستحقه ؟!! "







كان التشوش يتصارع مع الصدمة على وجه ابتهال حتى انخرست تماما ! بينما بدرية تواصل كلماتها المباشرة بالقول " هل رضا يعيبه شيء يا ابتهال ؟؟ ام ان ابن ام طارق افضل منه ؟؟ اجيبيني ناشدتك اللّه ان تصدقيني القول .."

ردت ابتهال بتلكؤ " رضا ..خير الرجال ولم اكن .. اتمنى افضل منه لآسيا.. لكن .. "

دمعت عينا ابتهال وهي تردف بحرقة " لكن كيف ازوجه ابنتي ؟ انه توأم .. رف...يا الهي .. لقد تزوجت يونس يا بدرية .. تزوجته .. شاركته اخر ليلتين من حياته ... كانت امرأته .. نامت على سريره وبين احضانه ..وانا ... وانا "

اجهشت ابتهال بالبكاء بينما زفرت الحاجة بدرية وهي تستغفر اللّه ...

تركتها تبكي قليلا ثم اقتربت منها وهي تحمل علبة مناديل ورقية تقدمه اليها ..

اخذت ابتهال بضعة مناديل واخذت تمسح وجهها بينما بدرية تجلس بجانبها تماما تربت على ساقها وتقول بتعاطف " انا امرأة مثلك يا ابتهال ولااكبرك الا بخمس او ست سنوات واعلم جيدا كيف يمكن ان تشعر امرأة بسننا عندما يتزوج عليها زوجها .."

لم ترد ابتهال بشيء بينما صراع آخر يعتمل في نفس الحاجة بدرية وهي تتطلع لوجه ابتهال المكلوم ...





اخذت نفسا عميقا واستغفرت اللّه مرة اخرى ثم عزمت امرها وقالت " ابتهال .. هناك امر يجب ان تعرفيه لكن قبلها اريدك ان تحلفي على كتاب اللّه ان يظل سرا لايغادر مكنون صدرك حتى الممات ! "

عصرا ...

عيناه لاتفارقان مرآته الامامية بينما يقود سيارته على اقل من مهله وبكل تعمد !

منذ دخل الشارع الفرعي الذي يفضي لحيّهم حتى لمح سيارتها تدخل خلفه ..

لقد اشتاق وجنّنه الاشتياق ... وها هو يتطلع لوجهها الحبيب المرتبك ...

تنهد بلوعة وهو يصل بمحاذاة بيته فيوقف سيارته الى جانب الطريق مفسحا لها المجال لتدخل سيارتها في مقدمة بيتها فيراقب ترجلها من السيارة وهي تتحاشى النظر نحوه وتتقدم ناحية باب المرآب تفتحه على مصراعيه وتعود بنفس التعثر لسيارتها فتدخل بها المرآب ...

همس باحتراق " اسبوع كامل وانا انتظر يا اميرة البنات .. كم سأنتظر بعد ؟!! "





رآها تعود لتغلق بابي المرآب الحديدين فافلتت منها نظرة اليه جعلت ناره تتأجج وهو يضرب على مقود سيارته ...

هربت منه بينما يهمس لها " لِمَ العجلة في البعاد يا توأمة القلب .. آآآه الصبر الصبر ... وقد ضاق الصبر بي ذرعا ! "

دخل لبيته عبر باب المطبخ وقد بدا مهموما فناظرته امه في جلستها المعتادة وهي تشرب الشاي لتناديه " ما بك يا حبيب امك ؟! "

رسم ابتسامة على وجهه وقال " لاتقلقي حبيبتي .. سيكون كل شيء بخير ، انا افكر بأمر مهم ..."

تنهدت الحاجة سعاد وهي تقف على قدميها وتقول " تعال وشاركني الطعام بنيّ ، رفيدة في حالتها الصامتة منذ اسبوع فتأكل القليل دون ان تتكلم واحيانا اراها تحدق في الطعام بطريقة غريبة واحيانا اخرى تحدق في سقف البيت والجدران !! لاافهم اين اخذتها لتعود بهذه الحالة غير المفهومة لي !!"

رد رضا وهو يحاوط كتفي امه ويقبل اعلى رأسها " لاتقلقي عليها ، ستتحسن ان شاء اللّه "

تنهدت الام وهي تميل بجسدها لتركنه لجسد بكرها الضخم فتقول " محسن ورحاب ايضا لايعجباني ! يغادران صباحا صامتين ويعودان صامتين !!





وذلك الصغير سامي لم يعد يخبرني بشيء واعطاني قبل ايام محاضرة في التلصص .... تصور ؟؟!! مع اني لااقصد ان ينقل اخبار والديه الي وانما احب ان اطمئن عليهم فقط ! "

كتم رضا ضحكته ولم يعقب بينما تسترسل الام في شكواها " وعبد الرحمن الآخر غارق في دراسته ما بال هذا الفتى يكاد يقتل نفسه وهو يلتهم كتبه ليل نهار بدل الطعام ؟!! لا انت ولا محسن ولا حذيفة كنتم هكذا !! "

اسم حذيفة جعله يكتئب لتزيد امه كآبته وهي تقول بهم " لقد عاودني نفس الحلم يا رضا ! لاافهم لماذا يعاودني مرارا وتكرارا ! نفس الفتاة الشقراء ونفس الارجوحة التي تنقطع ! "

عاد رضا ليقبلها من جبينها ويقول " لاتفكري كثيرا امي ، انت مهمومة بمشاكلنا لااكثر "

تنهدت الحاجة وهي تربت على صدر ابنها العريض وتقول " حماك الله من كل شر ، انت فقط من اشكوه همي فارتاح .."

ابتسم رضا بينما تتحرك امه لتبتعد وهي تقول بعفوية " نسيت ان اخبرك .. بدرية اتصلت تسأل عنك وتقول هاتفك مغلق "

ثم اضافت بغيظ امومي " لااعلم ما هي تلك الاسرار بينك وبينها ؟!!! " ضحك رضا ليمر بأمه ويقرصها من جنبها لتجفل ضاحكة بينما يقول لها " يا حاجة لاحب معشعش في القلب الا حبك انت ..."





فتنتفخ اوداج سعاد فرحا ويمتلأ وجهها المستدير فخرا وهي تكمل طريقها لتعد لرضا طعامه ...

لكن ما هي الا عشر دقائق حتى عاد ولدها رضا بحال غير الحال ! لم تره في حياتها بكل هذا الغضب !

نادته بقلب راجف " بنيّ ماذا حصل .. ؟؟ ما بك ؟؟ الي اين تخرج ..؟!!! "

لكن رضا لم يرد وهو يغادر البيت على قدميه ليغلق باب المرآب خلفه حاجبا رؤيته عن امه الملتاعة !

اخذت بدرية تضرب كفا بكف وهي تنظر لسماعة الهاتف التي اغلقتها للتو !

قالت بحنق محدثة نفسها " ايها الفتى الذي جن على كبر ! لماذا لم تسمعني للنهاية لاخبرك بكل ما حصل ! "

عادت لتضرب كفا بكف ثم فجأة اخذت تضحك وتقول " لقد احرقته الغيرة حالما اخبرته بزيارة ام طارق لابتهال طالبة يد اسيا لابنها "

ثم اضافت بمكر " ربما هذا افضل ! لينفجر بوجههم جميعا وانا ساتصرف بعدها لالملم اشلاءهم المتناثرة ! "





الارتباك والضيق سيطرا على اسيا وهي تنظر لامها بحالتها الغريبة ! فحالما دخلت البيت تفاجأت اسيا بأمها وهي تطلب من رباب ورقية الذهاب لغرفتهما لان لديها كلام خاص !

لاول مرة ترى امها بغموض يحيرها ولاول مرة منذ وفاة والدها ترى عينيها تلمعان هكذا !

حاولت اسيا التركيز على ما اخبرتها به امها بعد ذهاب الفتاتين لترد بالقول مخفية ضيقها بصعوبة " امي .. انا لاافكر في الزواج الآن .. لذلك اعتذري لام طارق لو سمحتِ "

ابتسامة اكثر غرابة وغموضا مرت على شفتي امها ففتحت آسيا فمها لتسألها عن معناها عندما رن جرس الباب !

تقدمتها امها لتنظر من الشباك فتقول بعدها بصوت رقيق حالم " هذا .. رضا الصائغ ...يا آسيا " ثم التفتت لابنتها المحمرة الخدين بينما ابتسامتها تتسع وعيناها اللامعتان ببهجة خفية تتمليان النظر لـ(جوهرتها) لتقول بنفس اللهجة الحالمة " اذهبي وافتحي له الباب يا جوهرة .. الشاب يبدو لايطيق صبرا لتفتحي له ..! "





الفصل الثامن

بارتعاش تفتح له الباب الحديدي الرمادي وهي تنظر لملامحه العاصفة بوجل لتتعثر بالهمس " رضا .. ماذا .. ماذا ... هناك ؟؟!! "

نظرة صاعقة جعلتها ترتد للخلف ثم قال من بين اسنانه " هل كنت تعلمين عن ام طارق؟؟"

اتسعت عيناها واختنقت انفاسها في صدرها ارتباكا وهي تهمس بتردد " لا .. اقصد الان .. فقط .. اخبرتني امي ! "

كتمت شهقتها وهي ترى النار التي اشتعلت في عينيه ... اصابها الخرس والعجز عن قول اي شيء لتهدئته ! رغم انها لاتعرف بالضبط عن اي شيء يفترض ان تهدئه !!

هدر بصوت أجش بنبرة تميل للرسمية " لو سمحت اخبري الخالة ابتهال اني اريد رؤيتها .."

رمشت باضطراب وهي تهمس مفجوعة " لـ..ماذا !؟ ماذا .. ستقول لها ؟؟ "

تصلبت ملامحه ليقول بنبرة من سيقدم على امر لارجوع فيه " اسيا ... عندما تعجزين عن المواجهة فيما يخصك يجب ان اواجه نيابة عنك .."

لاشعوريا وقفت امامه مقتربة منه لتهمس برجاء " لا .. ارجوك .. لاتفعل ..."





كان يتطلع لعينيها وبدا كمن يصارع صراعا عنيفا وفجأة جاء صوت انثوي حنون

" مرحبا بنيّ "

للحظات لم تفارق عيناه عينيها ثم بتصميم التفت نحو الخالة ابتهال ليرد بهدوء ظاهري

" مرحبا خالتي ..."

كانت اسيا قد ابتعدت باضطراب شديد بينما امها تتقدم منهما لتقول بابتسامة رقيقة

" تفضل بني .... يبدو ان اسيا نسيت كيف ترحب بك كما يجب ...."

اخر نظرة القاها نحو اسيا ليستلم منها اخر توسل ان (لايفعل) لكنه لم يتراجع وقال لامها بنفس الهدوء وملامح التصميم

" شكرا لك يا خالة ..."

اخذت اسيا تحدق بهما معا بجزع وهما يدخلان عبر الباب الخشبية المؤدية لغرفة استقبال الضيوف ...

وضع رضا فنجان القهوة جانبا وهي مطرق برأسه مفكرا بينما ابتهال تتطلع اليه بابتسامة لم تستطع اسيا فهمها !!

اجفل قلب اسيا بينما رضا يرفع رأسه فجأة ليواجه امها بالقول الصريح " خالتي ابتهال ، لن اطيل عليك ردا لتساؤلاتك غير المعلنة حول سبب زيارتي هذه ..."





عيناه حادتا للحظة نحو وجه اسيا الشاحب فمر تعبير رقيق على ملامحه قبل ان تستعيد تلك الملامح صلابتها لينظر نحو الخالة ابتهال ويقول دون مواربة " انا احب ابنتك اسيا خالتي .. "

شهقة صدرت عن اسيا لم توقفه وهو يسهب بصوت رجولي معتد " احببتها منذ سنوات وما زلت وساظل لآخر لحظة في حياتي ... "

ارتعشت ابتسامة ابتهال بينما تناظر وجه ابنتها الذي انقلب من الشحوب الى التضرج بالحمرة ....

قالت ابتهال بهدوء غامض " وماذا بعد ؟! "

اضاف بنفس الاعتداد " لقد تقدمت لخطبتها قبل ايام ولكنها تأبى حتى اخبارك واخذ رأيك .... خوفا على شعورك "

صمتت ابتهال بينما عيناها تركزتا على ملامحه ليضيف رضا ببعض الانفعال " خالتي ليست غلطتنا ما حصل وانا سئمت ان اتحمل غلطة غيري ... انا اريد اسيا وساجعلها ملكة لقلبي وبيتي ... لن تجد رجلا يحبها مثلي ويفديها بروحه دون لحظة تردد .. "

التمعت عينا ابتهال وهي ترى ذلك العشق المتسربل من جوانحه ... تلك الرجولة الفياضة الواثقة التي رسمت ملامحه الظاهرة والباطنة ... ذلك الحنان والدفء المميز كلما نظر نحو ابنتها ليطمئن عليها ..





قلبها امتلأ بفرح مضاعف حتى دمعت عيناها ولم تشعر بالدمعة التي سالت الا بسماع صوت ابنتها المختنق تاثرا " امي .. اتوسل اليك لاتبكي ... اذا كنت لاتوافقين فلا بأس .. أنا لن .... "

قاطعتها الام بحركة من يدها بينما يدها الاخرى تمسح دمعتها لتقول " لاتتعجلي الكلام يا ابنتي ، ما زال الوقت مبكرا للرفض او.... القبول ...."

ابتلعت اسيا ريقها بوضوح بينما رضا كان يرمقها بنظرات اختلطت بها الغضب والاحباط وبعض الامل !

وقفت ابتهال على قدميها فوقف رضا هو الآخر وتبعتهما اسيا وهي منهكة من كل ما حصل للتو ..

قالت ابتهال وهي تشع قوة غريبة " الخير فيما يختاره اللّه ، اسيا ستفكر بالامر وسنتباحث انا وهي ... وفي النهاية لها الخيار الاخير ، فقط بضعة ايام وسنرد لك خبراً بنيّ "

شعر رضا بالقلق بينما اسيا تملكتها الحيرة وعدم التصديق ! لتضيف ابتهال بتأن متعمد

" ويجب ان تعلم ان ام طارق قد خطبتها اليوم تحديدا لابنها ..."





قست ملامح رضا وقد كساها العنف لتسأل ابتهال بمكر " ام تراك علمت مسبقا وهذا سبب حضورك الآن ؟!! "

قال رضا وهو يحدق بنظرات نارية نحو اسيا

" لها الخيار الاخير خالتي .. كما قلت انت بالضبط ..."

ثم استدار مغادرا وهو يقول بصوت مبحوح

" السلام عليكم .."

ردت ابتهال " في امان اللّه بنيّ ..."

لم تحملها قدماها لتلحق بخطواته الغاضبة فانهارت اسيا جالسة على الاريكة خلفها بينما ترى امها هي من لحقت به تودعه حتى الباب الخارجي !

قالت بدرية وهي تمسك بكتف صديقتها

" اهدأي سعاد ! لماذا كل القلق والاضطراب؟!"

كانت سعاد تفرك كفا في باطن كف وجسدها يتأرجح تارة للامام ثم للخلف واحيانا للجانب !

لم ترد سعاد بشيء وقد ملأت عقلها صور الحلم المتكرر بتلك الفتاة الشقراء التي بدت في خطر محدق ! وسؤال مرعب يتردد صداه في صدرها " هل ابني رضا في خطر ؟!! هل هذه رسالة من زوجي ليحذرني ؟! "

اشفقت بدرية عليها بينما تدعو اللّه ان يعود رضا سريعا لتفهم ما حدث هناك .





انها واثقة انه ذهب لبيت اسيا ، لن يكون رضيعها الذي ربته مع امه ان لم يفعل هذا !

لقد تعمدت المجيء لبيت الحاج عقيل مدّعية الزيارة وهي تكاد تتصور حالة سعاد برؤية رضا بهذا الغضب النادر !

فتح الباب بقوة ليطل رضا بحال لم تره بدرية بها من قبل فأدركت سبب اضطراب سعاد لهذه الدرجة !

حدق رضا بأميّه وملامحه متصلبة ومشدودة ، بل كل جسده كان متصلبا متشنجا ....

اقتربت امه سعاد وهي تقول بقلق " ماذا حصل بنيّ ؟ لقد اوجعت قلبي وانا انتظرك مع كل وساوس الشيطان لعنه الله "

عينا رضا انتقلتا من امه سعاد لامه بدرية ثم صوت خطوات على الدرج جعلته يلتفت بنظراته ناحيته فتقابل عيناه عينا توأمته رفيدة ...

عاودت امه سؤاله بانفعال مضطرب " لماذا تصمت هكذا بنيّ ؟!! انك تفزعني بصمتك! "

" ماذا يحصل ؟!! ما بك رضا ؟؟ "

كان هذا صوت رفيدة فتطلع اليها رضا لفترة طويلة وكانت ملامحه بنفس التصلب ليقول اخيرا " ذهبت لبيت الحاج يونس العطّار .."





" ماذا ؟!!! "

كان هذا صوت سعاد المندهش بينما بدرية تخفي ابتسامة مكر و... فخر ...

رد رضا وهو يرفع حاجبيه قليلا بنظرة تعكس مزاجه " اجل امي .. ذهبت لبيت الحاج يونس لاخطب اسيا من امها .."

اتسعت ابتسامة بدرية بدرية سعاد اخذت تنتفض بين يديها وهي تعقد حاجبيها وتقول

" تخطب .. اسيا ؟!! انا لاافهم ! ماذا تقصد تخطب اسيا ؟! هل انت جاد ؟!! "

ثورة تعتمل في نفسه.. ثورة عمرها سنوات من السيطرة على رغبات مشروعة فسجنها هو في غياهب النكران ! الايثار للغير حتى وان كان هذا الغير لايستحق !

انها جذوره التي تناديه دوما فيكون جذع الشجرة المعمرة الحاملة لاغصانها وثمارها .. تحميهم جميعا عند هبوب الرياح والعواصف ... انها جذور والده التي زرعها بنفسه واطلقه هو ليكون حاميا للعائلة من بعده ..سندا لها..

وهكذا تحمل الكثير وراعى هذا وصمت على علّات ذاك داحرا عاطفته الجياشة نحو من عشق وهوى لكنه الآن اكتشف انه لم يدحر الا ذاته ! وها هو ينتفض ليطالب بحقه في الحياة ... حقه !





انفاسه تهدر تنبئ عن قرب الانفجار بينما سعاد بملامحها غير المصدقة التي تنتظر تكذيبا منه وبدرية بدأ القلق يرسم ملامحها اما رفيدة فهذه لها حكاية اخرى ترتسم على ملامحها المصدومة !

قال اخيرا بغضب يكاد يلفظ لهبه " اجل امي ... انا جاد كليا ... وقد طلبتها للتو من خالتي بدرية ... ولن اتراجع عن مطلبي لها مهما كان الثمن ! "

شهقت سعاد وهي تضع يدها على خدها ثم قالت بذهول " لماذا اسيا يا رضا ؟!! لماذا هي ؟؟ كيف .. كيف ؟؟؟ "

رد رضا وملامحه يكتسحها العنف " ولماذا ليست هي ؟! ها ؟؟؟ لماذا امي ؟؟!! "

هزّت سعاد رأسها وهي تردد بتشوش واضح " انت تعلم ... انت تعلم لماذا ؟"

ثم فجأة قالت بتوجع امومي وكأنها ادركت امرا مهما للتو " يا الهي بنيّ ... هل حقا تريدها لهذه الدرجة ؟!! انا لم ارك بهذه الحالة منذ ولدتك !! " ثم التفتت لبدرية تخاطبها بتأثر " اليس كذلك بدرية ؟؟ هل رأيته بهذه الحالة طوال حياته ؟!! "

حاولت بدرية التبسم لتخفف عنها قائلة ببعض المرح الخفيف " الفتى عندما يعشق هكذا تثور اسوأ صفاته حتى ينال من يحب "





عندها صدح صوت رفيدة بنبرة قاتلة " هل ستوافقين على هذا امي ؟!! هل ستتغاضين عن كل شيء حصل لي لاجله هو .. لانه ابنك البكر المفضل ؟؟!.. الذكر الذي لايقال لرغباته لا ! "

صرخة غضب جامح انطلقت من رضا اهتزت لها اركان البيت " يكفي ! ..."

ارتعدت رفيدة بينما انخرست سعاد مما سمعته من ابنتها للتو وصدمت بدرية نفسها لهذا الكلام ليتقدم رضا خطوات من توأمته هادرا بصوت مجلل وهو يرفع قبضته بتشنج " يكفي رفيدة يكفي .. متى ستستيقظين مما انت فيه ! او تجرؤين لقول هذا الكلام لامك ؟! الان تتهمينها بالتفرقة بيننا ؟؟ هل افسدناك دلالا لهذه الدرجة فاصبحت لاتشعرين الا بنفسك ولا ترين الا ذاتك ؟!! تجرحين الجميع لمجرد انك تعيشين مآساتك التي خلقتها بنفسك لنفسك ..."

خطوات على الدرج بداية عبد الرحمن يلحقه محسن وفي اثرهما رحاب وهي تشير للولدين ان يعودا للجناح ....

عبد الرحمن وقف نهاية الدرج وقد بدا غير مستوعب وهو يقول " ماذا بك رضا ؟!! لماذا تصرخ هكذا ؟!!"

بينما تجاوزه محسن لينزل ما تبقى من درجات السلم وهو يسأل بدهشة " ماذا يحدث ؟!! "





لكن رضا لم يلتفت لاخويه بل ظل يحدق في رفيدة المصدومة بغضب طال كبته ليكمل انفجاره " الا يكفي رفيدة كل ما فعلته بحياتك لترمي اخفاقاتك على عاتقنا الآن؟؟! انت وبكامل ارادتك رضيت بالزواج من الحاج يونس بل اصررت عليه بكل تعنت ... رغم كل تحذيراتي لك انه زواج فاشل ، جعلتنا جميعا ندفع الثمن بقبولك هذا وانت تحملينا معك نتائج افعالك ، جرحتِ امرأة من عمر والدتك فقط لتحققي رغبتك بالزواج بأيّ كان ! استغليت ضعف امك امامك واستغليت مرض والدك وقلقه عليك وهو على فراش الموت لتدفعيه للقبول وانت تعرفين جيدا لو كان بقوته وصحته لما رضي لك بهذا .. تعيشين انانيتك وتقتاتين على الرثاء لنفسك وعند الضرورة تواجهينا بالاتهامات الباطلة وتجرحيننا بلا ادنى تردد !!"

اخذ صدرها ينشج ببكاء مخنوق فاشفق عليها محسن ليقترب منها محاوطا كتفيها وهو يهمس لرضا مهدئا " هون عليك اخي .. اخبرني فقط بما حصل ..."

تطلع رضا لمحسن اولا ثم نقل نظراته بينهم جميعا فخفتت نبرات صوته ليوشحها جرح عميق وهو يلقي المزيد مما كتمه :





" سنوات طويلة من عمري خسرتها دون ان تكون اسيا لي ومعي ... الانسانة الوحيدة التي تمنيتها زوجة ... بل لم اتمن في حياتي اي شيء .. اي شيء على الاطلاق ... الا هي .. "

دمعة هطلت على وجه رفيدة سبقتها دموع على وجهيّ بدرية وسعاد ، حتى رحاب ترقرقت عيناها تأثرا ...

تطلع عبد الرحمن بصدمة لاخيه الاكبر .. صدمة لاتوصف لمجرد ذكر اسم اسيا بينما

محسن يحاول التماسك للسيطرة على الوضع .. يحاول استيعاب هذه القنبلة التي تفجرت امامهم جميعا دون ان يحسبوا لها حساب ..

اذهله ان يكتشف انه لم يفكر يوما عميقا برضا ولم يفكر جديا هل هو سعيد ام لا !!

لكن ان تكون اسيا العطار بغيته لهذه الدرجة فلم تخطر في باله ابدا !

ربما شعر ببعض الشحنات يوم حادث اختها الصغيرة رباب لكنه نسي الامر فيما بعد ولم يفكر به مرة اخرى ..

قال محسن وهو يمد ذراعه الاخرى ليربت بكفه على كتف اخيه " رضا ... اهدأ اخي .. كل شيء سيكون بخير ... وما تبغيه ويسعدك نحن راضين به .. "







تطلع اليه رضا قائلا بنبرة غريبة " تجرعت العلقم وانا اقف عاجزا مكبلا نفسي بارادتي مانعا اياها عن تحطيم كل الحواجز التي تفصلني عن بغيتي ... مرة حذيفة ومرة رفيدة وماذا كانت النتيجة .. ؟!! لا .. شيء...! "

فجأة استعاد وجهه صلابته ليقول بنبرة قاطعة وهو يتطلع لامه سعاد " سافعل المستحيل لاحظى بها .. اقسم باللّه العظيم سافعل لكن لو شاء اللّه وقدّر ان لاتكون آسيا من نصيبي فاعلمي اماه اني ساعزف عن الزواج لبقية حياتي ...! "

بابتسامة رقراقة فتحت الخزانة .. عيناها قبل يداها تلامسان ملابسه ... ارعشتها المشاعر وهي تمسك طارف عباءته البنية..

شددّت اناملها عليها وعيناها تتغرغران بالدموع .. هطلت اول دمعة وهي تسحب العباءة خارج الخزانة تتشممها وبنفس الابتسامة تتهادى في مشيتها نحو السرير الذي ضمها مع حبيبها وزوجها لثلاثين عاما..

دموعها تجري مدرارا وهي تنحني لتفرش العباءة باعتناء على السرير ، تلك العباءة الرجولية الحبيبة لقلبها...





ابعدت طرفي العباءة جانبا ثم خلعت خفيها لتميل بجسدها تتلقفه العباءة وتضطجع عليها بكليتها ثم لملمت طرفي العباءة حولها تتدثر بها وتذوب برائحتها والدموع ما زالت تجري مدرارا....

رغم الدموع التي بللت وجهها ورطبت جزءا من قماش العباءة تحتها همست بابتسامة فرح وعشق " كم احبك يا يونس .. وهذا الحب الذي تفيض به جنبات قلبي لن يتوقف الا بتوقف سريان الدم في هذا القلب .."

شهقة بكاء غافلتها لتهمس وهي تغمر وجهها اكثر في عباءة زوجها " جمعني الله بك في جنة الخلد "

تحاول جهدها استيعاب ما حدث ! هل حقا رضا طلبها للزواج من امها ؟!! هل انتهى الامر وانكشف ما كانت تخشاه بهذه البساطة ؟!!

جلست امام مرآتها تتطلع لملامحها التي تعبر عن تشتتها وحيرتها ! حيرتها لم تكن من رضا بل من امها !!

همست لنفسها " لااصدق انها تعاملت بالموضوع بهذه العقلانية ؟!! وتلك النظرات ! و...... الابتسامة !!! "

تنهدت وهي ترتكز بكوعيها على حافة منضدة الزينة لتسند جبينها على كفيها وهي تستعيد في عقلها حوارها مع امها حالما عادت بعد توديع رضا ...





قالت امها بتلك الابتسامة " لديك عريسان يا جوهرة امك ففكري جيدا ايا منهما ترتضيه نفسك واخبريني بعدها لنتناقش "

لم تملك الا ان ترد بتشوش " هل تعنين انك تريديني ان افكر بـ...رضا ؟!! "

لتتسع ابتسامة امها وهي تقول ببساطة لم تستوعبها " مؤكد يا ابنتي ! ولماذا لاتفكرين به ؟! "

شعرت بوقتها بشعور لم ينتبها منذ سنوات طوال ، شعرت انها عادت طفلة وامها تتلاعب بها حول هدية العيد المرتبقة !

عندما طال صمتها اضافت امها بحنان " اريدك ان تفكري جديا اسيا ، فكري بمصلحتك وبما يسعدك ، لاتجعلي اي شيء يقف بوجهك لتنالي ما تتمنين ، وانا سأكون معك وادعمك بكل ما لدي فلا تخشي شيئا ابدا يا ابنتي ..."

عندها فقط ادركت ان امها جادة فعلا بقبولها رضا كعريس محتمل ! كان شيئا مربكا لذهنها وهي ترى امها تستعيد حيويتها فجأة !

والامر كان يسبق مجيء رضا فمنذ ان دخلت البيت عصرا وامها بحالة غريبة وهالة الشجن الحزين التي احاطتها منذ عام كامل فارقتها .. تلاشت وكانها لم تكن !





وآخر ما قالته امها وهي تربت على حجابها الذي لم تكن قد خلعته " لاتخبري اخواتك الآن ، اريدك ان تفكري دون تشويش وتعطيني رأيك بعد يومين واذا احتجت للمزيد من الوقت فلا بأس وبعد ان تخبريني رأيك سنتناقش يا حبة القلب "

وهكذا تركتها امها في حالة من التخبط في الافكار لم تعاني منها سابقا ...

وها قد مرت ساعة كاملة والشمس تغرب وهي معتكفة بغرفتها لاتتوقف عن التفكير ..

رفعت رأسها وعادت لتحدق في وجهها عبر المرآة .. تحاول ان تواجه نفسها بشكل اكثر جدية ..

ماذا يعني لها رضا بالضبط ؟ هل هو مجرد رجل يعجبها بكل صفاته ؟ ام ان عاطفته الجياشة التي اغرقها بها على حين غرة لتملك عليها كيانها هي ما احيا مشاعر قديمة نحوه ...

اجل تعترف انها كانت معجبة به .. ليس حبا بل شعورا مدغدغا مع سعادة ناعمة واطمئنان وألفة برؤيته ..

وعندما تعرض لها حذيفة وظنته رضا تحطم في داخلها شيء مهم ! شيء اوجعها .. اعتصرها لتجعلها تنكمش على مشاعرها كفتاة ...

طوال سنوات كانت تستعيد سكينتها بنفسها ملتجئة للّه سبحانه الذي لم يخذلها فاغدق عليها بنعمه ...







لكن جرح رضا او ما ظننته جرحا من رضا ظل متواريا في اعماقها لم تستطع التخلص منه ..

هناك فرق بين ان تتعرض الفتاة لمحاولة اعتداء من شخص غريب وبين ان يكون المعتدي تعرفه وتألفه ... انقلاب مشاعرها من الاطمئنان التام اليه الى الخوف والرعب منه كان عذابا لها ... لم تكن تريد ان تشعر بهذا .. كانت تريد محو كل ما حدث ... محو رضا نفسه من وجوده حولها لتتخلص فقط من وطأة ذلك الاحساس الكريه ...

وبعد هذه السنوات ... عاد رضا ليقلب موزاينها مرة اخرى ، لا ... لم يقلب الموازين ! بل اعاد ما قُلِب في الماضي ليوازنها هي شخصيا مرة اخرى ...

وجدت نفسها تستعيد ألفتها الطبيعية معه ، ثم ذلك الشعور الباهت القديم نحوه عاد ليدغدغها ... ولم ينتظر الكثير ليصدمها بحقيقة حبه لها ورغبته الزواج منها من سنوات ... لاول مرة لاتشعر برهبة من موضوع الزواج .. فرغم كل تعقيدات ارتباطها به الا انها لم تستطع منع شعورها انها ... انها .. تنتمي لرضا ! هو وحده دون غيره !

خاطر غريب مر ببالها وهي تتطلع لعينيها الفائضتين بالافكار ... سألت نفسها بصوت مسموع " ترى انعدام الرهبة والقلق هل يكون مصدره ان رضا يعلم بما حصل قبل سنوات ؟! اني لن اخاف من ردود افعالي معه .. انه سيفهم ويتفهم دون ان اشرح و افسر ؟؟ "





ارتعشت وهي تغمض عينيها لتأخذ نفسا عميقا وتطلقه ببطئ بينما ذكرى نظراته الغاضبة العاتبة تؤلم قلبها لـ..اجله ....

بوقفة توحي بالهيبة نفث رضا دخان سيجارته، عيناه لاتحيدان بعيدا عن شباكها ، يتطلع عبر الظلمة لبصيص نور يتسرب من بين ستائرها ...

" رضا ..."

صوت محسن لم يجعله يلتفت ناحية باب غرفته فقط اكتفى بالقول " نعم محسن ..."

رد محسن بنبرة تعجب واضحة " انت تدخن ! لم اركـ تفعلها منذ سنوات طويلة "

اخذ رضا نفسا اخر ونفثه دون ان يعقب او حتى يداري اتجاه نظراته عن اخيه ....

وقف محسن بجانبه ولاحق مسار نظرات اخيه الاكبر فابتسم بخفة سائلا بما لايحتاج لاجابة " هذه غرفتها اليس كذلك ؟؟ "

ايضا لم يرد رضا فاضاف محسن سائلا بمرح رقيق " هل تحبها لهذه الدرجة اخي .."

فرد رضا بصوت أجش " واكثر ..... لاشيء يعادل ما اشعر به نحوها ..."

وضع محسن يده على كتف اخيه ليسأله بجدية :





" لماذا انتظرت كل هذه السنوات رضا؟ ما منعك عنها ؟!! رفيدة لم تتزوج الحاج يونس الا منذ عام واحد فما الذي منعك عمّن تحب وتعشق..."

شعر برضا يتوتر على غير طبيعته فضيّق محسن عينيه ليسأله بالحاح حائر " ما الذي تخفيه رضا ؟! "

اسبل رضا اهدابه وهو يأخذ اخر نفس من سيجارته بينما يواجهه محسن بالسؤال " ماذا قصدت بتطرقك لحذيفة ! وما علاقة حذيفة برغبتك الزواج من اسيا ؟!! "

سحق رضا عقب سيجارته في المنفضة القريبة منه وبدا غاية في التوتر !! لكن كان صامتا صامدا كالطود العظيم !!

الفكرة الوحيدة التي طرأت برأس محسن ان رضا علم بطريقة ما ان حذيفة يكن مشاعر عاطفية نحو اسيا وهذا ما منعه عنها .. وان انتماء رضا الشديد للعائلة واحساسه بالمسؤولية عنها هو الذي دفعه لاستبعاد اسيا تماما كزوجة محتملة له ...

لكن لماذا يتكتم على الامر بهذه الطريقة؟؟ يستطيع رضا ان يخبره ببساطة ان حذيفة كان يحب اسيا مثلا !

اذن ... لماذا ؟؟!!





ليس هذا فحسب .. يشعر ان فكرته لاتعطي الاجابة الشافية لكل الاشارات التي التقطها من رضا اليوم ..

هناك حلقة مفقودة لايفهمها ....!! هناك امر ما مختلف بطريقة لايستطيع تفسيرها ..

عاد ليتطلع لاخيه فقال له ما وجد ان من حقه سماعه " انا لن اضغط عليك لتخبرني بكل شيء لكني ساقول اني معك اخي في اي شيء تريده ، عندي ثقة بك لاحدود لها ، كما اؤمن ان من حقك ان تعيش حياة سعيدة مع امراة مميزة كآسيا واما رفيدة فعليها ان تواجه حقيقة اختيارها بدلا من الاختباء خلف فشل ذلك الاختيار"

شعرت بدرية انها ستنفجر اذا سمعت سعاد تكرر نفس الكلمة (لااصدق)

لكنها للاسف اعادتها مرة اخرى !

عندها هتفت بها بدرية قائلة " كفي عن ترديد نفس الكلمة يا امرأة !! وتبادلي معي حوارا نافعا بدل ان تكرري كببغاء (لااصدق .. لااصدق) !!! ما الذي لاتصدقينه بالضبط ؟؟ انه انفجر بحالة غضب مفاجئ هكذا ؟؟ ام انه -فلذة كبد امه- كان يعاني بحبه لاسيا من سنوات ونحن غافلين عنه جميعا! "

كانت سعاد بعينين مفتوحتين واثار الصدمة تكحلهما لتردد دون تفكير واضح " لاول مرة ارى رضا هكذا ! "





تنهدت بدرية لتقول بجدية " عندما يجد الرجل امرأة تستحقه بجدارة وتستحق كل عاطفته فانه يصبح مجنونا حتى يحصل عليها يا سعاد وابنك عاشق لها من سنوات .. هل تفهمين ما اعني ....؟؟ عاااااااااااااااااااشق ... عاشق ومحروم والفتاة تعيش وتتنفس في البيت المقابل له تماما ..الباب في الباب ... تتحرك في غدوها ورواحها امام عينيه فتزيد ناره ..! "

عادت سعاد لتكرر نفس الكلمة وبدرية تكاد تشد بشعرها غيظا !

لكن وسط غيظها لم تملك الا ان تسترجع جملة محددة قالها رضا وسط كلامه الانفعالي

(تجرعت العلقم وانا اقف عاجزا مكبلا نفسي بارادتي مانعا اياها عن تحطيم كل الحواجز التي تفصلني عن بغيتي ... مرة حذيفة ومرة رفيدة وماذا كانت النتيجة .. ؟!! لا .. شيء...!)

عقدت بدرية حاجبيها وهي تردد في سرها

" ومرة حذيفة .. ومرة حذيفة .. !! ماذا يعني ولدي بذكره لحذيفة كأحد العقبات لزواجه من اسيا ؟!! "

ثم تذكرت بدرية كلام ابنتها ثريا وشكوكها بحصول شيء غامض جعل رضا لايطلبها للزواج آنذاك ..





ثم استغرقت بدرية بافكارها اكثر بينما لمحات من صور قديمة تضيء في رأسها ...

حذيفة ... الشاب المستهتر الذي لم يكن يعتق فتاة في الحي ! نظرات لمحتها مرة في عيني حذيفة وهو يراقب بوقاحة وصفاقة بضعة فتيات سائرات في الشارع عائدات من الجامعة ... فتيات كانت احداهن .. آسيا !

رغم صفاقة نظراته لكن كان فيها اعجاب ... اعجاب وشيء اخر منفر لاتستطيع بدرية تحديده الآن ....!

بوقتها امسكت حذيفة جانبا واخذت تعنفه بشدة على سوء خلقه وتعرضه لبنات الحي .. وهو اعتذر بلا مبالاة خفيفة ثم انسحب ...

عادت لتتساءل في سرها " ماذا حصل يا رضا ؟؟ ماذا حصل ليكون حذيفة الماجن عقبة امامك ؟!! "

وبينما هي غارقة اجفلتها سعاد وهي تمسك بذراعها فجأة وتقول بنفس العينين المتوسعتين ذهولا

" هل تصدقين انه يحبها هكذا ولم يخبر احدا !!! "

رفعت بدرية عينيها للاعلى وهي تتمتم

" اعني يا رب على هذه المرأة ! "





قالت رحاب دون ان تطلع مباشرة لزوجها

" انا ما زلت مصدومة مما حصل ! هل يعقل ان هذا رضا الذي نعرفه ؟ الصبور الهادئ .."

رد محسن بسخرية باردة " لاتصدمي كثيرا ! ربما يوما ما ستفهمين ما يمر به رضا حقيقة .. انها مشاعر اعمق مما واجهتها يوما .. "

عبست رحاب وهي تسأل بضيق " ماذا تقصد ؟!"

لم يرد محسن وهو ينحني ليلتقط هاتفه من على السرير حيث رماه هناك قبل بعض الوقت دون شعوره عندما سمع صوت صراخ رضا ، كتمت رحاب تنهيدتها لتقول

" سأذهب لارى رفيدة .."

كان محسن يضع هاتفه على الشاحن الكهربائي فقال لها بهدوء مغيظ " لا ... انا من سيكلمها بنفسي ...ابقي مع الاولاد ..."

غادرها محسن متجاهلا النظر اليها كعادته خلال الاسبوع الذي مضى ...

تنهدت وهي تفكر انهما يكادان لايكلمان بعضهما الا امام الولدين ولايتكلمان اصلا الا بما يخص الولدين تحديدا !

ليلتان قضاهما محسن نائما على الاريكة حتى اكتشفه سامي صباحا وعندما سأله ببراءة عن السبب في نومه هنا بدلا من السرير اضطر محسن ان يكذب عليه قائلا انه غلبه النعاس وهو يتابع الاخبار على التلفاز ...





ومنذ ذلك اليوم عاد محسن للنوم بجانبها
لكن كأنه ينام في قارة اخرى !!

صوت وصول رسالة نصية اخرجها من افكارها
الكئيبة فتقدمت عفويا نحو الهاتف لتجد
الرسالة وصلت لهاتف محسن وليس هاتفها ..

كان امرا عاديا ان تقرأ رسائل تأتي لمحسن
وتخبره احيانا بمضمونها وهو كان يفعل
بالمثل مع رسائل هاتفها فالتقطت هاتفه
وفتحته ....

قرأت الرسالة وهي تكاد تنهار !

(مساء الخير استاذي ، سمعت خبرا مؤكدا
واحببت ان اكون اول من يوصله اليك
ويهنئك ، لقد اصبحت بشكل رسمي ...
رئيسا للقسم خلفا لرئيس قسمنا الذي احيل
على التقاعد المبكر ... مبرووووووك ...
طالبتك سوزان ☺)

طرق محسن الباب ودخل دون ان ينتظر رد
اخته عليه ، تفاجأ بها تجلس منهارة على
الارض محنية الرأس بشكل يدعو للأسى !

اشفق عليها وهو يهمس باسمها متقدما ناحيتها
ليجلس بجانبها على الارض المفروشة بسجادة
تركية مميزة ...

لم تستجب لذراعيه التي حاوطتها ، بدت
متخشبة وتنشج ببكاء مكتوم !







لم يستسلم محسن وهو يضمها اكثر لصدره ويهمس لها بحنو " رفيدة ..اختاه توقفي عن فعل هذا بنفسك .. ارجوك بل اتوسل اليك توقفي فانت تؤلمينا معك "

صوت متحشرج خرج منها " انا .. أؤلم الجميع .. أؤلم كل .. من اقترب منه .. انا منبع الالم والاحباط واليأس "

رد محسن مستغفرا الله ومضيفا " لماذا تقولين عن نفسك هذا الكلام القاسي ؟؟ انت لم تكوني على علم بمشاعر رضا نحو اسيا ، كلنا تفاجأنا ... لاتحملي نفسك ذنبه "

عندها ابدى جسدها لمحة تجاوب وهو يتحول من التشنج الى ارتخاء البكاء لتسند رأسها لصدر اخيها وتقول من بين شهقات البكاء " انا السبب محسن .. انا السبب .. لقد قالها لي وحطمني بها .. رضا ... انه اكثر من اخ لي .. دوما كان معي .. دوما اشعرني انه سندي .. لكني .. لكني آلمته .. آلمته .. اقسم بالله لم اقصد ان اقول تلك الكلمات ...لم اقصد ان أؤلم اي انسان .. لا هو و ..لا .. غيره ..."

اخذ يدلك ظهرها وهو يقول بلين " انت لاتؤلمين الا نفسك رفيدة ، لقد استغرقك جدا النظر فقط لما تتمنينه ونسيت ما تملكينه حقا ، انا اعلم ان من حقك الشعور بكيانك وان تكوني اسرتك الخاصة لكن يا اختاه لاتعاندي قضاء الله وقد يكون نصيبك ينتظرك حيث لاتتصورين "





لم يشعر الاثنان بدخوله حتى جلس بجانبهما
على الارض ودون ان يقول كلمة سحبها من
ذراعي محسن ليضمها لصدره هو ، تعلقت به
لاشعوريا وتمسكت بقميصه وبكاؤها تعالى
بينما رضا يهمس لها بنبرة شجن حزين

" سامحيني رفيدة ، لم يكن يجب ان اقسو
عليك هكذا "

كانت تهز رأسها باعتراض لكنها عجزت عن
التعبير بلسانها وعند باب غرفتها كانت امها
تقف تبكي ألم ابنائها وتدعو اللّه ان يزيح
هذه الغمة .... التفتت سعاد للخلف وهي تسمع
خطوات قادمة فوجدت عبد الرحمن ينظر
بغرابة !

خطواته تجمدت ونظراته ما زالت على غرابتها
فمسحت امه دموعها ونادته " ما بك تقف
متخشبا هكذا ؟! تعال وادخل وشارك
اخوتك همومهم "

لكن عبد الرحمن لم ينطق بشيء واستدار
عائدا من حيث أتى !

تمتمت سعاد باستغراب " ما به هذا الآخر ؟!! "

هذه المرة كانت رحاب القادمة ومن الاتجاه
المعاكس حيث يقع جناحها هي ومحسن ..

عبست سعاد وهي تحدق بوجه كنتها الجامد !





فقالت بحنق " ما بك انت الاخرى ؟! عبد الرحمن متجمد كتمثال من الرخام وانت كأن ملامحك منحوتة في الصخر الصوان !! ماذا حصل ؟؟!! "

ابتسمت رحاب ابتسامة لامعنى لها بينما تسأل حماتها " هل محسن هنا ؟؟"

فتنهدت سعاد وهي تشير لباب رفيدة المفتوح

" اجل هنا .. لهف قلبي عليهم وهم في احضان بعضهم بعضا ..."

زمّت رحاب شفتيها ثم قالت بلهجة غريبة

" تعالي خالتي فعندي خبر سيسعدكم جميعا علمته للتو .."

رددت سعاد باستبشار " خير ان شاء الله "

تحركت رحاب تتبعها الحاجة سعاد وما ان دخلت رحاب غرفة رفيدة حتى التفت اليها زوجها اولا وبدا مبتسما براحة بينما رفيدة تخبئ وجهها في صدر رضا ورضا يداعبها مدغدغا برقة في ظهرها ...

ابتسامة زوجها تجمدت وهو يقرأ ملامحها لكنها شمخت ورسمت ابتسامة عريضة لتقول ببشاشة غير حقيقية " عندي خبر سيسعدكم جميعا ..." ثم تركزت نظراتها على محسن لتضيف " زوجي العزيز اصبح رئيس القسم "





علت زغرودة سعاد وبارك رضا لمحسن وبينما محسن يرد تهنئة اخيه كانت عيناه تنظران لزوجته باستغراب واضح لتقول رحاب بابتسامة شرسة " تخيلوا الخبر وصل عبر احدى الطالبات الوفيات لاستاذهن ..؟ "

ثم تقدمت رحاب نحو محسن ومدت يدها بهاتفه وقالت " عليك ان تشكرها عزيزي "

صباح اليوم التالي

كانت رقية تساعد رباب في ارتداء ملابسها وهي تثرثر دون توقف " لماذا لاتصدقين ان في الموضوع سر ؟ اقول لك انا متأكدة اني رأيت رضا يغادر بيتنا وامي توصله حتى الباب ،

كما ان امي بدت غريبة الاطوار منذ عودتنا من المدرسة ظهر الامس ؟ واما اسيا فكانت بعيدة عنا بأميال ؟ "

تأففت رباب وهي تنقر على رأس اختها بسبابة يدها السليمة قائلة " كفي عن فضولك المزعج ولاتحشري نفسك بامور ليست لك وابتعدي عن امي باسئلتك السخيفة "

قالت رقية باعتراض " لكني لم اسألها اي شيء ؟؟ "

ردت رباب بابتسامة شريرة مشاكسة " على اعتبار ما ستسألينه يا ثرثارة ؟ "





تأففت رقية بينما تبتعد رباب عنها لترتدي حاملها الطبي وهي تضيف بتحذير جدي

" اياك ان تسألي امي عن اي شيء رقية ، ما دامت مرتاحة وعادت لها ابتسامتها فلا تنغصي عليها بكلامك واياك ايضا ان تذكري لحبيبة انك رأيت رضا بالامس يزورنا والا انت تعلمين ما قد يحصل من حبيبة ! لااريد ان يعكر اي شيء مزاج امي المبتهج "

هزّت رقية رأسها موافقة بينما عقلها يسرح بفكرة رومانسية للغاية !

فماذا لو كان رضا يريد ان يتزوج اسيا مثلا ؟!

هل يمكن ان يحصل هذا الرباط السحري ؟؟!

يا الهي ستطير فرحا لو تحقق هذا ....

مرتبكة وتشعر انها سخيفة بوقفتها هذه في الشارع !! مرت اكثر من سيارة اجرة وهي تقف بلا حراك ... انها .. تنتظره ! تريد ان .. ان تكلمه ... البارحة بدا .. غاضبا جدا منها ..

يا الهي لماذا لايظهر من العدم كعادته ؟! انها لاتجرؤ على النظر للخلف .. تخجل من فعل هذا !

" هل اخذت حبيبة السيارة مرة اخرى ؟"

ارتج قلبها متخبطا بين اضلعها بينما تلتفت اليه لتجده بحالة لم ترها سابقا عليه ..

كان يمسك بسيجارة ويدخنها ببطئ ، عيناه بدتا خطيرتين رغم الهالات السوداء حولهما !







ملامحه متصلبة رغم تلك الابتسامة الصغيرة الذائبة التي تلامس شفتيه ...

قالت بعفوية " اول مرة اراك تدخن ! "

رد بتعبير متهكم " كنت قد طلقتها بالثلاث قبل سنوات لكني عدت لها بالامس فقط ! "

قالت بنفس العفوية " ارجوك ارمها .. انها تضر بصحتك .."

رمى سيجارته ارضا وسحقها بقدمه ، نظر اليها وقد اشتعلت عيناه ليسألها بصوت تدفق بانفعاله اليها " هل تهتمين بصحتي حقا ؟! وماذا لو متُّ الآن اسيا ؟! تصدمني سيارة .. او.."

قاطعته لاهثة الانفاس معصورة القلب تكاد تبكي " ارجوو..ك .. توقف .. حفظك الله من كل سوء ..."

كان صدره يعلو يهبط ونظراته اشد خطورة وهو يسأل دون صبر " هل ستفكرين حقا بذلك الاحمق الذي تقدم لخطبتك ؟؟ هل ستفضلينه علي انا يا اميرة البنات ارضاء لامك ؟"

ردت بتهدج " انا كنت انتظرك فقط لاقول .. ان لاداعي لغضبك .. انا رفضته قبل لحظات فقط من قرعك الجرس علينا ..."





فهمس بوحشية والغيرة تتآكله " اذن لماذا نوهت امك عنه ؟؟ لماذا ان كنتِ قد رفضته حقا؟"

اطرقت اسيا خجلا لتقول " اننا لم نكن قد تكلمنا بعد .. اقصد انا وامي .. كانت تخبرني بالموضوع للتو وانا رددت عليها بأني لاافكر بالزواج ثم .. أتيت انت ..."

زفر بقوة وكأن انفاسه موج هادر ... ثم قال وهو يرفع يده ليلوح لسيارة اجرة " لايفترض ان نطيل وقوفنا في الشارع هكذا ! "

عندما وقفت السيارة بجانبهما كانت ما تزال تطرق برأسها ولم تشعر الا برضا يفتح لها الباب ويقول بحزم " هيا اصعدي .. وجدي حلا لموضوع السيارة التي تأخذها اختك ، يجب ان تشتروا سيارة اخرى "

تلكأت قبل ان تصعد لتهمس له " السيارة موجودة في ... البيت .. انا ... اردت .. رؤيتك "

سارعت لتجلس على المقعد الخلفي بينما بدا رضا كالابله وهو يغلق لها الباب بحركات بطيئة .. غادرته وهو ما يزال واقفا مكانه بحال غير الحال الذي كان عليه ...





قلبه جن في صدره بينما لسانه يردد بذهول العاشق المتيم

" لقد قالت .... ارادت .. رؤيتي ؟ "

ضحك وهو يهز رأسه ويهمس ساخرا بنعومة من نفسه " عقلك من سيجن يا رضا وليس قلبك ؟ مصيرك لمستشفى المجانين ؟؟ "

منتصف الظهيرة

" اقسم بالله ساقتلع عينيها الجميلتين برمشيها الاصطناعيين اللذين ترفرف بهما نحو زوجي وبعد ان اقتلع عينيها من محجريهما سامد اصابعي عبرهما لامزق باظافري رئتيها التي تزفر الانفاس الهائمة نحوه ؟ "

همس داخلي متفجر ... هذا كل ما استطاعت رحاب فعله خلال الحفل الصغير الذي اقيم احتفاء برئيس القسم الجديد الذي هو زوجها الغالي ؟؟

منذ الامس وقد امتنعت تماما عن التكلم معه وهو ببروده الثلجي لم يعقب بأي شيء على رسالة تلك الوقحة ؟

وها هي تمثل دور زوجة رئيس القسم بامتياز بينما في داخلها تتمنى ان تحرق الحفل بمن فيه واولهم زوجها المبتسم ؟





اشار لها محسن بتلك الابتسامة المخادعة
التي يجيدها فتظهره كحمل وديع ..

تقدمت اليه وعضلات وجهها كلها متشنجة من
الابتسام الذي تفرضه عليها ...

وقفت بجانبه وشعرت بيده تلامس بخفة
ظهرها بينما توزع الجمع حولهما بين الاساتذة
ولفيف من الطلبة لتختار تلك الحقيرة سوزان
الوقوف بجانبه الآخر !

كانت الحمم البركانية تقصف في رأسها
حتى انتهى المصور من اخذ عدة لقطات وحال
انتهائه التفتت نحو زوجها تريد اخباره انها
تشعر بصداع وستغادر عندما سبقتها تلك

الحقيرة لتقترب منه وتقدم اليه علبة مربعة
كحلية وهي تقول لها بميوعتها المصطنعة

" مبروك استاذنا الغالي .. هذه هدية بسيطة
من طلابك ، تشاركنا بها ولكنها من
اختياري فارجو ان يعجبك ذوقي "

تدلى فم رحاب بينما ترى تلك الحثالة تفتح
العلبة لتظهر ساعة يدوية رجالية انيقة ...

كان الامر فوق قدرتها على التحمل وشعرت
انها ستنفجر بالبكاء في اية لحظة ودون ان
تقول شيء انسحبت شبه مهرولة ووجهتها
غرفتها الخاصة ...







لم يشعر محسن بانسحاب زوجته الا عندما ارتطمت باحدهم ليقول لها " عفوا استاذة رحاب "

ذكر اسمها هو ما جعله يرفع نظراته بعيدا عن تلك الساعة المهداة له من طلابه ..

غامت عيناه وهو يرى خطواتها المتباعدة ... ليهمس في سره " دائما تتباعدين رحاب .. دائما تنسحبين ... ! لا تعرفين كيف تشعريني اني رجل حياتك !! "

اتسعت ابتسامته والتمعت عيناه خلف نظارته السوداء بينما يتطلع لوقفتها المتململة على جانب الطريق ! همس بسخرية رقيقة وهو يثبت نظراته على شفتيها " انها تتأفف ! "

عض طارف شفته السفلى وهو يميل بسيارته نحوها ليقف بجانبها ...

اول ردة فعل لها هو العبوس ولمحة شراسة لانها كما يبدو لم تتعرف عليه لاول وهلة ، خفتت شراستها عندما امعنت النظر اليه لتلتزم برودة مستفزة لحواسه !!

انزل نافذة جانبية قريبة منها ليقول لها بتفكه " ماذا تفعلين هنا ؟؟"

ردت وهي ترفع حاجبا واحدا بسخرية واضحة " اتشمس ! "





ضحك عاليا ليقول بعدها بمرح حقيقي

" لذيذ خفة دم لم ارها عند فتاة من قبل ..."

نظرت اليه باستهانة ولم تعقب بشيء فلوح لها قائلا بابتسامة واثقة " تعالي ... تعالي لاوصلك حيث تشائين "

ردت بهدوء " لا شكرا .."

ثم عاودت النظر نحو الشارع لتشير لسيارة اجرة مارة عسى ان تقف لها فوجدتها للاسف ليست شاغرة ...

ابتسامة حسية تلاعبت بشفتيه وهو يتطلع اليها ليخفيها سريعا مستبدلا اياها بابتسامة مرحة تحمل روح التحدي وهو يقول " هل تخافين ان يأكلك الذئب ان ركبت معي ؟ "

التفتت اليه ببطئ مستفز تحدجه بنظرات متعالية بينما اسنانه البيضاء تنكشف اكثر في ابتسامة متحدية بشكل اكبر !

اسبلت اهدابها ثم تحركت برشاقة لتفتح الباب المجاور وتجلس بجانبه وهي تقول " جرب ان تكشر فقط عن انيابك وسترى من هو الذئب الحقيقي ! "

ضحك من قلبه بينما يتحرك بالسيارة وقلبه يهدر انفعالا ...

قال لها مدعيا العفوية " اين وجهتك ؟؟ "





فردت وهي تحرك قميصها من ياقته بنزق في اشارة لشعورها بالحر " اريد التفاهم مع ممولنا لمواد الاعلان فما ارسله لنا كآخر وجبة سيء جدا "

نظر اليها نظرة جانبية لتستقر عيناه على فتحة القميص فيتحسر على الزر المغلق ثم ابتعد بنظراته الى الطريق امامه خانقا احساسه بالحر ليقول بصوت اقرب للطبيعي

" لكن هذا ليس عملك ؟ "

ردت متأففة وهي تمسح جانب رقبتها " انا لااتعب بالتصاميم لتظهر في النهاية بشعة بسبب اهمال الموظف المسؤول ...؟ "

حركة يدها على رقبتها جذبته مرة اخرى ابتلع ريقه وعيناه تلامسان جبينها ليقول بتحشرج " انت تتصببين عرقا ؟ "

كانت تشعر بالضيق من الحر فلم تتنبه لنبرة صوته فقالت وهي تمد يدها للامام " هل يمكنني فتح التكييف ...."

فبادرت لفتح التكييف بينما كان يرد قائلا

" نعم .. مؤكد .."

اخذت تمسح جبينها الآن بينما هو يعاني بين تركيزه على الطريق ومتابعة تلك القطرات اللامعة ... قطرات تذكره بـــ.... " هل تعلمين انك تذكرينني بشخص ما؟؟ "





نظرت اليه لتقول بضجر " لاتقل لي حبيبة سابقة ! "

عندها خلع نظارته ليحدق في عينيها ويهمس بصوت مبحوح " لا حبيبة الا انت "

عبست حبيبة فقال لها مبتسما برقة

مبديا مرحا محببا " لاتنظري الي بغضب هكذا ! اليس اسمك هو حبيبة ؟!! "

حركت رأسها وكأنها تقول (لافائدة منك) بينما تضاحك بخفة قبل ان يقول بصوت غريب " لكنها كانت حبيبة سابقة بالمعنى وليس الاسم ..."

التفتت اليه وقالت بنبرة تهديد ساخرة

" هل بدأ الذئب يكشر ؟!! "

لكنه لم يكن ينظر نحوها بينما بدا جانب وجهه متوترا بعض الشيء ليقول بنبرة محيرة

في معناها " كنا زميلين في الجامعة واحببتها حال رؤيتي لها ومنذ اول يوم لنا في المرحلة الاولى ..."

اتسعت عينا حبيبة قليلا وشيء ما تحرك في صدرها بينما مهند يسترسل قائلا " كانت تبدو كحلم وهي تسير بأروقة القسم .. بيضاء بتقاطيع منمنمة وشعر اسود حريري يداعب الكتفين الرقيقين "

لاتعرف ما هو هذا الشيء الذي جعلها تشعر بالحنق فوجدت نفسها تقول بحدة " حتى الآن لااري اي لمحة تشابه بيننا ! "





لكنه بدا في عالم آخر ليضيف المزيد وهو يكاد ... يكاد يبتسم ! " احببتها كالمجنون وهي احبتني بجنون مضاعف ! "

لم تشعر حبيبة الا بتشنج قبضتيها وما كاد ان يظهر من ابتسامته شعّ الآن ليقول بصوت مؤثر " كنت احيانا اغيظها واجعلها تنتظرني في ساحة الجامعة تحت شمس الصيف الحارقة وعندما يجزع قلبي لاجلها اذهب اليها وحالما تراني تبتسم في وجهي بفرح ووجهها الجميل يتصبب عرقا دون ان تشتكي او حتى تعتب لتأخري ! "

قلبها يدق .. بل يقرع بقوة ... هزّت رأسها دون شعورها لتلملم رباطة جأشها المبعثرة وتتدارى خلف سخرية غير مقصودة قائلة

" ها قد وصلنا اخيرا لتلك اللمحة ! لكني مؤكد لم اكن اعذب نفسي تحت الشمس بانتظارك .. "

في هذه اللحظة التفت اليها يحدق مليا في ملامح وجهها ليهمس بابتسامة عذبة

" لو كنت اعلم انك تقفين تحت الشمس لما جعلتك تنتظرين لحظة واحدة لآتي اليك... "

ابتلعت ريقها رغما عنها وعيناه تتابعان على طول رقبتها لتنقذ نفسها باول سؤال خطر لها

" ماذا .. حصل لحبيبتك ؟؟ "





امال رأسه وذابت ابتسامته شقاوة وحرارة وهو يغمز قائلا

" اي حبيبة ؟؟ الاسم .. ام المعنى ؟؟ "

عندها قالت بسخرية لاذعة لتخفي توترها

" مؤكد اسمي لايرتبط بك بأي شكل من الاشكال وانما قصدت من كانت تهوى تعذيب نفسها فداء لمزاجك السادي ! "

فرد ببساطة صدمتها وهو يركز على طريقه مرة اخرى " اسمها ... لينا ... كانت من غير دياتني ! مسيحية .."

ارتفع حاجبا حبيبة بذهول بينما مهند يضيف بنبرة شجن غريبة " عندما تخرجنا كنا متفقين على الزواج "

ثم ابتسم ابتسامة باردة وهو يكمل " تفاجأت بوالدي يرفض بشدة الى درجة هددني بالتبرؤ مني وامي تولول واخواتي يولولن معها ! "

قالت وهي تحدق في جانب وجهه بفضول شديد " ولماذا تفاجأت ؟! "

التفت اليها وعلى وجهه نفس الابتسامة الباردة بل اصبحت جليدية ! ليقول بعدها " كنت اتصور انني من عائلة مثقفة متفتحة !! ابي بالذات كان يعتبر نفسه متدينا ومتبحرا بعمق الدين فاكتشفت انه هو اول من يعارض التشريعات عندما تصطدم بالتقاليد البالية وتخدش واجهتنا البراقة امام رموز المجتمع السخيفة ! "





سألت بنبرة اتهام " هل تخليت عنها لاجل عائلتك ؟؟ "

رد بقساوة " بل هي من فعلت وربما لم تفعل وانما فقط ... اجبرت ...! "

ليبتسم بسخرية مريرة وهو يكمل " ردة فعل اهلها كانت اكثر ضراوة ! احتجزوها في البيت ومنعوا عنها اي وسيلة اتصال حتى صديقاتها منعوهن التكلم معها ثم تفاجأنا جميعا ونحن نسمع بخبر زواجها وهجرتها مع عريسها لامريكا !! "

صمت التزماه هما الاثنان دون اعلان ! لا هي ارادت سماع المزيد ولا هو اراد قول المزيد !

مهند يحدث نفسه بغضب داخلي " ما الذي جعلني اتمادى هكذا ؟! كيف افلت لساني بكل هذه التفاصيل ؟؟! لم تكن هذه بغيتي وانا اخبرها عن قصتي مع لينا ... كل ما اردته جذبها الي متلاعبا بفضول الانثى الذي لايخطأ ... ان أؤثر فيها واغرس قدما جديدة في ارضها .. لقد اردت ان اعطيها صورة غامضة فوجدت نفسي اشرح لها الكتاب بكل تفاصيله !!"

نظر اليها بطارف عينه وداخله يتأجج بمشاعر الحنق ليهمس في سره " قلتها سابقا ...ولم اخطئ ... انت خطر حبيبة ... لكني سأنالك قبل ان يصيبني هذا الخطر بمقتل...! "







" مرحبا يا ابنة خالتي المختبئة ! "

رفعت رحاب رأسها لتتطلع مصعوقة لهيئة الطيار الانيقة عند باب غرفتها !

خوف جامح هاجمها من كل ناحية بينما ملامح وسام تتغير من الفكاهة والمرح الى القلق وهي يتقدم من مكتبها متسائلا " ما بك رحاب ؟!! وجهك شحب جدا وشفتاك ابيضتا ! "

فقدت قدرتها على النطق وعيناها تنظران بجزع للباب خلفه ترقبان في اية لحظة انفجار مدو من زوجها اذا أتى لغرفة مكتبها ورأى وسام معها !

وقفت على قدميها دون سبب وهي تكاد تترنح وصداعها يتضاعف بشكل مريع !

عقد وسام حاجبيه قائلا بجدية " رحاب انت لست بخير ! ماذا حصل ؟؟!! اين محسن لاستدعيه اذا شئت "

لهج لسانها بأسم زوجها ليظلل الباب خياله الضخم ...

من خلف وسام تحرك الغضب الاسود المتمركز بجسد محسن ليقول " محسن استجاب للاستدعاء فلا تتعب نفسك يا وسام!"





الفصل التاسع

التفت وسام بابتسامة لطيفة نحو محسن مادّا يده مصافحا وهو يقول " اهلا محسن ، كيف حالك ؟ "

للحظة مشؤومة كانت رحاب تنظر ليدِ وسام الممدودة وهي تهمس لنفسها بجمود " لن يمد له يده ! لن يصافحه !! سيحرجني ويحرج وسام ... بل ربما ســ....."

" اهلا وسام ... مر وقت طويل لم نركَ فيه "

فك رحاب تدلدل للاسفل وهي تسمع صوت زوجها يخرج بهذه المجاملة التي تكسرت عند مرورها من بين اضراسه المطبقة !

يده صافحت يد وسام ثم التفت بنوع من البرود والتجاهل دون ان يفسح لوسام حتى ان يعلق بشيء اخر ثم توجه محسن ببساطة ناحية زوجته ..

اجفلت قليلا وكفه تلتف خلف ظهرها ، اصابعه انغرزت في خصرها بينما مال ناحية اذنها يهمس برقة مفتعلة " هل انت بخير حبيبتي ؟! "

حبيبتي ؟!! حبيبتي يا محسن ؟!!؟ الآن اصبحت حبيبتك فقط ؟؟ حسنا ...





كانت تشعر بالدوار يشتد عليها لكن غيظها سبق فنظرت لزوجها بتحد قائلة " بخير عزيزي ، كنت قد تعبت من الوقوف في حفل تكريمك .. وبعض الاطعمة الرخيصة المعروضة هناك تسببت لي بمغص معوي حاد ! "

عيناه تنفثان الشرر .. شرر خطير ... لقد تمادت .. تعرف انها تمادت ومزاجه لم يكن يسمح بتحمل المزيد من الاستفزاز ...

وسام علّق ببشاشة " حفل تكريمك ؟!!! انها بشارة خير لي ... لكن قبل ان اقول بشارة خير لأي شيء اخبروني بسبب هذا التكريم "

ادار محسن رأسه لوسام وهو يضم جسد زوجته اليه اكثر ويقول بنبرة لا تعبير فيها " لقد عُينت رئيسا للقسم خلفا للرئيس السابق "

ابتسم وسام فبدا وسيما جدا وشعرت رحاب بتشنج اصابع محسن اكثر حول خصرها فاوشكت على الاختناق !

قال وسام " مبارك ... مبارك محسن .. تستحق الافضل ..."

ثم تنحنح بشكل متعمد فكاهي وقال

" حسنا بما اني حضرت في توقيت ممتاز فساقول مباشرة ما جئت لاجله ..."





تطلع للوجهين امامه دون ان يتكهن بما يدور خلف الاقنعة المتماسكة وطبعه الاناني نوعا ما جعله يركز بما بما يريد اكثر من تركيزه في تلك الشحنات المتنافرة بين ابنة خالته وزوجها ...

ابتسم وسام ابتسامة اوسع وقال بنوع من الفخر والغرور " لقد قررت الزواج ! "

اخذ ينقل نظراته باستمتاع بين وجه رحاب المذهول ووجه زوجها المتصلب بطريقة مضحكة !

ليضحك بخفة وهو يردف قائلا " صدمتكما مروعة ! اكثر من صدمة امي عندما اخبرتها !! هل انا شاب ميؤوس منه لهذه الدرجة ؟؟!

اعترف اني كنت منفلتاً قليلا لكن .. قد بلغت الثالثة والثلاثين واريد الاستقرار "

تكلم محسن اخيرا وقد بدا يكتم غيظه بشق الانفس " وما هو المطلوب من ابنة خالتك ؟؟"

حرّك وسام حاجبيه بشقاوة ليغمز قائلا

" علاقتها ببساطة لان الفتاة التي اعجبتني طالبة مجتهدة عندها ! "





لاتعلم رحاب كيف انتهى ذلك الموقف السخيف ! كل ما تذكره انها تصرفت بشكل آلي وهي تأخذ اسم البنت التي يريد وسام خطبتها ووعدته خيرا بالسعي للتحدث معها وقد انهكها وسام بثرثرته كيف رآها قبل اكثر من شهر في النادي الترفيهي واعجب بها جدا وعندها حاول مغازلتها اوقفته عند حده ومنذ ذلك الوقت ولايكف عن التفكير بها لتجعله يقرر الزواج منها....

كل هذا ومحسن ملتزم الصمت .. لكنها اكثر دراية بزوجها .. انه على حافة انفجار غير مسبوق .....!

لم يطل انتظارها لاكثر من الوصول للبيت ثم بأمر مختصر منه ابقى الولدين مع جدتهما ليمسكها من ذراعها بقسوة غير مكشوفة للانظار ويتوجه بها نحو جناحهما ...!

اغلاقه للابواب خلفه وسعيه الواضح للحصول على خصوصية (الشجار) جعلها تفقد ما تبقى من رباطة جأشها لتكون هي البادئة لا هو !

" ماذا تريد الآن يا محسن ؟!! ان تثير الزوابع لان ابن خالتي سعى ليجعلني واسطة له عند من يريد خطبتها ؟! هل هذا جرم الآن استحق قطع رقبتي لاجله ؟!! "

كانت تعرف انه وصل للذروة لكنها لم تستطع الصمت اكثر !





وماذا عنه هو مع تلك المنحطة التي تتحرش به بشكل شبه علني وهو لايردعها ...

" آآآآآآآآه .."

هذه الأنة صدرت منها ومحسن يمسك بذراعيها من الجانبين بقسوة شديدة ليهزها هادرا " لو كان محترما لما تخطاني وجاء اليك قبلي ، هو يعرف اننا نعمل في نفس القسم ! لكنه تافه ممجوج وسخيف ، لايعرف الاصول ولا يبدو ان هناك من القى على مسامعه بعضا منها ! "

هتفت رحاب بغضب متفاقم " لاتتكلم هكذا عن خالتي وزوجها رحمه الله ! الا تخجل من ذكر رجل ميت بالسوء ؟!! "

وكأن محسن فقد اخر ذرة من اتزانه فاخذ يصرخ بعنف " وتعلميني الاخلاق والاخلاقيات الآن ؟؟ انا ابن عقيل الصائغ تلقين عليّ محاضراتك التافهة ؟!! "

فنظرت اليه بتحد مجنون لتقول بقسوة ضارية " لو كنت ابن عقيل الصائغ لما تبادلت الغزل القذر مع طالباتك المنحطات ! "

" آآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآه " هذه المرة كان التأوه كردة فعل متوجعة مصدومة على صفعة نزلت لاول مرة في حياتها على خدها !

رفعت يدا مرتجفة لخدها المحمر بينما داخلها يرتجف كخارجها تتطلع بلا تصديق لعينيه الهائجتين بجنون ..





صمت لم تعرف كم طال حتى همست دون وعي " اريد .. العودة .. لبيت اهلي ! "

كلمة (العودة) التي استخدمتها بدلا من (الذهاب) اطاحت بما تبقى من رشده ليقول بصوت متوحش من شدة قسوته " اخطي خارج هذا البيت الآن يا رحاب وستكونين ..طالق ! "

اتسعت عيناها ضعف حجمهما ! تحركت شفتاها بحروف غير مترابطة ..

حدق محسن في شفتيها الشاحبتين وهما تتلكآن بالحروف ، يتمزق ... يقسم بالله انه يتمزق .. فقد كل ما يملكه من تماسك واوشك ان يضمها لصدره بعنف حتى تراخت فجأة بين ذراعيه واسبلت جفنيها بطريقة غريبة وبينما يهمس باسمها جزعا كانت قد فقدت الوعي على صدره ....

عصرا

قالت سعاد بتذمر وهي تشير ناحية كنتها المستلقية على السرير " لكن يا بدرية الوقت غير ملائم الآن ! الا ترين حالة رحاب ؟!! "

عقدت بدرية حاجبيها وهي تقول بحزم

" لاتتراجعي الآن يا سعاد ! كنّتك حامل والحمد للّه على نعمه والطبيبة صديقة ثريا طمأنتنا عنها "





واصلت سعاد تذمرها بالقول " لكن محسن يبدو شاحبا جدا اكثر من شحوب زوجته ! "

غمزت بدرية لسعاد بتحذير وامالت رأسها نحوها هامسة " محسن بخير ، لقد قلق فقط على زوجته فلا تثيري زوبعة حوله وتقلقي المسكينة التي تحتاج للراحة ..."

تأففت سعاد بينما بدرية تنظر ناحية رحاب التي بدت مسبلة الاهداب مرهقة فسحبت سعاد من ذراعها لتخرجها من غرفة رحاب وهي تقول همسا " لاتتدخلي بينهما! فأنت لا تزيدين الطين الا بلّة ! انك حماة دكتاتورية جدا ولايهمك الا تدليل ابناءك الاعزاء !! "

اوشكت سعاد ان تعترض بقوة عندما عادت ثريا مبتسمة الوجه وهي تقول ببشاشة " هيا بنا نذهب ... الطبيبة قالت ان لاانقلق وكل شيء بخير ، فقط تحتاج لبعض التحاليل "

سألت سعاد بلهفة الام " هل رأيت محسن وانت في طريقك الى هنا ؟ "

ردت ثريا وهي تنقل نظراتها بين الخالة سعاد وامها " اجل رأيته .. كان يقف معي وانا اكلم الطبيبة وسألها بنفسه عن بعض التحاليل المطلوبة ، ثم توجه للمطبخ قائلا انه سيعد بعض العصير لزوجته "

صمتت سعاد عابسة بينما ثريا ترفع حاجبا واحدا بعجب مرح !





قالت بدرية بحنق واضح

" هيا سعاد فرضا يتصل كل خمس دقائق !
لقد اتفقنا صباحا ان نذهب لابتهال عصر
اليوم حتى نكلمها بشكل رسمي عن موضوع
الخطبة "

تدخلت ثريا وهي ترى امارات الاعتراض على
وجه خالتها سعاد لتقول " اذا كنت قلقة على
رحاب خالتي فسأبقى معها واذهبا بدوني .."

لم تفوت بدرية عرض ابنتها الكبرى لتقول
على عجل وهي تدفع سعاد دفعا " بارك اللّه
بك يا ابنة بطني ، اذهبي وجالسي رحاب
حتى نعود "

غادرت سعاد وبدرية الجناح وهما تتاكفان
بعضهما بينما ثريا تكتم ضحكتها ..

تحركت ثريا نحو غرفة رحاب لتجدها
مستلقية على السرير كما تركتها ...

بدت رحاب شبه نائمة لكن ملامحها متوترة
بوضوح ، تقدمت ثريا على مهل منها وجلست
بجانبها على السرير تهمس لها بلطف " هل انت
بخير رحاب ؟؟ هل تحتاجين لشيء ؟؟ انا هنا
معك باقية خصيصا للاعتناء بك .."

تفاجأت ثريا بالتواء طفيف في ملامح رحاب
ثم دمعة عبرت حدود جفنها المسبل لتسيل
على خدها ...





اخذت ثريا تلامس شعرها وهي تهمس لها " ما بك عزيزتي ؟ هل فاجأك الحمل ؟ اعلم انك تعملين وسيكون صعبا عليك الاعتناء بطفل جديد لكنه رزق من الله حبيبتي "

تضاعفت دهشة ثريا بينما ترى رحاب تنشج بصوت مكتوم ليتعالى نشيجها شيئا فشيئا ..

عندها عقدت ثريا حاجبيها وقالت بجدية " ما بك رحاب ؟! افتحي عينيك وكلميني ! "

فتحت رحاب عينيها وبدأ وجهها يغرق بالدموع وشفتيها ترتجفان دون ان تنطق بكلمة !

سألت ثريا بتفهم " هل هناك مشكلة ما استطيع ان اساعدك بها ؟؟ لااريد التدخل ولكنك لست بخير ولا حتى محسن يبدو طبيعيا !! "

كسا الألم تعابير رحب فاضافت ثريا بتأن

" عزيزتي ربما علاقتنا ليست بالقوة الكافية لتصارحيني بما يزعجك لكنك مؤكد تعرفين من انا وتستطيعين الاعتماد علي ، اذا كنت بحاجة لمساعدة قولي .. واذا كنت تحبين ان اتصل بوالدتك لاخبرها ان..."

فسارعت رحاب للقول بصوت مخنوق " لا .. ارجوك .. لاتخبروها الآن .. ستطلب ان تكلمني .. وانا .. لن استطيع .. الان .."

رفعت ثريا حاجبيها بعجب بينما بدا التردد واضحا على رحاب .. تردد وتيه وحيرة وألم !





شجعتها ثريا بالقول " حسنا عزيزتي كما تشائين ، هل تحبين ان اتصل بأي شخص ترتاحين اليه لتكلميه ؟؟ "

هزّت رحاب رأسها نفيا وهي تقول بتشوش " ليس لدي من الجأ اليه يا ثريا .. لا احد على الاطلاق ! "

عبست ثريا وهي تسأل بدهشة " تلجأين اليه ؟!! ماذا يحدث رحاب ؟؟ اخبريني انا ما دمت لاتملكين احدا لتخبرينه بما يؤرقك ، فالتوتر الشديد سيضر بك وبالجنين .."

للحظات كان التردد يفيض من عيني رحاب ثم زفرت بعمق لتغمض عينيها وتهمس

" انا فعلا محتاجة لمن .. يسمعني .. انا .. محتاجة لنصيحة ! "

رددت ثريا بتساؤل " نصيحة ؟! "

فاجابت رحاب بحشرجة " اجل ثريا نصيحة .. انا .. على وشك .. فقدان .... محسن ! "

انسحبت رفيدة لغرفتها بعد ان هدأت موجة القلق التي اجتاحت البيت لفقدان رحاب وعيها!

لم يحدث لها هذا في حملها الاول ولا الثاني ! وهذا ما جعل محسن غاية في الاضطراب على غير طبيعته المتماسكة ...





جلست على كرسي منجد بقماش احمر مزخرف بنقوش بارزة ، احبته جدا حالما رأته قبل بضع سنوات فاشتراه لها والدها من فوره....

تشعر بالخواء ... ليس بشعور جديد عليها لكن فيما سبق كان شعورا محيرا بالنسبة لها غير مفهوم الاسباب فقط يمنحها طاقة سلبية! اما الآن فالشعور اكثر وضوحا واشد وقعاً لكنه يمنحها الحزن .. فقط الحزن ..

همست وهي تميل برأسها لظهر الكرسي " ها هي رحاب حامل بطفلها الثالث ورضا ارسل والدتي والخالة بدرية ليخطبا اسيا رسميا لتاتي ابنة الحاج يونس فتشاركنا نفس البيت وتنجب الاطفال لرضا ..."

ترقرقت عيناها بالدموع وهي تكمل همسها المتحشرج " انا لااحسدهم .. اقسم بالله افرح لاجلهم لكني .. لكني لااعرف لِمَ اعجز عن تحقيق حياة بسيطة كهذه ! اريد ان يكون لي كيان .. و.. طفل .. طفل اربيه ويكون قرة عين لي وسندا حينما اكبر واعجز..."

وجه اسمر طفولي بشعر اسود لامع وابتسامة تأسر القلب ... من بين دمعاتها المنسابة ابتسمت وهي تتذكر تلك الطفلة ... كم بدت حلوة ومحببة .. كم كانت تحلم بأن تنجب فتاة مثلها ! تضفر لها شعرها صباحا وتعد لها افطارها بنفسها ... هل هذه الامنية صعبة لهذه الدرجة ؟! الا يوجد رجل واحد لديه حلم بسيط كحلمها ؟!!



تصميم كاردينيا73



رجل ليس لديه متطلبات في الزوجة اكثر مما تستطيع تقديمه ....

فجاة طرأ في بالها خاطر ... فهمست " وماذا لو .. حققته بنفسي .. وحدي .. دون وجود رجل ودون حيرة بنقص (المتطلبات) ؟! "

اي ردة فعل خطرت في بال رحاب فلم تكن هذه الضحكة المجلجلة من ثريا !

شعرت ببعض الضيق وكأنها طفلة لاتفهم شيئا بينما هذه المرأة التي تكبرها بثمانية اعوام تضحك من قلبها كفتاة مراهقة في السادسة عشرة !

عبست رحاب وهي ترمق ثريا بعتب " هل ما قلته يثير كل هذا الضحك حقا ؟!! اقول لك زوجي اوشك ان يطلقني وانت تأخذين الموقف بفكاهة هكذا ؟!! "

اجبرت ثريا نفسها جبرا لتوقف ضحكاتها المجنونة ثم قالت ببشاشة " اي طلاق يا مجنونة ؟!! زوجك يعشقك ويغار عليك كالمجنون وانت تقولين طلاق !! "

خنقتها الغصة فلم ترد رحاب بشيء وهي تحيد برأسها جانبا فمدت ثريا يدها لتجذبها من ذقنها نحوها ثم قالت وعيناها تشعان ثقة وذكاء :







" مشكلتك انك لاتفهمين شخصية محسن يا رحاب ، الاصح انك لاتفهمين طريقة التعامل معه ، انا اعرفه منذ الصغر وكنت اعمل فيه المقالب وهو يدعي البرود والسيطرة لكنه في الداخل يكاد ينفجر ولم يكن الامر يتطلب مني سوى تدليل بسيط فيبتسم راضيا ! "

تشوشت رحاب اكثر وهي تقول باندفاع

" انا لاافهم ثريا ! ماذا يعني تدليل ؟!! انا اعتني به وبولديه .. اعتني بنفسي جيدا لاجله ايضا .. البس ما يعجبه وابتعد عما لايتوافق مع ذوقه .. اتصرف بما يليق بمركزه في الجامعة فاضبط انفعالاتي دوما لاجله وهنا ايضا افعل نفس الشيء لاجل عائلته .. ماذا يفترض ان افعل اكثر من هذا ؟!! "

تنهدت ثريا باحباط وهي تسألها " يا رحاب هناك تدليل خاص للرجل ، تعامليه كما تعاملين ولديك عندما تناغشيهما وتقبليهما بعاطفة ... الرجل يحتاج احيانا لهذا لكن دون اسراف يمس رجولته ونضوجه .. ان تبادري لتقبيله مثلا وتقولي له (اشتقت اليك حبيبي) ، ان تمسكي وجهه وتدلليه بكلمات طفولية كاللتي تقولينها لسامي مثلا ... ان تلجأي لكتفه فتضعي راسك عليه بدلال وتعطيه الانطباع ان هذا المكان هو الاجمل لديك ،





اشعريه بكلمات واضحة برجولته وانه يملأ عينيك وان قلبك يهفو اليه مهما مرت سنوات الزواج ... الرجل يا رحاب يحتاج لقصة حب متجددة وستجدينه يرضي انوثتك بكل الوسائل .."

حملقت رحاب في وجه ثريا المبتسم لتقول بعدها بارتباك " لكني .. اخجل .. ثريا .. اخجل ان افعل هذا معه .. انا .. احبه جدا لكني لااستطيع معاملته باريحية وانفتاح مثل عقيل وسامي .. لاعرف .. انهما ولداي ولااخجل من فعل هذا معهما لكن هو ..اشعر اني سأبدو سخيفة ! لا اتخيل اني ..."

قاطعتها ثريا ببعض التأنيب " سخيفة ؟!! ترينها سخيفة ؟! انت مخطئة رحاب اذا ظننتها سخيفة لمجرد انك ترينه رجل جديّ وناضج ورب لهذه العائلة ، انت ايضا ناضجة ومسؤولة عن هذه العائلة مثله ومع ذلك تنتظرين منه ان يفعل معك ما تفعلينه انت مع الولدين من تدليل وابداء عاطفة وتتركينه هو يحتاج لشيء مهم كهذا فيبحث عنه في فتاة سخيفة كتلك الطالبة الوقحة ! "

عضت رحاب شفتيها ألما فاشفقت عليها ثريا لتقول بلطف " هذا طبعا ان لم يكن يتعمد فعل ما يستفزك مع تلك الطالبة فقط لينال منك ردة فعل ترضيه بدلا من اعتقاده انك تزوجته لانه مناسب بينما عاطفتك كانثى دفنت مع ابن خالتك الابله ! "

عاتبتها رحاب " لاتقولي ابله انه .."





تأففت ثريا مقاطعة رحاب بالقول " قولي عنه انه ابله امام زوجك وسترين كيف ينتعش وتنتفخ اوداجه غرورا ! ما بك يا فتاة ؟! هل صعب ان تقولي بضع كلمات ترضي بها زوجك وتهدئي من نار غيرته التي اشعلتها انت ووالدتك ؟!! "

وقفت ثريا على قدميها وهي تنظر لساعتها وتقول باسلوبها البشوش " حسنا انتهى درس اليوم ! يجب ان اعود للبيت فيبدو ان امي وخالتي سعاد ستتأخران في بيت الخالة ابتهال وزوجي ينتظر مع والدي منذ فترة طويلة "

ثم غمزت لرحاب مضيفة بمشاكسة

" كما ان زوجك المسكين يُعّد لك العصير بنفسه ولابد انه مغتاظ مني ينتظر خروجي بفارغ الصبر ليستفرد بالفريسة ويلتهمها ! "

نظرت بدرية لوجه سعاد المتورد احراجا وقد اخذت تمسح على وجهها الممتلئ بارتباك واضح بينما ابتهال تغض الطرف عنها وتبتسم بلطف و .. غموض !

قالت بدرية في سرها وهي مستمتعة نوعا ما

" هذه الـ (ابتهال) ليست بالهينة ابدا ! تدّعي الهدوء واللطف وتتلاعب بسعاد بإدارة الحديث يمينا وشمالا حول مواضيع متفرقة دون ان تتطرق لسبب هذه الزيارة !







حسنا يا ابتهال ما دام رضا المعنيّ بالامر وفرحة قلبه على المحك فأمه بدرية ستتصرف وتنهي هذه المسألة ! "

تنحنحت بدرية وهي تضع فنجان قهوتها جانبا لتقول " ابتهال .. قد تكون سعاد محرجة قليلا في الكلام عن سبب زيارتنا لهذا اليوم لكن اعتقد ان الامر جلي لك بعد زيارة رضا بالامس وطلبه ابنتك اسيا لتكون زوجة له "

نظرت ابتهال الى المرأتين امامها دون ان تبدي اي ردة فعل مما اربك سعاد اكثر لكن بدرية واجهتها بصراحة مباشرة " نريد اولا ان نتقدم بشكل رسمي لخطبة آسيا كما تقول الاصول والتقاليد وها نحن اميّه قد اتينا لهذا الغرض ، فما قولك يا ابتهال ؟ "

اسبلت ابتهال اهدابها واخذت تتلاعب بفنجانها والصمت خيم حتى تشجعت سعاد لتقول بصوت صادق متأثر " الماضي ولّى وانتهى يا ابتهال ، دعينا نفرح الاولاد ونجمعهم بالحلال بعيدا عن ... اخطاء ....سابقة ..."

ارتشعت يد ابتهال التي تتلاعب بالفنجان لكنها قالت بصوت هادئ " يفعل اللّه ما فيه الخير يا سعاد .."

امسكت سعاد بيد ابتهال التي تحمل الفنجان وقالت برجاء حار " صارحيني باللّه عليك .. هل سترفضين ولدي يا ابتهال وتكسرين قلبه لاجل .."





قاطعتها ابتهال وهي تربت بيدها الاخرى على يد سعاد قائلة بابتسامة واهنة " الامر بيد اسيا اولا واخيرا يا سعاد واي شيء فيه سعادتها لن اقف بوجهه مهما كان ، انها اول فرحتي في الحياة يا سعادة وجوهرتي فكيف امنع عنها الخير اذا جاءها ؟! ورضا خير الرجال ولم اتمنَ لآسيا افضل منه ..."

تنهدت سعاد براحة وهي ترفع يدها لتضعها على صدرها وتقول " ارحتِ قلبي .. وآسيا حقا جوهرة ومحظوظ من تكون من نصيبه .. "

ابتسمت ابتهال ولم تعقب بأكثر من هذا بينما بدرية ما زالت تتوجس من بعض العواقب واولها تلك الفتاة المتمردة حبيبة !

فهل ابتهال بقادرة على صد عنفوان ابنتها الغاضب اذا قررت حبيبة الوقوف حائلا دون اتمام هذه الزيجة ؟؟!!

بعد مغادرة سعاد وبدرية على امل سرعة الحصول على رد لطلبهما عادت ابتهال لغرفة استقبال الضيوف واخذت تلملم فناجين القهوة بنوع من الشرود ...

" ماذا تفعل الخالة سعاد هنا ؟؟"

صوت حبيبة الغاضب من ناحية الباب لم يفاجئها ، خلال جلستها مع سعاد وبدرية كانت قد لمحتها عبر الباب الموارب تمر كشهاب غاضب...





ردت بهدوء وهي تستقيم بجسدها رافعة الصينية بيديها " أتت لتخطب اسيا لاجل ابنها رضا ؟"

كان صدر حبيبة يعلو ويهبط وعيناها تبثان امواج الهياج ، تقدمت خطوتين من امها وهي تردد بعنف " ماذا ؟؟ اي جنون هذا ؟؟!! "

ظهرت الفتاتان رباب ورقية من خلف حبيبة وقد بدتا مرتبكتين جدا الا ان الام كانت متماسكة جدا وهادئة للغاية وهي تضع الصينية من يدها على المنضدة الصغيرة لترد على حبيبة قائلة " انه ليس جنونا ... رضا رجل لايعيبه شيء بالعكس انه رجل مميز ويحب اختك ويلائمها من كل النواحي

وهكذا يبقى القرار الاخير بيد اسيا ، هي حرة باختيارها وانا اثق بكل قرار تتخذه "

شهقة ناعمة صدرت عن رباب بينما رقية تنظر بانبهار ! اما حبيبة فاتسعت عيناها بشدة وهي تردد بلا تصديق " هل تعنين ... تعنين ... انها ...."

خانتها الكلمات فاشفقت عليها الام لكنها اوضحت لها بحزم " اعني اني لن اقف بطريق زواجها من رضا اذا هي وافقت عليه "

اخذت حبيبة تحرك يديها بعشوائية وهي تقول بغضب مخلوط بالصدمة :





" كيف .. كيف تقولين هذا ؟؟ تريدينها ان تذهب لتعيش .... هناك ... مع زوجة ....والدنا العزيزة .. ضرتك المصون ؟!! "

همسة عتاب انطلقت من فم رباب " حبيبة ! "

بينما رقية شعرت بالغضب فقالت بانفعال طفولي " لاتكلمي امي هكذا ! "

رفعت الام كفها وشعّت عيناها بالحزم وهي تقول لرقية ورباب " صمتا ... لااريد منكما التدخل ...."

تطلعت الفتيات الثلاث لامهن ببعض الذهول !

مضى زمن .. زمن بدا طويلا جدا لم يرين فيه امهن بهذه الصلابة ، بهذه الثقة .. بهذا الشموخ و.. هذه ...السكينة .....

الفتاتان في حيرة وحبيبة لاتستوعب ما يحصل !

قالت الام اخيرا وهي تنظر لعيني حبيبة دون ان تطرف " اجل حبيبة... اذا وافقت اسيا على رضا وهذا احتمال وارد جدا فهي ستعيش بنفس البيت الذي تعيش فيه رفيدة .. زوجة والدك التي لم تتم ليلتين على ذمته ! "

اخذت حبيبة تهز رأسها بانفعال وعيناها تتغرغران بدموع القهر والألم لتردد بتحشرج

" لا اصدق انك تفعلينها ثانية ! لااصدق .."

غامت عينا الام بشجن ناعم لتقول بخيبة امل واضحة " كنت اتصورك اذكى بكثير يا حبيبة ! لكن .....للاسف ...!





امور كثيرة تفوتك .. كثيرة جدا يا حبيبة لانك غارقة في غضبك الاعمى ...."

احتدت نظرات حبيبة وزمت شفتيها بقوة لتتكتف وهي تقول بتعنت

" انا غير موافقة على هذا الزواج .."

عندها رفعت الام حاجبيها لتسأل بلهجة صارمة " ومن انت لتوافقي او ترفضي ؟!! "

ارتبكت حبيبة ! لاتعرف ما هذا الذي يشع من امها ويربكها هكذا ؟!! تلكأت وهي ترد " انا .... اختها .. وانتمي لهذه العائلة لذا ... "

قاطعتها امها لتقول بغضب بارد وهي تشير لصغرى بناتها " رقية الصغيرة لها حق اكثر منك لتبدي رأيا فيما يخص امور عائلتنا ..

انت فتاة انانية متبجحة يا حبيبة .. تطلقين الاتهامات والاحكام دون ان تملكي خبرة حقيقية بالحياة وبدلا من ان تكتسبيها تفرضين اراءك القاصرة عليها ..."

اخرسها النظر لعيني امها المشعتين بالثقة والشموخ .. بينما كلماتها تجلدها بالسياط وهي تردف بنفس النبرة " تصورتك مثقفة واكثر حكمة .."

تمتمت حبيبة دون وعيها " امي !.."

للحظة ارتجف رأس الام ثم لمعت عيناها بما يشبه الدموع لتقول من بين شفتين متشنجتين





" عام كامل تلومينني على ما فعلتُ لاجل والدك ، لكنك غبية حبيبة .. اجل غبية ولم تدركي انه لم يكن ضعفا مني كما انه ليس ضعفا الآن وانا اوافق على رضا ... لو كنت قلت لابيك (لاتفعل) لكان امتنع ! هكذا ببساطة كان امتنع ... لكني ارتضيت الامر الصعب .. ارتضيته عن حب .. عن ايثار مني لحاجة ارادها بقوة .. والدك كان رائعا معي ومعكن .. استحق كل الحب والتضحية .. لقد احببنا جميعا لاخر لحظة في حياته وافتقدنا لآخر نفس ! "

شهقة بكاء اطلقتها رباب جعلت رقية ايضا تبكي معها ولم تشعر الفتاتان الا بذراعين حنونتين تلفانهما من الخلف وصوت اختهما الكبرى آسيا يختلط بالبكاء وهي تهمس لهما

" اياكما ان تشكّا يوما بمحبة والدنا لنا .. نحن قواريره وامنا ستظل قارورته الاجمل ... "

تعثرت حبيبة بخطاها وهي تتحرك بعشوائية تتطلع لامها الشامخة من جهة واخواتها يبكين بحنان في احضان بعضهن في الجهة الاخرى .. وهي حبيبة تقف في الوسط ذاهلة عن كل شيء وداخلها يتداعى !

خيال امها تحرك وهي تتقدم نحو اخواتها لتوجه كلامها لاسيا تسأل برقة

" متى أتيت يا عروس ؟"





احمرت آسيا وهي تمسح وجهها وتبتسم وتقول

" منذ بعض الوقت امي .. اسفة اني تأخرت اليوم فقد كان لدي عمل كثير "

واستمر الحوار الدافئ ... وحبيبة تحدق !

شعرت كأنها مطرودة ! كأنها نكرة ... كأنها ... غيورة ! ... انها غيورة من تلك الاحضان والابتسامات والتلاحم ... وتقف هي جانبا في برودة الوحدة ... يدها تستحثها لترتفع نحوهن ... نحو امها واخواتها ... لكن ... كالعادة ... طبعها العنيد .... غلب ...! فانسحبت دون اي كلمة ... !

" رحاب .. هل نمت ؟ رحاب حبيبتي .. اشربي العصير فقط ! "

تغمض عينيها وتسمع همس كلماته تداعب اذنها وتشعر بانفاسه على بشرتها ...

لقد شعرت بدخوله حال مغادرة ثريا لكنها لم تستطع مواجهته فآثرت ادعاء النوم !

في داخلها تهمس بتساؤل عجيب " يا الهي .. كيف يستطيع قول حبيبتي هكذا وهو قد ... قد صفعني ! لم يفعلها معي ابدا .. "

ورغما عنها غلبها البكاء حتى اخذت تشهق !

انفاسه تغيرت ثم سمعت صوت تحركه ليبتعد قليلا عنها ثم عاد و....اقترب ..





لا لم يقترب فقط بل التصق بظهرها التصاقا ولف ذراعه بقوة حول جسدها ليستقر راسه قريبا من رأسها حتى لامست شفتاه اذنها ...

همس بصوت أجش " أنا آسف ... آسف لاني صفعتك .. آسف حبيبتي .. اقسم لم اكن بوعيي .. لقد غضبت كالمجنون ..."

تصاعد بكاؤها وقد فقدت السيطرة تماما على مشاعرها المهتاجة بالألم ولم تشعر الا وهو يديرها بالكامل اليه ليحتضنها بكلتيّ ذراعيه ويشدها لصدرها مهدهدا اياها بقبلاته على خديها وجبينها ...

السكينة عمّتها وهو يفعل كل هذا فتنهدت تنهيدة مرتجفة وشعرت بالانعزال عن كل شيء فغرقت في النوم بشكل عجيب كما غرقت في احضانه .....

فجر اليوم التالي

فنجانه ارتعش في يده ورماد السيجارة المشتعلة وقع على اصابعه فنفضه وهو يشتم بينما يضع الفنجان جانبا ويطفئ السيجارة ليحدق في ذلك الطيف البعيد ... يريد ان يصدق انها هي ... هي ...بعد هذا الانقطاع عن عادتها اليومية ... هل يمكن انه يتخيل وجودها خلف الشباك ؟؟!!





همس وهو يضغط بجبينه على شباكه " قولي
اني لاتخيل ... وان الحمام الذي بدأ التجمع
حول شباكك لايتخيل معي ! قولي انك
تقفين هناك وستفتحين لي يا اميرة البنات
بعد عذاب الانتظار ..ستفتحين ..."

صدره يعلو ويهبط باضطراد وعيناه لاتطرفان
حتى اكدتا له انها .. هي ... اجل هي ..

همس " ربااااااه ... انها.. تفتح الشباك ......!"

تجمع الحمام حول يدها الممدودة لكنها لاول
مرة يتشتت انتباهها عن هذه الطيور الاثيرة
لنفسها منذ الصغر ...

قلبها يدوي في صدري وعيناها يمنعهما الخجل
من النظر لشباك مقابل اصبحت تدرك هوية
من يقف خلفه يراقبها كل صباح دون ان
تدري ...

همست وهي تحدق باسمة بالحمام المتهافت
اليها " ابتعد ايها الخجل .. ارفق بي ودعني
اعطيه ما يريد ... فوالله نفسي تهفو لقولها له
كما تهفو نفسه لسماعها مني... "

اخذت نفسا عميقا من هواء الفجر المنبلج ثم
زفرته بتأنٍ ... رفعت كفها لحافة الشباك
الموارب ففتحته اكثر بينما جسدها يرتعش
بالفرح ... ثم ملكت شجاعتها لتدير رأسها
نحو ذلك الشباك فشعت ابتسامتها وكأن
روحها هي من تشع ....






صوته خرج متحشرجا يفيض ذهولا

" قالت ... نعم .. قالتها ....! آسيا ... آسيا ...

آآآآآآآآآآآآآآآآه يا آسيا "

قلبه يضخ اسمها في خلاياه .. عيناه تأكلان مرآها وهي تظهر بكليتها عبر شباكها المفتوح ....

يراها بوضوح مرتدية إزار الصلاة تنظر ناحيته مباشرة مبتسمة كما لم يرها من قبل ....

قال هادرا وهو يضرب بقبضته على الحائط

" لن يمض يوم آخر حتى اجعلك تلبسين شبكة الزواج يا ....حلالي ..."

" صباح الخير امي ..."

دخلت اسيا غرفة امها وهي ما زالت بإزار الصلاة، الفجر يشقق ظلمة السماء ويفترش اشعة الشمس كسجاد نوراني ....

تبسّمت الام وقد كانت ترتدي إزارا مشابها وتجلس على سجادتها تقرأ القرآن ...

" صباح الخير حبيبتي ... تعالي واجلسي قربي فوجهك يوحي بالكثير الذي يريد لسانك البوح به ..."

اغلقت الام القرآن ووضعته في مكانه بينما ابنتها الكبرى تتقدم نحوها لتجلس بجانبها ثانية ساقيها تحتها وتطرق بابتسامة خجل وتورد حياء ....





ترقرقت نظرات ابتهال وهي تتذكر نفسها قبل ثلاثين عاما وقد أتت والديها بنفس التورد لتبوح بموافقتها على يونس العطار ...

مدت ابتهال يدها تمسك برقة ذقن ابنتها وترفع رأسها تنظر في عينيها الجميلتين ....

سألت ابتهال بحنان " هل صليت صلاة الاستخارة كما طلبت منك ليلة الامس ؟؟ "

هزّت اسيا رأسها بنعم .... اتسعت ابتسامة الام وهي تخنق عبرتها المتأثرة لتسأل بصوت خافت مرح " والآن ... يبدو من وجهك ان الجواب على الاستخارة هو نعم ايضا اليس كذلك ؟؟ لكن يا ترى نعم لمن ... ؟؟!! لرضا الصائغ ام ..."

فسارعت اسيا لتقاطعها بعفوية وقلق " لا لا .. انه رضا امي ... فقط ... رضا ..."

لم تشعر ابتهال الا وهي تضم ابنتها لصدرها وتقبل رأسها بفرح يملأ جوانحها وتهمس لها

" يا حبيبة القلب ...يا صغيرتي ومهجتي ... اول مرة اراك هكذا .. ! اتمنى ان يمنحك الله كل السعادة التي تستحقينها ... "

اخذت اسيا تضم امها هي الاخرى وتقول " انا احبك امي ... احبك جدا .. اتمنى فقط لو لم يكن رضا اخا لرفيدة ... فقط حتى لااؤلمك "





ردت الام بحنو " انسي الألم اسيا ... اريد ان افرح معك وبك ... ما رأيته في عيني رضا نحوك يستحق الفرح ... كل الفرح والشكر للّه ... فاسعديني بنيتي بأن اراك سعيدة مع رجل مثله ... وهنيئا له بك ..."

اخذت سعاد وبدرية تحدقان في رضا وهو يتحرك ذهابا وايابا في المطبخ ويهذر بكلمات تبدو غير مترابطة !

" سأذهب باكرا للعمل .. انظم الامور حتى لايحتاجون الي لشهر كامل ..."

ثم يلتفت نحو امه سعاد ويقول " بعد بضع ساعات وربما منتصف النهار ساعود ومعي الشبكة .. اريدك ان تلبسيها بنفسك امي ... رجاء لاتعودي الا وهي تلبسها "

فيدير وجهه نحو بدرية التي ما زال النعاس يداعب جفنيها ليقول بنفس اللهجة المتسارعة

" وارجوك امي بدرية كوني معها واريد منك اعطائي رقم الصباغ الذي اعاد تجديد صبغ بيتكم العام الماضي كان ممتازا ..."

فترفع بدرية حاجبيها بينما سعاد تعبس !





التفتت بدرية نحو سعاد لتسأل مدعية الجدية " ماذا سقيت الفتى هذا الصباح يا امرأة ! لقد افزع زوجي برنين الهاتف منذ الصباح الباكر واوشكت ان اتطلق وانا بهذا السن ! والان يهذر دون توقف وانا لاافهم شيئا ! "

ردت سعاد وما زال العبوس على محياها " انا ايضا لاافهم ! هل تتصورينه يحلم ويهذي في حلمه ام ماذا بالضبط ؟!! "

ضيّقت بدرية عينيها وكأنها تفكر لتقول

" ربما ! لكن حالته مستعصية ! "

لتميل نحو سعاد تسألها بهمس متعمد " هل انت متأكدة لم تسقيه شيئا ؟!! "

هزّت سعاد كتفيها وهي تقول " اذا كنت انا نفسي لم اشرب شيئا وقد ايقظني بعيد الفجر ولم اكن الا قد غفوت هنيهة بعد ادائي الصلاة ! "

تطلع رضا لاميّه للحظات ثم فجأة انفجر ضاحكا من قلبه ...

تطلعت كل من سعاد وبدرية اليه وقد انشرح صدراهما لمرآه سعيدا ضاحكا هكذا ...

اقترب ليجلس متربعا على الارض امامهما واحنى رأسه ليقبل كفيّهما ثم قال بابتسامة تملأ وجهه وتلطف من تغضناته :





" اسيا وافقت ولا تسألآني كيف علمت ... لاني علمت وكفى ... وانا اريد ان يتم الزواج الاسبوع المقبل على اكثر تقدير ..."

جاء دور بدرية في العبوس لتقول " اسيا ووافقت ولايجب ان نسأل كيف علمت هذه فهمناها ! لكن اي اسبوع قادم يا فتى ؟!! انت لم تحضر شيئا ! "

لتقول سعاد بعبوس اشد " ليس (انت) بل نحن جميعا لم نحضر شيء ! ثم ما معنى ان لانسأل كيف علم بموافقة اسيا ؟!! البارحة نمنا على امل حصول الموافقة بعد عدم الاعتراض الذي ابدته ابتهال فما الذي حصل خلال ساعات الليل ؟!! زارته في المنام ؟!! "

جاء دور رضا ليعبس وهو يقول " ثقي بي امي اذا قلت لك ان الموافقة حصلت .. فقد حصلت ..."

ففتحت بدرية وسعاد فميّهما في نفس الوقت لتتكلمان فسبقهما رضا وهو يضع يدا على فم كل واحدة منهما ويقول " التحضير للعرس لايحتاج للكثير ...فندق فخم اعرف صاحبه ومدين لي بمعروف سيمنحني قاعة هناك وسيهتم بكل التفاصيل الاخرى فلا تقلقا .. يبقى ثوب العرس وباقي التفاصيل وكلها موجودة في الاسواق اما هنا في البيت فبعض التجديد لغرفتي الحالية وشراء اثاث مناسب تنتهي المسألة "





فتحت سعاد عينيها على وسعهما وهي تقول باستهجان واضح " هل جننت يا فتى ؟!! اولا يفترض ان نجهز لك جناحا مناسبا كأخيك محسن .. لن اكرر نفس الغلطة السابقة واستمع لكلامك عندما اصريت على غرفة نوم فقط !.. سنعد الغرفة القديمة التي كنت تشغرها مع ز..."

فقاطعتها بدرية باستهجان اكبر " اي غرفة قديمة يا امرأة ؟! تريدين تزويجه بنفس الغرفة المشؤومة ؟!! "

تأفف رضا وهو يقول باحباط " وانا ايضا لااريدها ! انا لم اصدق حين عدت لغرفتي القديمة وتركت تلك الغرفة الشنيعة بذكرياتها "

عندها رفعت سعاد يدها وهي تقول بتركيز وهمّة " حسنا ... حسنا دعونا نعيد الترتيب..." اخذت تعدد على اصابعها بطريقة طفولية " غرفتك الحالية ومعها غرفة عبد الرحمن المجاورة لك نجهزهما كجناح مع مطبخ صغير و عبد الرحمن مؤكد لن يعارض الانتقال للغرفة (الشنيعة) دون ان نخبره طبعا انها شنيعة ! "

اخذ رضا يمرر يده في شعره باحباط متزايد ويقول " هذا سيأخذ وقتا طويلا جدا ! "





فمدت بدرية كفها تلامس كتفه وتقول بابتسامة مشاكسة " هذا افضل يا فتى ... حتى يتسنى لنا ايضا ان نحتفل باقامة حفل خطوبة وحفل عقد قران و..."

جحظت عينا رضا وهو يقول " يا الهي ... لاتفعلوها بي اتوسل اليكم ...لااريد كل هذه الحفلات ... انا اريد حفل زفاف فقط .. واقسم بالله لولا انها تستحق ان تحظى باجمل ليلة عرس لما همّني ان اقيمه "

ضحكت بدرية وهي تقول " انت ستفضحنا ! اذا تركناك على هواك ستسحب الفتاة في التو واللحظة من يدها لتعقد قرانك عليها ومباشرة لغرفة نومك الحالية ! "

عبست سعاد بغيرة واضحة لتقول لصديقتها

" اخجلي من نفسك يا بدرية ... ولدي ليس متلهفا اليها لهذا الحد !! "

فرد رضا بنبرة قوية " بل متلهف اكثر من هذا الحد ! اريدها زوجة لي امي ... انا متلهف لابدأ حياتي معها كما حلمت دوما ودون ان املك الامل بتحققه ! الان الحلم في يدي ويكاد يتزحلق كالزئبق ليفلت منها "

تطلعت اليه سعاد وقد بهتت غيرتها الامومية واطل حنانها الدافق وضعفها الابدي ...







مدت كفيها لتحيطان بوجهه وقالت بعاطفة صادقة " يا حبيب امك .. اسعد الله قلبك وافرحني برؤية ذريتك ... لاتعلم كم اشتاق لرؤية ذريتك انت يا رضا ... انت دون بقية اخوتك ..."

فاسبل رضا اهدابه وقال " اشعر اني اضعت الكثير من سنوات عمري واريد التعويض دون انتظار .. اريد ابناء منها هي دون غيرها من نساء الارض .. ابناء كعقيل وسامي ... او فتيات يشبهونها في كل شيء ... "

ثم رفع عينيه لامه واضاف بنبرة قاطعة

" لااريد اضاعة المزيد .. واخشى ان يحصل ما يفسد علي ... لذلك تروونني اتعجل ...

لااحتمل فكرة ان يحصل ما قد يمنعني عنها ... ليس بعد هذه السنوات ...."

عندها قالت بدرية بحزم " تفاءل خيرا يا ولد! ولن تكون آسيا الا من نصيبك ان شاء اللّه..."

ثم التفتت نحو سعاد واردفت " شهر او شهران يكفينا لنعد جناحا لهما ..."

فهتف رضا باعتراض " شهر ؟!! "

بينما سعاد تقول بتفكير " لكن ماذا عن عبد الرحمن ؟ فامتحاناته النهائية بعد شهر ! سيحصل هرج ومرج في البيت وسيؤثر حتما عليه "





عندها قالت بدرية وكأنها تطرح خطة عسكرية محكمة " عبد الرحمن سينتقل لغرفة الضيوف في الطابق الارضي ويتفرغ هناك لدراسته بعيدا عن ضجيج العمال ، اما العرس فنقيمه بعد اسبوعين اذا وافقت العروس وامها وهذا وقت يكفي لشراء ما يلزم بينما يهتم رضا بترتيبات الحفل .. وبعد العرس يأخذها رضا ويسافر لمنطقة سياحية جميلة يقضيان فيه شهر عسل طويل بينما نحن هنا نهتم بتجهيز الجناح وكل شيء .."

سعاد تعبس بينما رضا تتسع ابتسامته ليقول

" انا موافق ! "

فربتت بدرية على كتفه وهي تقول " المهم الآن .... موافقة العروس وامها ..."

قبّلها بخفة على جبينها بينما كانت تغط في نوم عميق .. انسحب من جوارها بهدوء شديد حتى لايوقظها .. توجه نحو خزانته وبنفس الهدوء فتحها واخرج ملابسه ثم عاود الاغلاق ليتحرك نحو باب الغرفة ...

همهمتها في النوم استرعت انتباهه فابتسم بشجن وهو يقول لنفسه " فقط لو تتوقفين عن اجفال قلبي بهذه الهمسات المرعبة ! "







تنهد محسن بقوة وهو يغادر الغرفة بقلب كئيب ! سيدعها ترتاح في البيت اليوم وسيوصل الولدين لمدرستهما ويذهب هو للجامعة بمفرده .. يكفيها ما حصل بالامس ومنذ بدايته بل حتى منذ اول الامس عندما وصلت تلك الرسالة المزعجة من سوزان ويكفيه انه فقد اخر ذرة سيطرة لديه على نفسه البارحة وصفعها بتلك الطريقة ... رغم انها انتقمت منه شر انتقام وهي تقع على صدره مغشيا عليها !

ايقظ الولدين بينما فكره منشغل باعادة شريط احداث الامس مرارا وتكرارا ...

فرحته بحمل رحاب كانت مغموسة بشعور ذنب فظيع !

كان يمكن ان يؤذيها فعلا لولا ستر رب العالمين .. انها تصبح حساسة جدا في الحمل وكان يمكن ان تفقد ......

اغمض عينيه وهو يستغفر الله ثم نظر ناحية باب الغرفة الذي اغلقه خلفه وهمس بضيق صدر " ما الذي نفعله بانفسنا يا رحاب ؟!!"

صداع ... صداع لايحتمل يفتك برأسها ...

خرجت منذ الصباح الباكر تجنبا لرؤية امها .. بل تجنبا لرؤية اي واحدة من اخواتها ايضا ..

لقد شعرت بأنها منبوذة .. منبوذة جدا ... شعور مؤلم يحشرها حشرا في زاوية الوحدة القاتلة ...





انها تشعر بالتخبط ايضا ... اجل التخبط .. فلم تعد تعرف اين الصح واين الخطأ ...

دخلت مكتبها بينما تلقي التحية على العم صبري وهو يمسح الممر بانفاس ثقيلة مرهقة...

شعرت بالشفقة عليه وهو رجل بهذا السن الكبير وما زال يعمل بجهد مضاعف ليطعم عائلته الكبيرة ..

باهمال رمت على مكتبها الصغير حقيبتها الخوصية الكبيرة وبعض الاغراض التي كانت تحملها معها ... ثم توجهت ناحية الشباك لتفتحه ...

ما زال النهار في اوله والهواء يحمل نسمات باردة .. لن تمر الا ساعة او ساعتين لترتفع درجة الحرارة ويختنق الهواء باكتظاظ البشر والسيارت في هذا الجزء الحيوي من وسط البلدة...

غامت عينا حبيبة وهي تكلم نفسها " وسط كل هذا الزحام القادم اشعر بالوحدة المؤلمة ، كم اتمنى عودة ذلك الدفء لحياتي ! دفء افتقدته منذ وفاة والدي ... لا .. ليس منذ وفاته بل منذ قرر الزواج بأخرى لينجب صبي ! "

اشتد الصداع عليها فاغمضت عينيها بينما تهمس بصوت متألم وكأنها تكلم والدها:







" لماذا اشعر ان هذا الجرح العميق في صدري يأبى ان يبرأ ؟!! انه يؤلمني ابي .. اشعر به يتقيح كل يوم اكثر من سابقه ... هل انا ابنة عاقة ؟! هل استحق هذا الالم لاني لم اغفر لك ولم اغفر لامي ؟!! هل هذا عقابي يا ابي ؟؟ ان اراهم جميعا في احضان بعض بينما انا في منفاي البارد الذي اخترته لنفسي ؟! اتوجع واكابر على الوجع ... ووجعي لايشعر به احد .. لاحد على الا..طلاق .....! "

تحشرج صوتها مع اخر كلمة وخنقتها العبرة .. تحركت بخطى لاحياة فيها نحو كرسيها لتجلس عليه .. للحظات نظراتها متجمدة وكأنها لاتميز ما حولها حتى اخرجها صوت الباب يفتح يسبقه نقر خفيف ليطل وجه العم صبري وهو يحمل بيده ما يشبه الظرف الكبير ...

اكتفت بنظرة التساؤل بينما العم صبري يتقدم منها يقدم ما في يده وهو يقول " يا ابنتي السيد مهند ترك لك هذا للتو ، قال انه يخص العمل بينكما واراد مني ايصاله اليك ..."

عبست حبيبة وهي تلتقط الظرف منه وتشكره قبل خروجه ، كان خفيفا جدا ومنتفخا نوعا ما بطريقة تثير الحيرة !

قلبته على الجانبين فلم تجد اي كلمات كتبت ... فتحته وقد تملكها الفضول ..







ارتفع حاجباها عاليا وهي تخرج وشاحا خفيفا مما يلف حول الرقبة قماشه شبه شفاف بلون محمر طُبعت عليه نقوش غريبة!

لا ليست غريبة ابدا .. انها مألوفة .. مألوفة جدا لعينيها ! لم تصدق حبيبة وهي تميز تصاميمها مطبوعة على هذا الوشاح !!

تصاميم كثيرة متفرقة منذ بداياتها في هذا العمل ...

اخرجت الوشاح بالكامل من الظرف فسقطت ورقة صغيرة معه .. التقطتها لتقرأ الكلمات بخط انيق (اعتذر لسرقة الفكرة .. لكن ماذا افعل وانت ملهمتي في كل شيء ! احببت اهداءك شيء خاص .. خاص جدا .. مثلك انت حبيبة ...)

ابتلعت حبيبة ريقها بصعوبة بينما عادت عيناها لتحدقان في الوشاح ، وبيد مترددة اخذت تلامس نعومته وقلبها ينتعش بهديره الصاخب !

تطلعت اسيا للعم ابو عبدالله بتأثر ، كان يخفي حزنه لمغادرة ولده الوحيد عبدالله مع عائلته الصغيرة ورحيلهم لبلدة اخرى تبعد عدة ساعات بالسيارة ....







تنهدت آسيا وهي تفكر ان الآباء والامهات يستحقون افضل من ذلك بكثير ! السعي للرزق مهم لكن الوالدين اهم والله هو الرزاق المعطي ......

دخلت مكتب ابيها بوجهها المشرق ، تشعر انها تطير .. انها سعيدة .. سعيدة لدرجة غريبة !

لم تشعر يوما بكل هذا الانفعال ، لاتريد التفكير في المستقبل الا من خلال نظرتها المتفائلة هذه ، امها منشرحة .. راضية ومباركة لزواجها من رضا بل تبدو اكثر سعادة منها ... رباب ورقية بدتا هذا الصباح مشرقتين ايضا وهما تتكلمان بحماسة شديدة عن فساتين الزفاف رغم انها لمحت بعض التوتر والتوجس على ملامح رباب ..!

فقط حبيبة من تقلقها حقها ، البارحة اعتكفت في غرفتها وللحظة ارادت الدخول اليها والتحدث معها لكنها تراجعت ... ارادتها ان تشعر بمعنى الاسرة .. ان تخرج نفسها من دوامة الاخطاء التي لاتغتفر ... يكفيها عام كامل من الغضب وقد ملّت الكلام معها .. تعبت وهي تحاول امتصاص غضبها على الدوام ... لكن البارحة تفاجأت بموقف امها وهي تقف بوجه حبيبة وتواجهها لاول مرة ...

ربما هذا ما كانت تحتاجه حبيبة .. مواجهة قاسية من امها تحديدا ، ان تفهم ما حدث على حقيقته ولاتحمل امها وزره حتى تجد الاعذار لغضبها الاحمق المتفاقم ...





توجهت نحو كرسيها بينما تسمع صوت الهاتف الارضي يرن ، رفعت السماعة وهي تقول بصوت عملي " السلام عليكم .. تفضل .."

نفس خشن وهمسة امسكت بتلابيب القلب

" اميرة البنات ..."

لاشعوريا خرج اسمه بهمسة فرح " رضا ..."

تنهد بقوة قبل ان يقول بصوت أجش " قوليها صريحة مرة اخرى يا معشوقة رضا ... صريحة كصراحة وقوفك هذا الصباح في شباكك تفتحينه لي كأنك تفتحين ابواب الجنة .. "

ضحكة خافتة خجول منها بينما وجهها يحمر لكنها لم تتشجع لتقولها فهمس لها رضا

بعذاب حلو " فقط قوليها صريحة ، احتاجها منك يا مالكة قلبي .."

فهمست وهي تحرك يدها الحرة بعشوائية على سطح المكتب " نعم .. انا موافقة .."

لاتسمع الا صوت انفاسه فسارعت للقول بتعثر " امي قالت ... سـ... تتصل بالخالة سعاد هذا ... الـ...يو..م ان شاء.. اللّه "

فرد بمناغشة عذبة " وابن الخالة سعاد الا يتصل به احد ؟؟ "

ردت وهي تغرق بالخجل " كنت .. سأتصل .. لكني .. خـ..جلت ...! "





تنهد وهو يحدق بالسيجارة في يده ليقول برقة مشاغبة " انت تخجلين وانا احترق انتظارا كالسيجارة التي في يدي !! "

قالت بلهفة عفوية " اتركها رضا ..ارجوك ... انت تؤذي نفسك "

اغمض عينيه وهو يستند برأسه للخلف على ظهر كرسيه ليقول بصوت مبحوح متلهف

" وافقي على اقامة عرسنا خلال اسبوعين وانا ساتركها من فوري ..."

رمشت اسيا وهي تردد " اسبوعان ؟!! لكن هذا .. سريع .. سريع جدا ..."

ضحك بخفوت وهو يسحب نفسا من سيجارته بعمق ثم قال بصوت أجش " انه قااااااتل ببطئه يا اميرة البنات ..."

صمتت لاتعرف كيف ترد ، انه لايكف عن نسج خيوطه حولها ....لا ... بل ينسج خيوطه فيها فتتخللها وتألفها روحها كجزء منها ...

همس اخيرا وهو يطفئ سيجارته بمنفضة قريبة " آسيا ... فقط وافقي على كل ما ستقوله امي اليوم ، ارجوك اسيا ... لااحتمل الانتظار القلق هذا ..."

ردت بنبضات متراقصة " اذا وافقت امي .. انا .. موافقة ..."





الابتسامة الناعسة تزين وجهه حالما اغلق الهاتف معها ، لايريد الا ان يفكر بأن عرسهما بات قريبا ... قريبا جدا ... لايريد عدّ الايام لان العد سيجعلها بطيئة اكثر ...

" السلام عليكم ..."

تفاجئ رضا بصوت اخيه الصغير وهو يدخل عليه مكتبه في المحل في هذه الساعة من النهار !

وقف على قدميه يتطلع بقلق لوجه اخيه الجامد وهو يد قائلا " عليكم السلام .. ماذا حصل يا عبد الرحمن ؟!!! هل الجميع بخير ؟"

طمأنه عبد الرحمن بالقول " لاتقلق اخي الجميع بخير ، لقد غادرت المدرسة مبكرا هذا اليوم بسبب تغيب استاذين عن اخر حصتين "

ضيّق رضا عينيه وهو يمعن النظر لاخيه الذي بدا غريبا ، بل انه غريب منذ عدة ايام ...

بادله عبد الرحمن النظرات المباشرة ليقول اخيرا " رضا ... اريد مكالمتك بأمر مهم "

كان ما يزال يقف على بعد خطوة من مكتب رضا فاشار له رضا بيده ليقترب وهو يعاود الجلوس على كرسيه " تعال يا صغير ... تعال واجلس وكلمني بما تريد ..."

جلس عبد الرحمن قبالته لكنه اطرق قليلا وبدا عليه بعض التردد المفاجئ !

قال رضا " تكلم .. لماذا تصمت هكذا ؟!!! "





اخذ عبد الرحمن نفسا قبل ان يرفع رأسه نحو اخيه الاكبر ليقول ببعض التوجس " انا اريد .. ان اكمل تعليمي في الخارج "

فعبس رضا متسائلا " اين في الخارج ؟! "

رد عبد الرحمن " في اوروبا او ...كندا "

استغرب رضا ليسأله بنبرة عكست دهشته

" منذ متى وانت تفكر بهذا الموضوع ؟! "

رد عبد الرحمن بعض الارتباك " منذ عام تقريبا وربما .. اكثر .. وقد بحثت عن .. عدة جامعات وراسلتها ايضا ..."

رفع رضا حاجبيه قليلا وهو يقول بلهجة تأنيب رقيقة " كل هذا ولم تخبر احدا ..!! "

فتورد وجه عبد الرحمن قليلا وهو يقول " انت تعرف امي ..! فمنذ رحيل حذ..."

فجأة انخرس عبد الرحمن ! ثم حدق في وجه رضا بقوة ليقول بما يشبه الغضب " كيف اخي .. كيف ستأتي بآسيا لتعيش في بيتنا ؟!! كيف تجعلها تعاني مرة اخرى ؟!! "





الفصل العاشر

كل حواس رضا تنبهت وعيناه تدرسان ملامح اخيه الفتية الناضحة بالغضب ... بالألم !

كان عبد الرحمن يتنفس بصوت مسموع وكأنه ينفث اللهب بينما قبضتاه متشنجتان امامه ...

سأل رضا بهدوء شديد " ماذا تقصد بكلامك يا عبد الرحمن ؟ اشرح لي ..."

هدوء رضا وحزمه الواضح جعلا عبد الرحمن يخرج من دائرة انفعالاته واختلاجاته ليدخل في دائرة التوجس والتراجع ...

وقف عبد الرحمن على قدميه واطرق برأسه قائلا بهدوء ظاهري " لاشيء .. اخي .. انا اسف .. كنت ... كنت اعني رفيدة .. انفعلت .. وكنت افكر ان ..."

قاطعه رضا بصوت صارم قائلا " لاتكذب علي يا فتى .. انا ربيتك واعرفك متى كذبت "

ما زال عبد الرحمن مطرقا وما زال توتره مفضوحا .... ليفاجئ رضا بأن رفع اليه وجهه وقد التمعت عيناه بالدموع !

همس رضا بعجب وهو يقف على قدميه هو الآخر " ماذا بك ؟؟ ماذا يحدث معك ؟؟ "

تحشرج صوت عبد الرحمن وهو يقول بحزن دفين :







" ما يحدث معي .. هو ما حدث منذ سنوات ... منذ ثماني سنوات تحديدا ..؟" صمت للحظة لتفيض عيناه بالمرارة مردفا " لم اتعد العاشرة لاكتشف ان مثلي الاعلى لم يكن ... الا خسيسا ...ونذلا ! انهار كل شيء في لحظة وانا اراه ... اراه ..."

تعثرت كلمات عبد الرحمن فاستدار موليا رضا ظهره كأنه يخجل من نفسه !

القلق استبد برضا وعقله يفسر الكلمات التي تفوه بها عبد الرحمن للتو ..

التفّ رضا حول مكتبه ليقترب من اخيه الاصغر ويكلمه بصبر " كن صريحا معي ، افهمني بكلمات واضحة .. عمّ تتحدث ؟؟ "

رفع عبد الرحمن وجها كئيبا لرضا وقد جفت الدموع في مآقيه قبل ان تجد مخرجا لها ....

قال بنوع من الجمود " انا .. اعرف ما حصل .. اعرف ان حذيفة ... اعتدى على .. آســ..."

اوقفه رضا بنظرة حادة وهو يرفع سبابته انفعال قائلا " صه يا فتى ! ولاتقلها ! "

اطرق عبد الرحمن يلفه شعور بالخزي ليقول بانكسار " كنت مجرد طفل .. معجب الى حد الهوس بجرأة حذيفة وشخصيته الجموحة .. كنت .. اقلده ... في كل شيء ! .. وهو كان يدللني .. يشتري لي كل ما احبه وتمنعونه عني ... تلك .. الليلة ... تلك الليلة ..."





تلكأ عبد الرحمن بينما رضا تغلي الدماء في عروقه كحمم بركانية انفجرت من اعلى الجبل شاهق وسالت باوديته لتدمر كل شيء في طريقها وتنشر احساسا واحدا..

الغضب الجامح ...!

همس رضا بصوت مشحون بغضبه الداخلي

" اكمل .. عبد الرحمن ... ماذا بعد ؟ "

اطلق عبد الرحمن نفسا محترقا عميقا ليقول دون ان يتطلع لرضا " تلك الليلة كنت انتظره ! اختبأت في غرفة الضيوف المطلة على الحديقة الامامية .. كنا قد تواعدنا لنلعب سرا احدى لعبات المقاتلين العنيفة والتي منعها عني والدي و محسن .."

تنهد مرة اخرى مكملا " كنت اقف في الظلمة خلف الشباك اناظر دخوله المتوقع في اية لحظة .. ثم .. بدلا منه رأيتك انت.. بدوت .. غاضبا جدا .. غاضبا كما لم ارك يوما .. ارعبتني وانت تدخل البيت وبدوت تبحث عن شيء ثم عدت وخرجت للحديقة تحاول الاتصال بالهاتف وانت تشتم ! رأيتك كيف رميت الهاتف ارضا بعنف حتى تهشم ! تسمرت في مكاني .. ومن بين الرعب لحالتك الغريبة برز فضول الطفل لاعرف ما يحصل ..."

كانت ملامح رضا جامدة تماما وكأنه يعيش ذكرى تلك الليلة البائسة بتفاصيلها مرة اخرى .. ذكرى صراخ آسيا

(ابتعد ايها الحيوان... ايها القذر)





شعور برغبة تحطيم وجه حذيفة تجدد وكأن الحدث ما زال ساخنا حيا رغم مرور السنين .. لا ليس رغبة تحطيم وجهه فقط بل .. قتله كأي جبان لايتوان عن انتهاك الاعراض !

تلك الرغبة جعلت جزءا منه يتأجج بحثا عن راحة الانتقام بينما جزء اخر منه يخشى من تملك تلك الرغبة له ويرتعب منها !

جاء صوت عبد الرحمن غريبا بما يحمله من تمزق وخذلان " لم يطل انتظاري لارى حذيفة يدخل شبه مترنح فسارعت انت لامساكه من قميصه توشك ان تفترسه حيا ! لن انس ابدا ذلك الصراع بينكما .. لقد جعلني متجمدا من شدة الرعب وعاجزا عن الاتيان بفعل او حتى النطق بكلمة ! اردت .. ان انادي ابي .. اردته ان يأتي وانا اسمع همهمة كلماتك التي لم افهم منها شيئا وحذيفة يتكلم ايضا ولم افهم منه شيئا هو الآخر ... حتى استجاب اللّه لامنياتي الصامتة فخرج اليكما ابي من باب المطبخ .. عندها فقط استعدت رباطة جأشي وقلت في سري ان ابي سيتكفل بانهاء الشجار فاطمأننت بعض الشيء ولاشعوريا تقدمت من الشباك مرة اخرى وفتحته ... ويا ليتني لم افعل .. يا ليتني لم اسمع ..."

حدق عبد الرحمن في رضا وقد بدا كذاك الفتى الذي تحطم مع ما تحطم تلك الليلة ...





سأل رضا بصلابة

" ماذا سمعت يا عبد الرحمن ؟"

ارتجفت عضلة في خد عبد الرحمن وتصلبت ملامحه ليقول بهدوء لايعكس حالته " سمعت ما يكفي لاعرف ان حذيفة اعتدى على آس... عليها ! التفاصيل التي قيلت شوشتني لسنوات حتى فهمتها ! لم افهم معنى الاعتداء ولم افهم اسبابه ! لم اعرف الا انه آذى آسيا بقوة وانك كنت شاهدا على هذا الاذى ..."

اطبق رضا فكيه بقوة بينما عبد الرحمن يردف ببؤس " عندما قرر ابي طرده اخيرا كنتُ شبه مغيب ثم اصابتني الحمى ليلة عرس محسن وانتم ظننتم اني مرضت بفايروس ما ! "

امسك عبد الرحمن ذراع اخيه الاكبر وهو يقول بنبرة عذاب

" كيف ستحضرها الينا يا رضا ؟ كيف ستعيش معنا .. لسنوات كنت اهرب من ملاقاتها وجها لوجه ... وكلما كبرت وادركت حجم ما فعله حذيفة بها زاد شعوري بالخزي ... الخزي من حذيفة .. الخزي لاني كنت اقلده دوما ... ثم الخوف .. الرعب ان اصبح مثله يوما ما وافقد سيطرتي لاغتصب فتاة ما تمشي في الشارع بمفردها لمجرد الشهوة ! "







هدر صوت رضا بعنف وهو يمسك عبد الرحمن من كتفيه " انه لم يغتصبها ! افهم الامر يا عبد الرحمن ولاتكرر هذه الكلمة الجلل ! حذيفة لم يغتصبها ... هل تفهم ؟؟ لم يفعل ... انا منعته ... انا انقذتها قبل ان يلمسها ... وهو هرب كجبان ... "

شعلة امل صغيرة شعّت في عيني عبد الرحمن وهو يقول بتحشرج " هل هذا حقيقي ؟! هل فعلا لم يفعل ذلك ؟؟ "

رد رضا يكتم غضبه الداكن بشق الانفس

" نعم ... لم يفعل ... انت فهمت الامر خطأ .. حذيفة كان مخمورا تلك الليلة والله اعلم اذا كان قد تعاطى شيئا اخر لتجعله يقدم على عمل شنيع كهذا "

تشوشت نظرات عبد الرحمن بينما رضا ما زال يمسك كتفيه ليهزه قليلا ويضيف بحزم " انت لاعلاقة لك بحذيفة يا عبد الرحمن ، انه لم يكن مريضا بمرض وراثي لتخاف ان تحمل جيناته ! حذيفة اختار رفقة السوء وهو شخص جموح متمرد بطبعه ولايهمه احد .. انت لست كذلك ... وشعورك هذا اكبر دليل انك لست مثله .. حتى لو كنت تقلده في طفولتك هذا لايعني شيئا ... كلنا كنا نقلد شخصيات معينة في الصغر وعندما نكبر قد ننسى حتى اسماءهم .."







اطرق عبد الرحمن برأسه بينما رضا يهزه مرة اخرى ليقول بنبرة حانية " انت فتى رائع يا عبد الرحمن وستكون رجلا بمعنى الكلمة ، انا ووالدك ربيناك لنجعلك هذا الرجل .. لااريدك ان تتحدث مرة اخرى عن خوفك من نفسك .. لاتدع الشيطان ينزغ قلبك .. لاتجعله يملأك بالوساوس .. "

ثم فجأة رفع رضا كفه ليسحب عبد الرحمن من رقبته يضمه لصدره ويقول بجدية " انت ولدي .. هل فهمت .. ولدي .. وولدي يكون قويا على اية صعاب .. لن ارضى باقل من هذا يا فتى ... ان تكون نعم الرجل الذي اطمح ان اراه واطمئن عليه ..."

ضم رضا اخاه الصغير اكثر لصدره وهو يستشعر نشيج بكائه المكتوم ليهمس له " ابكِ يا عبد الرحمن .. لاضير للرجال ان يبكوا احيانا .. ابكِ وتجاوز عن ذاك الماضي الاليم كما احاول ان اتجاوزه انا وسعيي لاحقق امنيتي بالزواج ممن احببت طوال حياتي ... "

همس عبد الرحمن بصوت متحشرج

" هل تحبها حقا يا اخي ؟ ظننتك تشعر بالذنب نحوها مثلي لذلك ... ظننت انك ..."





قاطعه رضا بابتسامة رقيقة " انا اعشقها يا فتى مُذ كانت في التاسعة عشرة .. ستعرف يوما هذا الشعور فتهمه .. انها منية القلب وتوأمته .. انظر اليها وتمعن بملامحها فترى كم هي قوية ومتفهمة ونقية ... فكيف لااعشقها ....؟!! "

صمت عبد الرحمن فابعده رضا عن صدره ليمسك وجهه بين كفيه ويسأله " هل لهذا تريد السفر يا عبد الرحمن ؟؟ اخبرني الحقيقة يا اخي .."

رد عبد الرحمن منكرا من فوره وهو يمسح دموعه ويتطلع لاخيه :

" لا .. لا ... اقسم لك .. انا منذ زمن افكر بالامر ... اريد ان احصل على شهادات عليا وتعليم افضل ..."

تبسم رضا واخذ يربت على خد اخيه قائلا

" حسنا يا صغير .. لك ما تريد ان شاء اللّه .. فقط امهلني لما بعد العرس وارتب لك الامر كله .."

ارتعشت شفتا عبد الرحمن بابتسامة صغيرة بينما يقول بخجل " انا آسف .. اني .. ضايقتك وانت سعيد بعرسك هكذا .."





قاطعه رضا بالقول " لاتأسف يا صغير .. انا الذي يأسف لاني لم اتنبه لما تعانيه طوال هذه السنوات ... كنت اتصورك تفتقد حذيفة فقط وشعرتَ بالخذلان لانه سافر ولم يعد يتصل بنا ..."

اطرق عبد الرحمن ولم يعقب بشيء ، ليضيف رضا بجدية وحزم هذه المرة " اياّك يا عبد الرحمن ذكر هذا الموضوع مرة اخرى ، لقد كتمناه انا وابي لاجل امي اولا ولاجل عائلتنا ثانيا ... ولاجل آسيا ايضا ... هل تفهمني يا عبد الرحمن ؟ "

هزّ عبد الرحمن رأسه ايجابا ولم يعقب بشيء..

حال مغادرة عبد الرحمن استسلم رضا لشعور القلق الذي يقض مضجعه ! تحرك ناحية مكتبه فاخرج سيجارة من علبة مرمية هناك فاشعلها واخذ يدخن بعمق ...

همس بشجن وعيناه تغيمان " عذرا منك يا اميرة البنات .. ساهجرها حالما تكوني انت لي حقا ولايفصلني عنك شيء .. اشعر ان الامور تريد معاكستي للنهاية .. وكأني اسبح ضد كل التيارات حولي !! "

تحرك وهو يضع السيجارة بجانب فمه ليلتقط الهاتف ويطلب رقم البيت وحالما سمع صوت امه اخرج السيجارة من فمه وقال :





" امي .. اذا اتصلت بك الخالة ابتهال لتبلغك الموافقة اخبريها اننا جميعا سنحضر الليلة ... حتى الخالة بدرية وثريا ...! "

هذرُ كثير من امه فقضى المكالمة وهو يرد عليها بسلاسة لاتخلو من الحزم ويحاول بنفس الوقت تهدئة انفعالاتها الكثيرة بينما كان يهدئ بصمت مخاوفه المتراكمة ..!

انهى المكالمة بعدها ليكمل تدخين سيجارته بشراهة بينما يهمس لنفسه

" هذان الاسبوعان سيكونان طويلان جدا علي... "

لمحها تسير من بعيد فتشتت انتباهه عن معتز الذي لم يتوقف عن الثرثرة حول التجديد المرتقب في ادارة الشركة ! وما له هو ومال ادارة الشركة ؟!فلتحترق الشركة بما فيها !

شعر باحباط شديد وهو يحدق في رقبتها الفارغة وقد تأمل انها قد ترتدي الوشاح الذي اهداه لها !!

كانت تقترب ناحية وقوفه مع معتز دون ان ترمي له ولو حتى بنظرة ! تنهد بقوة بينما معتز الثرثار يواصل هذره " تخيل ! سيتم تغيير اثنين من الادارة العليا وسيأتون ببديلين لهما من الخارج ... لم احفظ الاسماء جيدا من تلك السكرتيرة الغبية لكن قالت ان احدهما اسمه يحيى والاخر حاتم على ما اظن ..





لكنها لم تخبرني بالقاب العائلة او حتى
اسمهما الثاني لابحث عنهما في الانترنت !
الغبية لاتعرف وقد عجزت عن جعلها
تستكشف الامر قليلا واخذت تردد بغباء

(كلها شهر او شهرين وستراهما وتعرفهما
بنفسك!) تخيل يا مهند ؟!! مهند ؟ مهند !!
هل كنت معي ..؟! "

لم يبال مهند بالرد عليه بينما تمر حبيبة
بهما بشموخها اللذيذ ليترك معتز ويساير
خطواتها ويقول همسا لها " صباح الخير"

ردت تحيته دون ان تنظر اليه " صباح الخير "

شعر بالغيظ وهو يواكب خطواتها الرشيقة
بينما هي لاتكلف نفسها عناء النظر اليه او
حتى التطرق بأي ردة فعل لهديته ...

قال وهو يشعر بالضيق " انظري الي حبيبة .."

التفتت اليه لترمقه بتلك العينين الزرقاوين
فتقول باستفزاز " ها قد نظرت اليك ...
امممممم ماذا تريد بعد ؟؟"

تملكه الحنق منها وطفح دون شعوره على
ملامح وجهه فقال بغيظ شديد " على الاقل
قولي شكرا على الهدية ولاتدعيني احترق
امام لامبالاتك بانتظار كلمة منك ..."





عندها فاجأته وهي تضحك بطريقة سحرته بعفويتها ليهمس دون شعوره وعيناه تحدقان في وجهها الجميل " انت خطر ! هل تعلمين هذا ؟"

للحظة ارتبكت واتسعت عيناها لتهرب تلك اللحظة منه فتسبل اهدابها وتتركه واقفا في مكانه وتتحرك مبتعدة بخطوات متسارعة..

ثم فاجأته اكثر عندما استدارت اليه نصف استدارة وبشرتها الذهبية متوردة لتقول بانوثة طبيعية " شكرا للهدية ..قد افكر يوما في ارتدائها "

ثم عادت واكملت طريقها تتهادى امامه بمشيتها المغرية بينما ابتسامة نصر وليد ترتسم على شفتيه .. نصر ازعجته نبضات هائجة ثائرة بين جوانب صدره !

عاد باكرا جدا ليجدها متكومة على نفسها في السرير تنشج بصوت مكتوم ، لم تتنبه لدخوله الهادئ بينما اخذ يقترب منها ...

لم يستطع البقاء في الجامعة لاكثر من منتصف النهار ، عقله ومشاعره وروحه كلها كانت مشدودة اليها ... يريد ان يكون معها .. فقط يريد ان يستشعر وجودها حوله وجزءا من وجوده هو ....

همس باسمها وهو ينحني ليجلس قربها على السرير " رحاب ..."







اجفلت بقوة وابتعدت بجسدها عنه ! يده الممدودة نحوها تجمدت من الصدمة !

ابتلع ريقه بصعوبة وتجرأت يده ان تمتد اليها مرة اخرى فيلامس خصرها بعاطفة حانية..

تصلب جسدها بالكامل وانكمش على نفسه مما اشعره بنفورها منه ...

مال اليها بقلب واجف ليهمس لها برقة

" ألن تصالحيني ؟! "

شهقت باستنكار وهي تلتفت اليه لتسلب قلبه بوجهها الباكي ثم قالت بحنق متحشرج

" انا اصالحك ؟!! وماذا فعلت لاصالحك ؟!! هل صفعتك مثلا ؟! "

رغما عنه تسلل اليه بعض الغضب القديم لكنه تمالك نفسه وقال بلطف " انا اعتذرت يا رحاب وجئت خصيصا الان لاجلك ... لاني قلقت عليك وانت بوضعك الجديد "

تغرغرت عيناها بالدموع كنبع ماء متفجر وقالت بحنق انثوي مثالي " اذن انت لم تأتِ الا خوفا على طفلك في احشائي ! "

تأفف محسن ثم اخذ يستغفر ليقول بعدها بضيق شديد " لماذا تحورين كل شيء اقوله وتجعلينه يأخذ معنى سلبيا ؟!! انا احاول التواصل معك يا رحاب ... انا ..."

صمت بعجز وهو يراها تدفن وجهها بين كفيها وتشهق بالبكاء المرير..





تنهد وهو يقف على قدميه ويقول بجمود " انا احاول ملاقاتك بمنتصف الطريق لكنك احيانا تتصرفين بقلة نضج و انانية .."

ازداد بكاؤها وهو تردد كلمات مشتتته

" قلة نضج ؟!! انا ؟! و ... انانية ايضا ؟!؟ ...... اتركني محسن .. ارجوك .. اتركني بمفردي ..."

رد بنفس الجمود

" حسنا رحاب .. ارتاحي قليلا وبعدها استعدي لآخذك من اجل التحاليل التي طلبتها الطبيبة "

تكومت على نفسها مرة اخرى متباعدة عنه لكنها لم تعاود البكاء فاستدار مبتعدا هو الآخر ليتوقف قليلا قبل ان يبلغ الباب فيقول دون اي مشاعر واضحة

" رضا يريدنا الليلة ان نذهب جميعا لبيت الحاج يونس ، يريدها خطبة رسمية وربما سيلبسها شبكة الزواج ايضا ... الامر .. عائد اليكِ في القدوم ام لا ... يمكنك ان تعتذري عن الحضور اذا شعرت انك ما زلت متعبة .."





عصرا ...

فاجأته بالحضور لغرفته وقد كان على وشك الذهاب اليها بنفسه .. وها هو جالسٌ بجانب توأمه على سريره بينما هي تطرق برأسها وتدعك كفيها ببعضهما البعض لتقول اخيرا بنبرة متألمة " سامحني رضا ... تعرف اني .. لن استطيع الليلة ..أن ..."

اخذ رضا يمسد على ظهرها ويسألها بحنان

" لابأس اختاه .. لكن صارحيني هل يؤذيك حقا زواجي من آسيا ؟"

رفعت رأسها لتقول بصدق " لا .. ليس كما تظن ... انا .. انا ... " تعثرت كلماتها لتضيف بجزع وارتباك " انا .. في حالة غريبة هذه الايام يا رضا .. كأني اعيش منفصلة روحيا عن كل ما حولي ... "

وضع يده على كفيها المتشنجين ليقول بهدوء " تبدين متوترة جدا ! هل هناك شيء محدد يشغل بالك ؟ هل تخشين مواجهة الخالة ابتهال مثلا او بناتها ؟! "

هزّت رفيدة راسها سلبا لتقول بحشرجة " لا .. ليس هذا .. اقصد انا متوترة مؤكد من مواجهتهن لكن .. ليس هذا .. ما يشغلني حقا.."

عقد رضا حاجبيه مستغربا حالة رفيدة ليسألها بحزم مباشر " ماذا هناك رفيدة ؟؟ "






رمشت وبان الارتباك مع نوع من التأمل في عينيها لتهمس بتردد ووجل " هل ... تذكر تلك الفتاة .. السمراء ؟؟! "

تغضنت ملامح رضا اكثر وهو يتساءل بحيرة

" اي فتاة ؟! "

همسها شابه القلق اكثر وهي ترد " ف..في ... الملجأ ..."

انفرجت تغضناته ليبتسم بنعومة ويقول

" تقصدين تلك المبتسمة السمراء بشعرها المبلول ؟! "

هزّت رفيدة رأسها ايجابا وهي استرخت قليلا لردة فعله فقال رضا متسائلا

" حسنا ... ماذا بها ؟! "

شعرت انها بدأت بالتعرق بينما تردد ببلاهة

" اريد .. اريد ..."

رفع رضا حاجبيه وقد تفاجأ بشحوب وجهها وحبيبات العرق التي التمعت على صدغيها لتزفر بعدها بقوة وكأنها تنفس عن توترها ثم اضافت بصعوبة " اريد ان .. اكفلـ...ها .. اقصد ... اتبناها ..."

سأل رضا ببعض الحيرة " تقصدين ان تكفلي معيشتها ؟ "

ردت وقد ترقرقت عيناها " بل .. ان .. اجعلها .. ابنة ...لي.. انا اريدها هنا .. معي ..."





الصدمة لاحت على وجهه رغما عنه فاطرقت رفيدة وهي تضيف بألم رقيق " احببت دوما ان اكون اماً .. كل احلامي منذ الصغر ان يكون لي بيت واطفال ... "

صمتت للحظة بينما يد رضا ما زالت تمسك بيديها المتشابكتين لتردف رفيدة بنفس الألم :

" لكن ما دام الله لم يقسم لي بزواج حقيقي .. على الاقل لافعل خيرا لتلك الطفلة ولي ايضا ... فتجد كل واحدة فينا بغيتها في الاخرى ..."

تلاشت الصدمة منه تدريجيا ليضغط رضا بيده على يديها وهو يسألها بشكل مباشر " هل انت جدية رفيدة ؟ هل فكرت بالموضوع بكل ابعاده ؟؟ ان تلتزمي طفلة كأبنة لك هي مسؤولية امام الله فهل ترين نفسك على اهبة الاستعداد لتحمل هذه المسؤولية ؟؟"

رفعت راسها اليه وقد لاح الامل على ملامحها بدلا من ذلك البؤس الذي يرافقها غالبا لتقول " نعم .. منذ ايام طويلة وهذه الفتاة تشغل عقلي ، اريد ان ابني لي حياة يا رضا .. سأكون اما حقيقية لها ..."

صمت وهو يدرس الجدية في كلماتها بينما عاودها القلق الشديد وهي تسأل باضطراب

" هل .. انت ... رافض للموضوع ؟؟ "





ابتسم لها ورفع كفه الاخرى ليلامس خدها ويقول " لا يا حبيبتي .. بالعكس انا سعيد بخطوتك هذه وسأدعمك بها .. لكن دعيني افاتح امي بطريقتي ..."

ملأته سعادة لاتوصف وهو يراها تبتسم باشراق وكأن حملا ثقيلا ازيح عن كاهلها لتقول بفرح يأسر القلب " خذ كل وقتك ... اعلم انك .. منشغل بزواجك وترتيباته ... انا سانتظرك "

اخذ يداعب خدها بحنان وهو يقول بتأن " لن تحضري الخطوبة وانا اتفهم هذا وعبد الرحمن باقٍ معك.. لكن عرسي لن يقام الا وانت فيه يا رفيدة .. مرفوعة الرأس لاتخشين مواجهة الماضي .. حتى لو اخطأتِ في الاختيار هذا لايعني ان تشعري بالخزي لاخر حياتك .. "

شاب فرحتها بعض الشجن لتهمس له بعينين تفيضان باختلاجات مختلفة " انا لن اخذلك يا رضا .. الا انت ..! سأجمع كل ما لدي من قوة لاجل .. ان ارفع رأسك ... "

دخلت على ابنتها تحمل فستانها ازرق فوجدتها تجلس امام منضدة الزينة تسرح شعرها الطويل بشرود .....

تنحنحت الام وهي تبتسم فالتفتت اليها اسيا متوردة وهي تقول " اسفة امي هل كنت تناديني ؟! "





ضحكت الام بخفوت وهي تضع الفستان على سريرها وتقول " لا .. لم اكن .. لكني خفت اجفالك وانا ادخل الغرفة .."

وقفت اسيا على قدميها لتقترب من حيث تقف امها قرب الفستان المفرود على السرير لتتسائل قائلة " اليس هذا فستانك امي ؟! "

ردت الام ببشاشة وهي تلامس خصل شعر ابنتها المموج بتجعداته " اجل حبيبتي ، هو فستاني يوم خطبتي واريد منك ارتداؤه الليلة ، لقد كويته لك بنفسي وسيكون مقاسه ملائما لك .."

ما زال العجب يفرض نفسه بقوة على اسيا ! ما الذي جعل امها تتغير من حال لحال هكذا ؟!

انها سعيدة بل مبتهجة وحامدة لرب العالمين ان امها نفضت عنها الاحزان وعادت كما كانت في حياة والدها ... لكن لاتملك الا ان تتساءل عن السبب .. لاتملك الا ان تفكر بمواجهتها الاخيرة مع حبيبة ... لعام كامل امهن التزمت الصمت الفائض بالألم المكتوم وحبيبة تبثها الغضب يوما بعد يوم وتحملها ذنوبا لم تقترفها ... وفجأة كل شيء تغير !

سؤال امها الممازح اخرجها من افكارها عندما قالت لها " اخبريني يا جوهرة .. هل كلمك رضا اليوم ؟ "

ردت آسيا متوردة " نعم ..."





فغمزتها الام قائلة " كما توقعت ... اذن مؤكد اخبرك انه سيحضر مع كل اهله هذه الليلة.. اليس كذلك ؟؟ "

بنفس التورد ردت بنفس الاجابة المختصرة

" نعم .."

اكتسبت ملامح امها الجميلة بعض المشاكسة المحببة وهي تقول " اممممممم لماذا اشعر ان هناك امر لااعرفه سيفرض واقعه علي؟!"

احمرت آسيا هذه المرة وهي تطرق بخجل وتتمتم" انه ... متعجل ...."

ضحكت الام وهي تقول بنبرة اعتزاز وفخر

" من حقه التعجل .. انه خبير بالمجوهرات ويدرك انه يجب ان يختطف جوهرتي النادرة سريعا قبل ان يختطفها غيره ..."

ضحكت آسيا بخجل بينما تضيف امها بحنان

" انه يحبك جدا ... وتبدين تبادلينه ولو بعض مشاعره ..."

بتردد همست آسيا " نعم ...."

سألت ابتهال برقة " يريد عرسا سريعا اليس كذلك ؟ "

ردت آسيا بحرج " يريده خلال .. اسبوعين .."





حركت ابتهال فمها بطريقة تعبر عن استغرابها لتقول " هذا الشاب يثير دهشتي ! لم اتصوره يوما هكذا ؟ دوما كان كتوما هادئا لكن يبدو انه يخفي الكثير من الانفجارات العاطفية خلف واجهته اللطيفة "

صمتت لحظة لتضيف بخفة ممازحة " لقد سبق حتى والدك الذي اصر على زواجنا خلال شهر واحد .."

تطلعت آسيا لامها قائلة بجدية " امي .. اذا كنت غير موافقة فلا ..."

قاطعتها الام لتقول بشجن وهي تتطلع للجدران حولها " هذا البيت يحتاج للفرح ... جدرانه ملّت حزننا الطويل وتأوهات اوجاعنا التي لم تعتدها منا ... قد اعتادت على صوت ضحكاتنا وفرحنا لتمنحها الحياة بدل الجمود .. على التدفؤ بدفئنا بدلا من كل هذا البرود... "

همست اسيا بتأثر وهي تمسك ذراع امها

" حبيبتي اماه .. روحي فداء لك "

ابتسمت الام وهي تعاود تمسيد شعر ابنتها لتقول بمزاح " يونس مؤكد غاضب من قواريره ! اصبحنا كئيبات جدا .....! "

عفويا رددت اسيا اسم اختها " حبيبة ...."







وكأن امها ادركت ما ترمي له كبرى فتياتها فقالت بعزم " حبيبة ستقف معك كأخت رغما عنها وعن سخافتها وانانيتها ... والدك دلّلها كثيرا ومنحها مساحة اكبر من حجمها .. جعلها واثقة بنفسها لدرجة الغرور ! "

قالت اسيا بتعاطف " ترفقي بها امي .."

فردت الام بحزم شابتها المرارة " ترفقت بها وهي لم تترفق بنا يا اسيا ... حملتني وزرا انهكني لعام كامل وجعلني اتراجع عن دوري كأم لكُنْ ... انتن يا قواريري وامانة برقبتي وحدي فبعد فقدانكن لوالدكن لم يعد لكن غيري ... "

عجزت اسيا عن الرد بشيء بينما تحركت امها مغادرة وهي تقول

" حبيبة ستفيق يا اسيا لاتقلقي ، لكنها يجب ان تتعلم درسا قاسيا عن نبذ العائلة ..."

انقبض قلب اسيا وشعره بعصرة ضيق في صدرها دون سبب محدد !

اغمضت عينيها وهي تفكر ان عليها دفع مزيد من الصدقات لدفع البلاء عن اختها وعنهم جميعا ..





سعاد تلبس اسيا شبكتها بدموع جارية من شدة الفرح فعلتْ الزغاريد من فم ثريا بينما بدرية تعانق ابتهال بتأثر والفتاتان رباب ورقية تحاولان تقليد ثريا بزغاريدها المميزة .. رحاب بوجهها الشاحب اخذت تزغرد هي الاخرى ومحسن يتطلع لزوجته بنظرات متمعنة!

كل هذا يحدث تحت سمع وبصر رضا دون ادراك تام له ! حاوطته التهاني وضمته الاحضان وانهالت عليه القبل المحبة السعيدة لاجله ...

وهو ... هو لم يكن الا محدقا في محياها الحبيب .. بعيد عنهم في حالة عجيبة من الطوف فوق ضبابية الواقع ! ....انه يكاد لايصدق !

انها آسيا بفستانها البسيط الازرق وحجابها الابيض تبتسم وهي تطرق برأسها خفرا وتلك الوجنتان الوضاءتان تضجان بالحمرة .. لايستطيع ان يزيح عينيه عن حلمه .. انها حلمه الذي بالكاد يمسكه ...

ادخل يديه في جيبيه بعجز عن التحكم بهما وهمس في داخله بعذاب واصابعه تتقلص " متى امسكك حقيقة ... متى ؟!! "

اقترب خطوة ليقف امامها وقد خلا اليها الطريق ليهمس لوجهه المسبل " مبارك يا اميرة البنات "





ردت عليه بهمس ناعم " شكرا .."

ضحكات خافته شقية داعبت اذنيه ليدير رأسه نحو الصغيرتين رباب ورقية وقد كانت رباب تلكز رقية بمرفقها بينما رقية لاتبالي وهي تنظر بوجه متورد نحوه !

فاض قلبه حنانا لتلك الصغيرة التي بدت سعيدة جدا بما يدور حولها ...

عيناه حادتا بعفوية نحو حبيبة التي تجلس في اقصى غرفة الضيوف بواجهة صامتة معتدة .. متباعدة شبه متجاهلة لما يحدث لكنه لمح الحنان يتسرب لنظراتها المختلسة نحو آسيا ....

شعر بمن يسحبه من ذراعه وصوت ثريا يقول بشقاوتها المحببة " تعال يا عريس واجلس بجانب عروسك ..."

عروسي .... لهف قلبي متى تلبس الابيض هذه العروس ؟!

جلس قربها لاتبعد عنه الا ببضع سنتيمرات تحرقه بالقرب اكثر من البعد...

عيناه تطوفان بجانب وجهها نزولا حتى يدها اليمنى المتراخية في حجرها ... بنصرها يحمل حلقة دائرية مرصعة بالماس اما معصمها فحاوطته اسورة حمامات لائمت العقد الذي سبق وصاغه لها ...

(حمامتان تحملان اليك قلبي) .....





قلبه انتفض واحساسه بالحاجة اليها تتأجج في ثورة لاتفهم معنى الصبر ...

التفت نحو الخالة ابتهال وقال بصوت ثابت

" خالتي ابتهال ... اتمنى ان توافقي على اقامة العرس بعد اسبوعين ... كل شيء سيكون جاهزا ولاارى حاجة للانتظار ..."

بعض الصمت ..ثم ضحكات مترددة ...

عينا رضا لم تفارقا عينيّ الخالة ابتهال التي التزمت الصمت للحظات قبل ان تقول بهدوء

" لكن بنيّ .. انت تتعجل كثيرا الا ترى ذلك ؟؟ "

رد بصلابة " سابلغ الاربعين بعد بضعة اشهر خالتي .. فهل ترين انني اتعجل حقا ؟! "

حانت التفاتة من ابتهال نحو رقية ورباب لتقول " الفتيات ما زلن يجرين الامتحانات النهائية "

هبّت رقية لتقول بحماسة " سنكملها الاسبوع القادم امي .."

زجرتها رباب بهمس غاضب " رقية ! "

تبسمت ابتهال وهي تسبل اهدابها وتقول

" لكن عبد الرحمن ما زال امامه شهر .."

عندها ردت بدرية قبل ان يرد رضا

" عبد الرحمن ليس لديه مشكلة صدقيني انه يتحضر للامتحانات منذ الازل ! "





ضحكة ألفة انتشرت بينهم لتردف ابتهال باعتراض خفيف " الفتيات يحتجن للاستعداد ... انت تعرف الملابس والاغراض و...."

سارعت ثريا للقول " انا ساساعدكن خالتي ، سأتفرغ لكن بالكامل خلال هذين الاسبوعين ..."

عينا ابتهال تركزتا على رضا لتسأل بجدية

" اين ستسكن ابنتي ؟ "

كانت سعاد هذه المرة التي سارعت للرد

" الجناح سيعد لهما بالكامل خلال ذهابهما لشهر العسل .. سيكون كجناح رحاب ومحسن ... غرفتيّ نوم ومطبخ وغرفة جلوس صغيرة طبعا مع حمام خاص لهما ..."

صمتت ابتهال لتربت سعاد على يدها تحثها بالقول الصادق " دعينا نقيم العرس بعد اسبوعين ونسعد الاولاد يا ابتهال ... لنجعله صفحة فرح جديدة بيننا ... فرح حقيقي "

تطلعت ابتهال لوجه ابنتها العروس لتراها تنظر نحوها بأمل مفضوح ...

ابتسمت ابتهال قائلة " سنقيم العرس ان شاء اللّه في موعده .."

لتحيد نظراتها نحو العريس المتلهف لتأكيد واضح منها فتضيف " كما حدده عريسنا الذي لايعرف الصبر ! "





ارتفعت الزغاريد وحالما هدأت موجة التعبير عن الفرح وجّهت ابتهال كلامها لرضا قائلة بوضوح

" لكن عقد القران سيكون في نفس اليوم وليس قبلها "

شعت عينا رضا وهما تلتصقان التصاقا بعروسه ليقول بصوت أجش " موافق ..."

في ظلام الليل جلست سعاد على سريرها مرهقة من كثرة البكاء الذي بكته وهي تدعو ربها من اعماق قلبها بعد ان ادت صلاة العشاء ...

لقد شعرت بحاجة ملحة لتختلي مع ربها هذه الخلوة ، تدعو لرضا بالسعادة في زواجه وان يكون فاتحة خير على هذا البيت لطي صفحة الماضي ...

اليوم شعرت بالذنب نحو ابتهال ، ليست المرة الاولى ولكنها كانت مختلفة ..

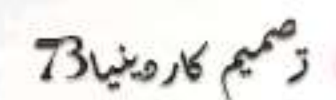
ربما لان ابتهال كانت اكرم منها ولم تكسر قلب بكرها رضا واعطته ما اراد ...

جرت دموع سعاد مرة اخرى وهي تحدث نفسها

" لعنك اللّه يا شيطان .. لعنك اللّه ... كيف جعلتني اضعف لاجل ابنتي واؤذي ابتهال هكذا ؟!! "









شهقت سعاد بالبكاء وهي تكمل حديث النفس " سامحيني يا ابتهال ، وقد عاقبني ربي لانانيتي وظلمي لك ، وها هي رفيدة كئيبة بائسة منكسرة ! "

استعاذت بالله من الشيطان الرجيم ثم مسحت وجهها لتمد يدها بعدها نحو درجها الخاص بجانب سريرها ...

اخرجت تلك الصورة الحبيبة واخذت تلامس وجوه ابنائها وزوجها ، اصبعها ارتعش عند صورة حذيفة لتهمس له بألم وعتاب " اخوك سيتزوج مرة اخرى يا حذيفة وانت غير موجود ايضا ! لماذا بنيّ ؟! لماذا نسيتنا هكذا .. لقد اغضبت والدك بهجرك لنا فحرم علينا ذكرك امامه او حتى اظهار صور لك .. "

تنهدت بحرقة لتضيف " لااجرؤ ان اكسر كلمته وهو بين يدي ربه ... "

ثم اعادت الصورة لمكانها وهي تقول

" لكنك ستظل قريبا مني يا صغيري .. هنا .. في هذا الدرج .. عسى ربي ان يكحل عيني برؤياك قبل ان الحق بوالدك ..."

بعد يومين ...

رفعت رأسها تواجه شمس الصباح ، اغمضت عينيها للحظات والهواء الخفيف يتلاعب بخصلها المتناثرة حول وجهها ..





تحركت حبيبة بخطوات نشيطة لاتعكس ارهاقها النفسي ، عبرت الشارع الذي سيكتظ بالبشر والسيارات خلال اقل من ساعة وتوجهت نحو المبنى الذي يضم الشركة ...

ابتسمت لحارس الامن الاربعيني شهاب وهي تلقي عليه التحية ليردها بطفوليته المضحكة ! رجل ضخم مثله بشاربين يقف عليهما الصقر لكنه يبتسم كالاطفال وقلبه رقيق مثلهم ! حتى في غضبه يصبح طفولياً مندفعاً! وقد كانت شاهدة لاحدى شطحاته الغاضبة مع رجل كان يلاحق فتاة في الشارع يسمعها كلمات عاطفية فذهب اليه فامسكه واشبعه ضربا والرجل يتوسل شارحا ان غرضه شريف !

عندما فتحت ابواب المصعد حيث الطابق الخاص بالشركة وجدت من ينتظرها !

بدا طفوليا هو الآخر بنظراته العابسة !

لم تعرف انها تبتسم بوهن الا عندما اقترب منها يبث حنقه في كلماته وهو يقول " انا قلق عليك منذ البارحة بسبب حالة الحزن الغريبة التي تسيطر عليك وانت تبتسمين باستفزاز هكذا ؟!! "

تنهدت حبيبة وهي تتحرك بينما مهند يلاحق خطواتها كعادته ويضيف بغيظ

" توقفي وكلميني حبيبة ! اصبحت آتي مبكرا جدا للشركة لاجلك فقط على الاقل امنحيني بعض التقدير وتكلمي معي ! "





الفصل الحادي عشر

توقفت خطواتها في الممر فتوقف هو الآخر ..
طالعته بوهن غريب لمس قلبه مباشرة لتقول
بصوت يفيض شجنا " انا لم اعد اجيد
مكالمة احد يا مهند واعيش حالة غريبة من
الانعزال عن الاخرين .. اصبحت لااملك
وسيلة للتواصل معهم "

اراد لمسها ! يا الهي بل اراد فعل المزيد .. اراد
احتضان هذا الوجه الفاتن المنهك الحزين
بين كفيه ...

ابتلع ريقه وهو يهمس بصدق طال اعماقه " انا
افهم جيدا ما تقولين يا حبيبة ، عندما
تشعرين ان اقرب الناس اليك يتكلمون بلغة
لم تعد مألوفة لك ومفهومة كما السابق !

ان تحدقي في وجوههم وتفتقدي فيهم كل
شيء لكن الشلل يصيب جسدك ولسانك
على حد السواء فلا انت بقادرة على الاقتراب
ولا انت بقادرة على التعبير عن تناقضات
مشاعرك حيالهم وحيال نفسك "

التمعت عيناها بما يشبه الدموع لكنها
سارعت ووارتها بأن اطرقت برأسها قليلا وهي
تهمس بمزاح " لم اكن اعرف ان لديك
اسلوب مميز في وصف المشاعر وتشريحها !
يشبه ما اقرأه احيانا في ابواب المجلات
الاجتماعية الخاصة بطرح المشاكل من
القراء وطلب حلها "





رد ببساطة وهو يدفع مشاعره الغريبة بعيدا

" انا لم اقل يوما كلاما كهذا لاحد من قبل!"

رفعت وجهها اليه لتبتسم بشقاوة وتقول باستفزاز رقيق " ولا حتى لتلك الفتاة التي مارست عقدك السادية عليها ؟!"

ضحك وقد استعاد مزاجه (الصياد) ليقول بنظرات حارة " انت من تمارسين السادية علي يا حبيبة الـ...."

ترك جملته معلقة عن تعمد واضح فاسبلت حبيبة اهدابها وقالت بصوت غريب " اختي الكبرى آسيا ستتزوج بعد اقل من اسبوعين..."

تفاجأ من جملتها ! رفع حاجبيه قليلا رادًا بنوع من التساؤل " هل لهذا تبدين حزينة ؟ هل يؤلمك فراق اختك ؟ "

ارتعش فيها شيء لتهمس ببحة " انا دوما افتقد آسيا ! انها انسانة خاصة .. "

ارتفع حاجباه اكثر وقد اكتست ملامحه الحيرة لكنها لم تعطه المزيد من التوضيح وهي تبتسم بطريقتها الغريبة التي لاتعكس فرحا او حزنا لتقول متهربة من الموضوع

" لدي عمل كثير ويقال ان التغيير الاداري الجديد قد يشمل تغييرا في الموظفين غير الاكفاء ايضا ! لذلك دعني انهي اعمالي يا كسول ..."





ثم فعلت ما تفعله به دوما ! تركته وتحركت ناحية مكتبها المشترك بينما مهند يتطلع اليها بصمت وقلبه ينازع ليملك قلبها !

رفعت سماعة الهاتف وهي تعرف المتصل فيأتي صوته المبحوح الذي يدغدغ انوثتها

" صباح الخير ..."

يحتفي به قلبها ويعزف كل انواع الموسيقى لترد بعذوبة متناهية " صباح الخير..."

تنهد وهو يسألها نفس السؤال الذي سأله صباح الامس " هل ترتدين الخاتم ..؟؟"

فترد بنفس الجواب وهي تتطلع لبنصرها الايمن " نعم ..."

لكن هذه المرة اضاف بصوت أجش " وقلبي .. هل هو معك ايضا .. ؟!"

فردت بوجه محمر ويدها تلامس القلادة

" نعم ... "

غازلها بصوته الرجولي " كم هو محظوظ هذا القلب ! "

صمتت وقد عجزت عن قول شيء ثم فجأة نادته بعفوية " رضا ... "

تنهد ليقول برقة " جدي لصوتك حلاً يا اميرة البنات ! .."

رمشت وهي تتساءل بحيرة " ماذا به ؟! "





ضحك بخفوت ليقول ببحة مثيرة " يربكني كمراهق عندما تنادين اسمي ! "

ضحكت دون ارادتها ليردف بعتب مغازل

" تضحكين مني يا توأمة القلب ؟! "

تعثرت بالضحك الخجول وهي تقول " أ .. أ .. أنا ... "

قاطعها مشاكسا اياها بالقول " اياك ان تقولي (انا احبك) عبر الهاتف ! اريد ان اسمعها ليلة الزفاف وانت امامي ... اراك بقلبي وعينيّ واتنفس حروفك الاولى كحلال لي..."

تضرجت وجنتاها وشعرت بالذوبان حتى خجلت من نفسها ، هل كل عاشق مثل رضا هكذا ؟! فاجأها بالسؤال بنعومة " كيف هي حبيبة ؟"

فردت بسؤال اخر عفوي " هل كنت تعلم اني مشغولة البال عليها ؟"

قال بلطف" ليلة الخطبة كنت ترنين نحوها ببصرك كما كانت هي تفعل خفية ! "

تنهدت آسيا وهي تقول باحباط " انها عنيدة جدا ! ومقاطعتها لنا الآن يشوبها الحزن بعد ان كانت مقاطعتها سابقا تفيض بالغضب ! "

قال رضا وهي يعود بظهره للخلف مستندا على كرسيه " دعيني اكلمها ..."

فسارعت آسيا لتقول " لا رضا ارجوك لاتفعل ... انت لاتعرفها .. حبيبة شخصية صعبة وغير متوقعة ..."





عندها قال بهدوء " انها مدللة نوعا ما يا اسيا ولديها اعتداد فائض بالنفس "

تعجبت آسيا من حسن حكمه على اختها لترد عليه " امي لها نفس الرأي ، ربما ابي افسدها بفكرة الصبي الذي اراده ورآه فيها ! لذلك هي تحمل غضبا مضاعفا "

عاد رضا ليعرض مرة اخرى " دعيني اكلمها آسيا ، فربما هي تحتاج لرأي رجل فيما حدث..."

ردت ببعض اليأس" ستظل اخا لرفيدة يا رضا ولن تسمع لك .. سترفضك مهما حاولت "

سأل بجدية محببة " بماذا تأمرين ؟؟! "

خجلت فقالت " انا لا أامر .. أنا .. اريدك فقط ان تتفهمها ولاتتضايق منها مهما فعلت وقالت .."

رد بحنان " لن اتضايق ابدا ، لكن هذا ليس ما يؤرقك من ناحيتها ...اليس كذلك ؟ "

عاد شعورها بالانقباض يسيطر عليها لتقول بقلق واضح " هذا صحيح ... انا اخشى عليها رضا .. اخشى ان تلجأ لمن لايستحق ثقتها .. لايمكنها ان تبقى قوية ومكتفية بنفسها للابد ! "

صمت للحظة تفكير قبل ان يسأل

" هل حاولت امك التكلم معها ؟ "





ردت آسيا بمزيج من الاحباط وقلة الحيلة

" اجل .. لكن امي غاضبة منها ومن تصرفاتها وانا عجزت عن التواصل معها ! " صمتت ثم اضافت بغصّة " البارحة.... دخلت عليها غرفتها لاكلمها فادّعت النوم ولم ترد على ندائي ! "

غصتها ملأت قلبه بالغصّة هو الآخر ، فقال لها وهو يتمنى ان يكون قربها في هذه اللحظة

" دعي الصغيرتين تتقربان منها .."

فردت بحشرجة تأثر " رباب تنجح ...احيانا في اخراجها من عزلتها عنا لكن... هذا لايكفي .. اشعر انها تكتم الكثير واخشى عليها الانفجار بل .. الانهيار ! "

دمعة سالت على خدها فاخذت تتطلع عفويا لصورة والدها الحبيبة المعلقة على الحائط امامها بينما يصلها صوت رضا يفيض بالحنان ويمنحها شعورا لايوصف بالحماية :

" لاتيأسي من التقرب منها آسيا وفرض وجودك حولها، ابقي على اي خيط تواصل معها واذا اردت مني التدخل فما عليك الا الهمس بها وانا سانفذ وثقي اني سأكون عند حسن ظنك ..."

اغمضت عينيها بينما كلمة تتردد باصداء مرحبة في صدرها .. انها كلمة يريدها رضا وينتظرها ليلة الزفاف ...(احبك)





نغزتها صديقتها وهي تنهرها بالقول همسا

" توقفي عن ملاحقته بنظراتك ! لاافهم لماذا تصرين على التقرب منه ؟! انه رجل متزوج "

لم تبالي سوزان بكلمات صديقتها الحانقة بينما استمرت بمراقبة اقتراب استاذها محسن دون خجل لتقول بجرأة " لااقاوم ! يا الهي انظري لنظارته كم تعطيه جاذبية وذلك الطول المهيب والابتسامة الغامضة ! انه يخطف الانفاس "

عبست سوزان وهي ترى محسن يقف ليتكلم مع بعض الطلبة مما أخر اقترابه منها بينما صديقتها تحاول ردعها ببعض الحقائق

المزعجة ! " انه متزوج يا حمقاء والكل يعلم بحبه لزوجته الاستاذة رحاب ولديه ولدان منها.."

هزّت سوزان كتفيها بلا مبالاة وهي تقول باستفزاز " انه يعجبني وكفى .. احب الاقتراب منه والتكلم معه ، انه يثير جنوني باسلوبه الهادئ الواثق في التعامل ... يستفز انوثتي "

تأففت صديقتها بينما اتسعت ابتسامة سوزان لتستعد لاستقبال الاستاذ محسن وقد ودّع من وقف معهم ....





عبست بتدلل وهي تناظر معصميه لتهمس لنفسها " لماذا لايرتدي ساعتي ؟!! ألم يعجبه ذوقي ؟ "

حالما وصل قريبا قطعت المسافة الصغيرة الفاصلة بينهما لتبتسم في وجهه وتقول بميوعتها الانثوية ذات التأثير " مرحبا استاذ محسن "

ابتسم لها بطريقته الرسمية التي تحبها ثم قال " اهلا سوزان ..."

اراد مواصلة سيره فانزعجت وهي تفكر انها ارتدت اكثر قميص يظهر جمال بشرتها لكنه لم يظهر اهتماما كما تأملت !!

نفضت الاحباط والانزعاج لتتحرك مقاطعة رحيله هي تقول " هل اعجبتك الساعة يا استاذي ؟! "

رد بلطف " نعم .. شكرا لكم ..."

ايضا حاول تجاوزها فتضاعف انزعاجها لتتجرأ ان تقف امامه مباشرة وبعناد طفولي رفعت وجهها الجميل اليه لتقول بحنق ناعم " اذن لماذا لم ترتديها ؟! سيحزنني جدا ان يكون ذوقي لا يوافق ذوقك ! "

تصلبت ملامحه قليلا وكساها الغموض ، فتح فمه وقد سحرها بشفتيه لتسمع بدلا من صوته صوتا باردا آتيا من الخلف " الا يفترض ان لديك مختبر عملي الآن يا سوزان ؟! "





التفتت سوزان ناحية صاحبة الصوت البارد للاستاذة رحاب وللحظة شعرت ببعض الحرج لكنها سارعت لتتمالك نفسها وتقول بثقة

" كنت على وشك الذهاب الان يا استاذة لولا اني رأيت الاستاذ محسن في طريقي واردت مكالمته قليلا وسؤاله عن بعض الامور ! "

تنقلت نظرات رحاب بين تلك الطالبة الوقحة وبين زوجها الذي التزم تلك الواجهة الباردة الغامضة التي تمقتها !

هل هي هورمونات الحمل التي تفترس رقتها الطبيعية وتمدنها فتدفعها نحو تخيل كل سيناريوهات التعذيب الجسدي الذي تريده لتلك المنحطة اخلاقيا ؟؟

ام انه زوجها (الحبيب الغالي) الذي يهجرها روحيا مرة اخرى هو السبب في خيالاتها العنيفة هذه ؟!!

انها لاتطيق المزيد من جرأة هذه الفتاة ! ولا صمت زوجها حيال تلك الجراة ....

عقدت حاجبيها وكانت ممتنة لهورموناتها الثائرة التي تمدها بالطاقة الوحشية لتحدج التافهة بنظرة صاعقة وتقول " اذهبي للمختبر الآن وكفي عن تسكعك في ممرات القسم والا ستخسرين عاما دراسياً اخر كما حصل العام الماضي .."







شهقة سوزان لم تؤثر بها لتتقدم من زوجها بثقة وهي تنتفض بالشحنات من الداخل فابتسمت له بتعمد وهي تقول من بين اسنانها

" اشعر بالتعب مرة اخرى عزيزي واود العودة للبيت .." ثم ضحكت بانثوية وهي تضيف بمزاح " يبدو ان هذا الحمل سيتعبني اكثر من الحملين الاولين ! "

حالما فجّرت قنبلتها شعرت بالخزي !

الخزي لانها هبطت بمستواها الى هذا الحد وكأنها في صراع نسوي بغيض على رجل ! واي رجل ؟! انه زوجها هي !

ارادت ان تغادر .. فعلا ارادت المغادرة بل والاختفاء من على وجه الارض كلها ...

حتى شهقة التافهة لسماعها الخبر ثم تشوه وجهها بالغيرة الواضحة لم يجعلها تتحسن بالعكس شعرت بمزيد من الذل وهي تفكر ان هذه الفتاة كانت تأمل بالكثير من محسن!! وهذا اوجع رحاب ... اوجعها وطعنها ...

لم تشعر الا وهي تترك كل شيء خلفها وتتحرك دون ان تقول المزيد ، شعرت بساقيها ترتجفان وللحظة ترنحت عندما اسندتها ذراع قوية وهمس رجولي قرب اذنها يقول

" ساعيدك بنفسي للبيت حتى ترتاحي " ثم همسة ساخرة بمرح " يبدو ان هورمونات الحمل تفعل الاعاجيب ! "





يوم العرس

" كن معي يا اللّه .. كن مع فتياتي .. اسعد ابنتي آسيا وافتح لها ابواب الخير "

لازال فمها يلهج بالدعاء وهي ترتدي حجابها الداكن المطرز ملائما لفستانها الانيق بلونه الكحلي ، لم تستطع ارتداء لونا اكثر فرحا .. ليس بيدها شعورها بالافتقاد لوجود يونس هذه الليلة جعلها تتذكر انها لم ترَ وجهه منذ اكثر من عام !

جلبة خلف باب غرفتها سبق طرقات على الباب لتدخل الصغيرتان رباب ورقية ...

بدت رقية بثوبها الزهري جميلة كقطعة حلوى مزينة باعتناء بينما رباب ورغم وجود الجبيرة فقد بدت آنسة فاتنة بثوبها العسلي الهفهاف ...

انشرح صدر ابتهال لرؤيتهما واخذت تقرأ المعوذتين بينما تلتقط بعض الضيق على وجه رقية ورباب تهمس لها وكأنما تحاول اقناعها بشيء ما !

اقتربت ابتهال منهما وقالت بحلاوة " ما بهما فتاتيّ ؟! تبدوان في خضم نقاش مستعص ! "

ازداد عبوس رقية وهي تضرب بقدمها الارض وتقول " انا غير راضية عن شكلي يا اماه ! "





ارتفع حاجبا ابتهال بعجب وهي تتساءل " غير راضية ؟! لم حبيبتي ؟!! تبدين منتهى الجمال يا كل الرقة ..."

شعور بالقهر ارتسم على محياها لتتذمر قائلة وهي تمسك بطرفي فستانها " انظري لفستاني امي .. ابدو كطفلة في الثامنة تتناول المثلجات ! "

كتمت الام ضحكتها ثم قالت " بل تبدين كقطعة حلوى شهية وملفتة "

لكن رقية هزّت رأسها امتعاضا ثم قالت " لا امي .. انا ابدو كالاطفال بثوبي الزهري هذا ، كنت افضل الازرق ليبرز لون عينيّ لكن رباب قالت ان هذا انسب لي لاشتريه واقنعتني انها في يوم العرس ستعتني بشعري وسأبدو كما احب واريد ! "

تطلعت الام لتسريحة ابنتها البسيطة التي جعلتها تبدو كأميرة صغيرة لترد عليها بالقول اللطيف " وقد صدقت رباب حبيبتي ، انت جميلة جدا بهذا الثوب والتسريحة لائمته ، لاتدعي لونه يوحي لك بأمور غير صحيحة "

فالتفتت اليها رباب لتقول بلهجة تأنيب

" ألم اقل لك ؟! لماذا لاتكفين عن التذمر ؟! فهذا ما يظهرك كطفلة وليس الفستان ! "

استفزت رقية من وصف (الطفلة) الذي اطلقته رباب عليها فقالت بحنق وغيظ شديدين :





" انا لست طفلة ! لم ارد هذا الفستان الذي لايلائم عمري .. اردت الازرق ولكنك منعتني منه لانه قصير بعض الشيء بينما اخذت العسلي لنفسك فأظهرك اكبر من سنك ! "

تأففت رباب بعجز لتتدخل الام قائلة بحزم

" اذا كان الفستان قصيرا فرباب محقة يا رقية ، لايفترض ان ترتدي فستانا كهذا ما دمتِ ترين نفسك قد كبرت حقا واصبحت آنسة صغيرة ولست مجرد طفلة "

فاعترضت رقية باحباط " لكن امي ..! "

قاطعتها الام بحزم اكبر " كفى رقية ، تبدين جميلة جدا ومحترمة كما احبك ان تكوني .. والآن كفي عن التذمر واذهبي للمساعدة في المطبخ فالمأذون سيصل مع رضا خلال اقل من ساعة وسيأتي قبله بعض المدعوين لحضور عقد القران ...."

طأطأت رقية رأسها بانكسار طفولي بينما الام تجاهلتها لتوجه كلامها نحو رباب وتسأل " هل انهت حبيبة ارتداء ملابسها ؟"

فردت رباب " نعم امي دخلت عليها قبل قليل ووجدتها بكامل استعدادها وتلهي نفسها بالرسم على لوحها الخشبي "

كتمت ابتهال حسرتها ! فحبيبة كان مكانها مع اختها اسيا عند مزينة الشعر بدلا من ثريا التي اخذت على عاتقها هذا الدور





ابتداء من اخذ الفتيات للسوق لشراء ما يحتاجونه للمناسبة بالاضافة لكل احتياجات العروس نفسها وانتهاء بتحضيرات هذا اليوم الحافل ، بينما تلك العنيدة ما زالت تنأى بنفسها عن كل الاحداث بجبروت وعناد مغيظين !

شعرت بيد رباب على ذراعها فنظرت اليها لتجدها تبتسم وتقول بلطف " حبيبة تبدو جميلة جدا امي وقد ارتدت ثوبها الازرق الطويل ذو الكمين الواسعين .."

اشفقت الام على فتاتها رباب وقد ادركت انها تطمئنها ان حبيبة لم تتطرف في ملابسها بل ارتدت ما يلائم المناسبة دون اي اختيار مستفز ..

كانت تساعد سامي في ارتداء سترته وهي تقول له بابتسامة ولهانة " كم انت وسيم ، اود لو اخفيك في قلبي بعيدا عن الاعين "

ضحك سامي بابتهاج ثم لف ذراعيه حول رقبة امه متعلقا بها وهو يقول " تبدين جميلة جدا امي .. احب فستانك الاحمر "

ضحكت رحاب بينما حاولت الوقوف على قدميها لكن سامي تعلق برقبتها اكثر وهي يتدلل عليها ويقول " احمليني امي ..."

فاقترب عقيل ليقول مؤنبا " لاتستطيع حملك هناك طفل في بطنها "

فرد سامي بعبوس " لكن بطن امي كما هي ولااراها كبيرة مثل النساء الحوامل ! "





ضحكت رحاب وهي تقرص وجنة ابنها العابس لتقول له " لان الطفل ما زال صغيرا جدا كحبة عدس "

اتسعت عينا سامي ذهولا بل حتى ارتسمت الصدمة على وجهه وهو يردد

" حبة .. عدس ؟! "

قبّلت رحاب وجهه بينما تقف على قدميها ثم مالت بوجهها نحو عقيل وقبلته هو الآخر وهي تقول بحنان " تبدو كرجل صغير يا مهجة قلبي "

فتورد عقيل قليلا واطرق برأسه خجلا .. فذاب قلبها لاجل هذا الكبير الصغير المعتد بنفسه والخجول في جوهره ...

" يجب ان نتحرك الآن ... سنتأخر على اخي المتلهف لعقد القران ...! "

اجفلت قليلا وهي ترفع نظراتها ناحية باب غرفة ولديها لترى زوجها واقفا هناك مستندا على اطار الباب وبكامل اناقته ...

يناظرها برقة غير عادية فاحمرت وقد ادركت انه كان يقف هناك منذ فترة يستمع لاحاديثهم دون ان يشعروا به ...

ارتبكت قليلا وقد شعرت ببعض الاسترخاء من نظراتها نحوها ...فمنذ ذلك اليوم الذي اعادها بنفسه للبيت وهو يعاملها بطريقة مختلفة ....





يهتم بها .. يراعي صحتها .. يبتسم احيانا بلطف ..يغيظها ! اجل .. كان لطيفا اكثر مما ينبغي .. لطيف كلطف اي انسان غريب عنها ... مشفق لحالها !

الشيء الوحيد الذي جعلها مرتاحة في اعماقها هو تعامله البارد الواضح مع تلك المدعوة سوزان مما جعل رحاب تهدأ قليلا من ثورة الغضب والغيرة التي تتآكلها ...

" هيا يا جميلة ... "

ارتفع حاجباها قليلا وهي تنظر لزوجها ، فهذه اول تسمية تدلل اطلقها عليها في فترة الخطوبة ... !

ارادت التمعن في ملامحه لقراءة ما يخفيه خلف قناعه الهادئ هذا لكن محسن كان قد استدار قبل ان تقرأ حرفا !

لتسخر من نفسها بالقول " وكأنك كنت ستقرأين ملامحه حقا يا رحاب ! ذلك الغامض الذي يثير جنونك ! "

" هيا اختاه .. انا مستعد.. سنذهب لقاعة الحفل سويا ... "

نظرت رفيدة لاخيها الصغير الذي اصبح رفيقها هذه الفترة ولم يتركها بينما الجميع منشغلون بالتحضير للعرس الذي تحدد خلال فترة قياسية في قصرها ...





نفس مرتعش اطلقته بينما تتأكد من حجابها لتتقدم نحو عبد الرحمن وتتأبط ذراعه بصمت ، للاسف لن تحضر عقد القران في بيت آسيا منعا للاحراج وستتوجه مع اخيها الصغير مباشرة الى قاعة العرس ....

عينا عبد الرحمن تحيدان كل لحظة ناحية تلك العسلية ... انها جميلة جدا .. جميلة بنحولها الرقيق ..

كم كان يود الاقتراب منها .. التكلم معها قليلا ..او ..كثيرا ! ولمَ لا ؟! هي لم تعد فقط ابنة الحاج يونس ... هي اخت آسيا ؟؟ آسيا التي اصبحت رسميا زوجة اخيه الاكبر ؟!

تحركت نظراته نحو العريسين ، اسيا الجميلة الصافية بثوب زفاف رائع .. بدت في قمة الحياء بينما اخيه رضا يمسك كفها بحزم ! كتم عبد الرحمن ضحكته فاخوه الهادئ الرزين بطبيعته يبدو كطفل قلق متشبث بلعبته المفضلة يخشى ان ينتزعها احد منه ...

لكن تلك الالتماعة في عينيه وهو يحدق في عروسه تحكي الكثير ... الشوق .. الهيام .. العذاب ... قلة الصبر!

" عبد الرحمن اياك ان تتركني ..."

التفت عبد الرحمن ناحية رفيدة التي تتشبث بذراعه كتشبث رضا بكف آسيا ..!





انها تمارس سيطرة مؤلمة على نفسها وهي تحاول رسم ملامح الثقة على وجهها بينما اصابعها كانت تتشنج كل فترة حول ذراعه كلما مرت الخالة ابتهال ... رغم ان الخالة ابتهال لم تنظر ناحيتهما ابدا وتصرفت بمنتهى الهدوء والاحترام ...

اخذ عبد الرحمن يربت على يد اخته الكبرى ويقول مطمئنا اياها " وعدتك اني سألتصق بك التصاقا الليلة فلا تقلقي "

ابتسمت رفيدة بارتعاش لتسترخي بعض الشيء ومن بعيد عينان كانتا تطالعانها باشفاق ونظرة عميقة مفكرة ......!

حالما اغلق باب الجناح بعد مغاردة الخادم الذي احضر طعام العشاء للعروسين وجد نفسه متسمرا بمكانه جنب الباب !

اغمض عينيه واخذ يحاول تهدئة مشاعره التي تسرّع انفاسه هامسا

" انتَ ستكون متماسكا يا رضا .. لن تتهور معها .. ستكون رفيقا لطيفا مراعيا .. تذكر انها مرت بتجربة سيئة قد تكون اثارها ما زالت عالقة .. لن ترعبها يا رجل ! "

عند هذه النقطة وجد نفسه يهدأ فعلا وحمى المشاعر المجنونة ركنت للتعقل ..





تقدم وهو يخلع سترته وربطة عنقه ليرميهما على اريكة جانبية حمراء ثم اخذ يكشف الاغطية عن اطباق الطعام يتلاهى بالنظر لاصنافه المتعددة بينما ينتظر خروجها من خلف باب الغرفة المغلق ... منذ دخولهما الجناح وهما محاطين بالزغاريد حتى التجأت لتلك الغرفة كأرنب مذعور ! وها هو صابر بانتظارها ....

بعد فترة تقلقل اخذ يتحرك ذهابا ثم ايابا وهو يفكر انه لم ينم ليلة الامس ولا لدقيقة واحدة ودخن ما يعادل علبتيّ سجائر وربما اكثر !! كان يشعر ان روحه ستغادره من شدة التوتر والقلق ، واستمر نفس الحال طوال النهار بل قد تملكه هاجس بغيض سيطر عليه الى حد الهوس ان هناك شيء ما سيحصل ويفسد زواجه بآسيا ! ولم يهدأ هذا الهاجس حتى تم فعلا عقد القران واصبحت زوجته شرعا وقانونا ... ورغم هذا لم يشعر بالفرح المجنون كما توقع بل غلب الاحساس بالراحة لثبات روحه مكانها !

انه حتى لايذكر بالضبط ما حصل بعد ان تم العقد ورحل المأذون وتصاعدت الزغاريد من كل جانب ! كل ما يذكره ان النسوة جررنه من ذراعيه يأخذنه لرؤيتها والكل يدفعه ويقول (قبّل عروسك) !

ليجد نفسه فجأة امامها وهي ترتدي فستان الزفاف وطرحتها تغطي وجهها كخمار !





حاولت امه سعاد رفع الطرحة المخرمة لكنها تمنعت بخجل شديد فاوقف امه وقال " دعيها امي ... " ثم امسك رأسها على عجل وقبّل اعلاه ليغادر تاركا لها الحرية لتستعيد رباطة جاشها وسط الهرج حولها ...

ولم يشعر انها عروسه حقا الا عندما جلست بجواره في السيارة التي اعدت لهما بينما اخيه محسن يقودها وتتصدر امها المقعد الامامي بجانب محسن ...

التزم الصمت لفترة بينما ظلت آسيا تتخفى خلف طرحتها ، لكنه لم يقاوم وهو يمد يده ليمسك يدها رغم احساسه بالبؤس لانها ترتدي قفازا مخرما ابيض !

كان يود ملامسة بشرتها .. الشعور الاول بأنه يلمسها حقيقة .... وحالما وصلوا لقاعة العرس وقبل ان يهبطوا من السيارة همس لها

" دعيني ارفع لك طرحتك .."

هزّت برأسها علامة القبول ليرفع الطرحة ..

وما أن فعل حتى اكتسحه الفرح المجنون الذي توقعه بعد ان تم عقد القرآن ولم يملك الا ان يهمس لفتنة وجهها " تبارك اللّه فيما خلق يا اميرة البنات ..."

صوت تحرك من خلف الباب المغلق اعاده لواقعه المذهل ! انه هنا ... مع توأمة القلب ... بمفردهما تماما !





انجذبت خطواته ناحية ذلك الباب الذي يفصله عنها ... ثم عاد و..... تراجع وهو يهز رأسه يمينا وشمالا ...

لم يعرف كم مر من الوقت ليعزم هذه المرة وقد شعر انها اطالت المكوث هناك ليتقدم بثبات وثقة بقدرته على ضبط نفسه فوقف خلف الباب مباشرة ورفع يده ليطرقه بلطف وهو يقول بصوت يخفي كل انفعالاته " آسيا .. الطعام وصل منذ فترة .. تعالي وشاركيني العشاء حبيبتي "

لفظة (حبيبتي) انسابت كالعسل على لسانه فكان لها طعم مختلف ... انها حبيبته .. حلاله .... ملكه .... يا رباااه...

طالت لحظات الانتظار حتى تملكه القلق ليأتي صوتها اخيرا مرتعشا بوضوح

" سآتي حالا ..."

عاد حيث الاريكة بجانب الطعام ليجلس هناك وهو يكلم نفسه مرة اخرى

" لاتنظر اليها رضا ، هذا افضل ما تفعله .. لو نظرت قد ..."

فتحت الباب ولاشعوريا.... نظر ...

وما ان نظر حتى عجز عن عدم النظر ....!

تقف هناك عند الباب مشعة بحرير ناصع البياض يلفها لفًا ... شعرها طويل ... طويل جدا ! اطول بكثير مما يذكره ...





لم يدرك انه وقف على قدميه الا وهو يجد نفسها واقفا امامها مسلوب الارادة !

همس بصوت مبحوح " تطلعي الي ..."

كل توترها تفاقم لنبرة صوته المشحونة تلك ... للحظات طالت عجزت عن فعلها ...

فعاد ليكرر طلبه وهي لاترى منه الا صدره النابض !

تشجعت لترفع بصرها اليه شيئا فشيئا حتى واجهتها ملامحه ...

لقد واعدت نفسها .. اجل واعدتها انها ستكون قوية وستنسى اي خوف .. ستدحر اي رعب .. ستقتل اي ذكرى لوثت براءتها ...

كل هذه الوعود لاجل هذا الرجل الرائع الذي اقترنت به بكل كيانها ....

انفاسها تصاعدت وتيرتها فابتلعت ريقها وهي تتطلع اليه بشجاعة تنظر في عينيه المربكتين لتقول بصوت يخنقه الخجل

" آسفة اني تأخرت ...."

عيناه اخذتا تجولان فيها حتى اذابتاها ذوبانا ثم ... تلك الابتسامة الصغيرة التي تميزه بزغت من حيث لاتدري !

اسبلت اهدابها لتتحرك بجسدها المرتعش يمينا فتحرك جسده بسلاسة معها ثم يسارا ليفعل المثل !





رفعت عينيها اليه تعاتبه بصمت مذعور لتغيم

عيناه ويهمس بصوت رجولي " الامر اكبر مني

ومنك يا اميرة البنات ... اكبر من كل ما

وقف بيننا يوما ، انه يعصف بي عصفا

ويتركني منهكا جائعا ظمآنا كما لم اشعر

في حياتي من قبل "

" رضا ..." انحدرت عيناه المشتعلتان الى خدها

بتمعن غريب بينما ارتفعت يده المرتعشة

ببطئ ... " رضا ..."

همسها المتواصل باسمه كان له وقع السحر

عليه ! اطراف انامله اوشكت ان تلامس خدها

عندما توقفت مكانها للحظة تردد ثم

بتنهيدة محترقة من صدره تذوقت اصابعه

طعم النعومة على بشرتها ...

شهقة مرتجفة منها لم تخرجه من غرقه

البطيء بينما يمرر اصابعه على طول خدها ثم

فكها ليصل ذقنها وصدره ينهت !

همسة اولى افلتت منه " حلالي ..."

ليمرر اطراف انامله الان على رموشها المسدلة

فيهمس ثانيا بصوت مبحوح

" الرمشين الساحرين .."

ثم عادت اصابعه لتستشكف وجهها بجرأة

متلهفة مجنونة بينما اسيا تغمض عينيها بقوة

وكلها يرتعش .... ومن بين غمام الخوف تبزغ

همهمات ضاحكة لانوثتها التي تتفتح

بلمساته ...





لم تشعر الا باصابعه تغوص في شعرها الكثيف المسدل لتضم رأسها من الخلف بينما ذراعها الاخرى تلتف حول جسدها النحيل فتسحبه لصدره في حركة واحدة رفعتها عاليا حتى ارتفعت قدماها عن الارض ولم يمهلها لتشهق باعتراض وهو ينهل مما عاش سنيّ شبابه يموت الف مرة شوقا اليه ...

بعد ساعات ...

تتقطع نياط قلبه لاجلها ، تبكي بصوت ناعم فتغرق كتفه بدموعها الحارة وقد اختارت ذلك الكتف ملجأ لتخبئ وجهها فيه ...

اخذ يمرر يده على شعرها المشعث بجنون وهو يهمس بحنان وشعور قاتل بالذنب " يا الهي لن اسامح نفسي يا توامة القلب ... آذيتك.. اليس كذلك ؟! "

من بين شهقات بكائها همست " لا ..."

ارتاح قليلا لكنه عاد واصابه قلق اكبر ليقول " اذن فقد ارعبتك ! لقد فقدت السيطرة ... كنت غبيا جدا ولم .."

دون ان ترفع وجهها وضعت يدها الصغيرة على فمه لتهمس " لـ..م .. ترعبـ..ني ..."

قبّل اناملها وهو يسألها بنبرة متوسلة

" اذن لم البكاء ..؟؟ "

فعادت لتنشج وتهمس ببكاء " لا.. اعلم .."



تنهد بعمق ثم همس بعشق " انظري الي يا اميرة البنات .. اريد رؤية وجهك والاطمئنان عليك .."

فتشبثت به لتقول متروعة " لا .. لا ... ارجوك .. سيقتلني ال..خجل .. ارجوك فقط .. دعني ..هكذا ..."

ضحك ملئ شدقيه وتنفست كل مساماته سعادته ليميل بوجهه يقبل جانب خدها الغارق في خصل شعرها المتناثر هامسا بمشاكسة

" تختبئين مني .... عندي ! كما حلمت يوما "

لم ترد بينما واصل هو ملامسته الرقيقة لها حتى استكانت خلال دقائق فادرك انها غفت

فشدد من ذراعيه حولها وهمس وكأنه يسقي احلامها بعضا من احلامه الأخر

" اريد التسرب لخلاياك آسيا كما انت متسربة لكل خلية في جسدي وروحي وكأن ربي خلقني وانا مختوم بك ..."

عاد وقبل خدها ليردف

" نامي قريرة العين .. ودعيني أنم وانا قرير العين بامتلاكك ... "





بعد بضعة ايام ...

نظرت لغروب الشمس عبر نافذة مكتبها
واحساس بالاختناق يلفها ...

منذ عرس آسيا وهي تشعر بوحدة مضاعفة ،

كانت تتصور انها ستشعر بالغضب يتجدد
حالما تلتقي رفيدة في العرس لكن رؤية آسيا
بفستانها الابيض جعلتها توشك على البكاء
والتمسك بذيل فستانها تطالبها كطفلة
مرعوبة بعدم الرحيل!!

اسندت جبينها للنافذة وهي تهمس بوجع

" لماذا انت عنيدة هكذا يا حبيبة ؟! لماذا
دوما لاتسيطرين على طباعك ؟!! كنت
بحاجة لامك حتى تداوي جرح فراق آسيا
لكنك أبيت ! أبيت كغبية رغم انك رأيتِ
في عينيها دعوة صريحة للعودة ...."

ظل على الزجاج جعلها تجفل لتستدير وتراه
واقفا على بعد خطوات ! يا الهي ليس ثانية !
الا يرحم ضعفها ؟!

همست بصوت مبحوح " ماذا تفعل هنا يا
مهند؟! "

رد وهو يحدق فيها بتأنيب " انت ماذا تفعلين ؟!
لماذا لم تعودي لبيتك حتى هذا الوقت ؟
الكل غادر ...."





اشاحت بوجهها جانبا وهي تقول بعبرة مخنوقة

" غادر انت ايضا ... اتركني بمفردي ..

ارجوك .."

لغبائها سالت دموعها امامه فشعرت باقترابه

الشديد وهو يقول بصوت أجش مدهوش

" انت تبكين ! "

كانت تقاوم بكل طاقتها حتى لاتنهار

ببكاء مرير بينما هو يهمس اسمها بحنان

اوجعها " حبيبة ..."

بدت نبرتها شبه منهارة وهي تتوسله " ارجوك

.. دعني .. ارجوك مهند .. "

لكنه لم يبتعد .. بالعكس شعرت بانفاسه

تحاوطها كنسمات دافئة وسط برد الوحدة ...

ثم ارتعشت بضعف ويداه تمسكان بخفة

جانبي ذراعيها ليهمس بحرارة عاطفية

" حبيبة دعيني اقترب منك .. انا .. انا

احبك .."

يا الهي كان فوق قدرتها على التحمل ! لم

تشعر الا وهي تنهار تماما في بكاء من اعماق

روحها افقدها الاحساس بكل شيء اخر عدا

نحيبها تبكي عطشا للارتواء من كل ما

حرمت منه ....

بدأت تشعر بدفء يشع من صدره قريبا جدا من

وجهها دون ان تلمسه حقا ثم اخذ يهمس لها

بتأثر

" يا الهي ما كل هذا البكاء ..؟!! "





تشهق بالبكاء وهي تفلت الكلمات من بين شفتيها " ا..أنا اشعـ..ر بالـ..وحدة .. لا ..ليس الوحـ..دة .. بل... الفراغ ! "

رفعت وجها غارقا بالدموع تنظر ناحية وجهه دون ان تميز ملامحه لترفع يدا نحو صدرها وتقول بالتياع " فراااغ ها..ئل هنا كتجويف خبيث في عقر ...قلبي ...يبتلع ....روحي ! "

انشطر قلبه من شدة تأثره بمنظرها الباكي ليقول بادراك غريب " هل تشتاقين لوالدك حبيبتي ..."

اغرقتها الدموع لترد بألم وكأنها فقدت والدها للتو " اشتاق لكل شيء .. لكل شيء ... لم اعد استطيع ... ان ... أن ..."

ذراعاه حاوطتاها من كل جانب وهي لاتشعر وسط انهيارها ... ارتجف جسده في استجابة رهيبة لهذا التلامس معها ..

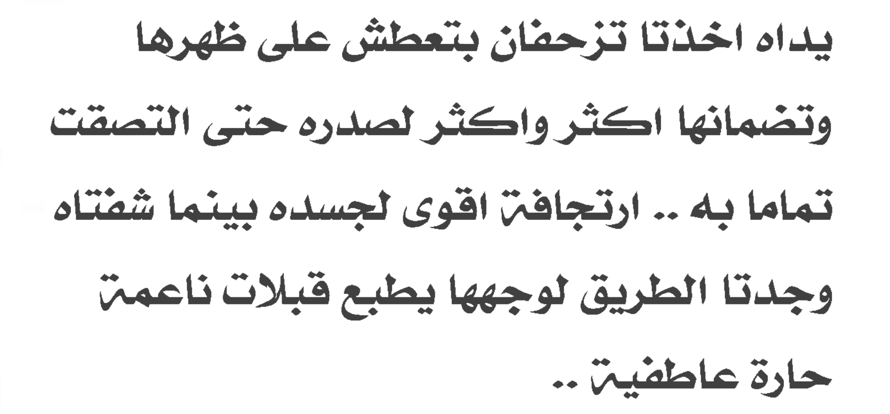
ولم يكن الامر جسدي فحسب .. انه الشعور بالرغبة للاندماج فيها وملأ ذلك التجويف الذي يؤلمها ويعذبها ...

همس بارتجاف وهي تشهق بالبكاء المرير

" يا الهي .. كم انت فتاة مميزة في كل شيء.. حتى في ضعفك وبكائك ..."







يداه اخذتا تزحفان بتعطش على ظهرها
وتضمانها اكثر واكثر لصدره حتى التصقت
تماما به .. ارتجافة اقوى لجسده بينما شفتاه
وجدتا الطريق لوجهها يطبع قبلات ناعمة
حارة عاطفية ..

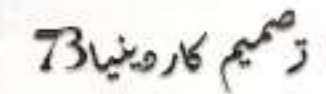
الاثارة تصاعدت فيه وهو يتذوق ملوحة
دموعها .. احساس بعيد يراوده انها بدأت
تتصلب لكن البكاء يخنق كلمات اعتراضها
وارادتها تنازع الموت وتعلن الاستسلام !

اما هو فلم يحتمل اكثر وهو يلتقط شفتيها
المرتعشتين بشفتيه ويداه هبطتا لتمتدا
بعنف عاطفي تحت قميصها

و ... اشتعل الشغف !









الفصل الثاني عشر

ترجلت من سيارتها وهي تكاد تترنح ! عقلها يطفو فوق اي شعور او احساس بالواقع حولها ..

صوت بابٍ يفتح واصوات متداخلة تحيط بها لكن لم تجعل عقلها يهبط لمستوى الفهم !

" آآآآه ...." هل هذا التوجع اصدرته من فمها هي ! اجل ... انها هي من تعود وتشعر بألم الارتطام بارض الواقع فتتكسر عظامها عظمة عظمة ! بينما تعنيف امها يتصاعد

" اين تأخرت كل هذا يا فتاة ! وهاتفك مغلق ايضا منذ ساعتين ! "

اخيرا توضحت ملامح امها امام عينيها لتتوضح رؤية اختيها الباكيتين المرتعبتين رباب ورقية !

وخلف الغضب الذي رسم ملامح امها لمست ذلك القلق الرهيب .. الرعب .. الحب !

لم تشعر الا وهي تنهار على صدر امها تبكي بنواح رهيب هستيري !

اتسعت عينا ابتهال من هول ما يحدث ! فحبيبة لم تبكي يوما هكذا ...ابدا لم ترها منهارة او بمشاعر هستيرية كهذه ...

امسكت بوجيب قلب الام الذي يدفعها لهستيرية مماثلة قلقا على ابنتها ومارست كل الضغوط لتتماسك وهي تكلم ابنتيها الاخريين الباكيتين بحزم قائلة :





" توقفا عن البكاء هكذا ، اختكما بخير ... دون اعتراض ادخلا للبيت ومنه لغرفتكما مباشرة ولاتغادراها ودعاني اتكلم لوحدي مع حبيبة .."

اطاعت الفتاتان وتحركتا بخطوات مترددة وعيناهما على اختهما حبيبة المنهارة في احضان امهن !

اسندت ابتهال ابنتها حتى دخلت البيت ومنه قادتها لغرفتها ...

كانت حبيبة قد توقفت عن البكاء الهستيري واخذت تنشج ببكاء اقل صخبا واعمق تأثيرا في نفس الام ..

اجلستها امها على السرير وجلست بجانبها بينما حبيبة تتعلق بملابس امها كالطفل الخائف ..

ابتلعت ابتهال ريقها بصعوبة وتماسكها بدا يتضعضع وهي ترى ابنتها بهذه الحال !

لاتعرف لم عيناها جرتا على وجه ابنتها المنهار ثم على ملابسها ...

كتمت شهقة ارتعاب وهي تلحظ زرين من قميصها مقطوعين وقد بان بعض من جسد ابنتها ...

لاشعوريا لفت ذراعيها حول ابنتها بقوة وضمتها بشعور ضخم برغبة الحماية ...

" هل هناك .. من تعرض لابنتي ؟!"

سؤال يقتلها .. يعذبها ... سؤال كانت تتوقع ان تسأله لنفسها في اي يوم .. وكأن رؤية حبيبة بهذه الحالة قد مرت عليها سابقا لكن ليس واقعيا بل في خيالها !







خيالها الذي لايكف عن خلق الوساوس لكل ما قد يثير الفزع و الخوف لاجل بناتها ..

همست لابنتها وهي تبعد خصلات شعرها المتناثرة عن وجهها " ماذا حصل يا حبيبة ؟ اخبريني بنيتي .. لقد اهلكتني رعبا عليك هذا اليوم ..."

تشبثت حبيبة بامها اكثر واكثر ولم تقل الا بضع كلمات بصوتها المتحشرج " دعيني .. انم بجـ..انبك .. الـ..ليلة ..."

رعب الام تضاعف ! لكنها حنانها ولوعتها لخوف ابنتها غلب لتقول لها وهي تربت على جسدها وتقبل جبينها " نامي حبيبتي .. نامي وارتاحي .. وفي الغد لنا كلام ان شاء اللّه "

وهي تراه يدخل الحمام بصمت ليفرش اسنانه قبل النوم كالمعتاد راودتها كلمات ثريا لتسترجعها بتأن وتركيز اكبر ومن وجهة نظر جديدة ... من وجهة نظر محسن نفسه !

هل في يوم اطلقت على زوجها كلمة تدلل واحدة ؟!! انها تقول له حبيبي احيانا ولكن بشكل عفوي وليس عاطفي !

ثم اخذت تحضرها كل كلمات التدلل التي اطلقها عليها محسن منذ اول الخطوبة وحتى عام مضى ...

لم يكن محسن يلتزم بلفظة واحدة معينة بل كان يحب مغازلتها بكلمات مختلفة وبتأثير مختلف ...





احيانا كان يطلق عليها ما يشعرها بانوثتها
كـ(جميلة ... فاتنتي .. معذبة قلبي ..)
واحيانا كان يعاملها باغاظة محببة يشعرها
كطفلته (طفلتي العنيدة .. عاشقة الدلال
... صغيرة العقل التي احبها .. صغرى اطفالي)
اتسعت عينا رحاب وخجلت حتى من تذكر
باقي التسميات ! (بشرة حليبية تستحق القبل
.. اجمل عينين تملكاني بنظرة..)

همستها تعثرت " يا..الهي ... وانا ؟! هل .. دللته
.. يوما ؟! بأي كلمة .. اي كلمة !! بل هل
عبرت عن اي كلمة دون قولها صراحة ؟!! "

صوت انفتاح باب الحمام اجفلها ليطل زوجها
مبتسما لها بهدوء وهو يقول باهتمام بينما
يمسح يديه بمنشفة صغيرة

" هل اخذت المقويات ؟ "

فتحدق فيه ببلاهة في وقفتها الجامدة قرب
منضدة الزينة خاصتها ...

ضيق محسن عينيه قليلا وهو يقترب منها
متسائلا " ما بك رحاب ؟! لماذا تنظرين الي
هكذا ؟! "

ردت بتساؤل يحرقها منذ فترة

" اين الساعة ؟! "

لمحة ابتسامة مرت على شفتيه ليعبس قليلا
وهو يتساءل بلؤم " اي ساعة ؟! "

كزّت على اسنانها وهي ترد " انت تعرف ..!
تلك التي اهدتها لك عديمة الحياء "

رفع حاجبيه باستفزاز وهو يعلق " انها هدية
من طلابي " فزمجرت بحقد " بذوقها هي ..!"





فهز كتفيه بخفة ليرمي المنشفة من يده قائلا ببساطة " ولذلك لم البسها ؟ "

عقدت حاجبيها وهي تسأله " ماذا تقصد ؟! "

اقترب خطوتين ناحية السرير وهو يقول بنفس البساطة " لم تعجبني .. فهي تناسب فتى مغرور متبجح ؟ "

ابتلعت ريقها لكنها أبت اظهار تأثرها لتتكتف وتسأل بحزم " اين هي ؟! "

كان قد وصل السرير فقال بسخرية وهو يرفع طرف الغطاء " من ؟! قليلة الحياء ؟! في بيتها كما اظن ؟ "

قالت من بين اسنانها " ليست قليلة بل عديمة الحياء ؟ وانا لم اكن اسألك عنها بل عن الهدية فلا تناور معي باسلوبك المستفز المتهكم البارد "

تنهد وهو يتطلع اليها ليهمس وكأنه يحدث نفسه " ها قد عدنا ؟ "

تقدمت منه بخطوات حانقة لتسأل بغيظ

" عدنا لاي شيء بالضبط ؟! "

خلع نظارته ووضعها على المنضدة الجانبية قرب السرير وهو يقول بهدوء ظاهري " رحاب انا مرهق وانت حامل فدعينا ننام الآن واجلي اي معارك محتدمة لما بعد الولادة والا انجبت طفلا اكثر عصبية منك "

اتسعت عيناها وهزت رأسها بلا معنى لتتساءل باتهام ضمني " عصبية ؟! الا تلاحظ انك لم تعد تنعتني الا باكثر الصفات انتقادا ؟! "

نظر اليها ليرد باسلوب جامد

" تصبحين على خير .."





هتفت بفقدان سيطرة وقد بدأت الدموع تزحف لعينيها " لا .. كلمني محسن ولاتبقَ على هذا التباعد معي وتتركني اضرب اخماسا في اسداس ! "

ابتسم ليقول بسخرية رقيقة " اتركي دروس الرياضيات وتناولي مقوياتك واخلدي للنوم حتى ..."

ضربت بقدمها الارض لتقول بعناد طفولي " لن افعل ايا مما قلته حتى تعود لطبيعتك معي او على الاقل قل لي صراحة ماذا يجب ان افعل لاعيدك بنفسي "

نظر اليها مطولا قبل ان يقول ببعض الجمود

" لن ينفع يا رحاب فان تكلمت فانك ستغضبين وتبكين وتنهارين ولن ينالنا الا تعكر المزاج وتوترنا الذي سينتقل لاطفالنا "

تلك الدموع الزاحفة بدأت تحتشد اكثر واكثر بينما تقول باضطراب " انا ايضا لااحب التوتر .. ! انا ايضا لااستطيع تحمل جو ملبد بغيوم القلق والكآبة ، اعتبرني مدللة .. طفلة .. انانية ... لكني لااقصد ان اؤذيك ...انا ... " نظرت اليه ودموعا تهطل على خديها لتهمس " انا احبك محسن .. احبك ..."

للحظة ارتعش شيء فيه لكنه قال بانضباط عاطفي بينما داخله يغلي " حقا ؟! تحبينني ! لماذا اذن عندما شعرت بالتوتر والكآبة لجأت في احلامك لابن خالتك ؟ "

رفعت قبضتيها وهي تبكي بحرقة قائلة تدافع عن نفسها بصدق :





" قلت لك انني قضيت طفولة سعيدة وقد شاركني هو اياها فاختي تكبرني بعشر سنوات ولم يكن لي غيره لنتشارك طفولتنا فكان رفيقا لي ومؤنسا لي كلما كنت منزعجة او باكية لسبب او لآخر "

غليانه طفح ليهدر بغضب منفلت " وانا رحاب الم اقدم لك شيئا يؤنسك ؟ يبهجك ؟ ام ان ذلك المتملق السخيف استهواك بكلامه الممجوج ؟! "

كنت تهز قبضتيها بتشنج بينما تردد بألم

" لماذا تؤذيني... هكذا ؟! "

ليهدر صوته متوشحا بالألم هو الآخر " ربما لاني اتوجع من اذيتك لي يا رحاب ! واؤذيك دون اشعر ردا لما اشعر به بسببك "

رددت بعجز " اذن المسألة ليست وسام .. المسألة .."

قاطعها مواجها بكلمات موجعة اكثر

" المسألة انك لاتعرفين كيف تحبيني وكما يرضيني وانا لم ابخل يوما عليك بالحب وربما هذا هو خطئي ..! دللتك اكثر مما يجب وكلما حصل شجار بيننا اكون انا من يبادر لمصالحتك دوما بينما انت تكتفين بتعذيبي ببكائك لساعات "

اخذت تشهق بالبكاء وهو تقول بحرقة

" لاتظلمني يا محسن .. انت تصالحني بكلمة طيبة واحدة بينما .. انا كنت .. احاول احيانا مصالحتك لكنك لست .. سهلا ! دوما ترفضني وتجعلني انكمش فلا اعرف كيف اتصرف ! هل اتوسلك مثلا ؟! "





ضرب قبضة كف بباطن كفه الاخر ليهدر بمكنوناته العميقة " انا زوجك ! لامعنى للتوسل الذي تقولينه .. لو كنت تحبينني حقا لما استكثرت علي بعض الالحاح .. لما يئست من المبادرة لمجرد اني لا الين بسهولة لمحاولاتك الصلح ، لكن الامر ليس هذا فقط ... ليس هذا .. وانا عاجز عن افهامك!"

ثم شتم بعنف افزعها ليتسدير موليا اياها ظهره فتقدم ناحية السرير اكثر ورفع الغطاء بعنف واضطجع تحته ...

رغم اغماضه لعينيه كان يشعر بتحركاتها ويعذبه صوت نشيجها ، لحظات وشعر باطفاء الانوار ثم تسللها الحزين للسرير ...

لا يعرف كم مر من الوقت لكنه لم يحتمل ! التاع قلبه لبكائها الذي لم يتوقف فاستدار اليها ومد ذراعيه ليلف جسدها باستسلام امام كبريائه ، اما هي فقاومته للحظات وهي تهمس (ابتعد) لكنه اجبرها على تقبل احتضانه فسكنت اليه ببعض التصلب بينما تكتم شهقات بكائها ..

تحركت عاطفته نحوها وهي بهذا الضعف ، لايعرف كيف اخذ يبثها مكنونات قلبه الملتهبة بعشقها وهو يقبل وجهها ويهمس

" ماذا افعل بك وانت تسيطرين على كل جوارحي ، لم اعد قادرا على ادعاء البرود والسيطرة ! اضعف امامك واشتاق اليك كشوق طفل لايرويه الا حضن امه" ..





اخذت تهمس من بين شهقاتها

" لا .. انت ..كا...ذب"

تنهد بحرقة وهو يفقد سيطرته على نفسه

هامسا من بين اتون عاطفته " ماذا افعل بك ؟!

ماذا يا رحاب ... قولي لي ماذا افعل ؟ "

عند الفجر

تقف في شرفة الجناح الذي استأجره رضا في

هذا المنتجع الهادئ في الجزء الشمالي من

البلد ، تملأ رئتيها بهواء الجبال البارد ،

فتنتعش وتشعر بالتفتح للحياة كما لم تشعر

في حياتها ...

ابتسمت برقة وهي تحمر من افكارها التي

تدور حول هذا الرجل الذي شاركته الحياة

فيذوبها في روحه قبل عاطفته ...

" آسيا ..."

صوته الاجش يأتيها من الداخل فعلمت انه

انهى صلاته ويوشك على انهاء تسابيحه...

تحركت بازار الصلاة لتدخل فرأته جالسا

باسترخاء على الاريكة البيضاء في غرفة

الجلوس الصغيرة بينما تأسرها حركة ابهاميه

وهو يمررهما على اصابعه الاخرى في تسبيح

متناغم ...





كان يرفع ساقيه ليمددهما على الاريكة امامه فابتسم لها وربت بيده على حجره في دعوة ناعمة لتجلس هناك ..

توردت وهي تطأطأ رأسها لتقترب على استحياء وللحظة وقفت بجانبه عاجزة عن ابداء هذه الاريحية لتجلس في حجره ...

دون كلمات انهى ترددها وهو يسحبها لتجلس حيث اراد ثم أمال راسه ليطبع قبلة على وجنتها الدافئة هامسا بشغف " لاتبتعدي كثيرا ..انا مشتاق دوما .. مهبول ابدا .. مجنون على اقل تقدير .. "

ضحكت بخفر ثم تلاهت عن خجلها منه وهي تمد يدها لصحن قريب وضع فيه انواع متنوعة من الفاكهة فالتقطت بضع عنبات فترفع واحدة لفمها بينما رضا يراقبها باستمتاع ...

همس لها وهي تأكل حبة ثانية

" الا تطعميني مما تأكلين ؟! "

ضحكت مرة اخرى ومدت يدها بعفوية نحو فمه فتلتقطها شفتاه بشغف ثم اخذ يلثم باطن كفها وهو يهمس " كل يوم كنت اراقبك تطعمين الحمام بهذه اليد الناعمة فاتمزع غيرة وحسدا و .. يأسا ! "

سحبت يدها من قبلاته بارتعاش وهي تطرق براسها فتعلقت نظراتها على يده اليمنى ليطالعها ذلك الخاتم الذي لايفارقه ..





لمست الخاتم بعفوية وسألته " خاتمك جميل وتبدو معتزا به لدرجة لايفارق يدك "

امسك اصابعها التي تلامس الخاتم فرفعها لشفتيه يقبلها وقال " هو خاتم صاغه لي والدي بنفسه عندما بلغت الثامنة عشرة "

ثم تبسّم بحنان للذكرى وهو يضيف ببعض الشرود " قال لي انت رجل العائلة من بعدي يا رضا ، حملك ثقيل لكنه قدرك وانت اهل لتواجهه ... وهذا الخاتم سيذكرك دوما بمسؤولياتك .. انه صوتي الذي سيرافقك بعد مماتي ليذكرك دوما انك بكري .. فخري ... انك صاحب القرار فتأنى بالحكمة ... انك حامي الحمى فلا تتهاون نحو اي خطر محدق ... انك خادم الصغير قبل الكبير فابذل لهم كل طاقتك ... "

لم تعقب آسيا بشيء وقد فاض قلبها انتماء اليه عشقا فيه وغراما مدلها به وبكل ما يمثله من رجولة حقة ، ثم فاجأت نفسها كما فاجأته وهي تمد وجهها نحوه لتطبع قبلة ناعمة على لحيته ....

رفع عينيه اليه وقد توشحت نظراتهما دهشة ناعمة فضحكت لتطرق وهي تحمر فمد يده ليرفع وجهها اليه يسألها بوجد " لاايام نسيت سؤالها وانا غارق فيك ..."

رمشت وهي ترفع وجهها لتتطلع لعينيه هامسة " ماذا نسيت ان تسأل ؟!"





طبع قبلة اكثر حرارة على شفتيها ليعاود التحديق في عينيها ويهمس بصوت مبحوح " ان اسألك قول كلمة (احبك) لتمر عبر هاتين الشفتين "

عضت شفتها السفلى وهي تسبل اهدابها خجلا فمرر ابهامه على تلك الشفة المشدودة ليهمس " ارخيهما ودعيهما يمنحاني ما اريد يا اميرة البنات "

لم تستطع قولها وهو يلامسها هكذا فقال بصوت رجولي والحاح رقيق " اذا كنت تحبينني حقا قوليها الآن .. الآن آسيا ... "

احمرت اكثر واكثر بينما يعاود تقبيل خدها يحثها بهمس متلهف " قوليها يا توأمة القلب سأجن لسماعها الآن ..."

ابتعدت قليلا عنه ثم رفعت عينين لامعتين كالجواهر الداكنة اليه وابتسمت بارتعاش لتهمس له " احبك ..."

يداه تعتصرانها بينما ارخى جبينه على جبينها ، انفاسه خشنة ككلماته التي همستها شفتاه " انت لاتعرفين ما نطقت به للتو ! اقسم بعزة جلال الله لو مت الآن فلا اهـ...."

قاطعته هبة ريح مسكها العطر وهي تهفو اليه بجسدها تلتصق بصدره وتلف ذراعيه حول رقبته تضمه اليها بلهفة اضنته شوقا





لتقول بحشرجة " لاتقل هذا ... حفظك اللّه من كل سوء .. حفظك اللّه لي ... انا احبك رضا ... يا رضا القلب ..."

جن جنونه وهو يخلع عنها ازارها ولهفته الثائرة تقابلها لهفة ناعمة متدفقة منها ...

" حبيبة .. بنيتي حبيبة .. استيقظي..."

صوت امها تخلل سباتها الكئيب ! رغم النوم العميق الدافئ وهي تتمسك بملابس امها كطفلة صغيرة تخشى الكوابيس لساعات الليل الا ان جسدها لم ينل راحته ! وكيف يرتاح ؟!! كيف ؟!!

دموع حارة غزيرة انسابت من مقلتيها فتتفتح اجفانها طواعية لمواجهة الواقع ....

يد تعرفها اخذت تمسد على شعرها بحنو بينما همس الام اصطبغ بالقلق وهي تقول

" ماذا يحدث معك حبيبة ؟! فقط صارحيني ... انت كنت في حالة ارتعاب غير عادية طوال الليل ! "

لم تجب حبيبة بينما تزداد غزارة دموعها والام تشعر بالعجز !

همست لها وهي تقبل رأسها " ألن تذهبي لعملك اليوم ؟! "

انتفضت حبيبة لتقول بصوت متحشرج غريب " لا .. لا ... لن اذهب ... لن اذهب ابدا ! "





سألت امها باضطراب والرعب يتملكها " ماذا حصل لك هناك ؟! اخبريني حبيبة ... لاتتركيني للوساوس هكذا ... "

اخفت حبيبة رأسها بين ذراعيها لتهمس بتوسل باك " لاتسألي اماه ... فقط اتركيني لبعض الوقت ... انا ... انا مرهقة جدا .. منهكة لحد الألم ! "

تنهدت امها وهي تبتعد عنها هامسة " ارتاحي صغيرتي ، انا ساعد الفطور لاختيك وسأنتظرك لافطر معك متى ما استيقظت .."

مختبئة في تلك الظلمة الصغيرة ، خجلة من نفسها واحساس بالعار يسخر منها !

العار ... اي شعور قاتل هو ؟!!

حاصرتها ذكريات ما حدث ففرضت نفسها عليها في ظلمتها المضحة التي تتستر بها عن عيني والدتها ...

في اي لحظة بالضبط شعرت بحقيقة وجدية ما يحدث؟! هل عندما امسك ساعديها وهو يعترف بما اسماه الحب او عندما حاوطها بذراعيه كاخطبوط ثائر !

اخذت تشهق بالبكاء وقبضتاها تتقلصان مع ذكرى قبلاته الاولى لوجهها ... تلك القبلات التي كانت كالنار تلسعها بخبث فتضحك من استسلامها البائس وانهيارها البغيض ...

تلك اللسعات هي من ايقظتها حقيقة ! لكن للاسف بأوان متأخر !





كانت تشعر بالاختناق واطرافها مشلولة

كلسانها بينما تحاول الاعتراض بوهن ، لكن

الوهن تلاشى حالما .. حالما شعرت بشفتيه

الجائعتين تلتهمان شفتيها !!

" آآآآآآآآآآآآآه ..." تأوه اطلقته انفاسها لتلك

اللحظات العصيبة التي حطمتها ...

ذلك الحقير لم يترك لها مجالا للافلات

وفجأة شعرت وكأنها تصارع عملاقا ! عملاقا

شرسا لايعرف الرحمة !

دوما كانت قوية البنية وتصورت انها قادرة

حتى على العراك مع الفتيان لكن لم تواجه

يوما رجلا يفقد انسانيته امام حيوانيته ...

اخذت حبيبة تشهق وتردد " لقد حاولت ..

حاولت دفعه .. رفسه ... تحرير ذراعي

المكبلتين لضربه ... لكني .. لم استطع ..

لم استطع وهو ينتهك حرمة روحي قبل

جسدي ...."

انها حتى لم تعلم هل كانت تصرخ ام ان

صوتها انحشر حشرا فلم تنبس ولا بحرف بائس

واحد ؟!

يبدو كل شيء غريبا وهي تستعيده الآن ،

وكأنهما كانا داخل زجاجة تعزلهما تماما عن

كل شيء حولهما ...





لازالت تشعر بيديه على جسدها .. تلامس بشرتها بوحشية جمدتها رعبا ! ولم تشعر الا بألم ارتطام جسدها من الخلف بحافة صلبة لتدرك بهلع انه حشرها بين جسده الثائر بالغرائز وبين .. مكتبها هي !

عندها فقط انطلقت حجنجرتها من أسرها لتسمع صوت صرخاتها .. عندها فقط بدأت الزجاجة العازلة الخانقة بالتصدع ... ولم تشعر الا وشفتاه تغلقان شفتيها بقسوة ثم لحظات لتسمع صرخته شاتما وهو يبتعد قليلا ليواجهها منظر شفتيه الداميتين فادركت انها ببساطة هي من عضتهما !

بارتعاد غريب تنظر لوجهه الذي بدا كوحش مقزز ! عينان جاحظتان بجنون مشاعر مختلطة بين اثارة وغضب وشفتان يسيل منهما الدم فادركت لحظتها انها وقعت في قبضة اسوأ الوحوش البشرية في احلك لحظاتها عنفا وبدائية !....

لم تدري حبيبة وهي غارقة بماساة الامس انها كانت تنوح بصوت مرتفع جدا حتى جاءها صوت امها يسابق احتضانها وهي تقول بولولة

" استرنا يا رب .. استرنا يا رب .. ماذا حصل لك بالامس ... اخبريني والا سأموت رعبا حبيبة ... لن اتركك مرة اخرى حتى تخبريني ... ارحمي امك حبيبة ....
صارحيني ... هل هناك من تعرض لك ..
اخبريني ... اخبريني ...! "





تنظر اليه بلهفة مخفية وارتباك حقيقي بينما تراه يلتقط سترته الصيفية ليرتديها باناقة فوق قميصه ...

ليلة الامس كانت ليلة حافلة بكل المقاييس ! عاطفة متدفقة منهما معا وكلمات متعثرة تفيض بالعشق منه هو..فقط!

لتنام هانئة بين ذراعيه المتملكتين ضاغطا رأسها على صدره ..

استيقظت عند الفجر فكان متراخ لتسحب نفسها منه وتتجه ناحية الحمام ....وبينما تأخذ حمامها شعرت بالخزي !

انها حقا غبية ... طفلة انانية كما وصفها تماما ! والا فما معنى تخاذلها عن تنفيذ ما قررته ... صمتها السخيف بدل التعبير عن عاطفتها ..

ماذا تريد اكثر من رجل محب وعاشق مثل محسن ؟! ماذا يعني ان طباعه صعبة احيانا ؟! انه رجل رائع واب مميز وعاشق حقيقي لها ..

" رحاب ... لماذا لاتكملين ارتداء ملابسك ؟ سنتأخر ..."

صوته اخرجها من تبلدها السخيف وذكريات الفجر المخزية!





عقدت حاجبيها قليلا واخذت نفسا عميقا بينما عيناه تتطلعان اليها ببعض الدهشة والتساؤل ...

تحركت بعزم نحو خزانتها لتفتح بابها وتميل منحنية بجسدها لارضية الخزانة في اقصى الزوايا !

ومن هناك سحبت العلبة المربعة الكحلية .. الخجل يقتلها ! ليست المرة الاولى التي تهديه شيئا بالطبع لكن ... هذه المرة .. مختلفة !

تطلع محسن لتلك العلبة التي تمدها رحاب نحوه وقد بدت مرتبكة متوردة الوجنتين لتقول بتلعثم " اشتريت .. لك هذه .. منذ فترة .. منذ ..عرس .. رضا وآسيا ..."

ارتفع حاجبا محسن قليلا ثم مد يده ليلتقط منها العلبة وحالما فتحها انتابته رغبة عارمة بالـ... ضحك !

كان يجاهد لكتم تلك الرغبة بينما يدعي الهدوء وهو يتساءل ببراءة

" هل هذه الساعة لي ؟! "

ابتأست عيناها الجميلتان وهي تقول بقلق

" ألم تعجبك ؟! "

رد وهو يسبل اهدابه متعمدا ليخفي مشاعره

" لم اقل انها لم تعجبني ، لكني مستغرب لماذا لم تقدميها لي في عرس رضا ؟!"

ردت بتحشرج " لا .. اعلم ... خجلت .. انا .."





رفع عينيه اليها وسأل برقة " انت ماذا ؟! "

ارتبكت وهي تمرر اصابعها في شعرها بينما تتنحنح وتقول " انا فخورة بك .. وانت تستحق رئاسة القسم بجدارة .. ولا .. اقول هذا لانك زوجي .. ولا لاني ... احبك .."

همسه داعب خديها بمناغشة رقيقة " اصبحت تكثرين من قول احبك يا جميلة ، مرتين خلال اقل من اربع وعشرين ساعة ؟!! يجب ان نسجلها في التاريخ ! "

كتمت غيظها وبدلا من ان تنفجر فيه رفعت ذراعيها بتردد وتعلقت يداها باكتافه هامسة له امام شفتيه " مبارك حبيبي .. اسفة لاني لم اقلها لك واعبر عن فرحتي كما يجب ..."

عيناه تعلقتا بشفتيها للحظات ثم قال بصوت خشن " شكرا ..."

" ماما .. لااجد جوربي الاحمر ! "

التفتت رحاب نحو سامي الذي دخل الغرفة دون استئذان كعادته وقطع عليهما اللحظة ! وها هو يقف محدقا في والديه بطريقة طفولية تفيض تحليلا صامتا لوقوفهما متقاربين هكذا!

حاولت رحاب الابتعاد عن زوجها عندما شعرت بكف محسن تمسك خصرها فتحاملت على شعور الخجل والارتباك لتثبت حيث هي وتبتسم لسامي قائلة ببشاشة " اسفة حبيبي انه ما زال في الملابس المتسخة .."





فيرد سامي بعبوس " اليوم ساستلم شهادتي واردت ارتداء جوربي الاحمر دون غيره ؟ "

احمرت رحاب من ملامسة زوجها الحارة لخصرها بينما ترد بتعلثم على سامي

" لا ... بأس ... يا حبيب القلب ، ارتدِ... اليوم جوربا كحليا كجورب.... بابا ؟ ستبدو انيقا مثله ... "

ازداد عبوس سامي وهو يتذمر قائلا " انا طفل صغير ولست مثل بابا ؟ "

ثم استدار حانقا ليغادر الغرفة ورحاب تقاوم الهرولة خلفه لاسترضائه بينما لديها طفل كبير بجورب كحلي حدسها يخبرها انه يريد استرضاء من نوع آخر ...؟

نظرت رباب بطارف عينيها لاختها رقية وهما تجلسان جنب بعض تقريبا على الاريكة الواسعة بغرفة الجلوس يفترض انهما تتفرجان سوية على المسلسل الدرامي الذي تتابعانه بشغف ، لكن ما يحدث انهما تجلسان شبه متصلبتين والصمت المطبق يفرض سلطانه عليهما ؟ وهذا حال رقية منذ ايام ... منذ يوم العرس تحديدا وهي تمتنع عن التكلم معها ولا ترد الا بجمل كبتورة على اسئلتها المعتادة ؟ ..

لاول مرة رقية تلتزم نوعا من الغضب الصامت ؟ بدأت رباب تشعر ان الامر اكبر من حنقها على الفستان الزهري الذي لم يرضِها ...





الامر يتعداه ويحوم حول السبب الرئيسي لخيبة امل رقية بذلك الفستان .. انه الكائن الكئيب .. عبد الرحمن !

مؤكد خاب ظن رقية لانها ارادت ان تكون ملفته كفتاة جميلة امامه ...

حتى ما حدث بالامس وما اثارته حبيبة من ذعر لديهن لتأخرها في العمل وعودتها بحالة بكاء غريب لم يجعل رقية تخرج من دائرة هذا الغضب الصامت ...

شعرت رباب بالضيق ! فمن جهة حبيبة وحالتها الغريبة التي فسرتها لها امها انها مشتاقة لآسيا وتشعر بالافتقاد لوجودها وحنين لوالدهن المتوفي منذ عام .. ومنها حالة رقية العجيبة البعيدة عن طبيعتها العفوية التي لاتكتم شيئا في قلبها فيفضحه لسانها .....

تمتمت رباب في سرها

" متى تعود اسيا ؟ متى؟!! "

عادت رباب لتنظر لاختها الصغرى ، انها لاتطيق رؤية رقية منزعجة ، دوما تراها طفلة صغيرة رغم كل محاولاتها لان تبدو كبيرة وناضجة !

باشفاق وحنان مدت رباب يدها لتمسك بيد رقية ففاجأتها رقية بسحب يدها بنوع من العنف والحدة !





رمشت رباب لردة فعلها هذه ثم عبست بحنق لتقول لها بحزم " ما بك رقية ؟! متى تنتهي مقاطعتك الطفولية لي والتي لاأعرف لها سببا !! "

عندها انفجرت رقية وهي تقول بغضب واضح

" لاتدعينني طفلة مرة اخرى ! ابدا لاتفعلي هذا ... يكفي ما فعلته بي بيوم عرس اسيا وجعلتني ابدو كطفلة سخيفة ! "

زمت رباب شفتيها قبل ان تقول بتماسك " الا تكفين عن تذمرك بسبب ذلك الفستان ؟! ما معنى غضبك المستمر هذا ؟!! "

عندها صدمتها رقية بالقول المتفجر " لم اظنك لئيمة ابدا لتظهري نفسك كفتاة جميلة امامه ! "

اتسعت عينا رباب وهي تسأل " من تقصدين ؟!"

فردت رقية بانفلات وهي تغادر الاريكة لتقف على قدميها بتحفز " اقصد عبد الرحمن يا رباب ! الذي لم يكف عن ملاحقتك بنظراته طوال العرس ! "

الجمتها المفاجأة فلم تتمالك رباطة جأشها لترد قبل ان تتركها رقية وتغادر غرفة الجلوس بأكملها !





علت الزغاريد باستقبال العروسين العائدين من شهر العسل الطويل وتناثرت حبات الحلوى الصغيرة ذات الالوان المبهرجة فوق رأسيهما من الاهل والجيران بينما اطفال الحي يتجمعون ويلتقطون الحلوى من الارض في تسابق مضن !

دمعت عينا بدرية وهي تتلقف رضا في احضانها ، لقد بدا اصغر بعشرين عاما ! وكأنه عاد ذلك الفتى العشريني الذي يفيض رضا كأسمه بالضبط ....

وسط دخول العروسين للبيت لم تنس بدرية امساك ذراع ابتهال لتجرها جرها لتدخل هي الاخرى وفي ذيلها الصغيرتان رقية ورباب ...

كانت ابتهال تبكي وهي تعانق آسيا بشوق امومي متدفق واسيا لم تختلف ببكاء الشوق عن امها وتضمها هي الاخرى وتضم اختيها الصغيرتين ايضا ....

تمنت بدرية لو وجدت رفيدة الشجاعة لاستقبال العريسين لكنها رجحت خجلها وحرجها من ابتهال فاعتكفت بغرفتها ....

همست في سرها وهي تحدق في وجه آسيا الناضج بالبشر والسعادة " لابأس ... اشعر ان هذه الفتاة ستكون البلسم الشافي لكل الجروح ... "





جلس رضا متوسطا أميّه ، سعاد من اليمين وبدرية من اليسار وقد اغرقاه بالاسئلة المتدفقة دفعة واحدة وبالتناوب وكأنهما اتفقتا عليه !

(اين ذهبتما .. كيف كان الجو هناك ... هل زرتما هذا المكان ؟ ... هل اشتريت لها الهدايا ؟ هل كان المنتجع جميلا ؟ وهل وهل وهل ....)

وهو يرد عليهما بسلاسة وابتسامة ناعسة بينما عيناه لاتبتعدان عن عروسه التي تنام على صدر امها كطفلة ...

هل هو مجنون ام انه يشعر بالغيرة لانه يريدها على صدره هو فقط ! وربما لانه لم يتشبع بحقيقة انها زوجته حقا ويحتاج لمزيد من التأكيد ...

الشهر الذي قضاه معها منفردين لم يكن عاديا ولا يحمل صفة الواقعية ! شعر انه كان خارج الزمن معها وكأن عمره توقف ليعيش اللحظة بالف يوم ويوم ....

صوت امه بدرية جذبه من النظر لعروسه بينما تقول بفخر " الجناح اصبح رائعا ، ابوك ابو عبداللّه اخرج كل مواهبه التي ركنت على الرف بتقاعده عن مقاولات البناء ، لقد مارس تعذيبا حقيقيا على العمال لينهوا كل شيء في وقت قياسي ..."





أمال رضا رأسه ليقبل ظاهر يد امه بدرية وهو يقول " لا حرمني اللّه منك امي ولا من ابي جاسم ..."

ثم التفت ناحية امه سعاد يراعي غيرتها التي يعرفها ليضمها لصدره ويقبل رأسها قائلا

" لاتعلمين كم افتقدتك أماه ، افتقدت النظر لوجهك وزياراتك لي عند صلاة الفجر ... ابقاك اللّه فوق رؤوسنا ومتعك بالصحة وطول العمر ... "

اشرق وجه سعاد وهي ترفع رأسها لتقبل لحية بكرها وهي تقول بتأثر " يا حبيب امك .. انا من افتقدتك ولااطيق هذا البيت بدونك .. لااطيق ان لاارى وجهك الغالي كل يوم"

عندها ادّعت بدرية العبوس وهي تميل برأسها نحوهما لتهمس " لكن لاتفضحينا يا امرأة وتستمري بنفس العادة فتزوري بكرك الغالي عند الفجر ! انه متزوج الآن وقد تجدينه في وضع مريب مع عروسه اذا قفزتِ عليهما وازعجت خلوتهما بهذا الوقت المبكر ! "

كتم رضا ضحكة رنانة حتى لايغيظ امه سعاد اكثر بينما يسمعها ترد همسا على امه بدرية قائلة بحنق شديد " لاتتدخلي بعلاقتي مع ابني ! ثم اني لست عديمة الاحساس ولا افتقد العقل لادرك وضعه الجديد ! ام انك نسيتِ انه سبق وكان متزوجا ولم افعل ما يحرجه ..."





رفعت بدرية يدها لفمها تعض سبابتها وتهمس بتأنيب " وتقولين ان لديك عقل ؟!! ما الذي دهاك لتذكري سليطة اللسان الآن والفتى دخل للتو مع عروسه ! "

احمرت سعاد ارتباكا لتعبس هامسة " فلتة لسان ! ماذا حصل اذا افلت لساني بكلمة ؟!! ثم كفي عن همسك والا ظنت ابتهال اننا نتهامس عليها ! "

تنحنح رضا وقال ليفض النزاع الهامس هذا

" حسنا العريس يريد رؤية جناحه .. لكن قبلها سأذهب لرؤية رفيدة .."

ثم تلفت وهي يضيف " اين عبد الرحمن ومحسن ؟! "

تحرك سامي ليغادر حضن امه التي كانت تحادث ابتهال وآسيا واقترب من عمه متبرعا بالاجابة " عمي عبد الرحمن كان يدور حول البيت منذ ثلاث ايام ينتظر نتيجة الامتحان ولما تأخرت بالوصول ذهب لمدرسته ليسأل عنها ، وابي لديه عمل في الجامعة وسيعود قريبا .."

ضحك رضا وهو يمد ذراعيه لالتقاط جسد سامي فاجلسه على ركبتيه وقال " وكيف علمت انه يدور حول البيت منذ ثلاث ايام ؟! ومن قال لك ان النتيجة يفترض ان تصله البيت ؟!! "





رد سامي بابتسامة فخورة " كنت اراقبه من شباك غرفتي وعندما سألته لماذا تفعل هذا قال انا قلق بانتظار نتيجة امتحاناتي .. "

بينما يتضاحك الجميع من كلام سامي لمحت آسيا وجهي رباب ورقية يتغيران بشكل عجيب لم تفهمه !

فرباب شحبت قليلا وبدا عليها الارتباك الواضح بينما تطالع وجه رقية التي احمرت بشدة وقد ظهر عليها خيبة الامل بوضوح !

نظرت اسيا لامها فسألت " كيف هي حبيبة ؟ انها في عملها الآن اليس كذلك ؟"

فتفاجأت اسيا بتعابير امها التي وجمت لتقول بغموض " اجل .. انها في عملها ..."

فتتدخل رقية بالقول " اليوم اول يوم لها بعد اجازتها الطويلة التي امتدت لثلاثة اسابيع...."

ارتفع حاجبا اسيا عجبا بينما تسال امها " هل كانت حبيبة مجازة لثلاثة اسابيع ؟!! لم تفعلها ابدا من قبل ! "

ردت الام بنفس الوجوم " اجل .. لم تفعلها من قبل لكن .. للضرورة احكام ! "

لم تفهم آسيا ما تعنيه امها بكلامها عن حبيبة ! لكنها شعرت بالقلق ! كما ان الفتاتين لاتبدوان على طبيعتهما ...

خيال ظللها جذبها من تساؤلاتها الصامتة فرفعت رأسها لترى رضا بابتسامته الصغيرة يقف قربها تماما ثم مال نحوها هامسا





" انتظريني هنا يا اميرة البنات ، سارى رفيدة ثم اعود اليك فنذهب سوية لرؤية جناحنا.."

نظرت لساعتها التي تقارب الحادية عشرة ! انها هنا منذ الصباح الباكر لكنها عجزت عن ولوج مبنى الشركة ، بل عجزت حتى عن الاقتراب !

منذ ساعات وهي تجلس في هذا المقهى البسيط تطلع عبر الشارع للمبنى امامها وعيناها تلتقطان من بعيد هيئة حارس الامن الضخمة ..

شهاب ... انه شهاب حتما فلا احد يفوقه طولا وعرضا من بين حراس الامن ... كيف ستتصرف معه وكيف ستواجهه ؟!!

ارتجف كلها .. داخليا وخارجيا ... بينما السؤال يفترض ان يكون ..

كيف ستواجه ذلك السافل ؟!

وكيف ستتعامل مع ما حصل ؟!

" استقيلي حبيبة .. اتركي المكان واستقيلي ... والف شركة تتمنى موهبتك .. ليس لديك خيار آخر ولولا خوفي على سمعتك لكان لي تصرف اخر مع ذلك الحقير الذي تجرأ على التحرش بك ...





مع اني اعرف انك تتحملين جزءا من الذنب بتصرفاتك الرعناء ! "

كلمات امها الحازمة ترن في اذنيها وقد كانت خاتمة تلك المواجهة الرهيبة معها ...

ان امها لاتعلم ... لاتعلم بكل ما حصل هناك نهاية ذلك اليوم البائس قبل ثلاثة اسابيع ! ولو علمت لادركت في اي حال هي !

ارتجف جسدها بارتعادة قوية فاغمضت عينيها للحظات ولملمت كل فتات الشجاعة المبعثرة لتقف على قدميها وتغادر المقهى اخيرا وتواجه ... مصيرها ....

اولى العقبات كانت عينا شهاب ! حارس الامن الذي ناظرها بنوع من الجمود والصمت المعبر ! لم تكلف نفسها عناء الابتسام له مدعية ان لاشيء حصل فاكتفت بهز رأسها بتحية صامتة فيرد لها التحية بمثلها فتدخل المبنى تعاند ارتجاف ساقيها ووهن نبضات قلبها ...

اخيرا هي داخل المصعد .. اخذت نفسا عميقا مرتعشا بينما يتوجه بها للطابق المطلوب وحالما فتحت الباب واجهتها حركة الموظفين المعتادة ...

شعرت بالصخب يلفها ويخدر احاسيسها المرتعبة للحظات فقط ! اجل انها مرتعبة في داخلها ! هل .. هل هناك ... من يعرف ؟!!





اول من استقبلتها كانت موظفة الاستقبال التي سارعت للالتفاف حول مكتبها مقتربة من حبيبة لترحب بعودتها بعاطفة شوق وافتقاد صادقة ..

ابتسمت لها حبيبة بارتعاش ثم توالت الاستقبالات وهمهمات الترحيب تخللتها همسات بآخر الاخبار التي فاتتها ... التغيير الذي حصل بالادارة و.. التحاق لاحدهم واعتذار لآخر وكلام كثير مسترسل دون توقف ، لكنها لم تنزعج من كل هذه الثرثرة ، بالعكس شعرت بتباعد الارتعاب عنها وادركت ان شهاب لم يتكلم فعلا !

تحركت قدماها بتلكؤ ناحية مكتبها الذي تشغله مع ثلاث موظفين اخر وقبل ان تصل الباب جاءها صوت شرس حانق هامسا قرب اذنها بنفث لاهب " ها قد قررت الجبانة الصغيرة والمنافقة الكبيرة الخروج من جحرها العزيز الآمن ! "

موجة غثيان انتابتها وجسدها ينتفض مبتعدا عنه بعنف لاارادي الى الجانب المعاكس له ..

تحركها كان شديد العنف والتشوش فلم تشعر الا وهي ترتطم باحدهم فشقهت بشحوب وجسدها يتلامس بعفوية مع جسد رجولي ..







فتحركت بعنف اخر اوشك ان يفقدها توازنها فتقف بين الرجلين وهي تتنفس بهدير صاخب !

حدقت بارتعاب في وجه الرجل الآخر وقد بدا غير مألوف لها في الشركة ، كان ينظر اليها ببعض العجب وعيناه الزرقاوان بلونهما الغامق تفيضان تساؤلا وحيرة فينقل نظراته لمهند ويسأل بصوت عميق " ماذا يحصل هنا ؟! "

كانت حبيبة تعاني حالة مروعة وهي تشعر ان ساقيها ستخذلانها في اية لحظة ...!

حتى جاء رد مهند بصوت أجش يكتم غضبه " لاشيء سيد يحيى .. كان خطئي لاني فاجأت الانسة حبيبة من الخلف لاسلم عليها بعد غيابها الطويل عن الشركة "

ثم تطلع مهند بنظرة غامضة لحبيبة قائلا بنوع من السخرية المبطنة " ويبدو انها كانت سارحة تماما فلم تشعر بخطواتي التي لاحقت خطواتها ... "





الفصل الثالث عشر

تتعلق بكتفيه .. تتشبث به بشوق صامت لايحتاج للكلمات ، تلك رفيدة التي خنقتها العبرة وهي ترى توأمها يدخل عليها غرفتها متذكرا اياها ومدركا لاسبابها التي جعلتها تختبأ في غرفتها ..

ضمها رضا وهي يبتسم بحنو ويقول " اشتقت اليك اختاه لكني عاتب عليك انك لم تكوني باستقبالي .."

مرّغت وجهها في صدره مدركة انه لايعني العتب فعليا بقوله هذا وانما يناغشها بمحبة ويلاطفها باحتواء ....

قبّل راسها ثم قال " انزلي معي الآن يا رفيدة وسلمي على الجميع ، لقد اتفقنا انك ستطوين صفحة الماضي "

هزّت رأسها برفض لتقول بضعف " فقط امنحني مزيدا من الوقت اخي ، القليل من الوقت ..."

تنهد رضا بينما تضيف رفيدة لاسترضائه " انا فكرت جيدا كما طلبت مني ..." ارتبكت قليلا وهي تكمل بتوجس " اقصد موضوع .. الطفلة .. انت .. تذكره اليس كذلك ؟؟"

رد رضا بابتسامة حنونة " وكيف انساه ؟! امر يهمك لهذا الحد لايمكن ان انساه ..."







اخذ يمسد شعرها القصير الناعم وهو يقول برفق " حسنا تبدين على نفس قناعتك بالموضوع "

ردت رفيدة بحماسة رغم التخوف في عينيها

" اجل .. متحمسة جدا اخي ... "

عاد ليقبل رأسها ويقول " حسنا .. اعدك منذ الغد سأبدأ التحرك ..."

شعر رضا بالشفقة عليها وهو يراها تبدو كطفلة مبتهجة ، ورغم شفقته الا انه شعر ببعض الراحة لانها اقدمت على تفكير ايجابي يخص حياتها لاول مرة وكم يتمنى ان تكون مدركة حقا للمسؤولية التي ستقدم على حملها .. فتربية طفل ليست لعبة وعليها ان تتعلم كيف تكون اما حقا ....

عاد ليبتسم ويقول ببشاشة " الآن دعينا نجلس و اخبريني بالتفصيل .. ماذا حصل في البيت اثناء غيابي ؟!! "

تسحبها الحاجة سعاد بيد وترتكز على عصاها باليد الاخرى وهي تبتسم وتقول بمرح " لاتقولي عني اصبحت عجوزا يا كنتي ! فأنا لم اتخطَ الستين وهذه العصا المشؤومة بسبب الروماتيزم فقط ! "





تضحك اسيا بصعوبة بينما عيناها تتنقلان حولها ووجل غريب يتملك اعماقها دون تفسير واضح !

كان البيت واسعا وبفضاءات كبيرة مريحة للنفس غالبا وبلمسة دفء محببة ، السقف مرتفع اكثر مما اعتيد عليه في البيوت التي دخلتها في حياتها والشبابيك كبيرة فتتخللها اشعة الشمس باضطراد ، لقد سبق ودخلت بيت الحاج عقيل بضعة مرات وهي صغيرة لكنها من النوع الخجول ولاتدقق النظر حولها ....

كانت اسيا غارقة بوصف اجزاء البيت الذي اسهبت به حماتها وبكل فخر بينما اسيا تشعر كمن ينتزعها من ارض ألفتها ليغرسها في ارض جديدة رغم خصوبة ارضها وزهو زرعها الا انها تشعر بالتوجس من مد اولى جذورها فيه ...!!

عندما غادرت امها مع اختيها رباب ورقية قبل قليل شعرت آسيا بالبرودة الشديدة واخفت باتقان احساس الغصة الذي اطبق على حنجرتها وذاك الضيق الذي اثقل صدرها .... كم كانت تتمنى تواجد رضا معها في تلك اللحظات العصيبة عليها ...

جذبها صوت انفتاح باب لترى آسيا نفسها امام باب خشبي مزخرف بينما حماتها تقول ببهجة " سأريك غرفتي حبيبتي وبعدها ساصعد معك للطابق الثاني .. يبدو ان رضا ستطول جلسته مع رفيدة "





هزّت آسيا رأسها برفق بينما عقلها يشرد مع التعابير التي واكبت اعتذار امها السريع لتنسحب مع الصغيرتين ، لقد بدت قلقة وهي تلقي ملاحظة عابرة عن حبيبة واحتمالية تركها للعمل !

لاشعوريا عقدت آسيا حاجبيها وهي تفكر بغرابة هذه الملاحظة ! فاختها حبيبة تعشق عملها بل مهووسة به واصحاب الشركة يهتمون بها ويقدرون موهبتها الخاصة التي تدر عليهم المال .....

شعرت بحماتها تسحبها مرة اخرى لتدخل بها لتلك الغرفة التي لم تطأها قدماها من قبل ....

غرفة مهيبة بسعتها ثقيلة باثاثها من خشب البلوط الداكن وستائرها ذات الزرقة العميقة الحالكة ...

بدت حماتها رغم اكتناز جسدها صغيرة جدا وسط هذه الغرفة المميزة بعملقة محتوياتها !

شعور التوجس غير المفسر تصاعد في نفس اسيا وهي تطالع اجزاء تلك الغرفة ....

خزانة ضخمة من ثماني ابواب وسرير مرتفع عريض جدا يكفي لاربعة اشخاص !

بضعة خزانات منخفضة ذات ادراج كبيرة ومنضدة زينة بمرآة بيضاوية لاتقل ضخامة عن باقي الاثاث ...





لوحتان ضخمتان احتلت كل منهما جانبا من حائط والاثنتان كانتا بنفس الفحوى .. خيول عربية وفرسان بلباس عربي قديم وسيوفهم في ايديهم مشرعة وكانهم يهاجمون العدو ...

شعرت آسيا بنوع من الرهبة والخوف ! لاتعلم لماذا لم تحب تلك الغرفة رغم اناقتها ...

شعرتها غامضة وتخفي اسرارا لاتفهمها ... لقد شعرت حتى بصاحب المكان الذي فات الدنيا قبل عام واحد ... الحاج عقيل ... ذو العينين التي لاتُسبر اغوارهما .... الذي يشعرك دوما بالترقب الحذر من ردود افعاله ... يشعرك انه يخفي خلف واجهة الهدوء والرزانة الكثير من الغضب المخيف والقسوة ....

انها تميل للوضوح ... للتسامح ... للتفهم ... تكره الضعف لكنها تكره الاستبداد ايضا ... ادارت عينيها في المكان مرة اخرى ليهمس داخلها " لا ... لم احب هذه الغرفة .. او ربما .. هي من لم تحبني ! "

دعت الله ان لايكون جناحها على نفس الطراز والالوان ....

شعرت بحماتها تجلسها على السرير وتجلس بجانبها ثم ربتت على يدها وهي تبتسم وتقول بعينين مترقرقتين بالدموع " سأريك اعز ما املك واحتفظ به هناك "

تتبعت عينا آسيا يد حماتها تمتد لمنضدة جانبية ملحقة بالسرير ذات درج صغير ...





فتحت حماتها الدرج بينما آسيا تضيق عينيها بتركيز على ذلك الشيء الصلب الذي تسحبه الحاجة سعاد ...

" عائلتي ... فخري ... احب الي من روحي ... انهم جميعا نبض قلبي وانفاسي التي تبقي جسدي حيا الى ان يشاء اللّه ..."

الحاجة سعاد تسهب في الانغماس بمشاعر امومتها وآسيا تشعر انها تنغمس بعيدا .. بعيدا جدا في احلك كوابيسها !

عيناها جحظتا وهما تتركزان على وجه واحد! وجه يبتسم وكأنه يسخر منها ... ابتسامته الكريهة اختلطت برائحة الذكرى لعطره القوي المختلط بروائح منفرة اخرى ..

وصوته ... ! (جسد انثوي رقيق يثير الشهية .. لماذا لايكون لي أنا ؟!!)

لم تدرك انها اطلقت صوتا مخنوقا بنبرة مذبوحة! كما لم تدرك انها تعرقت بشدة وكفاها اثلجا !

لم تشعر الا بصوت حماتها يتغير وتختلط كلماتها مع بعض دون ان تستوعب ما تقول وفجأة اخذ صراخ يعلو ونبضات قلبها تنخفض ووسط ضياعها رأته عند الباب ... ها قد جاء فارسها الذي يحميها دوما ... حبيبها الذي سيخرجها من هذه الدوامة الخانقة ... رضا القلب الذي سيحتويها ....





ولاشعوريا مدت ذراعها اليه لكنه لم يمسك بذراعها فقط بل مد ذراعيه الاثنتين ليلتقط جسدها ويضمها لدفء جسده ..

انفاسه المتسارعة وصدره الذي يعلو ويهبط بقوة تحت رأسها بعث فيها الطمأنينة فعادت لتوازنها لتستعيد حواسها طبيعتها وتسمع صوته الحبيب الهادر

" لماذا ترينها هذه الصورة امي ؟ لماذا ؟! "

تحشرجت انفاس آسيا وهي تحاول ان تبتعد قليلا عن صدره لكنه يبدو كمن لايشعر كيف يضمها بقوة ضاغطة اليه ...

خالتها سعاد ترد بارتباك وحيرة " وماذا فيها الصورة يا بني ؟!! كنت اريها البيت الذي ستسكنه وسيكون بيتها هي ايضا .. كنت اريد ان اريها عائلتها الجديدة ... لكني لم اعرف ما حصل لها لتشحب هكذا وتتصبب عرقا حتى ظننت انها ستنهار مغمى عليها ؟ "

قال رضا بلهجة قاطعة " هذه الصورة محرم عليها الظهور امي ، وما امر به ابي يسري حتى بعد مماته ...."

صوت مرتعش خرج من فم آسيا وهي تعاتبه برقة مرحة " اهدأ رضا .. لماذا تصرخ فينا هكذا ؟!! انا وخالتي سعاد كنا مسـ...تمتعتين .. عندما ... شعرت فجأة .. بضيق .. نفس .. ودوار ..."





هبّت سعاد تنفض عنها نظرات العتب المخلوط بالغيرة على بكرها لتستبدلها بنظرات الفرح الغامر الامومي " يا حبيبة خالتك .. هل يعقل ان يحصل الامر بهذه السرعة ؟!!! "

رمشت آسيا بعينيها وهي ترفع رأسها قليلا بعد ان خف ضغط رضا عليه لتتساءل بغير فهم

" اي امر خالتي ؟! "

ضحكت سعاد ببشاشة واخذت تحرك حاجبيها بمكر نسائي وهي تقول " بدرية ستفقد هيبتها حتما وهي ترقص بجنون على هذا الخبر ! "

غرقت آسيا بحيرة اكبر لترفع رأسها لوجه رضا العابس وتسأله " انا لاافهم حقا ! "

تنهد رضا وهي يدير جسد زوجته ليلف معها مغادرا الغرفة وهو يتمتم محدثا نفسه بغيظ

" لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، لم تمض ساعات على عودتنا من شهر العسل وامي تتكلم عن الحمل والاطفال !! "

تضرجت وجنتا آسيا وهي تعض شفتها بينما رضا لايساعد وهو يصر على امساكها من خصرها ضاما اياها لجسده ، ولم يهون عليها زغاريد الخالة سعاد بل زادتها حرجا وشعرت ان كل من في البيت الغريب عليها علم بالامر ! حتى الحاج عقيل في قبره وصله الخبر حتما !

قادها رضا للطابق الثاني وقد بدا متوترا بعض الشيء اما آسيا فغالبت التوتر لاجله ...





دخلا جناحهما وقلب آسيا يغور في صدرها ، وحاجة ملحة لرؤية وجه امها تسيطر عليها بطفولية لم تشعرها من قبل !

شهقت ورضا يحملها بين ذراعيه عند باب الجناح لتتعلق برقبته غريزيا وتناظر عينيه الدافئتين بينما يعبر الباب ليغلقه خلفه بقدمه ويبتسم ابتسامته هامسا بصوت مبحوح " مرحبا بك في عشّي يا حمامة "

ضحكت بارتعاش واصوات الماضي وروائحه القذرة تتلاشى تماما لتغرق برائحة المسك والطيب وصوت العشق والتدليل مع رجلها الفريد ....

لم تهتم برؤية جناحها الآن قدر اهتمامها بالنظر لتلك العينين اللتين تنطقان بالكثير فمدت يدها تلامس لحيته وتهمس له " آسفة لاني اظهرت انفعالي امام ..."

لم يمهلها وهو يميل بشفتيه لشفتيها .....

تطلع يحيى بتمعن وتدقيق لوجه هذه الفتاة التي تجلس امامه بتوتر منذ ربع ، انها جميلة .. ملفتة رغم بساطة ملبسها الذي يميل لملابس الشباب المهلهلة ! خصل شعرها المشقرة متناثرة هو وجهها المميز ....

لقد لمح عينيها ... زرقاوتين بعمق مؤثر ...





يليق بها ان تكون فنانة حقيقية ومصممة ذات لمسة بوهيمية خاصة .....

اخذ يحرك قلمه بعفوية على سطح مكتبه بينما هي تواصل جلوسها الصامت المتوتر امامه .... مهمته محددة في هذه الشركة ... رفع نسبة الاعلانات بكل الوسائل ... لقد تعاقدوا معه خصيصا لاجل هذا الهدف ووافقوا على كل طلباته من مرتب عال وحرية تصرف وتخطيط ليترك وظيفته في امريكا ويعود للوطن بعد سنوات طويلة من الاغتراب ...

عاد لينظر اليها ويكلم نفسه ...

حبيبة العطار ... الكلام عنها يطول ومثير للاهتمام اكثر من اي موظف او موظفة في هذه الشركة ... أكثر ما يميزها احترافيتها في العمل رغم صغر سنها وضآلة خبرتها العملية لكنها موهوبة بالفطرة مجتهدة ومخلصة في العمل ... وعلى الصعيد الشخصي توصف بالتحرر لكن سمعتها لاغبار عليها .. مغرورة ... واثقة قوية ... حادة الطباع ... عنيدة .. جامحة !

ضيق عينيه قليلا متمعنا اكثر ليسألها فجأة وهو يشير لورقة استقالتها امامه " لااصدق ان فتاة مثلك تنسحب ببساطة هكذا ! "





اذهله شحوب وجهها وتلبد غيوم الرعب على محياها الفاتن .. تحركت شفتاها دون ان ينطلق صوتها ؛ ارتعاش تلك الشفتين صدمه ؛ ثم فجأة وجد نفسه يراها بشكل آخر ... هي ليست فاتنة تماما ... انما تجمع متناقضات غريبة تعطيها سمة خاصة ... سمة ... وحشية بريّة ؛؛

لايعلم لماذا اثارت اهتمامه كل هذا القدر ؛ لكن منذ قرأ سجلها شعر بنوع من الشوق للتعرف اليها ، ففتاة مثلها مميزة وسط مجتمع ينظر للانثى بنوع من قلة الاعتبار ؛

لكن رؤيتها قبل ساعة في الممر وهي مرتعبة بينما زميلها يكلمها واكتشافه ان هذه الفتاة المرتعبة هي نفسها حبيبة العطار التي اثارت فضوله بسجلها وتصاميمها جعلته يشعر بالغرابة ؛

من هي حبيبة العطار حقا ؟؛؛

مال بنظراته متعمدا نحو ورقة الاستقالة على مكتبه وقال باسلوب بارد مستفز " بدأت أشك انك حبيبة العطار حقا ؛ "

اوشك ان يبتسم وهو يكاد يلمح قبضتها المتكورة على حافة مكتبه من جهتها ..

حسنا ... لقد امسك طرف الخيط كما يخبره حدسه ...

قالت اخيرا بصوت حاد " بامكاني ان اريك هويتي لتصدق ؛ "





عندها رفع عينيه لينظر في عينيها مباشرة وسرّه ان يرى شعلة الغضب تضطرم فيهما ... هذا جيد ... جيد جدا في الواقع ... انها تسير على الدرب الذي يريده لها فقال ببرود متعال مدروس " حقا ؟؟ اود رؤيتها لو سمحت ! "

عندها هبّت واقفة على قدميها امامه وقد انتفضت روحها بشكل رائع ابهره شمخت بذقنها وقالت بثقة اقرب للغرور " حبيبة العطار لاتحتاج لهوية ورقية تثبت من هي .. ! ما عليك الا قبول استقالتي لتواجه الفراغ الذي سأتركه في الشركة فتعرف من أنا "

استدارات لتتحرك خطوة بعيدة عنه عندما قال بصوت هادئ صارم

" خطوة اخرى يا حبيبة العطار ولن تحصلي على فراغ آخر يحتويك! فلا احد يريد موظفة متبجحة مغرورة تدعي القوة بينما هي مجرد فتاة صغيرة خائفة تريد الهرب واللجوء لابعد اركان بيتها !"

التفت بقوة اليه وخصلات شعرها الهاربة من ضفيرتها تتطاير حولها .. عيناها تقدحان وهي تقول من بين اسنانها " من قال اني خائفة واريد الهروب ؟! انا ..."

قاطعها قائلا بنبرة ساخرة " لااعلم ان كان تعبير الخوف ملائما لكن ما انا متأكد منه انك تريدين الهروب من الشركة لسبب ما ضايقك بشدة ... وهذا تصرف اطفال في الواقع ... "





رفعت قبضة متشنجة وهي تهدر بعنف

" انت لاتعرفني وليس لديك سلطة علي ... لا احد لديه سلطة علي ! وبالتالي لايحق لك ولا لغيرك مكالمتي بهذه الطريقة ! انا امنعك من معاملتي كطفلة سخيفة ..."

احتدت نظراته بالصرامة وقال بلهجة شبه آمرة " اذن اجلسي باحترام وتكلمي كمحترفة وافهميني سبب انسحابك المفاجئ ! "

اذهله تراجع عنفها وعودتها للشحوب ! فقال بتركيز " اذا كان هناك من ضايقك بالشركة اخبريني فقط ..."

هزّت رأسها فسحرته تلك الخصلات المتمردة بينما صوتها كان مبحوحا وهي تقول بثقة مهزوزة " لا .. احد .. ضايقني .."

عندها اتخذ قراره ... الهجوم المباغت بطريقة الامر الواقع !

قال وهو يرفع ورقة الاستقالة ليشقها نصفين ويقول ببساطة " اذن فأنت مرهقة لااكثر ..."

تلاهى عن النظر لردة فعلها المصدومة برمي الورقة الممزقة في سلة المهملات قربه ليقول بعدها بلهجة قاطعة وعملية بنفس الوقت :





" حسنا ... ساعطيك اسبوعا آخر لتكملي شهر اجازة وبعدها ستأتين الى مكتبي مباشرة وانت بكامل نشاطك وحيويتك وبفكر صاف ستقرأين بنود عقدك الجديد "

رآها تتشوش بوضوح وهي تتساءل

" عقد جديد ؟!! لكن عقدي الاول لن ينتهي قبل شهرين ..."

ابتسم وهو يرفع حاجبيه ويقول " هذا صحيح ولذلك سنعد عقدا جديدا .. سيرضيك اكثر ويرضي طموحاتك ..."

تطلعت اليه حبيبة وهي تشعر ان هذا الرجل مجنون حتما !

كانت تحاول جهدها السيطرة على الموقف ولكنه بطريقة ما تجده ينزلق من سيطرتها هي ليقع تحت سيطرة ازرق العينين المغرور هذا !

صوته كان متسليا بطريقة مغيظة وهو يضيف " نحن كادارة متمسكين بالموظفين الاكفاء وانت خلال هذا العام جذبت الكثير من الزبائن المهمين واصبحوا يطلبونك بالاسم ..."

نظرت اليه بتمعن وطموحاتها الواسعة بدأت تثقل كاهلها وتقتات مما يرميه اليها هذا الرجل البغيض !





اردف اخيرا وبثقة كاملة " مستقبلك معنا انسة حبيبة وانا امثل اصحاب الشركة مباشرة ولدي صلاحيات لافعل كل ما اراه يناسب الشركة "

لاشعوريا همست وهي تنازع رغباتها

" لااستطيع ..."

وعندها رد بلهجة غريبة غامضة وبصوت مبحوح " تستطيعين فعل ما تريدين حبيبة .. اود كثيرا رؤيتك تفعلين الاعاجيب .. "

عقدت حاجبيها لتقول كمحاولة اخيرة للمقاومة " طريقة كلامك غريبة .."

ابتسم ابتسامة عريضة فادركت بعين الفنانة وسامته وكم تليق به لحيته ليقول ببشاشة

ظاهرية مستفزة " لاتتعبي نفسك بالتفكير حول اسلوب كلامي ، اثبتي قدراتك لي وانا سامنحك مستقبلا زاهرا في المقابل ..."

يمرر ظاهر سبابته على بشرة وجهها بينما هي تسبل اهدابها وتبتسم ابتسامة ناعسة ..

مبهورا باحساسه الذي فاق اي شيء حلم به او توقعه او اراده ...مبهورا بوجوده معها في غرفته الخاصة .. غرفة القديمة التي اعدها لتناسب مشاركة معشوقته ...

" آسيا ..." " نعم...."

سؤال و رد ولا شيء بعدها يهم ....





قالت بهمس " اللون الاخضر الشاحب لاثاث الغرفة احببته جدا .."

رد واصبعه يلامس حاجبها " ومن اختار اللون لاجلك يحبك اكثر ..."

ضحكت بخفة كفراشة مرفرفة فاضاف بشغف " يليق بك الاخضر يا اميرة البنات قرأت يوما ان من يحب هذا اللون يتمتع بالعاطفه الشديدة والمشاعر المرهفه ويتميز بالعمق والمتانه والكتمان ولديه القدرة على التفاهم والانسجام بسهولة " تلكأ للحظة قبل ان يضيف بنبرة غريبة " واهم من كل ذلك يتميز بالثبات والمقاومه ..."

رفعت اهدابها لتتطلع في عينيه ... رأت فيهما ما رأته عندما حملها داخلا بها جناحهما ...

رأت فيهما القلق .. وحتى الخوف ! الخوف من خوفها هي !!

مطارحة الغرام بينهما بعد ذلك لم تكن عشقا او شوقا ... لا ... بالتأكيد لم تكن ...

بحدسها الانثوي كانت تفسر المشاعر بوضوح غريب وكأنها مكتوبة بعنواين بارزة ...

ما حصل انه كان يلهي فكرها بل كيانها كله عن فاجعة رؤية صورة اخيه ، وهي استجابت لالهائه منذ البداية ... منذ ان سحبها ليضمها لجسده وامام ناظري امه ...





وسار معها الخطوات نحو جناحهما تتبعهما زغاريد امه التي ظنت الدوار الذي انتاب عروس بكرها انما مرده لحمل متوقع !

لقد شعر بها وقرأ شرايينها التي تدفق فيها رعب الذكريات دفعة واحدة .. لم تستطع خداعه رغم انها خدعت نفسها بأن كل شيء على ما يرام ... لكن لا ... لم يكن على ما يرام .... رضا يمنحها الكثير ... لكن في لحظة ما ... شعرت انه .....

" قلقت عليك في غرفة امي .."

همسته الرجولي قاطعت افكارها دون ان تقطع احساسها فامعنت النظر اليه لترد له بتعثر " لاتقلق ... كانت فقط المرة الاولى التي ... اراه ... منذ سنوات .... اقصد ... حذ...."

وضع اصبعه على فمها وقال بحزم " لست مضطرة لذكر اسمه حتى ..."

ابتلعت ريقها وداخلها يتمزع بين شعورها بالولاء لرضا وبين نفور يفرض نفسه نحو شيء مبهم لاتراه ولاتعرف ابعاده ....

قالت بصعوبة

" يجب ان.... احاول اعتياد اسمه يا رضا .. لأني ان لم افعل ... سيبدو الوضع... غريبا .. "





اغرق وجهه في انحناءة رقبتها وهو يهمس :

" الغريب انك تملكين كل هذه القدرة لتحاولي ! لااعلم كيف استطعت ان اكون انانيا هكذا لآتي بك وتعيشي في هذا البيت .. سامحيني يا توأمة القلب ... لم استطع مقاومة جعلك قربي هكذا .."

لفّت ذراعيها حول عنقه وهمست بصوت متحشرج عاطفي " انا احبك .. "

حالما غادرت مكتب السيد يحيى وسارت بضع خطوات شاردة نحو مكتبها حتى شعرت بلهاثه خلفها وباصابعه تشدد من امساك ساعدها

ليقول بلهجة وحشية تنتفض بالغيرة الواضحة

" ماذا كنت تفعلين كل هذا عنده ؟! "

جسدها يرتعد لكنها لم تحتمل الاستسلام لمشاعر الخوف والارتعاب فاخذت تنفض ذراعها منه وعيناها لاول مرة تدوران حولها تخشى عيونا فضولية متلصصة عليهما !

قالت بهمس حاد " ابتعد عن...طريقي مهند"

انفاسه الدافئة تكاد تلامس خديها وهو يرد همسها الحاد بهمس شغوف " انت تحلمين ..."

اصابعه عادت لتمسكها مرة اخرى لكن بانفعال حار وهو يضيف بشغف اكبر

" انا .. احبك ..."






خلصت ذراعها منها وهي تقول بقرف وارتجاف واضح " سأتقيأ ان قلتها مرة اخرى ..! "

انفاسه تسارعت بعنف ليقول بجدية مخيفة

" انت لي حبيبة ... لي ... لجامك في يدي انا وحدي ... نحن متشابهان وقدرنا واحد ... في داخلك تعرفين هذا ..."

ثم فجأة توشح صوته بالتوسل العاطفي الشغوف ليضيف

" ان ما حصل كان فوق ارادتي ..."

اخذت تتعرق واوشكت على الاختناق وهي تتباعد عنه وتأمره بهمس " اخرس ... "

لاحقها هامسا بالحاح

" سامحيني حبيبة .. سامحيني... لما قلته .... لما فعلته .... لم استطع منع نفسي ... انا ...."

قاطعته والدموع تترقرق في عينيها العاصفتين " قلت لك اخرس .. الا تفهم ؟! "

ثم هدرت خطواتها بعيدا عنه ... خطوات تكاد تترنح لكنها تحافظ على صلابتها بشجاعة ....

راقبها مهند وقلبه يتفجر بالنبضات ليقول بنبرة مشتعلة " لن استطيع حبيبة .. لقد تذوقتك ! وانتهى أمري ... "





" رقية ..." لم ترد ايضا !

كم مضى واختها الصغرى تتجاهلها ؟!! صغيرة العقل هذه ماذا ستفعل معها ؟!!!

تقدمت رباب عابسة الوجه نحو اختها الحمقاء التي تدعي مشاهدة التلفاز ودون مقدمات امسكت خصلة من شعرها وسحبتها بقوة لتتوجع رقية " اااااااااااااااه " ثم هبّت على قدميها لتواجه رباب بغضب متفجر قائلة

" لماذا فعلت هذا ؟"

ردت رباب ببرود ظاهري " قرأت مرة ان الصدمة المفاجأة قد تعيد العقل لبعض المجانين "

اخذت رقية ترغي وتزبد لتقول من بين اسنانها " لاتقولي عني مجنونة ! "

فردت رباب بهدوء " وماذا تسمين من تبيع اختها لاجل التفاهات والافكار الملتوية ؟!! "

احمرت رقية قليلا لكنها عبست بشدة وهي تقول بتعنت " ليست افكار ملتوية وانت ..."

اوقفتها رباب بالقول الحازم " الا ترين كم هو نقاش سخيف هذا الذي نخوضه ؟! الاترين انك تثبتين اكثر انك صغيرة العقل باهتمامك بالتفاهات وعيشها الى درجة الغرق فيها ونسيان كل الامور المهمة الاخرى؟!! "

ارتبكت رقية بعض الشيء لتقول بتلعثم " لا تحاولي .. التأ..ثير علي ... تريدين مني مسامحتك على .. ما فعلتِ .. ولكنك .."





قاطعتها رباب بحدة وهتفت بها بانفجار " انت حقا اسخف مما ظننت ! اي مسامحة هذه ؟!! هل انت مجنونة لتستمري باوهامك الطفولية ؟! انت تعيشين في عالم اخر يا رقية .. عالم طفولي ساذج واناني ولاتشعرين بمن حولك .. ستصبحين اسوأ من حبيبة ! على الاقل حبيبة لديها بعض العذر لانها تأثرت بما حصل من والدنا لكن انت ! انت ... مجرد طفلة مدللة لم تتعدّي الرابعة عشرة وتفكرين بالحب والوقوع فيه الى درجة الهوس بابن الجيران ! لتصلي لمعاداة اختك ...!! اقرب الناس اليك ... لتكملي صورة العيش في اوهام الرومانسية والمنافسة الفارغة ! "

تضرج وجه رقية بالحمرة القانية واغرقها الشعور بالخزي وألجم لسانها بينما اضافت رباب بغيظ ادمعت له عيناها " تعاديني انا يا رقية وتقاطعيني منذ اسابيع لاجل الكائن الكئيب عبد الرحمن ! هل ستبيعني رخيصا لاجل اي شيء في المستقبل يا رقية ؟! اذا كنت بهذا السن الصغير وقررت اني اريد ان اخطط ضدك لاخذه منك ! فماذا ستفعلين عندما نكبر ونواجه مشاكل اكثر عمقا واهمية ؟! وانا لااتكلم عن جنس الرجال فقط بل اتكلم عن كل شيء .. كل شيء يا رقية ... لقد خذلتني .. خذلتني جدا ... "





اشرقت رباب بالدموع الغزيرة وهي تستدير مهرولة لغرفتها بينما تتمتم بما لم يسمعه غيرها " اكرهك يا عبد الرحمن ... اكرهك واكره كل ما يمت لعائلتك بصلة! ليتنا لم نعرفكم ... ليتنا لم نسكن يوما امامكم ليحصل كل ما حصل ..."

اخذت نفسا عميقا قبل ان تطرق باب رفيدة بينما عينا رضا تبتسمان لها وهو يتركها لينزل الدرج سابقا اياها للطابق السفلي حيث مأدبة الطعام التي اعدتها امه ...

صوت رفيدة كان هادئا وهي ترد من خلف الباب " ادخل يا عبد الرحمن ..."

تبسمت اسيا وهي تفتح الباب وتقول ببشاشة لوجه رفيدة المتفاجئ " اسفة .. انا لست عبد الرحمن ! "

كانت رفيدة تجلس على كرسي جميل مميز بتطريزاته ونقوشه وفي يدها قطعة قماش لم تتبينها وقد سارعت رفيدة لاخفائها الى جانبها بينما وقفت على قدميها بارتباك شديد لتقول بتلعثم " مرحبا ... آســيا .. أنا ...أنا .."

شيء ما نغزها في صدرها ولمحة من وجه امها الحزين تداهم مخيلتها ... حزن يعكسه وجه رفيدة ايضا ولو بطريقة مختلفة ...





اجبرت نفسها على رسم ابتسامة اوسع لتتقدم من رفيدة وتقول لها ببشاشة " اردت ان اسبقك بالزيارة لغرفتك .. واسلم عليك "

ودون تردد اخذتها اسيا في احضانها لتقبل خديها بينما رفيدة انكمشت للحظات لتسترخي بعدها وتقبل خد اسيا على استحياء ....

اضافت اسيا بنفس البشاشة " عبد الرحمن اتصل برضا قبل قليل وقال انه ما زال عند المدرسة ينتظر ظهور النتائج لكن يبدو انها قد لا تظهر اليوم .. مؤكد انك كنت بانتظاره لهذا السبب اليس كذلك ؟ "

ابتسامة صغيرة مرتجفة على شفتي رفيدة بينما تطرق بنظراتها ارضا لتقول " هذا الفتى عجول جدا .. ومهووس بدراسته ..."

انزاح الهم عن صدر اسيا باستجابة رفيدة لها فقد كانت تعلم عن رفيدة تقلبات مزاجها رغم طيبة قلبها ، تنفست اسيا الصعداء وهي تحمد الله في سرها بينما ترد على رفيدة بالقول " بارك الله في جهده وتعبه .. هيا بنا رفيدة فالخالة سعاد ارسلت الصغيرين لاعلامنا بجهوز مائدة الغداء ..."

ابتسامة رفيدة ما زالت ترتعش لكنها بدت اكثر ثباتا وهي تقول بحبور :





" لقد جاءني العفريت الصغير وابلغني ايضا ..
كنت على وشك الانتهاء .. من عملي ..
عندما اتيتِ انتِ الآن ..."

فقالت آسيا بعفوية " اذن جئت بالوقت
المناسب ... هيا بنا لننزل سوية ..."

عندما خرجت رحاب من حمامها الملحق
بغرفتها كانت شاحبة وبانفاس متثاقلة ،
توجهت نحو سريرها لتتمدد عليه بانهاك ..

ولاسباب مجهولة اخذت دموعها تسيل ! كل ما
تعرفه انها تشعر بالشفقة على نفسها ولاتعرف
لماذا تشفق حقا !! ربما لانها المرة الثالثة
التي تتقيأ منذ الصباح ...؟؟

لكن هذه المرة كانت اقوى فطعام حماتها
كان ثقيلا جدا على الغداء ....

اخذت تمسح دموعها بشرود بينما تبتسم
ببلاهة وهي تتذكر رضا واسيا على مائدة
الطعام ...

لم تكن تعلم ان رضا عاطفي هكذا ! انه
لايفتعل التصرفات وانما تنفضح مشاعره مع
كل نظرة ولمسة لعروسه ... لم يكن هكذا
ابدا مع زبيدة ! لقد بدا دوما هادئا بوجودها
متحفظا وهي كانت غير مبالية به وتولي
حماتها اهتماما اكبر لتنتقدها على كل شيء
وتناقرها طوال الوقت .. ورغم ان حماتها ليست
بالمرأة الهينة الا انها لم تجاري زبيدة بكل
سلاطة لسانها ومكرها النسائي الخبيث...





اما آسيا فهي على النقيض من كل شيء !

هادئة لاتتكلم الا بميزان رغم انها بشوشة وتلاطف الجميع ولم تهتم لبضع كلمات افلتت من الخالة سعاد تكشف عن غيرتها من كنتها !

وكيف لاتغار وهي ترى هيام بكرها رضا بعروسه .. يكاد ينتزع عينيه انتزاعا بعيدا عنها عندما يكلمه احدهم ...

ضيّقت رحاب عينيها وهي تتطلع للسقف بتفكير ... فآسيا اثارت في دواخلها الكثير ... رغم الحياء الشديد لهذه الفتاة وخجلها الواضح الا انها كانت تبدو عاشقة لرضا ...

اجل ... الامر كان واضحا بطريقة ما لاتستطيع تحديد افعال ظاهرة لتثبته !

نظراتها اليه عندما تلتمع بطريقة معينة فتشع عاطفة .. ابتساماتها بارتعاشة شوق عندما يرميها رضا بنظرة مداعبة ... لمسة يدها العفوية ليده وكأنها تفتقده وهو يجلس بجانبها ..

انها تعبر عن حبها دون كلمات ! لديهما لغة تجمعهما ... لغة تخصهما .... دون ان يبالغا التعبير او يفقدا الاتزان والحشمة ...

" لماذا تعبسين ؟! هل السقف لايعجبك ؟! "

حولت نظراتها من السقف للرجل الطويل الواقف عند الباب ....





نظرت الى زوجها مطولا وفكرة غريبة طرأت في بالها

(هل تملك هي ومحسن لغة خاصة بهما ؟)

رفع محسن حاجبيه وهو يتقدم نحوها حتى وصل اليها وجلس بجانبها على السرير ..

يده امتدت لوجنتها تتحسس بشرتها برقة ليسأل بحنان " هل بكيت مرة اخرى ؟ لابد ان معدتك رفضت الطعام الثقيل لامي "

كانت تشعر بالاسترخاء يتسلل اليها مع لمساته بينما فكرة التواصل واللغة تسيطران عليها اكثر ....

ادارت وجهها جانبا بتعمد فلامست شفتاها باطن كفه فطبعت قبلة رقيقة هناك وهي ترفع نظراتها لعينيه ...

من خلف زجاج نظارته رأت الدهشة و.. المفاجأة ! فاعجبها الأمر ... لتمسك ذلك الكف الكبير وتمرغ خدها فيه وهي تهمس بانوثة " احب يدك عندما تلامسني هكذا "

ما زالت تحدق في عينيه وما زال هو على نفس الدهشة لتردف بوجه متورد

" تعال ونم بجانبي .. اريدك ان تضمني بقوة لصدرك "





بصمت تام فعل ما ارادت وبصمت تام ايضا تحول الحنان بين احضانه لدفء منعش ثم تصاعد لعاطفة جياشة جرفتهما معا بتكامل مميز ..

" رضا ... اريد الذهاب لرؤية حبيبة "

كانت تجلس بجانبه على الاريكة الواسعة يحتسيان الشاي بعد الغداء، تشاركهما الحاجة سعاد ورفيدة التي التزمت الصمت وبدت شاردة في تفكير عميق وكأنها بمكان آخر ...

تدخلت الحاجة سعاد " لكن يا ابنتي لايفترض ان تذهبي لبيت عائلتك وانت ما زلت عروس ! اليوم وصلتما من شهر العسل والكثيرون سيأتون للزيارة والمباركة ولن يكون امرا جميلا ان لايجدوا العروس في بيتها ..."

تطلعت آسيا لرضا بينما تردف الحاجة سعاد بنبرة منتقدة " واختك حبيبة يجب ان تزورك بنفسها وليس العكس ! "

عندها تدخل رضا ليقول بلهجة هادئة وقاطعة بنفس الوقت " نحن ما زلنا وقت الظهر اماه واسيا اشتاقت لبيت عائلتها فلابأس من ذهابها لرؤية اخواتها وافراحهن بعد طول غياب لم يعتدنه منها ..."





وانهاء لأي اعتراض اخر او نقاش وقف رضا وهو
يمد يده لآسيا قائلا " ابدلي ملابسك
وساوصلك بنفسي حتى باب البيت ...."

دخلت غرفة اختها وقد وجدت الباب مشرعا
على غير العادة ! فحبيبة تحب استقلاليتها ..
تحب ان يكون لديها عالم خاص وبحدود
معروفة للجميع كخطوط حمراء لايتعدوها
الا باذنها ...

جلستها المحنية على السرير اثارت قلقها
اكثر ! تضم ركبتيها لصدرها وتلف ذراعيها
حول ساقيها بينما تسند جبينها على
الركبتين .....

انها مصدومة ! ما زالت تعافر لتتخطى الصدمة
... لم تستوعب لحد الآن ان هناك من تحرش
بحبيبة في الشركة ...

عندما اخبرتها امها بالموضوع شعرت ان الارض
تميد بها ولحسن الحظ امها فهمت الامر كقلق
على اختها فسارعت لطمأنتها ان ذلك الحقير
لم يتمادَ وحبيبة لقنته درسا وهربت منه ...

لكن شعور اسيا كان مربكا ومرتبكا ....!

هل كتب عليهن هن بنات العطار ان تتعرض
لهن الذئاب البشرية ؟!





هل هذا ما كان يخشاه والدهن وهو يفكر بانجاب الولد ؟! هل اراده حماية لهن وسندا لضعفهن في مجتمع يستمتع بوضع النساء معروضات على رفوف الطمع والانتهاك ؟!

هزّت اسيا رأسها وهي تستعيذ باللّه من الشيطان الرجيم وتفكر ان ما تعرضت له هي شخصيا حدث بوجود والدها وقد كان بقمة قوته .. لكن النفوس المريضة تبقى موجودة ومتأهبة لاي لحظة فتستغلها لتبث بشاعتها ...

" حبيبة ..."

انتفضت حبيبة من جلستها المحنية وما ان رأت اسيا امام ناظريها حتى هبت من سريرها لتهرول كطفلة نحو اختها الكبرى تعانقها بقوة وتجهش ببكاء مر ابكى آسيا معها ..

بعد موجة بكاء اختلطت بها دموع الاختين جلستا على السرير وحبيبة تتمسك بكفي آسيا في حجرها وهي تقول بتقطع " اشتـ..قت اليك ... اختاه ... افتقدتك ... "

ثم عاودت معانقة اسيا وهي تهمس بصوت متحشرج " افتقدتك كما لم افتقد انسانا من قبل .. ولا حتى والدي ...."

اخذت اسيا تطبطب على ظهر اختها وهي تتماسك لاجلها وتقول بحنان " انا معك غاليتي .. ودوما بقربك ... "





ثم ابعدتها عنها قليلا لتبتسم في وجه حبيبة الباكي وتقول بمرح ظاهري " من حسن الحظ اني اسكن مقابلا لكم تماما .. الباب في الباب ..."

اطرقت حبيبة ولم تعقب بينما اسيا تمسح دموع اختها وتقول بتأن " امي ... اخبرتني بما .. حصل معك ..."

لم ترفع حبيبة عينيها ... بل حتى كتفيها تهدلا اكثر مما جعل اسيا تتشنج بالغضب الداخلي !

كتمت اسيا انفعالاتها الغاضبة لتسأل بهدوء

" اخبريني حبيبة .. ماذا فعلت اليوم بالضبط ؟! هل صحيح ما قلته لامي ان الشركة مددت لك اسبوعا اخر من الاجازة لتعطي بعدها رأيك الاخير "

هزّت حبيبة رأسها بنعم قبل ان تضيف بصوت مثقل بالهم " نعم صحيح .. لكني ... لم اخبر .. امي بكل شيء ..."

عبست اسيا وهي تسأل بتوجس " ماذا تعنين ؟"

تنهدت حبيبة بعمق لترفع عينيها الزرقاوين ناحية اختها قائلة بحيرة واضحة " المدير الجديد متمسك بي وعرض علي عقد جديد للعام المقبل فيه فائدة اكبر لمستقبلي في الشركة ... و ... "

صمتت حبيبة لكن عينيها كانتا تفيضان بالمزيد !





شجعتها اسيا لتواصل الكلام قائلة " و ماذا ايضا حبيبة .. اخبريني بما لم تخبري به امي"

ردت اسيا بتحشرج

" المديـ..ر .. تقريبا هددني .."

قاطعتها اسيا بعينين متسعتين " ماذا ؟! هددك ؟! بماذا هددك ؟؟ هل يعلم بتحرش ذلك الكلب الحقير بك ؟! "

هزّت حبيبة رأسها بالنفي وهي تقول بانهاك

" لا اسيا ... لا ... انت لاتفهمين ..."

صمتت للحظة قبل ان تضيف " المدير يريدني ان ابقى ... قدم لي دعمه لكنه .. لمح انه سيظهرني كموظفة غير ملتزمة اذا تركت الشركة الحالية وبحثت عن عمل في شركة اخرى ... "

توقفت للحظة اخرى تلتقط انفاسها بينما تضيف بتشوش " قال .. قال اني اهرب .. واني طفلة .. لم يعرف سبب رغبتي .. بترك الشركة .. لكنه .. ادرك ان .. هناك ما ضايقني بشدة .. وطالبني بمعرفة السبب ... انه غريب ...الاطوار ! لم التقه الا اليوم ويعطي ... نفسه حقوقا علي وكأنه ابي الذي يؤنبني ! "

فاضت عينا اسيا بالحنان وهي تمد يدها لتمسد شعر اختها المشعث وهي تقول " يبدو رجلا طيبا ... ولابد انه يراك كابنته فعلا "





عندها انتفضت وحشية حبيبة لتقول بغضب واضح " اي ابنة ؟! انه لايتجاوز عمر رضا ويظن نفسه ذكيا ويستطيع قراءة موظفيه ككتاب مفتوح ! مغرور .. مزعج ... كريه..."

رفعت اسيا حاجبيها بعجب لتقول بفضول

" لايتجاوز عمر رضا ؟! هل تعنين انه في الثلاثينات ؟ اممممممممم وكيف يعرفك هكذا ؟! "

اخذت حبيبة تشوح بيدها وهي تقول بحنق واضح

" لاعلم ... ! يتكلم عن سجلات واشياء من هذا القبيل .. انه مزعج وفضولي ومستفز ! "

تزايد عجب اسيا من انفعال حبيبة لكنها تغاضت عنه لتسالها بما هو مهم " والآن ما هو قرارك ؟ هل ستستمرين حقا بالعمل هناك ؟"

حركت حبيبة راسها بحيرة وهي تقول

" لااعلم اسيا .. حقا لااعلم ... اكره ان ابقى هناك كما اكره ان اترك المكان لمجرد ان ..ذلك .. ان ..."

اغرقت حبيبة وجهها في كفيها لكنها لم تكن تبكي بل بدت كمن يلتقط انفاسه ..

ابتلعت اسيا ريقها بصعوبة لتسأل اختها بصراحة " اصدقيني القول حبيبة هل اخبرت امي بكل شيء حقا ؟ اقصد ما حصل تلك الليلة وما فعله ذلك النذل ! "





رفعت حبيبة وجها شاحبا لاختها فخفق قلب اسيا توجسا لتقول هذه المرة بنبرة شبه متوسلة " اخبريني حبيبة ... هل فعل لك .. شيئا ... لاتخافي ... انا اختك .. اقرب الناس اليك ... فقط قولي لي الحقيقة ..."

غامت عينا حبيبة وتجمدت ملامحها لتقول بصوت غامض ثابت النبرات " لقد قلت كل الحقيقة لامي "

حدقت اسيا بتمعن في ملامح حبيبة لكنها لم تستطع ان تستشف شيئا من تعابيرها ..

في داخلها كان احساس واهن يخبرها ان حبيبة تكذب ! وان هناك المزيد مما حصل اكثر مما اخبرت به امهما ....

فهل هذه وساوس الشيطان يستغل ماضيها مع حذيفة ليجعلها تتصور الاسوأ مما قد حصل لاختها ؟! ام ان حبيبة تعرضت لما هو اسوأ فعلا !

لم تشعر الا بحبيبة تقف على قدميها لتقول بصوت غريب

" ارجوك اسيا لاتغرقي بافكار سوداء حولي ! لن احتمل المزيد من الضغط علي ... احتاج ان استعيد اتزاني خلال هذا الاسبوع ... احتاج ان اجد لحبيبة موقعا حقيقيا تبدأ منه .. دون خوف ... دون قلق ... دون ..... غضب ! "





بعد بضعة ايام ...

انهى صلاة العشاء فطوى سجادته ورفعها معه وهو يستقيم واقفا ويضع السجادة المطوية جانبا في مكانها المعتاد ، اخذ يدور ببطئ في انحاء شقته ، يداه خلف ظهره والمسبحة معلقة بين السبابة والابهام ... يناظر الجدران الباردة ويكاد يكلمها عسى ان تمنحه بصيص دفئ يتوق اليه .... عيناه مرتا على صور اثيرة لقلبه تضم من رحلوا وتركوه ....

عادت نفس الفكرة لتسيطر عليه ... فها قد عاد رضا الصائغ من شهر العسل وعادت الفكرة تلح عليه والوحدة لاترحمه ...!

تذكرها في عرس رضا واسيا ثم عاد بذاكرته لسنوات بعيدة عندما رآها صدفة مع والدها الذي كان يطالبها ان تختار حلية ذهبية اكثر تميزا واكبر قيمة فتكتفي هي بالابسط والاقل !

" هذا ما تحتاجه يا سالم ! من ترضى بالحياة البسيطة التي تنشدها فتتقاسمان ما ترميه عليكما من هموم وتتشاركان ما تخبؤه لكما من بهجة ... لكن ... هل سترضى بك حقا ؟!؟! ام ستراك اقل قدرا منها ؟!؟! "

عقد حاجبيه بتفكير عميق ثم قال بصوت مسموع " لم لا يا سالم ؟ وماذا فيها اذا اردت الزواج منها ؟! توكل على الله وكلم رضا في صباح الغد وليكن ما يكون ..."







وعلى هذا نوى وانتوى ... وعلى امل فجر الغد انتظر بزوغه .....

ينثر فتات الخبر على حافة شباكه من الخارج في دعوة للحمائم لتجد سلطانتها عنده ... ما زال وقت الصلاة بعيدا لكن النوم جافاه ... فتسلل من السرير بعيدا عن دفئ معشوقته وفي باله هدف ليس بعيدا عنها ابدا !

يعلم انه اصبح مهووسا بفكرة زرعها هنا .. هنا في بيته ، هاتف في داخله يحذره ان حبها له لن يكون كافيا ، يريدها ان تتخطى الماضي تماما .. يريدها ان تنساه بكل تفاصيله ....

نظر عبر الشباك وظلمة ما قبل الفجر تهديه بعض السكينة ... سكينة لم تدم طويلا عندما جاءته من الخلف همساتها المخنوقة باسمه !

" رضاااااا...."

الحلم كان بشعا ! بشعا بمعنى الكلمة ... غرفة الحاج عقيل بدت اكثر ضخامة اشد دكنة وهي عالقة فيها ... بمفردها ... تبحث عن باب تعلم بوجوده لكنها لاتراه !

فجأة اصبح اثاث الغرفة كعمالقة الظلمة يدورون حولها في دوامات متسارعة وصوت ضحكات ساخرة تنهش اذنيها وروائح قذرة في تلفح جسدها ....





تريد مناداة رضا لانقاذها لكن حنجرتها ابت نجدتها ....

ثم فجأة علا صوت هادر جهوري ... صوت حازم صارم ... صوت تعرفه جيدا ... مؤثر ويبقى في الذاكرة .... صوت الحاج عقيل الصائغ وهو يأمر " صمتاً !! "

فتوقف كل شيء عن الدوران وتلاشت الروائح ومن حيث لاتدري انطلقت حنجرتها " رضاااااا"

كانت تلهث وصدر رضا يحتويها وذراعيه تطوقان جسدها المرتعش ورائحته تهدهدها كترنيمة أم حنون ...

ثم جلا صوته كل ما تبقى لتعود لواقعها معه فتشدد من التمسك به وتهتف براحة

" الحمد للّه ... الحمد للّه ..."

يضمها اكثر لاضلاع صدره وقلقه يتفاقم وافكاره تتلاطم " يا الهي لم تمض لها الا بضعة ليال هنا حتى هاجمتها الكوابيس ! شهر عسل كامل معها وهي تنام كزهرة عباد الشمس بين ذراعي لتبتسم لوجه الشمس حالما تداعب وجهها ... لكنها الآن تنام قلقة مذعورة فتثير رعبي وتؤرقني معها ..."

همس قريبا من اذنها " لاتخافي حبيبتي .. انا معك .. انه .. كابوس اليس كذلك ؟! "





هزّت رأسها وهي ترد همسا " فقط ضمني اليك .. انا .. بخير لاتقلق ..."

تمزق قلبه لاجلها ... هذه هي آسيا .. كتومة .. كتومة اكثر مما ينبغي ... لديها قدرات واسعة لتخفي ما تعانيه حتى عن نفسها .. تخادع عقلها وتضحك بوجه اعماقها المرتعبة عند الضرورة ... لقد اصبح يعرفها كما يعرف نفسه ولن تخدعه هو الآخر بادعاء الطمأنينة ....

وكأنها ادركت ما يجول في خاطره فتهمس له برقتها التي تذوب الحجر " سأكون بخير وكف عن هذا القلق ! انا اقوى بكثير مما تظن .."

رد بصدق " اعلم يا اميرة البنات ... اقسم اني اعلم مدى قوتك .. لكني لااطيق اراك تعانين .. بسببي ..."

كانا يفهمان بعض ويتواصلان دون شرح مسهب فلم تفعل الا ان رفعت وجهها تقبل ذقنه وتهمس " انا اعبر الماضي بقوتك انت .. اصبر علي يا رضا القلب ... "

صمت ولم يعقب لكن داخله لايعاني من قلة الصبر كما وصفت هي بل يعاني من القلق ... القلق الذي تصوره سينتهي بزواجه منها .. لكن لسبب محير فالقلق ما زال حيا نابضا بل يتوهج كشعلة الحقيقة في كبد الظلام ...





بعد ساعات ...

كان باله مشغولا مع كابوس آسيا ويداه تعملان بشكل عفوي لصياغة قطعة خاصة صممها بنفسه ..

" السلام عليكم ..."

رفع رضا رأسه عما يفعل ليرى ابا عبدالله يقف عن باب مكتبه الخاص فانتابه بعض التوجس الذي اخفاه بمهارة ... توجس من مشكلة اخرى يفكر فيها ... عمل اسيا في ادارة عمل والدها للعطارة .....

رد رضا بابتسامة لطيفة وهو يقف على قدميه مرحبا بالرجل الاكبر سنا بما يقارب الخمسة عشرة سنة

" وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته "

اقترب رضا مع اقتراب ابي عبدالله المبتسم ليتصافحا بحميمية بينما ابو عبدالله يقول

" كيف حالك يا رضا وكيف هي عروسنا ؟!"

رد رضا وهو يدعوه باشارة من يده للجلوس على اريكة جانبية " نحن بخير جميعا والحمد لله .. وكيف انت يا ابا عبدالله ؟ "

جلس الرجل مطرقا قليلا وهو يهمهم

" نحمده ونشكر فضله .."





شعر رضا ببعض الذبذبات لكنه سأل بصبر

ودماثة خلق " هل تشرب الشاي ام القهوة ؟ "

رد ابو عبدالله " قهوة لو سمحت ..."

فنادى رضا على احد العاملين عنده وطلب صنع

فنجايّ قهوة ....

ساد الصمت بعدها بينما ابو عبدالله يمسك

مسبحته ويحرك خرزاتها تباعا بشرود ...

قرر رضا المباشرة بالكلام فقال

" تبدو كمن يريد الكلام بموضوع ومتردد

في الافصاح عنه ..."

رفع ابو عبدالله رأسه لرضا دون ان تتوقف

اصابعه عن تحريك خرزات مسبحته ،

حدق الرجلان في بعض للحظات .... احدهما

متسائل متحير متوجس والآخر متردد متحير

متوجس ايضا ولو بطريقة مختلفة ليقول ابو

عبد الله اخيرا وبلهجة هادئة

" حقيقة هما موضوعان .. والاثنان متردد في

عرضهما عليك ... "

قال رضا مخفيا انفعالاته غير المريحة

" اعتقد احدهما يخص آسيا اليس كذلك ؟ "

فتبسم ابو عبدالله ليقول ببعض الحرج " نعم

... ادارة المحل الكبير لوالدها رحمه الله "

سأل رضا بملامح غامضة " هل يرهقك ادارته

مؤقتا بمفردك مع المحلين الآخرين .."





رد ابو عبدالله من فوره وقد توقفت اصابعه عن تحريك خرزات مسبحته " لا .. ابدا ليس هذا مقصدي من السؤال ... لكن .. هل هذا يعني انها ... اقصد ان اسيا ..."

قاطعه رضا بنوع من الحزم " هذا يعني ان الوضع سيكون مؤقتا فقط يا ابا عبدالله " ثم خفف من لهجته الحازمة ليردف " اريد لآسيا ان تقرر على مهلها القادم ..."

اطرق ابو عبدالله مرة اخرى ثم عادت اصابعه لفعلها مع المسبحة البنية ليقول

" حسنا ... يفعل الله ما فيه الخير لكما "

عقد رضا حاجبيه قليلا ليتساءل بطريقة مختلفة غير مباشرة " اعترف ان الموضوع الثاني صعب علي التكهن به .."

ظهر على ابي عبدالله تردد واضح وحرج اوضح ! ثم تنهد كمن ينفض عنه ما يعيق طلاقة لسانه ليقول وهو يرفع نظراته مباشرة لعيني رضا " انا لااجيد المماطلة كما لااتقن المراوغة ..." صمت لحظة ليردف ببساطة

" انا كما تعرف رجل ارمل منذ اكثر من سبع سنوات بعد وفاة زوجتي بالمرض الخبيث عافانا الله واياكم ، ولدي عبد الله سافر مع زوجته وابنه الصغير لبلدة اخرى منذ بعض الوقت ..."





غامت عيناه الصغيرتان بالحزن والكآبة وهو يضيف " انا وحيد يا رضا في شقة طويلة عريضة واحتاج لمن يؤنس وحدتي ... "

رفع رضا حاجبيه قليلا فاطرق ابو عبدالله للمرة الثالثة ليقول :

" لست ميسورا لكني بنعمة من الله ولااريد الا امرأة هادئة لطيفة من بيت طيب تشاركني ما كتبه الله لي من العمر في هذه الدنيا " لم يقل رضا شيئا فتعثرت كلمات ابي عبدالله وهو يقول المزيد

" انا ... اطمح ... ان اتزوج .. اختك رفيدة ... واعلم اني لست بقدركم ولا اجاري الحاج يونس رحمه الله مكانة ونسبا لترضوا بي زوجا لها كما رضيتم به لكني ... ساصونها .. وساكرمها ولااريد الا ... عشرتها الطيبة "

لم يعلم رضا كم مر على رحيل ابي عبدالله بعد ان وعده بالتفكير والتشاور مع صاحبة الشأن وباقي العائلة ، كل ما يعرفه انه يجلس على كرسيه مصدوما غارقا بافكاره !

لايعلم السبب بالضبط لكن لم يخطر في باله للحظة ان يتقدم ابو عبدالله يوما لخطبة رفيدة ! والآن تحديدا بعد ان يئست هي من موضوع الزواج وتفكيرها انحصر في اتخاذ طفلة كأبنة لها ترعاها وتعيش امومة حرمت منها ... لقد كان يسعى في الموضوع واوشك ان يبشرها خيرا فأتى ابو عبدالله ليغير كل الموزاين !





كم هي دنيا غريبة واقدار عجيبة فتتآلف قلوب البشر فسبحان مقلب القلوب ....

" رضا الصائغ لقد غزا الشيب رأسك يا رجل من جلوسك الكئيب هذا حاملا هموم العالم فوق كاهلك ! "

" يحيى ! "

هتف رضا باسمه وهو لا يصدق عينيه اللتين تناظران صديق عمره قبل ان يكون قريبا بعيدا لعائلة والده يقف عند الباب كما كان ابو عبدالله يقف قبل اقل من ساعة !

توجه نحوه من فوره ليعانقه بشوق ويقول

" ايها المخادع المجافي لاصدقائك ... متى عدت من امريكا ؟! "

ضحك يحيى وهو يقول بغمزة من عينيه

" منذ ثلاثة اسابيع تقريبا ... عندما سألت عنك قالوا انك في شهر العسل يا محظوظ "

ضحك رضا وهو يضرب صديقه في كتفه

" ستتغدى في بيتي اليوم .. امي ستفرح كثيرا برؤيتك .. اكثر من عشر سنوات يا رجل تغيب عنا ولاتسأل ؟! "

رد يحيى وهو يجلس باريحية على الاريكة ويقول " لاتعاتب الآن ! مررت بظروف صعبة حتى استقريت هناك ... المهم اني اشتقت لك بل لكم جميعا ...و اشتقت بشكل خاص لطعام الحاجة سعاد ..."





ثم غمز بصبيانية مستفزة ليضيف " ام ربما العروس تجيد الطبخ افضل منها ؟! "

ضحك رضا وهو يجلس بجانب صديقه ليميل يحيى ناحيته ويهمس مغيظا لرضا

" سمعت ان عروسك جميلة جدا "

امسكه رضا من ياقة قميصه ونطحه براسه قائلا بشرار ضاحك " يحيى الصائغ قلها ثانية وتحدث عن جمال معشوقتي وساحطم لك اسنانك ! "

انفجر يحيى ضاحكا وهو يقول " انظر لعروقك التي نفرت عند صدغيك ! لهذا تبدو كأنك تكبرني بعشر سنوات وليس بسنتين فقط ..."

استرخى رضا في جلسته وتنهد قائلا " لقد جئت في وقتك يا يحيى .. في وقتك بالضبط ! "

تطلعت بحنق وللمرة العاشرة عبر نافذة المطبخ لباب البيت الخارجي الذي تركه رضا مشرعا وهو يغادر على عجل قبل اكثر من اربع ساعات فقالت سعاد بغيظ شديد لابنها الثاني الذي يلتهم فطوره بشهية

" رضا لم يتناول الفطور معي ! "





رد محسن وهو يلتهم لقمة اخرى من عجة البيض الخاصة بوالدته " لاتغضبي اماه دعيه يستمتع بالخصوصية مع عروسه قليلا ... وبعدها ستجدينهما معا ينزلان طالبين من يديك اشهى فطور "

عبست سعاد بشدة وهي تقول بحنق شديد

" ولماذا العروس لاتتناول معنا الفطور منذ الآن؟! هل سنؤثر كثيرا على الخصوصية الغالية اذا اكلت الطعام برفقتنا ؟!! "

كتم محسن ضحكته لكنه قال بسخرية مرحة " امي ... لاتبدأي اعمال الحموات .."

زمّت سعاد شفتيها وتخصرت لتسأل بلهجة صارمة " واين زوجتك انت الآخر ؟! "

لقمة اخيرة التهمها محسن قبل ان يرد ببساطة " انها تعاني وحام الصباح ... هذه المرة الوحام شديد ..."

ازداد حنق سعاد لتقول بغيظ من كل اولادها

" كل مرة تقول هذا ! انه دلال النساء الذي افقد اولادي عقولهم ! "

لم يعقب محسن بشيء وهو يقف على قدميه ويرفع الصحن الذي افرغه للتو لتساله امه بمزاجها المشاكس لهذا الصباح :

" ألن تذهب لعملك ؟! ام يجب ان تراعي زوجتك المصون ؟! "





اقترب منها محسن حيث تقف قرب حوض غسل الصحون فوضع صحنه المتسخ وفتح صنبور الماء على الصحن ثم التقط قالب الصابون الذي تضعه امه دوما قرب الحوض واخذ يغسل يديه وفمه وهو يقول معقبا على سؤال امه

" ليس لدي عمل اليوم ولن اذهب ..."

تأففت سعاد وبدت فجأة محبطة وضيقة الصدر

تحرك محسن ليأخذ بعض المناديل الورقية ويجفف يديه وفمه ثم رمى المناديل في سلة المهملات وهو يناظر امه ويسأل باهتمام هادئ

" فقط اخبريني لماذا انت بهذا المزاج المتعكر ...؟! "

فتنهدت الام لتقول بتحشرج " لقد حلمت بنفس الحلم يا محسن ... "

فعبس محسن وهو يفكر بغرابة تكرر هذا الحلم الكئيب مع والدته ! لم تحدث معها سابقا وحقا بات الامر مزعجا فقال بشكل عفوي " مرة اخرى ؟! "

ردت سعاد بضيق متزايد " بل قل المرة العاشرة او حتى العشرين ! " ثم اضافت بحيرة " لكن هذه المرة الامر اختلف ! "

فاستند محسن بظهره على حافة حوض الغسيل ليتكتف ويسألها " كيف اختلف ؟! "





ردت سعاد ببعض القلق " عندما انقطع الحبل واوشكت الفتاة ان تقع ارضا في ذلك المكان الموحش امتدت ذراعان صلبتان وتلقفتاها ...."

ابتسم محسن بلطف وقال وهو يحتضن كتفيها " هذا فأل جيد امي ..."

لكن امه بدت غير مرتاحة وهي تقول

" لكني لاعرف لماذا ينتابني احساس غريب ... وكأن شيئا ما حصل ... شيء سيء ... او انه .... سيحصل ...! فهذا الكابوس غريب وكأنه نداء من والدك رحمه الله ولاعلم ماذا يريدني ان افعل وهو يناديني باسمي في كل مرة ...."

جاء صوت عبد الرحمن النزق من عند باب المطبخ " يا الهي ليس الحلم مرة اخرى ! اتوسل اليك امي انسيه لينساك ! "

عندها سأل محسن باغاظة " ما بك يا انت الآخر يا عبد الرحمن ؟! "

تحرك عبد الرحمن بخطى كئيبة ليجلس على احدى كراسي المطبخ وهو يقول " اشعر بالضيق الشديد فالنتائج تأخرت كثيرا ...كل يوم اذهب لاعسكر هناك دون فائدة"

قال له محسن ببعض التأنيب " ايها الصغير انك قليل الصبر ! "





فرد عبد الرحمن ببعض الشرود

" انا .. اريد ترتيب اموري .. لانها تحتاج للوقت والتنسيق ... "

فالتمعت عينا محسن بالتنبه لملامح اخيه الاصغر فسأله باهتمام " اية امور تقصد ... ؟"

توردت وجنتا عبد الرحمن وعيناه انتقلتا بعفوية لامه ليجدها قد استدارت لحوض غسل الصحون تغسل بعض الاغراض وعيناها شاردتان عبر نافذة المطبخ نحو بوابة البيت فقال متلكئا " كنت .. اقصد ..."

قاطعه صوت امه الغريب وهي تسأل بانفاس ثقيلة " اخبراني من ارى واقفا عند الباب حاملا على كتفه طفلة ! "

لاشعوريا وقف عبد الرحمن على قدميه متقدما من امه واخيه محسن الذي استدار هو الآخر لينظر من في الباب فخرجت همسة متحشرجة من فم عبد الرحمن " يا الهي ..."

بينما محسن يقول بانشداه كامل " حذيفة ! "





الفصل الرابع عشر

تتشبث به ويتشبث بها والدموع تجري مدرارا..

يناوب على تقليب كفيها بلوعة واشتياق ليقبّل ظاهرها وباطنها فتقبّل هي عنقه ووجهه ولاتكف عن مناداته بعينين مفتوحتين ونظرة مصعوقة

" حذيفة .. ولدي ... حذيفة ... حذيفة ..."

يبكي بخشونة رجولية بكاء طفل تاه عن اهله لسنوات عجاف وربما لقرون من القحط .. لم يعد يعرف من يحمل خطواته بل خطواتهما معا هو وامه ليجد نفسه اخيرا متربعا على ارضية البيت على بعد مترين من السلم وامه بجانبه تنشج وتهلل وتزغرد بآن واحد ....

احضان محسن لفته في وقت ما عندما كان واقفا في باب البيت بعد ان ترجل من سيارة الاجرة حاملا ابنته على كتفه ... لكن .. بعدها .... لا يذكر الا انه دفع محسن وسلمه ابنته التي كانت تغط في نوم عميق ليركض نحو امه التي ترنحت خطواتها ....

وها هو لايقوَ على الابتعاد عن دفئها .. يا الهي هذا الدفء اين هو منه وقد كان في الصقيع !

سالت دموع محسن دون شعوره وهو ينظر لاخيه حذيفة على الارض كملهوف ظمآن متشرد !







يد صغيرة تربت على كتفه فادرك محسن انه يحمل طفلة قد استيقظت للتو ! التفت بوجهه نحوها يحدق في ملامحها بعجب وانبهار !

من هذه الطفلة ؟! ادمت قلبه وهي تنظر اليه بعينيها الواسعتين الكريستاليتين بالوان شاحبة غريبة ما بين الازرق والرمادي والاخضر ... ابهامها في فمها وهي تحدق في وجهه باستكشاف متسائل اكثر منه متوجس...!

انها لاتنتمي لهذه الجزء من الارض ! شعرها شديد الشقرة الى درجة البياض وبشرتها اختارت البياض الناصع الى درجة الشحوب .. سبحانك يا رب ... سبحانك ....

في نظراتها شيء مختلف عما اعتاده من نظرات الاطفال ! يا الهي ... لماذا تناظره هكذا ؟!!

بعفوية خرج السؤال من فمه

" من هذه الجميلة ؟! "

عندها فقط خرج حذيفة من توهان مشاعره ليرفع رأسه نحو اخيه قائلا بابتسامة مبتهجة خففت من حدة ملامحه الكالحة

" هذه سعاد الصغيرة .... "

شهقت الام ليتطلع حذيفة لوجهها بحنان ودموعه تغرق وجهه " انها ابنتي ... اسميتها على اسمك يا اغلى البشر ..."





جن جنون سعاد من فرط بهجتها وهي تضم ابنها اليها وتهلل " اسميتها على اسمي ...يا روح امك التي رُدت اليها بعودتك ... "

عبس محسن قليلا وهو يعاود النظر للطفلة الصامتة فيسأل بتوجس " واين والدتها ؟"

مشاعر رهيبة فاضت بتعابيرها الكئيبة من ملامح حذيفة هو يرد بصوت جامد

" امها ماتت ... ماتت منذ بضعة اشهر ..."

لطمت سعاد على صدرها وهي تشهق وتقول

" ماتت ؟!! يا الهي .... رحمها الله .. وغفر لها .. لهف قلبي عليك بنيّ وعلى المسكينة ابنتك .."

ثم مدت ذراعيها للاعلى قائلة بغصة لابنها محسن " ناولني حفيدتي بني .. ناولني سعاد الصغيرة .."

لكن سعاد الصغيرة رفضت الذهاب لجدتها وتشبثت بكتفي محسن وهي تهز رأسها بعلامة الرفض وابهامها ما زال في فمها الصغير الاحمر ... اثارت استغراب محسن وقد وجدها اليفة معه اكثر من الطبيعي ، لكنها الفة غير عادية فيها شيء غامض ! ثم فكر ربما هي تألفه لانه يشبه والدها وشعرته مثله ! لكن يبقى الوضع غريب بنظرات الطفلة وكأنها تنتظر الخطوة التالية وتتحضر لها !

قالت سعاد ببعض خيبة الامل " لاباس .. ستعتاد علي .. ستعتاد علينا جميعا ..."





ملامح حذيفة تغيرت وهو يناظر ابنته الصغيرة ، بدا مشفقا عليها متألما ..غاضبا !

محسن يراقب ملامح اخيه العائد من غربته الطويلة وفي داخله تتقافز علامات استفهام لاتعد ولاتحصى .... اخاه الذي يصغره بثلاث سنوات يبدو وكأنه يكبره بتلك السنوات واكثر ! انه حتى يبدو اكبر سنا من رضا !

رضا !! رضا ؟!

فجأة عقل محسن اتخذ منحى آخر ! ودار براسه وكأنه يبحث عن شيء ما ليجد عبد الرحمن يقف متباعدا عند حافة الدرج ... بدا كلوح خشب وملامحه المصعوقة اتخذت سمة التأهب والغضب !

عقد محسن حاجبيه لينسى الاتصال برضا وابلاغه عن حذيفة بينما يقول لاخيه الاصغر " ما بك يا عبد الرحمن ... تعال وسلم على اخيك ..."

لكن عبد الرحمن لم ينطق بحرف وعيناه مثبتتين على حذيفة بتعبير غير معرف لكنه تعبير غير مريح على الاطلاق ....

قالت الام وهي تلوح لعبد الرحمن " تعال يا فتى هذا حبيبك حذيفة الذي اشتقت اليه وكنت كئيبا لغيابه ...."

ايضا لم يرد بشيء !





ساد الصمت المربك لينطق حذيفة هذه المرة وبصوت شابه المرح والشجن

" هل نسيتني يا فتى ؟! لكني لم انسك ولم يفارق وجهك الفتي مخيلتي طوال تلك السنوات ..."

احتدت نظرات عبد الرحمن وأبى الرد !

فقالت الام بتأثر وعتب وقد فسرت غضب عبد الرحمن بغير حقيقته " انه غاضب منك لانك رحلت وتركتنا دون سؤال يا حذيفة ! "

صمت حذيفة وهو يطرق برأسه بينما اوشك محسن ان يهدر بعبد الرحمن غاضبا عندما هبط الدرج ولداه سامي وعقيل وقد بديا منفعلين وخاصة سامي الصغير ...

قال محسن متضاحكا ليلطف الاجواء " هذان العفريتان هما ولداي يا حذيفة ... الكبير عقيل والصغير الشقي هذا هو سامي ..."

اخذهما حذيفة في احضانه واجسلهما على ساقيه يقبل رأسيهما ويقول بنبرة شجن

" حفظهما الله من كل شر .."

ضيّق محسن عينيه مفكرا بغرابة حذيفة ! فهذا ليس حذيفة الذي يعرفه !! حذيفة المتبجح الواثق المغرور .. الذي لايعترف بخوف ولايعترف بعاطفة ....

قال سامي بانبهار وهو يتطلع لوجه عمه " انت تشبه كثيرا عمي رضا لكنه اجمل منك "





ضحك محسن وتضاحك حذيفة لكنه ضحكته تلاشت شيئا فشيئا ليسبل اهدابه ويسأل بصوت غريب " كيف هو رضا ؟"

ردت سعاد بفرح " رضا بخير والحمد للّه لقد تزوج قبل اقل من شهرين ..."

فسأل حذيفة بنفس النبرة " واين هو الآن ؟"

ردت سعاد ببعض التلعثم وهي تتطلع بألم ناحية محسن " انه في محل وا..والدك ..رحمه.."

لم تكمل سعاد ترحمها على زوجها وقد أبى قلبها ان يفجع حذيفة بوفاة والده ...

ليفاجئها حذيفة بالقول المهموم " اعلم ان والدي توفي يا اماه وقد قصمت وفاته ظهري! لم استطع الحضور قبلا ... كنت .. امر بوقت ... عصيب ...."

سألت الام بارتعاب " سترك يا رب .. اي وقت عصيب بني ! طمئني ماذا حصل معك ؟!"

تبسم حذيفة بصعوبة وهو يرفع عينيه لامه ليطمئنها قائلا " لاتخشي شيئا اماه ... اقصد وفاة ... زوجتي... وبعض الصعوبات الاخرى ... لكن مرت الامور بسلام والحمد للّه " ثم رفع نظراته نحو ابنته تحديدا ليقول بصوت متحشرج " الحمد للّه على كل حال ... المهم اني عدت لابقى معكم وبينكم ..."

هدر صوت عبد الرحمن مشحونا بانفجار وشيك " لم يعد لك مكان عندنا ! "





فهتف به محسن بصوت غاضب " ماذا جرى لك يا عبد الرحمن ؟! ما معنى كلامك السخيف هذا ؟! لاتتصرف برعونة وقلة احترام واياك ان تنسى انه اخاك الذي يكبرك بخمسة عشرة سنة ام تراك انك نسيت ! "

عندها قال حذيفة مهدئا محسن

" لابأس يا محسن اتركه ارجوك .. "

ثم التفت نحو والدته التي كانت تحدج عبد الرحمن بغضب وحنق هي الاخرى فربت على كفها وقال بحنو " لاتغضبي امي انه ما زال صغيرا .. انا لست غاضبا منه ولا حتى منزعج..صدقيني..."

ثم تلفت متسائلا " اين رفيدة ؟! "

فردت سعاد قائلة " لا بد انها ما زالت نائمة فهي تتأخر في النوم عادة ولكن هذا هو وقت استيقاظها ..."

فجأة قال سامي بانفعال وكأنه لايستطيع كتمان الامر اكثر " امي ستنجب طفلة جميلة بعد سبعة اشهر ..."

داعبه حذيفة في خده وسأله " وكيف علمت انها طفلة ؟! فربما تكون طفلا ! "

هزّ سامي رأسه رفضا ليقول بثقة " لا ... سمعت جدتي تقول للجدة بدرية ان ما دامت امي تعاني من وحام قوي مختلف عن حملها السابق فهذا يعني انها فتاة "





ضحك حذيفة بينما سعاد وجهها يحمر ليتفاعل سامي مع ضحكات عمه ويضيف المزيد " وخالتي اسيا ايضا حامل لقد اوشكت ان تسقط الآن على الدرج لولا ان امسكتها امي واخذتها لغرفتها ، جدتي تقول الحوامل دائما يشعرون بالدوار ؟ "

للحظة تجمد حذيفة وتجمدت ضحكته ككل تعابير وجهه بينما امه تقرص خد سامي ولاتتنبه له لتقول ببشاشة

" لم نتأكد بعد من حمل آسيا يا صغير ..."

محسن الذي كان يلاعب خصلات شعر الصغيرة التي يحملها هاله ان يرى تعابير حذيفة الجامدة عندما ذكر اسم اسيا ؟

قلق رهيب سيطر عليه وناقوس خطر غامض يدق بقوة في داخله معلنا حالة تأهب لكل حواسه ....

قالت الام بعفوية " الليلة ستشاركني غرفتي مع سعاد الصغيرة وغدا ان شاء اللّه سنجهز لك غرفة بالطابق على العلوي "

ثم تحركت سعاد تنوي الوقوف على قدميها متكئة على كتف ولدها وهي تقول

" تعال معي لاريك الطابق العلوي كيف تغير وتسلم على زوجتيّ اخويك ..."

هدر صوت عبد الرحمن " على جثتي ؟ "





التفتت اليه الانظار كلها وقد تحرك عبد الرحمن في لحظة ليقف في سد السلم مادّا ذراعه مستندا بكفه على حافة السور الحديدي الاسود ! عيناه كصقرين غاضبين يبحثان عن الانتقام ومستعدان للافتراس وهو يتطلع للوجوه المصدومة ليضيف بتأكيد وتحد سافر " لن يصعد خطوة واحدة على الدرج قبل ان يعود رب هذا البيت ! ...رضا "

كان ذهول محسن فوق قدرته على الاستيعاب ولم تكن صدمة الام اقل ! بينما حذيفة يحدق في الارض ليقول بنبرة ميتة " انا .. ساغادر .... ساعاود الرحيل بعيدا ...."

صرخة مخنوقة من الام التي كانت قد وقفت على قدميها لتقع في لحظة مغشيا عليها ..!

" نوبة سكر ! " هز الطبيب رأسه ايجابا لمحسن بينما حذيفة يستند بظهره الى الحائط وقد اثقله الهم !

رفيدة تبكي بحرقة ورحاب تهدئها ...

الصغيرة سعاد تقف بجانب والدها تمسك بيد طارف بنطاله بينما ابهام يدها الاخرى في فمها وتتطلع للوجوه حولها بتلك النظرات الكريستالية الغريبة ...

رافق محسن الطبيب للخارج بينما يأخذ التعليمات منه فيما يخص امه ..

وعندما عاد كانت رفيدة ورحاب تجلسان على جانبي امه فوق سريرها بينما حذيفة اختفى مع ابنته !





امه كانت نائمة ووجهها شاحب تمالك محسن نفسه وسأل زوجته بصوت خافت

" اين عبد الرحمن ؟"

ردت رحاب همسا وهي تغادر السرير لتقترب منه " انه مع الولدين في جناحنا ..." ثم سحبته من ذراعه تأخذه خارج الغرفة لتضيف بملامح مرتبكة " اسيا معهم ... لقد اوشكت ان تسقط على السلم فاخذتها لجناحنا .. لكنها .. ليست طبيعية يا محسن .. ليست طبيعية على الاطلاق ! عيناها جامدتان والتزمت الصمت التام ! لاافهم ما حصل لها كانت طبيعية جدا وتشاركني شرب القهوة عندما سمعنا الجلبة من الاسفل فخرجنا مع الولدين لنرى ما يحدث وفي اعلى السلم كنا نسمع الاصوات وعلمنا بعودة حذيفة وفجأة .... تجمدت واخذت تترنح ! اخذتها لجناحنا وحاولت ان اكلمها لكنها لم ترد علي الا بجملة شاردة (كنت اعلم .. كنت اعلم ..) وحتى بعد كل ما حصل لم تخرج عن جمودها !! انا قلقة عليها جدا ! "

التزم محسن الصمت ليقول بعدها

" هل اتصلت برضا ؟"

ردت نفيا " لا .. لقد انشغلت مع اسيا ثم ارتبكنا جميعا باغماء خالتي سعاد ..."

فقال محسن " حسنا ابقي مع امي ورفيدة وانا ساذهب لارى حذيفة والباقين .."





عندما تحرك محسن كان مشغولا بترتيب افكاره فأمور كثيرة حصلت وبعضها امور غير مفهومة او مفسرة ....!

توجه ناحية غرفة الجلوس باحثا عن اخيه حذيفة ليجده هناك فعلا لكن خطوات محسن توقفت عند حدود باب حالما رأى اخاه متمددا على الاريكة يهدهد ابنته الصغيرة التي لاتتجاوز الثلاث سنوات بترنيمة غريبة وقد بدت سعاد الصغيرة على وشك ان تغفو فعلا ...

انسحب محسن بهدوء ووجهته نحو الطابق العلوي حيث باقي عائلته ....

طرق باب جناحه قبل ان يدخل ليجد اسيا تجلس على الاريكة بالجمود الذي وصفته رحاب بينما الولدان يجلسان قريبا منها على الارضية المفروشة بسجادة خفيفة ويتفرجان على التلفاز ...

همست اسيا دون ان تتطلع اليه

" كيف هي خالتي سعاد ...؟! "

هبّ الصغيران وقد تنبها للتو لدخول والدهما فقال سامي بانفعال شديد " اريد رؤية جدتي " بينما سأل عقيل بخوف طفولي ظاهر

" هل جدتي بخير ؟! "

رد محسن وهو يداعب شعر سامي بينما عيناه تتركزان على اسيا " لاتقلقوا .. انها بخير"





تمتمت اسيا بالحمد لله لتسأل بعدها بنظراتها الزائغة " هل أتى رضا ؟"

تمعن فيها محسن قبل ان يقول بهدوء

" لا ... ولم نخبره بعد .."

وقفت اسيا على قدميها وقد بدت هشة بطريقة تثير الشفقة لتهمس بانهاك غريب

" احتاج للنوم ... ساذهب ... لغرفتي ..."

تحركت بينما محسن يسألها " اين عبد الرحمن ؟! " فردت " قال انه ذاهب لغرفته ! "

غادرت اسيا بحالتها الهشة بينما التفت محسن لطفليه ليقول لهما بجدية " ابقيا هنا وكونا هادئين فالجدة تحتاج للراحة لتتحسن سريعا .."

هز الاثنان راسيهما بطاعة وقد بديا مدركين بطفوليتهما ان هناك امر خاطئ يستدعي هدوءهما !

غادرهما محسن وهدفه غرفة اخيه الاصغر حيث ينبئه حدسه انه سيكتشف امرا جللا !

عبد الرحمن يجلس على حافة سريره برأس منكس ومحسن يقف متكتفا امامه مطالبا بصوت صارم " ستخبرني ... والآن .. دون اي تضليل او اخفاء ... ماذا حصل من حذيفة قبل سنوات ...قبل ان يهاجر ..."

ما زال الرأس منكسا فخرجت تمتمة متحشرجة من فمه " لم يحصـ..."





قاطعها محسن محذرا بحدة " اياك يا عبد الرحمن ... اياك والكذب علي ! "

عندها رفع عبد الرحمن رأسه وبدت عيناه كجمرتين من النار فادرك محسن ان كان يبكي ! اشفق محسن على حال اخيه الصغير فترقق بالقول دون اهمال لخطورة الموقف

" اخبرني ماذا حصل يا عبد الرحمن ... اخبرني قبل حضور رضا ... يجب ان افهم لاتدارك الامور قبل ان تخرج عن السيطرة .."

تردد ورفض فاضتا بهما عينا عبد الرحمن فاضاف محسن بحاجبين معقودين " امك حصل لها نوبة سكر واسيا بحالة غريبة وحذيفة بحال اغرب ! ورضا ... رضا لااعلم ماذا ينتظره بعد .."

مد محسن كفه ليمسك كتف اخيه يعتصره قائلا بثبات حاثا اياه " اخبرني لامسك زمام الامور اذا افلتت من رضا ...."

دموع حارة سالت على خد عبد الرحمن قبل ان يهمس بصوت متحشرج " ساخبرك ...! "

خرج محسن بوجه مكفهر من غرفة عبد الرحمن حاملا اطنانا من الهموم والخوف لاجل عائلته ... وبينما يهبط درجات السلم اخرج هاتفه واتصل ....





" الى اين يا رجل ! ابق معي بقية اليوم ثم تذهب معي لبيتي فتتغدى معنا واعرفك على زوجتي ..."

كان يحيى قد وقف على قدميه معلنا انسحابه ليرد على رضا المعترض الآن " انا تركت عملي خصيصا بهذا الوقت لاتي واراك هنا دون ان ازعجك في بيتك وانت عريس جديد لم تمض الا بضعة ايام على عودتك من شهر العسل ... لذلك دع دعوة الغداء لوقت اخر .."

وقف رضا على قدميه هو الآخر قائلا بحاجبين معقودين " لاتكن سخيفا ! قلت لك لاازعاج على الاطلاق ..."

فاخذه يحيى في احتضانة كتف وهو يردد ببشاشة " وانا مصر ! ... ساتيكم الاسبوع المقبل مع هدية مناسبة للعروس الجميلة ..."

تنهد رضا قائلا بمرح

" كم انت عنيد ! لم تتغير ابدا .."

فجأة علا صوت هاتف نقال فابتعد رضا عن صديقه ليقترب من منضدة المكتب ملتقطا هاتفه النقال ليقول بعفوية

" هذا اخي محسن ..."

تحرك يحيى نحو الباب وهو يقول

" رد على اخيك وانا راحل لعملي ..."

فلوح له رضا قائلا " اراك قريبا ..."





فتح رضا الخط مع اخيه وهو يقول بمزاج رائق

" مرحبا محسن .."

رد محسن بنبرة غير طبيعية " مرحبا رضا ..."

سأل رضا بتوجس " مابك ؟! صوتك غريب"

قال محسن بصوت هادئ " لاتقلق الامور بخير لكن اريد منك الحضور للبيت الآن ..."

انقبض قلب رضا فسأل بصوت مبحوح

" هل حصل شيء لامي ...؟ "

بدا محسن يجاهد ليظهر هدوءا زائفا " قلت لك الامور بخير وكلنا بخير ..."

باحساس غريب قال رضا " انا قادم ..."

وجدها عند شباك غرفتهما الخضراء تتطلع لشباك غرفتها القديمة ... اثقله رؤيته بالحجاب وكأنها عادت بعيدة المنال !

همس باسمها " اسيا ..."

التفتت اليه بملامح مزقته اربا تهمس حروف اسمه بخفوت هش " رضا ..."

في لحظة تلاقيا وفي اللحظة الاخرى كان يجرها لاحضانه وهي تنتفض على صدره فيضمها اكثر حتى رفع قدميها عن مستوى الارض دون ان يشعر ..

يده تحركت على حجابها تنزعه بنزق عن رأسها وهمس متوحش تتمتمه شفتاه

" لاتخافي من شيء وانا معك ..."





اصابع يده تحل شعرها من عقدته وتغرق فيه

بينما هي ترتعش بالكلمات " لقد ... عاد ..

كنت اعلم ... شيء .. ما في صدري .. كان

يخبرني ... كنت اعلم ..."

تشنج بقوة ثم اطلق نفسا لاهثا اطلقه صدره

بمخاض صعب !

قال بعزم وهو يغرق وجهه في شعرها " سنجد

حلا ... فقط ابقي حيث انت ...! "

اخذت تشهق فجأة وتقول بانفجار اذهله

" مستحيل رضا ... مستحيل ... لاتطلب مني

البقاء هنا ... ساموت ... سيقتلني النظر اليه ...

استنشاق هواء البيت نفسه ... الاكل من صحن

قد يكون اكل فيه او شرب ماء من قدح سبق

وارتوى منه ...! "

يكاد يشعر بالتحطم ! وكأن تلك الليلة

قبل ثماني سنوات تعيد نفسها باسوأ صورة !

كابوس ... كابوس حياته فقدان اسيا ...

والان ؟!!

بعد ان اصبحت ملكه ... بعد ان لامسها بكل

طريقة تمناها ... بعد ان حفظ منحنيات

وجهها وتعلم اسرار نومها وادمن رائحتها واعتاد

دفء روحها يلفح روحه ....

الان وقد وجد فيها لغة حياته ليفهم الدنيا

بابجدية جديدة ....





وكأنه كان يرى هذه الدنيا بعين واحدة
لتاتي هي وتهديه عينا اخرى ....

اعتصرها عصرها وهو يهدر " انسي الماضي ...
يا الهي ماذا افعل اكثر لامحوه من
ذاكرتك؟!! "

اختنقت وهي تقول ببكاء ناعم

" سامحني رضا ... سامحني ... "

كانت ترتجف بينما تقبل عنقه بشغف
تتشمم رائحته بهوس وكأنها ..... تودعه !

هبط رضا درجات السلم وعيناه لاتعبران عن
شيء !

نظر عفويا للساعة الجدارية امامه فتعجب انها
السابعة مساء !

هل مضى عليه ما يقارب الست ساعات منذ
ولوجه البيت ؟!

تذكر وقفته الطويلة في المرآب مع محسن
الذي كان بانتظاره ...

ذلك الشرح المسهب الذي بدا مختصرا جدا
امام مايحمله من معان !

اول ما فعله كان الذهاب لرؤية امه وكم
دمرته رؤيتها باكية شبه منهارة تتوسل اليه
منع حذيفة بأي طريقة من الرحيل مرة
اخرى...!





وبعد ساعة طويلة من كلام مبعثر منها هدأت وعادت للنوم لكن ليس قبل ان تتأكد بنفسها ان حذيفة يغفو على اريكة غرفة الجلوس بجانب ابنته يشخر بصوت عال وملامح وجهه تعبر عن انهاكه ......!

واخيرا قادته خطواته لمعشوقته التي تتوارى بخوفها الذي يعرفه جيدا خلف ابواب مغلقة لاتمنحها الامان الذي ترتضيه !

توأمة القلب تريد الابتعاد .. لم تقلها صراحة لكن ......

" كيف لم تخبروني بكل ما جرى ؟!! سعاد تقع مغشيا عليها وانا لااعرف ؟!! "

تطلع رضا لوجه امه بدرية وهي تدخل عبر باب المطبخ ومحسن في اثرها وقد بدت في قمة نقمتها و ... قلقها ...

نظر رضا مطولا لامه بدرية ليقول بصوت باهت " انها بخير ... لاتقلقي امي ..."

عقدت بدرية حاجبيها وهي تقترب من رضيعها وتنظر اليه بتفحص وتقول بارتياب " ماذا يجري لكم جميعا ؟! محسن و..انت ! لاتبدوان حتى سعيدين بعودة حذيفة بينما امكما من فرحتها اصابتها نوبة سكر ! "

اسبل رضا اهدابه وبدا واضحا لعيني بدرية ان الهم اثقله !





انقبض صدر بدرية وعقلها يستعيد بعض توازنه ليمتلأ بالتساؤلات التي لاتعد ولاتحصى ...

قال رضا اخيرا " اذهبي لرؤيتها في غرفتها امي .. معها رحاب ورفيدة ايضا كما اظن ... لكن لااعلم ان كانت نائمة ام لا ..."

ضيّقت بدرية عينيها لتسأل بلهجة عادية تخفي توجسها من المجهول " واين اسيا ؟! "

تطلع رضا للحظة نحو محسن فبادر محسن للرد " اسيا مع الولدين في الطابق العلوي .. كانت .. مرهقة واوشكت على السقوط على السلم لكنها ... بخير الان .. وهي تلازم الولدين .. لتمنعهما من ازعاج جدتهما .."

اظهرت ملامح بدرية عدم الاقتناع لكنها تصرفت بذكاء وهي تتحرك بخطى ثابتة ناحية غرفة سعاد وهي تقول بتذمر " قلت لها الف مرة اخفضي من وزنك يا امرأة ! وها هي تصاب بنوبة سكر عدا الروماتيزم البغيض الذي يفتك بعظامها "

تطلع الاخوان لبعضهما فقال محسن بهدوء ظاهري " ماذا ستفعل يا رضا ؟! "

التزم رضا الصمت لبضع لحظات قبل ان يتحرك نحو غرفة الجلوس وهو يقول

" يفعل اللّه ما يشاء ...."





(ايها الحقير النذل ! تعترض الفتيات في الشارع وتريد هتك اعراضهن ؟!!!)

(لاتحاول تلبس شخصية الاخ الفاضل الآن ! رأيتك اكثر من مرة كيف تنظر اليها بشغف مجنون .. وكل ما فعلته اني حققت رغباتك!)

جمل متبعثرة من الذاكرة تتخللها الضربات واللكمات ... تهف على ذهنه من صفحة ذلك اليوم العصيب الذي غيّر مجرى حياته ... وحياة اخيه حذيفة ....

يجلس على الكرسي المقابل للاريكة التي يضطجع عليها حذيفة باريحية عجيبة ! دوما كان يتخذ هذه الاريكة سريرا له مما كان يثير حنق والدهما ...فيزجره ان يذهب لسريره وينام هناك ...

لكن هذه المرة حذيفة لاينام بمفرده فهذه الشقراء الصغيرة تضطجع على صدر والدها بنفس الاريحية التي يضجع بها والدها على اريكته المفضلة !!

يجلس رضا والمشاعر في داخله تتأجج وتتداخل بعضها في بعض ... فتكون احداها حطبا للاخرى ثم تبرز غيرها كماء بارد يطفيها.....!

افكاره لاتعرف الاستقرار كمشاعره ... فلم يستطع لجم تلك المشاعر بالعقل ليقودها الى طريق آمن ....





خفت شخير حذيفة وهو يتحرك قليلا وبحركة غريبة تشنج بقوة بينما ذراعه التي تلتف حول جسد ابنته تتشدد بنوع من العنف حولها وكأنه مرتعب حتى يتأكد من وجودها في مكانها على صدره ...

ثم عاد واسترخي تماما ثم علا شخيره والفتاة صغيرة تمص ابهامها وباقي اصابع كفها الصغير تتشبث بقميص ابيها !

عقد رضا حاجبيه بتركيز .. فما بين الغضب الجامح من حذيفة وبين الشوق الذي يفرضه الدم الذي يربطهما كان يحاول التركيز اكثر بحال اخيه العائد بهيئته المغبرة وملامح وجهه الكالحة ..

ضيق رضا عينيه اكثر وهو يلاحظ تلك الخطوط الحادة العشوائية والمبهمة باسبابها وقد شقت وجهه في اماكن متفرقة ..

هل هذه جروح سكين ؟!

" عمي رضا .. عمي رضا ... جدتي تسأل عنك وعن عمي حذيفة ..."

كان صوت سامي منخفضا لكن عينيه تنطقان بكل الانفعال وهو يفتحهما على وسعهما ويرفع حاجبيه عاليا ...

بؤبؤا عينيه تتحركان بتلاحق بين عمه رضا وعمه (الجديد) النائم على الاريكة لتتماهل تلك العينين بفضول اشد على الصغيرة النائمة على صدر والدها ...





تحرك رضا من جلسته ليمسك كف سامي فيقوده معه خارج غرفة الجلوس وهو يقول

" عمك حذيفة ما زال نائما ، يبدو انه مرهق جدا .. دعنا نذهب لنرى جدتك ونطمئنها..."

مال رضا برأسه ليقبل ظاهر كف امه الذي كان يتمسك بكفه بتوسل بينما امه تعاود قول نفس الكلام " رضا ... لاتقسو على اخيك يا رضا ... انك حنون في داخلك وسترأف بحاله اليس كذلك ؟؟ لقد عاد الينا الآن ولايهم هجرانه السابق لنا ..."

تبسم رضا بصعوبة في وجه امه وهو يقول بصوت محايد " انت اهدأي فقط امي "

لكن الام اخذت تلامس لحيته ودموعها تنسكب على خديها لتقول بانفاس متحشرجة " عدني اولا انك ستلم شتات اخيك العائد ... عدني ارضاك الله بكل ما تحب وتتمنى ..."

غصة اعتصرت قلبه لكنه قال بحنو ودون ندم للاختيار " اعدك امي ..."

تنهدت الام بارتياح عميق لتقبل وجهه حتى لامسته دموعها الغالية وكأنها هم آخر يحمله على كاحله ... قالت سعاد بطلب اخر " وكلم اخاك عبد الرحمن فمنذ ما حصل وهو يحبس نفسه في غرفته لايغادرها ... انه مرهف الاحساس ومؤكد يشعر بالذنب لما حصل لي "





ابتسم رضا بهدوء وقال مطمئنا اياها

" سأذهب اليه حالا لاتقلقي انت على اي شيء..."

تحرك رضا من جلسته بجانب امه على السرير بينما كانت امه تمسح وجهها وتسأل

" وكيف هو حال زوجتك الآن ؟! "

تشنج جسد رضا بالكامل ليقول بنبرة غير معبرة عن شيء

" انها .. لاتستطيع مغادرة .. السرير ... "

تحرك مبتعدا بينما امه تلاحقه بتوصياته

" زوجتك تبدو ضعيفة البنية يا رضا ! يجب ان تأخذها للطبيبة النسائية لتكشف عليها وتعطيها الفيتامينات الضرورية "

وما ان خرج رضا حتى تمتمت سعاد بتذمر

" ما هذه النسوة ؟!! كل واحد ستنهار من مجرد حمل ! "

حركت بدرية رأسها وكأنها تقول لها

(لافائدة منك) ثم وقفت على قدميها تلاحق خطوات رضا ....

" رضا ..." التفت رضا للنداء وهو على مقدمة السلم قائلا بصبر وهو يحني رأسه

" نعم امي بدرية ..."





اقتربت بدرية بخطوات حيوية قائلة بحزم وهو تحدق برأسه المنحني

" انظر في عيني يا ولد ..."

ارتعشت عضلة في خد رضا قبل ان يرفع رأسه ليواجه مرضعته هامسا برقة " ماذا ؟! "

عبست بدرية وهي تسأل بصرامة

" ماذا تخفي عن اميّك ؟!"

تشنج لكنه اجاد اخفاء ردة فعله وهو يسأل

" ماذا تقصدين امي بدرية ؟ "

ملامح بدرية كانت صلبة وهي تقول بفطنة التمعت في عينيها " لسنوات كنت اظن حذيفة هارب بمزاجه .. مهاجر لايعرف الحنين ... فهو جامح بطبعه ولايهتم لاحد "

ملامح رضا تجمدت بينما بدرية تقول المزيد

بل تتساءل عن المزيد " ماذا فعل حذيفة حقا ليستحق غضب والدك طوال هذه السنوات .."

لم يفتها تقبض كفيه لتجازف بالسؤال الذي تعتقده مربط الفرس

" ام يجب ان اسأل ماذا فعل لـ...آسيا ؟! "

صدمته فاقت كل توقعاته ... لم يخطر له ان تصل بافكارها لآسيا ولا يعرف كيف استنتجت الامر !





قالت بدرية وهي تضيق عينيها " لماذا تبدو مصدوما هكذا ؟!! هل تعتقد اني صدقت قصة تعب آسيا المفاجئ الذي يجعلها لاتغادر سريرها في يوم وصول حذيفة بالذات ؟!! ام تعتقد اني نسيت ما افلت به لسانك يوما بأن حذيفة وقف بينك وبين آسيا ... ان كانت سعاد لم تتنبه لما قلته وقتها فانا اخترقت جملتك اذنيّ وحفرت في ذاكرتي ..."

كل ما يحمله من هم ثقيل رسم على ملامحه وقد بدا غير قادر على اخفائه فقال بتنهيدة

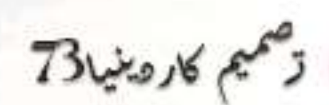
اوجعت قلب بدرية " ارجوك امي بدرية انا .. منهك فكريا .. اليوم كان عجيبا من اوله..."

لكن بدرية لم تتراجع فسحبته من ذراعه بعيدا عن السلم وهي تقول بحنو " تعال بني ... تعال واجلس معي بعيدا عن الاعين والاذان وارمِ حملك علي اشاركك همومك..."

في غرفة الضيوف اعطته الفرصة ليبدأ الكلام بينما يجلس بجانبها على الاريكة ويحدق بشرود امامه فقال بصوت مهموم " عبد الرحمن كلمني قبل زواجي انه يريد السفر للخارج واكمال دراسته الجامعية هناك .. وانا وعدته خيرا... واني اسانده باختياره ..."











تمتمت بدرية ببعض الأسى " يا لهف قلبي عليك يا سعاد ! واحد يعود واخر يغادر .."

تنهد رضا وهو يقول " أجل ... سيؤذيها ان تفارق صغيرها عبد الرحمن لكني لااريد الوقوف بوجه مستقبله .. انه فتى جيد وميوله علمية وسيكون له مستقبلا رائعا ان شاء اللّه ..."

ربتت بدرية على ركبته وقالت بلطف " حسنا ... سنؤجل موضوع عبد الرحمن الآن ... ماذا حصل اليوم ايضا عدا وصول حذيفة بالطبع.."

تبسم رضا بشجن بينما يدير وجهه لها ويقول " لن تصدقي امي ! رفيدة جاءها عريس ..."

ارتفع حاجبا بدرية قليلا لكنها قالت " عريس ؟! حسنا ... لكن ماذا تقصد لن اصدق ؟!! "

ابتسامة غريبة شقت ثغره ليقول " لن تصدقي هوية العريس ... انه ابو عبد اللّه ..."

تساءلت بدرية " من ابو عبداللّه ؟! "

رد رضا وهو يعاود الشرود بنظراته " الساعد الايمن للحاج يونس رحمه اللّه "

قالت بدرية بنبرة مذهولة

" هل تقصد سالم ؟!"

اكتفى رضا بهز رأسه موافقا ...





قلّبت بدرية الامر في عقلها لتضيف ببساطة

" انه رجل جيد .."

رد باختصار " اعلم هذا ..."

فنظرت بتمعن اليه لتقول بتفهم لما يدور في سريرته " لكنك تخشى ان تراه امك بعين صغيرة اليس كذلك ؟ ام تراك تخشى كلام الناس لان سالم كان يعمل عند الحاج يونس ؟؟ "

قال رضا بصبر " انا افكر بكل هذا امي بدرية بل واكثر ..." التفت بوجهه اليها ليضيف بهدوء " هناك امر آخر كنت اسعى فيه لاجل رفيدة بناء على طلبها .."

تساءلت بدرية بتوجس " ماذا ؟! "

رد " كانت تريد ان تتكفل فتاة من الميتم .."

هذه المرة كانت المفاجأة كانت ابعد مما خطر في بال بدرية يوما لتقول بذهول شديد " حقا ! رفيدة تريد كفالة طفلة ؟!! "

اجابها رضا مفصلا " اجل ... وكنت قد وصلت لأبدأ الاجراءات وتحضرت لافاتح امي بالموضوع "

صمتت بدرية قليلا واخذها تفكير عميق ثم قالت اخيرا " حسنا بنيّ .. عليك ان تكلم رفيدة اولا .. هي من يجب ان تحدد خياراتها الآن وبعدها اترك امك علي انا .."





اكتفى رضا بهز رأسه وكأن هذا ما يفكر به هو الآخر لتواجهه بدرية بما كان سببا رئيسيا لهذه الجلسة بينهما قائلة بعزم لايلين

" والان ... دعنا نتكلم عن الاهم ... "

حرقة خرجت مع صوت رضا وهو يتنهد ويقول

" ارجوك اماه .."

التاع قلب بدرية فقالت بحنق وهي تتحامل على ألمها لاجله " لاتخلع قلبي بتنهيدة (اماه) هذه ...! ستخبرني يا ولد والا اقسم بالله العظيم ان لساني لن يخاطب لسانك ليوم الدين ..."

اطرق برأسه بينما بدرية تمسك ذراعه وتميل لتقبل جانب وجهه وتقول بحنان الدنيا كله

" رضا ... ما ستقوله سيبقى في صدر امك بدرية حتى تلقى ربها ... يجب ان تقول لي .. وان لم استطع مساعدتك فيكفي ان احمله معك "

قال رضا بصوت مخنوق " سافقد اسيا اماه ... "

يا الهي لفظة (اماه) المتوجعة بصوته الرجولي الحبيب يفتت قلبها ابتلعت بدرية ريقها وهي تتجلد وتقول

" لا سمح الله ! اخبرني بني ولاتزدني ارتعابا عليك .."

....





وقف رضا عند باب عبد الرحمن فطرقه قبل ان يدخل فقز عبد الرحمن حالما رأى اخاه الاكبر وقبل ان ينطق رضا بكلمة تقدم منه عبد الرحمن وهو يتوسله بالقول " اخرجني من هنا يا رضا ... دعني اسافر وابتعد عن البيت ... لن اطيق البقاء و..هو .. موجود ! "

نظر اليه رضا وفي داخله تتكالب عليه الاعباء من كل جانب ....

راقب تقلباتها في السرير فادرك بألفة انها على وشك الاستيقاظ ...

لقد دخل غرفتهما بعد منتصف الليل فقد طالت جلسته مع عبد الرحمن ليتمكن من تهدئته وطمأنته ان الامور ستسير على ما يرام .. لقد اشفق على ذلك الصغير بينما يعترف له بخزي انه اخبر محسن بكل شيء ...

لكن رضا لم يغضب منه كما لم يتفاجأ ! فوجه محسن نطق بما لم ينطق به لسانه ....

همستها داعبت اذنيه " صباح الخير ..."

رد وهو يجلس بجانبها على السرير يتخذ من ظلمة الغرفة ستارا يخفي انفعالاته

" لم تشرق شمس الصباح بعد..."

نادته بحشرجة " رضا ...." كان يميل نحوها هامسا بشجن " كنت تبكين بنومك .."






عبرة افلتت منها وهي تقول بتقطع

" يجب .. ان تسمعني ..."

رد بحشرجة خشنة

" ساريحك يا اميرة البنات ..."

التمعت عيناها في الظلمة وهي تقول بألم مبرح " ستدعني اعود لبيت عائلتي ...؟ "

تصلب وهو يقول بجزع

" رفقا بي ولاتقوليها على لسانك .."

عندها قالت وقلبها يئن في صدرها

" ان لم اقلها بلساني فعقلك يدركها يا رضا القلب ....! "





الفصل الخامس عشر

بعد اسبوع

دخلت على اختها الكبرى والساعة تقارب السابعة صباحا تطلب استعارة حذاء منها فوجدتها ما زالت بإزار الصلاة تجلس على سريرها وتقرأ القرآن ....

اغلقت اسيا كتاب الله وتطلعت لاختها وقالت

" هل قررت العودة فعلا لعملك ..؟ "

نظرت حبيبة اليها وهي تضع الحذاء في قدميها قائلة بهدوء " نعم ... "

فسألتها اسيا بحاجبين معقودين " وذلك الـ..."

فقاطعتها حبيبة وهي تضفر شعرها

" الامر ليس كما تظنين ..."

عبست اسيا بقوة وهي تقول بتساؤل متوجس

" ماذا تقصدين يا حبيبة ..؟"

ردت حبيبة بتنهيدة " لن يتهجم علي ... مرة اخرى اذا كان هذا ما يقلقك .."

زمّت اسيا شفتيها قبل ان تقول بشك

" وكيف تعرفين ...؟! "

ردت حبيبة وهي تهز كتفيها بلامبالاة ظاهرية " اعرف فقط ..."





فتساءلت اسيا بثبات " لكنه سيحاول اغواءك والتأثير على مشاعرك اليس كذلك ؟"

عندها نظرت حبيبة لعيني اسيا لتقول بنبرة غريبة " هذا جوابه نعم .."

هتفت اسيا بها " حبيبة ! هل انت مدركة لمعنى ما تقولين ؟!!"

اجبرت حبيبة نفسها على الابتسام لتقول بمرح ساخر " بدلا من القلق علي فكري بنفسك يا اسيا وبوضعك الغريب وعودتك الاغرب لبيت عائلتك بحجة تعبك المريب الذي يحتاج لعناية !.."

تصلبت اسيا لتقول بتحذير واضح

" لقد قلت ان لا ...."

فقاطعتها حبيبة بفكاهة " ان لا نتدخل ؟! اجل قلت هذا لكن امنا لن تكف عن المحاولة لتفهم معنى وجودك هنا لـ(استعادة صحتك والراحة) كما وصفت ..."

قالت اسيا بثقة تواري بها مشاعرها المكبوتة " اذا كنت تلمحين اني على خصام مع رضا فانت تعرفين انه يأتي يوميا ليراني ..."

نظرة عميقة من حبيبة بينما كانت تتلاعب بضفيرتها قائلة " هل تعتقدين هذا يريحنا ؟! انه يضاعف القلق بأن الامر اكبر من سيطرتكما لتحلاه...! "





ادارت اسيا وجهها جانبا وقد عجزت عن قول المزيد فهمست لها حبيبة بابتسامة حنان

" انت تحبينه جدا ...؟! "

فترد اسيا بهمس حزين " بل اعشقه .."

لتقول حبيبة بلمحة عذبة " وهو يفقد اتزانه امامك ... عيناه تُنطِقان الحجر بفيض نظراتهما اليك .."

خنقتها العبرة فلوحت بيدها لاختها تصرفها قبل ان تنهار امامها بالبكاء

" اذهبي حبيبة ..."

تنهدت حبيبة وهي تترك اختها تفيض بدموعها التي لاتعرف سببا حقيقيا لدوافعها !

هبطت درجات السلم لتجد امها وحدها في المطبخ كالعادة فالصغيرتين تمتعان نفسيهما بنوم متأخر في العطلة الصيفية ...

اقتربت من امها ببعض التوجس وكانت تأمل ان قميصها الفضفاض سيتشفع لها حتى يمتص بعض غضبها ...

العودة لاحضان امها كان دواءها لتعبر ازمتها .. لقد اعاد اليها توازنها لتعيد قراءة كل ما حصل ومنذ البداية ....

قد لاتتفهم حاجة والدها للزواج من اخرى ولاتتفهم كيف رضيت امها به لكنها اصبحت تفهم نوع العلاقة التي ربطتهما معا ...





وهذا جعلها تدرك بطريقة ما نوع العلاقة غير المعلنة التي ربطتها بمهند .. فتقارن وتتدبر...!

قد لن تنسى ما حصل بينهما تلك الليلة لكنها بطريقة ما وصلت لقناعة انها تتحمل بعض المسؤولية معه .....

ارتجف داخلها للحظة وهي تستعيد بعض ما حصل لكنها سرعان ما وأدت الذكرى !

مالت ناحية امها لتقبل كتفها وتقول بحلاوة

" انا ذاهبة امي .." لكن امها لم تلتفت اليها وهي ترتب اغراض المطبخ ولا حتى ردت عليها!

توسلتها حبيبة " ارضي عني ارجوك .."

واصلت الام تجاهلها فهمست حبيبة تحاول الشرح مرة اخرى " يجب ان .."

فقاطعتها امها بحدة وهي تواجهها لتكمل بما تعتقده " تعانديني ! "

عينا الام جرتا على قميص ابنتها بينما حبيبة تعض شفتها السفلى لتقول بتعلثم ونبرة صادقة نابعة من القلب " اقسم لك الامر ليس عنادا ... انه ... مستقبلي ... بل حياتي كلها على المحك ... لن اكون حبيبة كما تعرفينها اذا تراجعت .. اذا اعلنت جبني بانسحابي ... سأكره نفسي امي .. سأكره حبيبة لانها اوقعتني في ورطة ولم تخرجني منها كما يجب ...! "





غمر تفكير عميق ملامح ابتهال بينما توجس الام بل ارتعابها على ابنتها يطفح من نظراتها فقالت حبيبة بشجاعة " فقط ثقي بي ...هذه المرة ..."

راقبها وهي تقرأ عقدها الجديد ، فتاة ممتعة وخلابة ... رفعت عينيها اليه تناظره من فوق الاوراق التي تحملها بيدها اليسرى فقالت ببساطة " انا موافقة .."

ثم وضعت الاوراق على سطح مكتبه بينما يخفي يحيى ابتسامته ... لقد حقق ما اراد وجعل طموحاتها تغلب اي شيء اخر يمكن ان يوقفها...

وقفت على قدميها فظهر قميصها الابيض الفضفاض كاملا ..رفع حاجبا واحدا وقد اعتراه بعض العجب !

بما ان حبيبة العطار اصبحت مثار فضوله الاول على ارض الوطن فقد اخذ يجمع عنها معلومات شخصية اكثر!

ومن بين ما علمه انها ترتدي دوما ملابس ضيقة تثير الزوابع حولها .. !

ليست ملابس مستهترة او مبهرجة بالعكس وصفت له بالعملية والبسيطة لكنها تبقى ضيقة تظهر مفاتنها ولاتناسب بيئة هذا المجتمع المتحفظ ...





حبيبة العطار مثار جدل مستمر في محيط تواجدها فجمالها وموهبتها وشخصيتها الشرسة كلها حوافز لتسليط الاضواء عليها...

ترى ما الذي جعلها تغير من طريقة لبسها ؟!

همسة شقية مرحة في داخله " خسارة ؟!"

تطلع اليها ... لعينيها مباشرة ليقول بسلاسة وابتسامة واثقة مستفزة

" كنت اعلم انك ستوافقين .."

شعّت زرقة عينيها فكزّ على اسنانه بفضول قاتل ليستكشف تلك الزرقة عن قرب..

يشعر ان هذه الفتاة روحها تُقرأ من عينيها .. لكن ليس ايا كان يستطيع فك طلاسم تلك الزرقة المشتعلة...

قالت حبيبة اخيرا وبابتسامة باردة " ساعتبر ثقتك هذه ثقة بي شخصيا وعليه ساقول .. شكرا لك .. ! "

ثم اضافت وهي تستدير بعنفوان استفز طباعه المشاكسة " عن اذنك .. انا ذاهبة لعملي.."

عند الباب جاءها صوته السلس الخافت

" مخصوم من راتبك اربعة ايام !"

استدارت بقوة اليه لتعقد حاجبيها وقبل ان تعترض بشيء سبقها بقوله الهادئ الساخر

" انا لم امنحك الا اسبوعا واحدا اضافيا كاجازة باقي الايام التي لم تحضري فيها ستخصم من راتبك .. واذا تكرر الامر سيضاعف الخصم .."





ليتلاهى يحيى بالاوراق امامه متجاهلا اياها بتعمد ثم قال ببرود عملي " يمكنك الانصراف الان يا انسة حبيبة .."

سألت سعاد وهي تمسك بكف ابنها حذيفة الذي يجالسها منذ الصباح في سريرها

" هل تكلم رضا معك ؟"

اسبل حذيفة اهدابه دون ان يغفل عن مراقبة عيني الخالة بدرية التي تلازمهم البيت منذ وصوله ليقول بهدوء مستتر " ليس بعد .. عدا ترحيبه الفاتر يوم وصولي لم احصل منه الا على التجاهل التام ..! " ثم تطلع بحنان متدفق لابنته التي تجلس على حجره وقال ببشاشة

وهو يقبل جيدها الابيض الناعم " لكنه يلاعب سعاد الصغيرة باستمرار ...فهذه الجميلة الفاتنة تحظى منه بكل الاهتمام..."

بتنهيدة اعتصرت سعاد كف ابنها وقالت بثقة مطلقة " اصبر بني .. رضا من النوع الذي يفكر جيدا بالامور قبل ان يبت فيها ..."

فرد حذيفة بابتسامة تحمل الهم والغم

" انا اعذره واتفهمه ... وتارك له كل شيء ليبت فيه .."

عندها قالت سعاد بنبرة عدم رضا " كما انه متضايق من بقاء زوجته في بيت اهلها كل هذه الايام .."





لتضيف بحنق " لاافهم دلال النساء هذا ! ما معنى انها تحتاج لعناية امها ؟!!! "

تدخلت بدرية لتزجرها بتأنيب واضح " كفي يا امرأة و اهتمي بشؤونك وصحتك ...

اتركي ابني وزوجته في حالهما ! لاتضغطي على الفتى .... يكفيه ما هو فيه ..."

ومع اخر جملة لبدرية تركزت نظراتها على حذيفة بينما سعاد ترد عليها بحنق

" حسنا حسنا لاتبدأي يا بدرية ..."

صوت رضا جاء هادئا من عند الباب وهو يلجه

" السلام عليكم ..."

رد الجميع سلامه بينما عيناه تتجهان ناحية رفيدة التي تجلس بقرب امه بدرية ليقول

بنظرات غامضة " جيد انك هنا يا رفيدة ... فهناك موضوع يخصك لم يعد يحتمل التأجيل اكثر .."

رفعت رفيدة نظراتها لاخيها بارتباك فابتسم لها ليضيف " بل موضوعان بالاحرى ..! "

ابتسم رضا للصغيرة الشقراء التي تقبع في حضن والدها فلوحت له بكفها الحر بينما كفها الاخر يلاصق وجهها والابهام في فمها كالعادة ...

كان عقل رضا قد انسحب قليلا ناحية الصغيرة وهو يفكر جديا بضرورة ايجاد حل لمشكلة مص الابهام هذا ... لكن صوت امه اعاده لتركيزه وهي تقول





" خير ان شاء اللّه بنيّ ..."

جلس رضا على الجانب الاخر من امه بدرية ليقول بتأنٍ " الاول يا امي ان رفيدة تقدم لخطبتها ابو عبد اللّه .."

فتساءلت سعاد وملامحها تنطق بالجهل التام

" من ابو عبداللّه هذا ؟!! "

تطلع رضا جانبا حيث اخته المصدومة من الخبر " انه ...سالم يا امي ..."

شهقت سعاد وهي تقول بغير تصديق " سالم ؟!! الذي يمسك محلات الحاج يونس العطار ..؟!!"

عينا رضا لم تفارقا وجه اخته التي تتوالى عليها الصدمات فتخرسها بينما يرد على امه ببساطة "نعم .."

فالتاعت الام شبه مولولة " من الحاج يونس ننحدر لاحد العاملين عنده ؟!! كيف هذا يا رضا ... كيف ؟؟!! ماذا سنقول للناس ؟!! "

نكست رفيدة راسها وتشنجت قبضتاها في حجرها فاستدار رضا لامه قائلا بهدوء شديد

" الرجل يدير المحلات وليس عاملا هناك وقد كان الساعد الايمن للحاج يونس رحمه اللّه "

نظرات رضا تثبتت على اخيه حذيفة وهو يردف قائلا " رجل معروف عنه بالخلق القويم والسمعة الطيبة .." ليعود بنظراته ناحية امه مضيفا المزيد وبلهجة عملية :





" هو وحيد بعد زواج ابنه وسفره ، حالته المادية جيدة وعمره مناسب لرفيدة .."

قالت الام بعبوس " اراك موافقا عليه ..! "

عادت نظرات رضا ناحية رفيدة فارتاح قليلا ان وجدها اقل تشنجا واكثر تنبها لما يقول لكن دون ان تتطلع اليه مباشرة فقال ببساطة " نعم ... لامانع عندي اذا وافقت رفيدة ..."

عندها رفعت رفيدة نظراتها لاخيها التوأم تناظره وكأنها تستنجد به ليساعدها فابتسم لها وسألها " هل تحتاجين لوقت اختي ؟ "

نظرات رفيدة تبعثرت بين الجالسين لتعود وتتركز على امها ثم انتقلت اخيرا لاخيها رضا وهي تقول بتعلثم " نعم ...لكن ... ماذا عن ... عن ..."

انجدها رضا بالقول " هذا هو الموضوع الثاني ..." ليصمت للحظة حتى تستوعب ما يرمي اليه ثم اضاف مانحا اياها الدعم والقوة

" قولي انك ما زلت ترغبين بالامر فاساعدك في اتمامه كما وعدتك ..."

عندها سألت سعاد بتوجس

" اي موضوع هذا ؟!! عن ماذا تتكلمان ؟! "





رد رضا " رفيدة منذ بعض الوقت وقبل زفافي تحديدا فاتحتني برغبتها في كفالة طفلة يتيمة من الملجأ .."

هذه المرة ردة فعل سعاد كانت اكبر واكثر رفضا وصدمة لتقول وهي تلطم على صدرها

" ماذا ؟!! كيف هذا ؟! هل جننتِ رفيدة ؟ "

احمرت رفيدة لكنها اذهلت رضا وهي تقول بثبات " لماذا تقولين هذا امي ؟! انا احن لطفلة اربيها كأبنة لي "

شعر رضا بالراحة ان عناد رفيدة يتوظف في المكان الصحيح اخيرا بينما يسمع امه تقول بعجب " هل انت جادة يا رفيدة ؟!!"

فترد رفيدة بثقة غريبة " كل الجدية امي "

جحظت عينا سعاد واوشكتا ان تخرجا من محجريهما فهون عليها رضا بالقول " امي ... خذي الامور بروية وهدوء ... هناك الكثيرين ممن يتكفلون الايتام فلاتقفي في وجه ابنتك وهي تقدم على امر يدخلها الجنة لو فعلتها حقا بما يرضي اللّه "

صمتت الام مبهوتة بينما نظراتها تحدق ببدرية وعندها تدخلت بدرية بالقول

" اسمعي كلام بكرك يا سعاد ففيه الخير الكثير لهذا البيت ..."

اما رضا فوجه كلامه لاخته قائلا بتدقيق :





" اتمنى فقط ان تفكري جيدا يا رفيدة ... فكري بكل الامور ومن كل جانب ، ولك كل الوقت الذي تحتاجينه لتتخذي القرارات الصحيحة ... واتمنى وانت تفكرين ان لاتنسي وجه تلك الطفلة ...."

وقف رضا على قدميه وتحرك وسط الصمت الذي ساد ليقول بعد لحظتين وبصوت لا يحمل نبرة محددة قال

" حذيفة ... انتظرك في غرفة الضيوف لنتكلم بمفردنا ..."

مقابلا لجلسة اخيه جلس حذيفة بسلاسة على الاريكة ليجلس سعاد على حجره وهو يهمس في اذنها بلغة لم يفهمها ولكن رضا رجح انها السويدية وبدا حذيفة وكأنه يحاول اقناعها بشيء ما !

كانت الصغيرة تعبس وبدت غير راضية فاخذت قلب رضا ولوهلة رآها تشبه امه بطريقة ما !

جاء صوت حذيفة هادئا ثابتا

" اخيرا قررت ان تحدثني ؟؟"

عينا رضا كانتا معلقتين على سعاد الصغيرة وهو يقول " طفلتك لاتفارقك "

قبّل حذيفة رقبة ابنته كما يحلو له دوما ان يفعل ثم قال بصوت شجي

" انه التعود والاشتياق .."





بدت ملامح حذيفة محيرة بينما رضا يقول باستغراب خفيف

" يا لهما من كلمتين تبدوان متناقضتين !
فكيف التعود يجتمع مع الاشتياق ؟!! "

اسبل حذيفة اهدابه يحاول اخفاء ما يعتريه لكن شحوبا غريبا زحف اليه وجعل رضا يتأكد مما ينبؤه به حدسه دوما وهو يرى تشبث حذيفة بابنته اكثر من الطبيعي وحرصه الدائم على ابقائها تحت ناظريه بل وتوصيته لسامي وعقيل التنبه لها اذا غافلتهم جميعا لتخرج للحديقة !

الطفلة هادئة لكنها لاتتكلم الا بكلمات سويدية متفرقة لكنها تفهم العربية بعض الشيء ...

المستغرب فيها تفضيلها للكبار دون الاطفال وللرجال من الكبار تحديدا ولاتفعل شيئا الا ان تتحرك كقطة صغيرة بالوانها المشعة وما ان تراه او ترى محسن حتى تتشبث بساق احدهما ..

كان رضا يحب اطعامها صباحا وهي تتسلل من احضان ابيها الذي اصر على اتخاذ الاريكة كمنام له مع ابنته ثم تأتي المطبخ تأسر القلب بقدميها الحافيتين واصبعها الذي لايفارق فمها ....





عبس رضا وهو يتذكر المرة الاولى التي أتت بمفردها للمطبخ لتمر دقائق فقط حتى علا صوت صراخ حذيفة باسمها !

وقبل ان يحملها رضا اليه كان حذيفة امامه في المطبخ يحدق بعينين تفيضان بنظرات رهيبة تأرجحت بين الوحشية التامة والرعب القاتل !

بدا وكأنه خرج من كابوس مرعب ! ولم يفقه وجوده في بيت عائلته حتى نادته ابنته ببشاشة " بابا ..." وعندها ذابت ملامحه حنانا ليتقدم منها وياخذها من احضان رضا ويضمها لصدره يقبلها كالمجنون !

بعد هذا اعتاد حذيفة تسللها منه لتبحث عمن يطعمها في المطبخ وربما الاطمئنان هو ما اعتاده حذيفة !

عند هذه النقطة من التفكير سأل رضا

" هل ما زال الخوف مسيطرا عليك ؟! "

تشنجت ملامح وجه حذيفة لكنها راوغ قائلا

" اي خوف تعني ؟ انا لااخاف شيئا ابدا ..."

سأل رضا بنبرة واضحة صريحة

" اين كنت طوال هذه السنوات ؟ "

رد حذيفة ببعض التهكم :

" هل ستنصب لي محاكمة يا رضا ؟ "





لم يرد رضا وقد ادرك ان اخاه يراوغ ليتجنب الخوض فيما لايريد الخوض به !

اردف حذيفة وهو يملس على شعر ابنته

" أود اعلامك اني ساترك البيت حالما تستقر حالة امي فلا داعي لمحاكمتي التي تنشدها وبالتالي لاتقلق على حياتك مع زوجتك ..."

بنبرة شديدة تخفي انفعالا اشد قال رضا

" اياك ان تذكرها بحرف او باشارة ولو من بعيد ، انا اسيطر على نفسي بشق الانفس .. فكن رجلا مباشرا في كلمته ورد على اسئلتي دون مراوغة "

تقابلت النظرات بينهما فكان حذيفة اول من نحاها جانبا ثم قال بصوت يدعي الهدوء

" كنت في السويد ... لقد اخبرتكم سابقا "

فقال رضا " ماذا فعلت هناك ؟ "

رد حذيفة وهو يهز كتفيه مدعيا اللامبالاة

" اشتغلت في عدة اعمال متفرقة ولم استقر الا في احدى المصانع هناك واعجبني العمل ..."

فحثه رضا " وبعد ؟! ماذا عن ..سعاد الصغيرة "

تصلب فك حذيفة بوضوح لكنه رد بنفس الادعاء للهدوء واللامبالاة " تعرفت بناتالي .. ام سعاد .. كانت تعمل في نفس المصنع ... احبتني واحببتها ..."

سأل رضا بصريح الكلام " هل تزوجتها ؟ "





رفع حذيفة نظرات وحشية لاخيه وهو يقول من بين اسنانه " سعاد ابنة شرعية اذا كان هذا ما تلمح اليه .."

كان ينهت من فرط الغضب بينما يهدر بعنف

" هل انتهى التحقيق الان ؟"

لكن رضا لم يلِن ليقول بصلابة

" ليس قبل ان اعرف الباقي ..."

فرد حذيفة بشراسة ويده تتقبض

" ليس من حقك مطالبتي بمعرفة اي شيء ..."
عندها اشتعلت عينا رضا ليقول بصوت هادر

" ما دمت قررت العودة لعائلتك وعدت فعلا فانت مدرك لمعنى الانتماء الذي يحتم عليك اخبارنا بكل شيء ..."

ثم اضاف بتركيز على كل كلمة " خاصة اننا عائلة تهتم بالتفاصيل لحماية الجميع من اي امور غير متوقعة .."

بدا حذيفة كمن يستوعب المعاني ومع كل لحظة استيعاب كان هياجه الغاضب يتراجع ليهمس اخيرا

" انا لن اعرضكم لاي خطر .. اموت ولاافعلها..."

فقال رضا بلهجة آمرة " اذن اخبرني ..."





عينا حذيفة سقطتا بنظراتهما على رأس ابنته ليقول بصوت مخنوق " لااريد ان ... اعرض ابنتي لمواجهة مآسي الماضي ... انا هربت بها اليكم لاجلها ... لاجل ان تعيش في بيئة نظيفة وآمنة "

شعور رهيب بالحماية تفجر في اعماق رضا ورغبة وحشية لتمزيق اي انسان يحاول المساس بابنة اخيه تلك الصغيرة .. سعاد الصغيرة ... حفيدة عقيل الصائغ

قال رضا بضراوة وهو يكز على اسنانه انفعالا " يجب ان اعرف لنحمي ابنتك مما تخشاه "

اهتز صدر حذيفة فادرك رضا بصدمة انه يكتم رغبة بالبكاء !

قال حذيفة اخيرا وبصوت مشحون بالألم

" زواجي كان .. مصيبتي ... لعنتي ... وربما اللعنة فيّ انا ! كما كان يقولها لي والدي "

ادار حذيفة رأسه جانبا يواري دمعة هربت منه رغم كل محاولاته لكبتها فمسح خده بسرعة وهو يقول بنبرة ميتة " بعد فترة من هذا الزواج المتسرع وبعد انجابنا لسعاد بدأت ناتالي بالتغير .." عينا حذيفة عادتا لتنصبان على ابنته وهو يكمل بشجن :

" ناتالي ضاقت ذرعا بالامومة ثم بدأت .. تهمل سعاد وتتركها عند الجيران لتخرج هي بمفردها تلهو هنا وهناك مستغلة انشغالي بالعمل خارج البيت لتأمين حياة عائلتي ..."





اطرق حذيفة لكن جسده كان يتشنج بعنف بينما يهمس بنبرة حارقة " باختصار .. ودون تفاصيل مقرفة .. اكتشفت انها ... تخونني .."

اتسعت عينا رضا بينما حذيفة يضيف بتشنج اكبر " ومع ... عدة... رجال ! "

كان رضا مصعوقا بينما زفر حذيفة بقوة ليرجع رأسه للخلف مستندا على ظهر مقعده ويقول " جن جنوني وفقدت اتزاني وانا ابحث عنها في الملاهي وما ان وجدتها ترقص بخلاعة مع احدهم حتى فقدت اخر ذرة عقل فاخذت اضربها دون اي ادراك ليتدخل الاخرون وتنشب معركة مريعة في ذلك المكان القذر ! "

لم يجد رضا ما يقوله وبدا حذيفة وكأنه لايريد اي كلمة تعاطف وانما يريد فقط الاسترسال بالكلام عن كل ما مر به

" هربت مني لكني لم اتوانَ عن البحث عنها ... وخلال هذه الفترة من البحث والتعقب كنت ابقي سعاد عند الجيران .. وكلما تبعت اثرا جديدا لها اكتشف اكثر نوعية الحياة السرية التي اتخذتها زوجتي ..."

يد حذيفة لاشعوريا ضمت سعاد لصدره وكأنه يحميها من سماع القذارات حتى وان كانت لاتفقهها ...

" كل ما يمكنك تخيله كانت قد انغمست فيه.. مجون .. فسق ومخدرات ...و ... عصابات!؟"





همس رضا لاشعوريا " عصابات ؟!!! "

رد حذيفة ببساطة عجيبة " نعم ... عصابات!
ثم يبدو ان المخدرات تمكنت منها لتتقدم
على عمل مجنون انتقاما مني ..."

رفع رأسه اخيرا لينظر في عيني رضا نظرات
ميتة ويقول " جعلت احد اصدقائها في
العصابة يختطف سعاد .."

هنا جن رضا وعيناه استقرتا على سعاد التي
كانت تغني همسا بترنيمة سويدية بينما
تأرجح ساقها البيضاء الصغيرة !

يا الهي اي كارثة هذه ؟!

اتاه صوت اخيه يحمل من ملامح العذاب ما
لايطيقه بشر " اشهر وانا ابحث عنها
كالمجنون .. لااذكر متى اكل ومتى انام !
كنت اصل حافة اليأس وتهون علي نفسي
لافكر بقتلها والخلاص من ذاك الألم !"

ارتجفت كلماته عندما اكمل " ثم جاءني
خبر و..فاة ...والدي .... قبل ثلاثة اشهر
تحديدا .. تحطمت اخر ذرة بارادتي واوشكت
ان اقتل نفسي فعلا ! .. شعرت اني لااساوي
شيئا! لاشيء اكثر من حشرة تدبي على
الارض فتداس بالاقدام دون ان يشعر بها احد !
شعرت اني فقدت كل شيء ... كل شيء على
الاطلاق ..."

خنقته العبرة ليمسح دمعة اخرى افلتت منه
ويقول بصوت متحشرج :





" اوشكت ان اضيع كما ضاعت مني ابنتي .. حتى ... حلمت به ... بهيئته الضخمة وعباءته حالكة السواد ... ناداني في المنام .. كان غاضبا مني وامرني ان لاايأس من ايجاد ابنتي .. قال لي آمرا (اعد سعاد لاهلها) .. صحوت من نومي وقد تجددت عزيمتي واقسمت اني حالما اجدها ساعود بها اليكم ..."

صمت للحظات ورضا ينظر اليه ويكاد يتحطم لانكساره ! اجل ... هذا ابن عقيل الصائغ ولايفترض ان تنكسر هامته مهما كان ...

اكمل حذيفة بفضفضة متتابعة " وبدأت بحثي الدؤوب عن سعاد والعصابة تتنقل من مكان لاخر لتستقر بين الغابات متخذة من الاشجار الكثيفة حجابا يسترها عن اعين الشرطة او ايا من ملاحقيها .."

ابتلع ريقه واضاف " وقبل شهر واحد فقط وصلني اتصال هاتفي .. احد افراد العصابة كان مقربا من ناتالي فاخبرني بوفاتها من جرعة مخدر عالية ثم افجعني ان رئيس العصابة قرر بيع ابنتي ! "

هبّ رضا على قدميه ولم يعد يحتمل ليهدر بالقول " يا اله السموات ! لعنهم اللّه جميعا "

نظر اليه حذيفة بتأثر بالغ وكأن كلمات اخيه الاكبر تمنحه دعما متأخرا ... لكنه دعما احتاجه في تلك الفترة العصيبة من حياته ....





قال وهو يتطلع لرضا " طريق طويل شاق ووعر ... سعيت كالمجنون للبحث عنهم بين الغابات بينما مستقبل ابنتي يتأرجح على كفي عفريت في غابات ملعونة بدت كالقبور ! حتى وصلت ... ووجدتهم يعسكرون هناك .. يقطعون الاشجار ليحتطبوا منها ويصطادون كل انواع الحيوانات ويأكلوها .... تربصت بهم حتى اطمأننت لوجود سعاد .."

انفاس رضا كانت تتسارع وعيناه لاتفارقان وجه سعاد لتهبطا لساقيها الصغيريتين المتأرجحتين وحلم امه المتكرر يتفسر له اخيرا بينما حذيفة يواصل ذبحه بالمزيد :

" كانوا يتركونها تهيم وحدها بينهم وقد بدوا جميعا بوجوه ميته قميئة ! اراها من بعيد وقلبي يتمزق وغضبي يتفاقم لكني تماسكت حتى لااخسرها هي الاخرى..واخيرا استغليت ليلة سهر معربدة سيطرت فيها كل انواع الخمور والمخدرات على عقولهم وادراكهم وكانت فرصتي لاستعيد ابنتي وهم غارقين في فجورهم وعبثهم ..."

تجمدت عينا حذيفة ليقول بنبرة غريبة

" لكن احدهم اكتشفني ! لمحني وانا احمل سعاد هاربا بها فلاحقني في الغابة واوقفني وهو يحمل مدية في يده ... "

تطلع رضا لاخيه الآن وراه بملامح قساوة لم يرها على وجهه من قبل بينما يفيض لسانه بالمزيد من تلك المآسي





" وسط صراعي المدمي مع ذلك القذر كانت عيناي ترنو لسعاد في كل لحظة فتذهلني بوقفتها المراقبة الهادئة وابهامها في فمها ! لقد اعتادت الامر ... اعتادت رؤية الوجوه القذرة والمعارك الشرسة .. الشيء الوحيد الذي هون علي .. انها عرفتني ! فحالما رأتني نادتني بابا "

سأل رضا بوجل " وكيف انتهت المعركة مع ذلك الرجل ؟ " صرح حذيفة ببساطة اذهلت رضا " لقد قتلته ... ! "

جمدت نظرات رضا بينما حذيفة يقول بابتسامة متشفية " استحق كل طعناتي حتى سال دمه وشفا غليلي من تجرؤهم جميعا لخطف ابنتي ...."

قال رضا بارتعاب واضح " هل تدرك معنى كلامك يا حذيفة ؟!! انت قتلت رجلا ! وليس اي رجل .. رجل ينتمي لعصابة اجرامية..."

رد حذيفة والقساوة تتراجع عن محياه

" لاتخش شيئا .. الشرطة لن تبحث عن قاتله هذا اذا وجدت جثته او تعرفت عليه ..."

فسأل رضا بتوجس " والعصابة ...؟ "

قال حذيفة باشمئزاز " فرد قذر يذهب يأتي فرد اخر اقذر منه .."

بدا رضا غير مطمئن فبادر حذيفة للقول :





" انهم ليسوا مافيا يا رضا ! مجرد عصابات
صغيرة تتهجم على البيوت لتأمين مصدر
لفسوقها ومزاجها لااكثر .. كل يوم يموت
واحد منهم من جرعة مفرطة فيتركونه
حيث هو لتنتشر رائحة جيفته في المكان "

تصلب فك رضا وعيناه عادت لسعاد التي
توقفت عن ترنيمتها وغمرت وجهها في قميص
والدها وهو تمص اصبعها بشراسة !

فقال رضا " ابنتك تحتاج لرعاية خاصة .."

رد حذيفة وهو يتطلع لرضا بعمق " تحتاج
لدفء عائلة حقيقية وبشر حقيقيون .."

عندها قال رضا بصوت قاطع

" انت وهي مع عائلتكما الآن ..."

كانت تشتم بتمتمة مغتاظة بينما تسير في
اروقة الشركة .. منذ الصباح وكل الامور
تعاكسها .. التغييرات التي اجراها المدير
الجديد مزعجة.. فكل شيء يخضع لنظام
محدد ومختلف عن النظام المعتاد ..

في داخلها تعاند اعترافا ان نظامه اكثر
فاعلية وتتمسك بضيقها بتغيير ما اعتادت
عليه ...

" حبيبة ..."

يا الهي هذا الصوت .... كانت تخدع نفسها
منذ الصباح انها لاتتأهب باستنفار كلما
لمحت هيئة رجل قريبة من هيئته ...





تؤجل المحتوم .. انها تعرف ! لكنها اخذت استعدادها ... لقد مرت عليها الايام السابقة وهي تدرب نفسها على كيفية التعامل معه ...

منذ ان اتخذت قرارها بالاستمرار في الشركة وقد اتخذت قرارا بالتوازي ان تتعامل معه بتوازن ...

لكن هل تملك حقيقة القدرة على الموازنة؟؟

هل لديها القوة كي تتجاوز التفكير بكل ما حصل ؟؟ بما يعنيه حقا ما حصل ؟؟!!!

نظرت لوجهه المرهق وملامحه العابسة ولاتعلم لماذا بدا ما حصل بينهما بعيدا جدا عنه ! وكأنه ليس نفس الرجل الذي ....

ارتعش جسدها رغما عنها ووهنت اطرافها وموجة غثيان تعاودها بينما مهند يقول بصوت صلب " ارتعاشتك هذه وكل ما ينتابك عندما ترينني ... ستقتلني يوما ! "

نظرت اليه وعيناه تغمرانها بنظرات مشتعلة ليقول بسخرية مريرة " لكن كل هذا لايمنع اشتياقي المجنون الدائم لرؤية وجهك والشعور انك بنفس المكان معي .."

تصلب فكاها وهي ترد بهدوء " علينا ان نتعامل مع بعض في حدود رسمية فقط يا مهند ...زملاء عمل لاغير ..."







تقلصت ملامحه ثم فاض ألم غريب منها ليتلاشى كل شيء في لحظة ويقول بهزل رقيق " انا احبك زميلتي ما رأيك بهكذا تعامل هل يقع ضمن الحدود الرسمية التي اصبحت فجأة تنشدينها؟! "

ردت بحدة وداخلها يشتعل بالانفعالات " توقف عن ايذائي بكل هذا الكلام عن العشق والحب اللذين لاتفقهما اصلا ...! "

فهتف بها بهمس خشن " انت من يجب ان تتوقفي عن تعذيبي بتحميلي الذنب كله حبيبة ... انا اخطأت .. اجرمت بحقك ... اعترف بهذا .. لكن اقسم بالله لم يكن في نيتي التمادي هكذا .. لقد كنت صادقا بوقتها كما انا صادق الان .. اخبرتك اني احبك .. الكلمة خرجت من اعماقي ليلهج بها لساني دون رادع او سيطرة .."

ارتبكت حبيبة من نظراته المشعة بالألم وخفق قلبها واحمر خداها ليضيف المزيد بهمسه العنيف

" اعترف اني كنت نذلا في مقصدي ونيتي للتقرب منك من البداية واني كنت احاول اغواءك والتسلل لمشاعرك لكن ما حصل هو العكس .. العكس يا حبيبة ... انت من تسلل الي في غفلة مني .. اصبحت تجرين في عروق الروح كما يجري الدم في عروق الجسد.."





همسه اصبح شغوفا حارا بل مشتعلا

" انا لم اشعر هكذا من قبل ولا حتى مع لينا .. سافعل اي شيء لتسامحيني وتغفري لي حقارتي معك .. .. سامحيني حبيبة لما فعلته تلك الليلة لقد ضعفت وانت بين ذراعي اواسيك بينما تبكين بألم .. لم اتحمل ألمك فاردت احتضانك فقط لكني في النهاية لم اتحمل لمسك .... "

نفضت حبيبة رأسها وهي تبعد عنها تلك الصور لتقول بغضب مكتوم

" اياك ان تدعي البراءة يا مهند ... حتى لو فقدت سيطرتك كرجل .. كان يفترض ان تتوقف في لحظة ما ! لكنك.."

قاطعها بحدة " لقد غضبت .. غضبت كما لم اغضب في حياتي ... غضبت منك ومن كل ما قلته لي ... جعلتني مجنونا بالغضب لايام طويلة وليس تلك الليلة فحسب .... انا ... حبيبة انا .. اريدك في حياتي ... واعلم انك تريدين وجودي ايضا .. "

كان يجاهد كي لايقترب نحوها حتى لاتنفر منه لكنه رفع سبابة مرتعشة انفعالا مشيرا لمكان قلبها وهو يهمس بانفاس حارة لفحت ذلك القلب قبل ان تلفح بشرتها :





" الا يوجد لي مكان صغير بهذا القلب المشتعل الذي تملكينه ... قلبك يا حبيبة ... قلبك ... اه من هذا القلب ... دعيني اشتعل فيه وبه فاما ان يحرقني ويهلكني او يجلي تلك الظلمة الباردة عني "

لم تشعر حبيبة الا وهي تتراجع للخلف وعيناها في عينيه ثم استدارت بقوة هاربة منه ولسان قلبها يقول

" كل له ظلمته ... كل له ظلمته ! "

من بين اغفاءة النوم التي تلجأ اليها ظهرا هذه الايام شعرت بمن يلامسها .. اصابع تحفظها ويعرفها جسدها ....

فتحت عينيها لتراه امامها .. وجهه فوق وجهها تماما .. همست بعينين متسعتين

" ماذا تفعل هنا يا رضا ؟! "

عيناه مرهقتان وملامحه غريبة بينما تشعر باصابعه تلامس خصرها فادركت ان يمد كفه تحت غطائها ...

شهقت بنعومة تاثرا بملامسته الحارة هذه بينما يهمس بصوت مبحوح ردا على سؤالها

" اراقب زوجتي الكسول "

اخذت تحاول ابعاد يده عن جسدها وقد اخذتا تتجرأان اكثر لتسأل بانفاس لاهثة

" كيفف... صعد..ت لغرفتي ؟! "





همس وهو يميل بشفتيه قريبا جدا من شفتيها

" امك ارسلتني لاوقظك يا اميرة البنات

فموعد الغداء بعد اقل من ساعة .."

لم يمهلها وهو ينهل مما حرم نفسه منه منذ

اسبوع كامل !

اسبوع وهو لايلمسها الا بلثمة صغيرة على

صدغها ويكتفي بتناول الغداء معها ثم جلسة

قصيرة يحدثها عن امور متعددة دون التطرق

لتلك الليلة وما تبادلاه من كلمات افضت

لوجودها الان هنا ... في بيت عائلتها ....

كان كلاهما يلهث بشوق مستعر وبدا واضحا

ان رضا فقد سيطرته فتحركت يده بارتجاف

ونزق لتفك ازرار قميص نومها القطني !

همست بتوسل ضعيف

" رضا ..... لاتفعل ... ليس قبل ان نرتب امورنا

... انت .. تعرف .. ارجوك لاتفعل .. لقد

اتفقنا ان نتجنب الحمل ما دام لم يحصل لحد

الان... ارجوك ...."

رد بهمس خشن وعيناه تغرقان في عينيها

" انت من قالت هذا وليس انا ..."

اغرق وجهه في عنقه وتلهفه وصل ذروته بينما

هي تقاوم بيأس هامسة

" رضا ... لاتفعل ..لاتفعل ... فكر بالعقل ..

بالمنطق ..."







فجاء صوته يلامس اذنها ينضح عاطفة غير عادية

" احتاجك اسيا ... احتاجك اليوم تحديدا اكثر من اي يوم مضى ... انت لاتعرفين كيف اشعر .... انا اتمزق في داخلي .... فلمي اشلائي يا توأمة القلب لاقاوم تمزقي ...."





الفصل السادس عشر

تقدم له القهوة في غرفة الضيوف دون ان تتطلع اليه ! امها انسحبت مع الصغيرة رقية وقد شعرت ان هناك ما جرى بينهما ...

خلال الغداء التزمت اسيا الصمت المطبق وشرارات الحنق كانت تنطلق منها لتصل عنان السماء !

بدا واضحا لامها واختيها الصغيرتين انها لاتستجيب لملاطفات رضا لها ! مما جعل الجميع متوترا نوعا ما ....

غادرت رباب اولا وقد ادّعت ان لديها عمل تقوم به على حاسوبها بينما ارادت رقية البقاء فحدجتها امها بتأنيب صامت لتنسحب بوجهها الطفولي المتذمر ...

وها هو وحده مع معشوقته الغاضبة ترتدي ملابس محتشمة مغيظة بالنسبة له تميل ناحيته بصينية القهوة الصغيرة وتحرمه حتى من صوتها لتقول لها كالمعتاد

(قهوتك كما تحبها)

مد يده ولكن بدلا من ان يأخذ فنجانه لامس خصلات شعرها الندية هامسا برقة عذبة وخجل رجولي متراخ

" غاضبة مني ..؟؟ "





ابعدت نفسها عن ملامسة يده لتضع الصينية بمحتواها من فنجان قهوة وقدح ماء على الطاولة الصغيرة امامه ثم استدارت بصمت وكأنها ستغادر المكان !

لم ينتظر معرفة قرارة وجهتها وهو يهب على قدميه ليلاحقها بالنداء الرقيق المستعطف الأجش

" اميرة البنات ؟! "

توقفت قدماها ويداه تذوبان في اعلى ذراعيها بلهفة فاغمضت عينيها وهمست بحشرجة لوم " كيف تفعل هذا ؟؟ وفي غرفتي يا رضا ؟!! انا لااصدق كيف فعلتها ..! ماذا لو دخلت علينا امي ؟! او احدى شقيقاتي ! "

امال وجهه يتشمم رائحة شعرها الزاكية بعد الحمام وتقطعت لهفته على حروف كلماته

" كنت بحاجتك بجنون ... لماذا لاتتفهمين هذا..؟!! لم احتجْك كما احتجتك اليوم ... آه... ليتك تعلمين ..."

توشح صوتها باتهام واضح وهي تقول له

" احتياج...؟! ام انك تفرض علي خيار الحمل يا رضا..؟"

كانت تستدير بجسدها بينما تراخت عنها يداه لتواجهه بلمعة عينيها الصافيتين ...





تطلع اليها وقد سكنت تعابيره وتحددت ملامحه بالغموض ليقول بصوت أجش

" وماذا لو كنت اريد الحمل ايضا ؟! هل هذا خطأ ! ام انك تستكثرين علي طفل منك بعد كل هذه السنوات من العذاب ؟؟ ام ربما يا توأمة القلب تخططين بعبث لتركي نهائيا !! "

تغرغرت عيناها بالدموع وهي تهمس بتحشرج متألم " لاتوجع قلبي اكثر يا رضا .. الوضع كله فوق احتمالي .. لااكف عن التفكير ليلا ونهارا .. حتى احلامي تختلط بافكاري لترأف بي احيانا وتلمسني بحنان مشفق فتنقلني بسحر اليك اروي بعض الشوق لوجودي معك مرة اخرى ..."

اصابعه حفرت في ظهرها وهو يضمها بتشبث قاس لصدره ليهمس بين خصلات شعرها

" انت لاتعرفين ما اعانيه انا الآخر يا آسيا ... لاتعرفين ما اواجهه كل يوم لاحتمل واتجلد دون وجودك قربي ... لاتعرفين ما حصل اليوم تحديدا وما اخبرني به حذيفة عن كل ما تعرض له هو وابنته .. انه الجحيم ... جحيم عاشاه معا وهو في الغربة وحده دون سند ! "

عندها جاء همسها باردا مختنقا

" وهل علي التعاطف معه الآن ؟! "

ابعدها قليلا عنه دون ان يفلت كتفيها لينظر في وجهها المتصلب ويقول بنظرة قوية





" بل عليك التعاطف معي انا وانا ارزح تحت هذا الضغط الهائل ...! انت اكثر من يعرف اهمية ان احمي عائلتي واسندهم جميعا ... اريدك ان تحاولي فقط ... حاولي لاجلي نسيان كل ما حدث في الماضي .."

تطلعت اليه بنظرة غريبة لم يرها على وجهها ابدا من قبل لتقول بنبرة مقلقة بهدوئها

" هل تعلم لماذا بكيت على كتفك ليلة زفافنا يا رضا ؟ "

صمتت للحظة وهو يستوعب اشارتها الآن لتلك الذكرى وما تعنيه بالضبط بينما اردفت اسيا بنفس النبرة " انه ... هاجس .....! هاجس خبيث سكنني رغم ارادتي ولسنوات .. رغم كل محاولاتي الدائمة لطرده ... لتجاهل وجوده في اضعف الايمان .... "

عيناها الجميلتان جامدتان وهي تردف بهمس مضطرب " هاجس ...اني ... لســـت فتاة ! "

لو مزقته إربا بسكين ثلمة لما اوجعته اكثر بينما اسمها يخرج من بين شفتيه مذبوحا

" اسيا ! "

بهتت نظراتها وهي تردف قائلة " عندما بكيت لم يكن فقط لان مخاوفي من ردود افعالي لم تحصل و تصرفت معك بشكل تلقائي طبيعي كأي عروس مع رجل تحبه ... بل كانت دموع الفرح وانا ارى بفخر ذلك الساكن البغيض يرحل الى غير رجعة ..."





اسبلت اهدابها وهي تذبحه بالمزيد من
كلماتها المحطمة " لحظات .. لحظات الاغماء
تلك ...الليلة المـ...شؤومة لم تكف عن
مناورتني بلؤم ... لزرع الوساوس بي .. اكثـ..ر
من مرة اوشكت ان ... اعرض نفسي على ...
طبيبة نسائية لكني ... جبنت ... خفت ...
ارتعبت ... حتى بعد ان كشفت لي حقيقة ما
حصل وانه لم يكن انت ورغم كل
تأكيداتك انه لم يفعل لي شيئا الا ان
الهاجس ظل موجودا ليزرع مزيدا من الوساس
بأنك قد تكون مثلا تكذب علي رأفة بي
ومراعاة لصدمة ستحطمني ....؟ "

وكأن الهواء تلوث بهول ما تحمله كلماتها
فاصبحت الانفاس اثقل من ان يحملها صدره
وبدت كلفحات برد قارس يشقق رئتيه !

فتحت عينيها لتنظر اليه فبدت ضعيفة
بشكل لايوصف لتهمس له بتحشرج

" لقد اخترتك انت لتكون الجراح الذي
يكشف علي ويخبرني هل انا معلولة بسرطان
فقدان الشرف ام نجوت منه ؟!! "

توحشت نظراته وانغرزت اصابعه بعنف هذه
المرة في اعلى ذراعيها لكنها حتى لم تتأوه
بألم ! فألم روحها اعظم بكثير من ألم
الجسد ....





قالت بتمزق وعيناها تفيضان بالدموع " كيف تريدني ان اشعر الآن يا رضا وانا اراه امامي ... كيف تفكر بامكانية ان اعيش معه يوما تحت سقف واحد واتعامل معه كما اتعامل مع محسن !!..."

اشارتها المتوارية لحذيفة جعلته يستعيد وجه اخيه وهو يضم ابنته لصدره فتملكته الكآبة التي اغرقت بركان الغضب !

قال وهو يتشبث بكل ذرة تماسك يملكها

" الوقت كفيل بكل شيء يا اسيا .. وحذيفة ... عاد... بغير حذيفة الذي رحل..."

قست عينا اسيا فابعدت يديه عن ذراعيها بحركة حادة لتقول له وهي تبتعد قليلا عنه

" للاسف ... لكنه ما زال يحمل وجهه .. ونبرات صوته...."

تقبضت يدا رضا وهو يسألها بغضب مكبوت

" ماذا تريدين القول الآن ؟ انك لاتجدين حلا يرضيك وتريدين الانفصال عني ؟! "

صمتها ونظراتها لم ترحه ! فقال من بين اسنانه " هذا لم نتفق عليه يا اسيا .. اتفقنا ان تأتي لبيت عائلتك لفترة مؤقتة حتى ارتب الامور.."

بدت شاحبة لكنها قالت بنبرة اتهام واضح

" واتفقنا على تجنب الحمل خلال هذه الفترة "

فهدر رضا " لم نتفق ! انت طرحت الامر وانا التزمت الصمت ! "





فتحت فمها لترد عليه ففاجأها بملامحه التي تفيض غضبا موجها نحوها هي ليقول بنبرة متفجرة وهو يشير اليها بسبابته " تجنب الحمل معناه انك تفكرين حقا بامكانية الانفصال عني كخيار وارد ... وهذا ما لن اسامحك عليه يا اسيا ...! "

شعرت بالعجز عن تفسير نفسها بينما هو يضيف المزيد وقد اختلطت خيبة الامل بالغضب " انا اتحمل ما تنوء بحمله الجبال ... وانت تتباعدين وكأنك تعاقبيني على امر ليس بيدي "

ارتعشت شفتاها لتهمس باحساس الذنب

" لا رضا ... انا لم اقصد ان .."

لكنه رفع كفه امام وجهها ليوقف تلعثمها بينما يقول بلهجة قاطعة كالسيف

" انا راحل .... "

تحرك مغادرا بينما تناديه بهمس باكٍ

" رضا ... ارجوك ..."

تطلعت رباب لجبيرتها المزخرفة بشكل عشوائي! تبسّمت وهي تفكر انها ستفتقد هذه الجبيرة التي ستُرفع عنها خلال ايام ...

بحنان تتبعت رسومات القلوب والورود وكلمات اخرى مبعثرة باللون الاحمر (احبك ... سامحيني ... لاتغضبي مني ... انا غبية !) ...





اوشكت ان تضحك بصوت عال وهي تسير في الشارع بعد عودتها من الاسواق ...

(كل الرقة) تحاول مصالحتها منذ ايام ، لااحد يعلم بخصامهما غير المعلن فهما تجيدان اخفائه لكن حالما تختليان بنفسيهما تتعمد رباب اتخاذ قناع الجدية والتجاهل وتتمسك بالصمت التام ..

التواصل الوحيد الحقيقي بينهما هو هذه الجبيرة وكل صباح تجد رسالة منها برسمة صغيرة او كلمة ... لكن رباب لاتظهر اي ردة فعل وتتصرف وكأنها لم تقرأ او ترَ شيئا من رسائل اختها الطفولية المحببة تلك ...

تنهدت وهي تهمس لنفسها " هذا ضروري لها .. يجب ان تتعلم كيف تحافظ على اخوتنا وتنضج بعيدا عن خزعبلات الحب السخيفة "

" مرحبا .. رباب "

اوشكت ان توقع كيس الحاجيات من يدها فحاولت التشبث به بينما عبد الرحمن يميل بعفوية لمساعدتها لكنها أبت وهي تتمسك بالكيس وتبعده عن متناول يده الكبيرة !

قالت ببرود " شكرا لااحتاج للمساعدة ..."

عيناه تثبتتا على ذراعها المجبر فعلّق بابتسامة " جبيرتك تمتلأ بالذكريات ! "





تطلعت اليه للحظة بنظرة اكثر برودا فاجأته بجهله لاسبابها ثم واصلت مسيرها وهي تقول بنبرة مترفعة

" عذرا ليس لدي الوقت لتبادل الكلام معك في الشارع ! "

ناداها بلهفة افلتت منه " رباب ..."

شيء ما تحرك في صدرها واوجعها !

خطواتها توقفت دون ان تشعر بينما صوته يقترب من الخلف وهو يقول بارتباك

" كنت اريد .. ان اسلم .. عليك .. فقد .. لااراك .. لفترة ... طويلة .."

رمشت رباب وهي تحاول تفسير معنى ما يقول ! لكنها وسط تفسيراتها المتضاربة انتابها

الغضب الشديد لجرأته حتى يكلمها بألفة هكذا وكأنهما صديقان او مقربان !!!

استدارت اليه لتقول بحاجبين معقودين

" كيف تسمح لنفسك بايقافي وسط الطريق هكذا ؟! كون رضا زوجا لاختي اسيا لايعطيك الحق بالتعرض لي في الشارع ! "

لو كانت صفعته لما تسببت له بصدمة اكبر من الصدمة التي تراها على وجهه الآن !

شحبت لشحوبه الشديد وخطواته تراجعت للخلف وقد بدا انه غير مدرك !

ماذا قالت لتكتسي ملامحه بهذه التعابير الغريبة ؟!!





اطرق برأسه وقال بنبرة لن تنساها ابدا

" اسف انسة رباب .. اقسم اني لن اعترض طريقك مرة اخرى ولا حتى بسلام عابر ..."

ثم تركها وانسحب تماما بينما رباب تحدق في مشيته التي شابها الشموخ رغم تعابير الانكسار !!

تحركت بخطى كئيبة وشعور بالذنب يلتف حولها ! لكن .. لِمَ شعور الذنب وهي لم ترتكب خطأ ؟! وماذا يفترض ان تفعل وهو يوقفها وسط الطريق ...؟!!

ضاقت انفاسها بشدة بينما عيناها تهبطان لجبيرتها فتقرآن جملة اليوم من رقية

(اختان حبيبتان للابد)

عاودت المسير وعزيمتها تفتر لما ارادت صنعه اليوم لتعلن الصلح مع رقية ...

لقد اشترت كل هذه الاوراق الملونة والشرائط لاجل ان تصنع لوحة من نوع ما ... لكنها الآن لم تعد لديها رغبة بفعل شيء !

تمتمت بحنق

" لابد ان كآبة هذا الكائن معدية ! "

وكأنها احتاجت لتصب جام غضبها عليه تحديدا لتلقي على كاهله مسؤولية ضيقها بينما في قرارة نفسها تعرف انها هي السبب وليس عبد الرحمن ....

من بعيد رأت زوج اختها يغادر بيتهم بخطوات تشتعل غضبا !





زاد ضيقها وقد بدأت تشعر بجدية وجود مشكلة كبيرة بين اسيا ورضا ....

رأته كيف حمحم ليعبر الشارع ويصل باب بيته الخارجي ، تحرك بطريقة غريبة ثم عاد واستدار دون ان يتطلع حوله ليتخذ الاتجاه المعاكس لها مسارا له ..

مبتعدا عن البيتين معا !

بيته وبيت اهل زوجته المقابل له ....!

من نافذة المطبخ راقب الاخوان اخاهما الاكبر وهو يتحرك عند باب المرآب بخطوات تشتعل غضبا ! يداه متقبضتان وشفتاه تتحركان وقد بدا كمن يشتم !

قال حذيفة بنبرة ذات معان كئيبة

" رضا غاضب ..."

همهم محسن بنعم بينما يراقب بتوجس الزوبعة التي يثيرها رضا حوله وهو يتحرك بعشوائية متفجرة !

للحظات تصوره الاثنان انه سيدخل بزوبعته للبيت لكنه فاجأهما بأن استدار ليبتعد عن باب المرآب مشيا على الاقدام ليتوجه يسارا بعيدا عن مسار بيت اسيا الذي أتى منه ...

قال محسن بصوت متأثر " حتى في غضبه يجيد حمايتنا من نفسه ...! "





انحنى حذيفة ليلتقط ابنته الشقراء وقد جاءت لتشد بنطاله ثم قال بصوت غريب يفيض بانفعالات اغرب

" دوما كان وما زال مميزا ..."

تطلع محسن لاخيه باستغراب رافعا حاجبيه مركزا بتدقيق في ملامحه ليتساءل بدهشة الاكتشاف " هل تغار منه ؟! "

ابتسامة جانبية تنضح سخرية مريرة ليقول حذيفة " لم يكف ابي يوما عن تصغير قدري وهو يقارنني به ..! لم يكف عن قول انظر لرضا وتعلم كيف تكون رجلا .."

عقد محسن حاجبيه ليقول مفسرا

" كان يحثك لتتغير يا حذيفة .. "

تطلع حذيفة لاخيه وقد بهتت السخرية عن ملامحه وحلّ محلها ألم بمذاق خاص

" لماذا لم يكن يقلها لك انت ...؟!! "

اتسعت عينا محسن قليلا لكنه رد بهدوء

" انت تعرف حذيفة ... لاتنكر انك كنت بطباع حادة وصعبة .. تميل للعناد والجموح وفعل كل ما هو خارج نطاق تقاليد العائلة والمجتمع .."

عادت السخرية المريرة لملامح حذيفة فردد

" صحيح ... الذنب ذنبي انا منذ البداية ...! "

ثم اضاف بنبرة شاردة وهو يتلاعب بشعر ابنته

" وذنب رضا لانه كان رب العائلة بالفطرة والتكوين والاستعداد ..."





عينا محسن كانتا تحللان اخيه وتفسران كلماته بكل ما تحمله من معان لها طابع الخطورة بنظره ! فقال بلهجة شبه متسائلة

" لهذه الدرجة يا حذيفة ؟!!! "

صمت حذيفة ولم يعقب بشيء بينما سأل محسن دون مواربة وبثبات شديد " هل غيرتك منه دفعتك لما حاولت فعله مع اسيا ؟! "

يد حذيفة التي كانت تلاعب شعر ابنته تجمدت تماما كما تجمدت ملامحه !

ها هي المحاسبة الصريحة قد بدأت على لسان محسن ! اذن فمحسن يعلم كما يعلم عبد الرحمن !

رغم انه كان شبه متيقن من معرفة محسن .. فمحاولات محسن للتواجد دوما بين اخوته مكشوفة الهدف وقد اتخذت طابع التحفز والاستباقية لاي حدث قد يخرج عن نطاق السيطرة ...

وها هو يختار التوقيت المناسب ليسأل بصراحة مباغته ! كعادته... يؤمن ان اقصر طريق بين نقطتين هو خط مستقيم! فجاءت صراحته كذاك الخط .. اقصر واوقع ...
صراحة لم يسلكها رضا ولم يجرؤها الصغير عبد الرحمن الذي التجأ لتجاهل غاضب في تعامله معه !





اردف محسن بتركيز " اكاد اجزم انك تنبهت لمشاعره وانت تراقبه دوما عن كثب هكذا ... اليس كذلك ؟؟ "

ابتسم حذيفة لابنته وهي تمد يدها الحرة لتلامس اثار جروح وجهه ثم قال ببساطة دون ان تترك عيناه وجهها الجميل الفاتن " لم تثر انتباهي يوما ... فتاة شديدة التحفظ تطرق برأسها دوما ذهابا وايابا .. شديدة الخجل ولاتتمتع بجمال باهر ملفت خاصة وهي تخفي الكثير بحجابها ..."

تجمدت نظراته وغابت ابتسامته مرغمة بينما يقول بصوت أجش " حتى اكتشفته !

اكتشفته رغم كل محاولاته للاخفاء !

نظراته كانت تتوهج حالما تتواجد في محيطه وهو يداريها بشق الانفس ! "

اسبل اهدابه بينما ابنته تربت على خده وتبدأ بترنيمتها الخاصة همسا ليضيف حذيفة بصوت لاحياة فيه " اثارت فضولي انها جذبت رضا ... وجدتني اراقبها بطريقة مختلفة .. ثم بدأت تعجبني حقا ! "

هتف به محسن بحزم " الزم حدودك حذيفة فهي زوجة اخيك الآن ..."

لمحة من حذيفة (القديم) مرت على ملامحه وهو يرفع اهدابه ليقول باستهتار ساخر مغيظ

" انت من سأل ! "





اراد حذيفة الانسحاب فبادره محسن قائلا بنبرة غير عادية

" فقط سؤال اخير ... هل فعلتها عن عاطفة ام نكاية برضا ؟! "

تطلع اليه حذيفة لوقت بدا طويلا جدا للاثنين معا وكأنهما يقرران امرا شديد الخطورة فقال حذيفة بنظرات ميتة " في ذلك الوقت لااعرف بالضبط ما اعتراني ناحيتها لكني ساقول ... اني لم اكن بوعيي تلك الليلة ..."

عبس محسن قليلا وهو يتساءل بتوجس

" ماذا تقصد ؟! "

رد حذيفة بصراحة فجّة " كنت مخمورا .. واتذكر ان احدهم اعطاني حبوبا من نوع ما ... لااتذكر ... "

سؤال كان يطرح نفسه بقوة وسط افكار محسن المتلاطمة !

اين كان هو من كل هذا في ذلك الوقت ؟!!

هل شغلته دراسته عن اخوته لهذه الدرجة ؟؟

ثم كان وقوعه بالحب للمعيدة الجديدة (رحاب) فكان ان انشغل عقله تماما وابتعد عن اخوته وما يدور في الخفاء من صراعات وتخبطات وحتى انحرافات !!

سأل محسن بعبوس اشد

" هل ادرك ابي حالتك ؟ "





هزّ حذيفة كتفيه ليقول ببساطة مع نبرة لوم " نعم .... ومع ذلك نفاني ! "

تشنج جسد حذيفة بالكامل بينما ابنته تلقي برأسها على صدره وكأنها تواسيه !

ثم قال بصوت مبحوح من الألم الذي لم يستطع اخفاءه ... ألم وخذلان ... !

" كنت اتمنى لو جلدني الف مرة على ان ينفيني هكذا ! لقد رفع عني عباءته التي كانت تسترني فعرّاني امام نفسي قبل ان يعرّيني امام الناس ! رماني في ارض جدباء ومحا تاريخي ومزق هويتي فلم اعد اعرف من أنا !...."

ضاق صدر محسن وهو يسمع كلمات اخيه وشعر وكأنه هو من يعاني النفي لا حذيفة بينما حذيفة يواصل بوجه الأليم المتألم

" اتخبط تائها في ارض الله ابحث عن وجه جديد ارتديه ليعطيني هوية وتاريخ جديد يسترني ... بذلت جهدي لاجد بداية الخيط ... وظننت بغباء اني فعلت بعملي وزواجي من ناتالي ... كانت فتاة لطيفة .. مرحة ..."

بهتت ملامحه كما بهت صوته وهو يهمس بما قاله له والده يومها " قالها لي ... الدنيا سلف ودين وماضيك يتربص بمستقبلك .."

تساءل محسن ليتأكد من مقصد حذيفة الواضح " تقصد ابي ؟! "





الصغيرة هتفت بأبيها وهي تتطلع اليه بعينيها الواسعتين " بابا ...! "

فاض وجه حذيفة حنانا وعشقا لصغيرته فتبسم لها وقال برقة

" ستتحمم الآن يا حلوى بابا .."

وكأن محسن يطوي صفحة الماضي ولو مؤقتا معه فقال بهدوء

" لماذا لاتدع رحاب تفعل هذا عنك .."

فرد حذيفة وهو يميل ليدغدغ رقبة ابنته بقبلاته " لاني احب ان افعله بنفسي .."

ثم اضاف بنبرة غريبة والصغيرة تضحك بحلاوة " كما ان حلوى بابا لاتحب الاستحمام وتحتاج مني للصبر لاعيد اليها محبته .."

" اشرب قهوتك بنيّ ..."

خرج من ملكوته الذي ساح فيه ليمد يده نحو فنجانه الذي يوشك ان يبرد بينما يجالس امه بدرية بصمت ...

قالت له بحكمة " الصبر بنيّ .. الصبر مفتاح الفرج ... انا واثقة انك ستجد حلا .. "

ثم اضافت بحذر " هل تريدني ان .. اكلم آسيا بنفسي ؟! "

رفض بشكل قاطع قائلا " لا امي بدرية .. اياك حتى ان تشعريها بمعرفتك .. انا اعرف آسيا .. شخصية تحمل تناقضات ما بين شدة الحياء في امور وانفتاح وتفهم في امور اخرى .... لن تحتمل معرفتك هذه ..."





تنهدت بدرية وصمتت للحظات ثم قالت فجأة

" ما رأيك ان تأتي للسكن معنا هنا ؟!! انا امك ايضا ! وستكون قريبا من عائلتك و..."

قاطعها رضا بنظرة امتنان " لا امي بدرية .. لاينفع هذا .. مكاني مع عائلتي .. ولن يكون الامر طبيعيا ان اتركهم لاسكن معك .. "

تنهدت مرة اخرى محبطة وهو تتمتم " معك حق بني .. لابد اني عجّزت واصابني الخرف لاعرض حلا سخيفا وغير منطقي كهذا ..!"

اشفق على احباطها فمال جانبا ليلتقط رأسها يقبله ويقول " حاشاك امي .. لاتقلقي سأجد حلا ... "

ثم اضاف بملامح غامضة " المهم ان تؤازرني آسيا ولاتخذلني او تضطرني الى ...."

صمت تاركا جملته معلقة دون معنى !

عقدت بدرية حاجبيها وهي تتساءل بقلق

" تضطرك لأي شيء يا رضا ؟! هل تقصد ان تضطرك لترك البيت ؟؟"

فرد بنفس الغموض " لا .. لم اقصد هذا !"

ماذا عليها ان تفعل الآن ؟! ها هي ترتدي قميص نوم مثير وتقربت منه في دعوة صريحة فرفضها بكلام غير صريح !







اخذت تفتح خزانتها ببعض العنف لتخلع عنها قميص النوم المغري فلم يقدره من اشترته لاجله !

ارتدت قميصا قطنيا بسيطا ورمت القميص الحريري الشفاف في زاوية الخزانة وباهمال متعمد !

لن ترتديه مرة اخرى ابدا ... ابدا!!!!!!!!!!!!!!!!!

تأففت وهي تتوجه للسرير الخالي من شريكها فيه ! اجل ... فمحسن العظيم ... القاسي القلب القادم من العصر الجليدي احيانا ..غادرها مدعيا حاجته للاختلاء بنفسه لينجز بعض الاعمال التي تخص القسم !!

وجه كريه لتلك الطالبة سوزان بدا كوسواس خناس يؤجج غيرتها ويبثها مخاوف رهيبة !

هل يمكن ان تلك الحقيرة ما زالت على اتصال مع زوجي حتى بعد تخرجها وقد تمكنت من ايقاعه في شباكها ؟!!

عبست رحاب وهي تتمتم باختناق " هل يمكن ان يكون هذا سبب عزوفه عن الاقتراب مني وقد زهد حتى في ملاطفتي والاهتمام بي ؟!!"

نفضت رأسها بقوة وهي تستعيذ باللّه من الشيطان الرجيم .... فدحرته وعادت لمربط الفرس كما يقولون ... !





رمت جسدها على السرير باحباط شديد ؛ هذا الاحباط بدأ يتفاقم عليها اكثر واكثر ... فمع الحمل وازعاجات الوحام هي تضغط على نفسها لتظهر لزوجها بابهى ما تستطيع لتسعده وتخرجه من جو الكآبة الذي يغرق نفسه فيه ويغرقها معه ..

طوال النهار يلازم العائلة في الاسفل واذا صعد لجناحه يكون مكفهر الوجه عابس الملامح ولايطيق حتى شقاوة بسيطة من سامي ؛

همست ببؤس " يا الهي هل سأعود لتلك الايام العصيبة بعد وفاة عمي عقيل ؟!! "

ترقرقت عيناها بالدموع وهي تستدير بجسدها وتضع كفها تحت خدها لتقول بتحشرج

" اشعر بالكآبة الشديدة والوحدة ؛ "

افزعها صوته البارد " هذه المرة جدي شخصا اخر غير ابن خالتك المتميع لتحلمي به وتخففي من وحدتك ؛ ويفضل ان يكون هذا الشخص (انثى) كأن تكون والدتك العزيزة مثلا ؛ "

همست بتلعثم وهي تجلس وسط السرير ببلاهة بعد ان هبت من اضطجاعها فزعا

" لم اقصد .. انا .. كنت .."

قاطعها ببرود جليدي بينما يتوجه لجانبه من السرير " فقط اريد النوم بسلام يا رحاب ؛ فلدي ما يكفيني من الهموم لاتحمل ضغط دلالك وعواقب كآبتك !! "





تبأست ملامحها بينما تراه يهملها تماما ليخلع نظارته ويضعها جانبا ثم يميل بجسده نحو السرير متجاهلا حتى النظر نحوها ...

اطفأ الانوار الجانبية بضغطة من يده ثم اولاها ظهره وراح في سبات عميق بينما رحاب تحدق فيه عبر الظلمة ودموعها تسيل وعقلها يستنجد بالحلول !

(حتى لو فقدت سيطرتك كرجل .. كان يفترض ان تتوقف في لحظة ما !)

نفث دخان سيجارته عاليا وهو مستلق على سريره بينما جملة حبيبة تدور حوله وتحاوطه كهذا الدخان السام الكثيف ...

اجل ... ما قالته صحيح ... في لحظة معينة كان يجب ان يتوقف ! انه يعلم جيدا اي لحظة تقصد .....

يرفع اصابعه لشفتيه فيرتعش لذكرى ملمس شفتيها وفي نفس الوقت تذله ذكرى جرح اندمل خارجيا فقط ... ذلك الجرح عندما عضته حبيبة بوحشية بينما هو غارق في تقبيلها بجنون ....

لايعرف لماذا شعر في وقتها بكل ذلك الغضب ! هل كانت تلك (العضة) السبب ام نظرات حبيبة اليه وكأنها ترى وحشا قميئا قذرا !





شعر بالاهانة .. بالصدمة من تأثير تلك الاهانة ... قد يثير السخرية بتناقضه هذا لكن هذا ما شعره ثم وجد نفسه يضحك بقساوة متعمدة وهو يمسح الدماء بطارف كم القميص ليقول لها امعانا في رد اهانتها

" كنت اعلم بوحشيتك ! وانتظرت الكثير لاتذوقها .. لكن ليس لدرجة ان اتذوق طعم الدم ! "

كان يدرك انه يصدمها ويرعبها اكثر مع كل كلمة ومع ذلك شيطانه امعن باغوائه بالانتقام وهو يتقدم منها ويضيف

" لابأس ... ساعلمك كيف تتحكمين بوحشيتك لتعطي اللذة الاكبر ..."

لايعلم ما دهاه في وقتها ليقول كل هذه القذارة ! وبينما هو ممعن بغبائه كانت حبيبة تتراجع بترنح للخلف وهي تقول بشراسة " انت اقذر خلق الله ! الآن فهمت سبب ابتعادك عن عائلتك فلا بد انهم هم من نبذوك لقذراتك هذه ! "

وكأنها صبّت الزيت على النار بكلماتها تلك! بزمجرة هادرة تقدم في لحظة نحوها قبل ان تتمكن من الهرب منه ليمسكها من كتفيه بقساوة لم يشعرها في حياته متهكما بصخب هادر " من تتحدث عن النبذ الآن يا حبيبة ؟! انت ؟! مؤكد فانت خبيرة ووالدك نبذكم لاجل انجاب الولد ! وربما كان الولد ذريعة ليتذوق امرأة اخرى غير امك ..."





اخذت تضربه بجنون وعشوائية وهي تهتف به " ايها الحقير .. ايها النذل ... لاتنطق بكلمة عن ابي .. لاتنطق بكلمة عن امي او اي شخص من عائلتي .. لاتلوثهم بكلماتك القذرة الفاجرة .."

امعن في جنونه وهو يرد لها بلهاث مفترس

" هل هذا السبب اذن ؟! لهذا تردين القذارة لابيك بكل تصرفاتك ؟ بالتحرر وابراز انوثتك كسلعة معروضة للجميع تثير الغرائز عند الرجال بينما تعلقين لوحة غبية كتبت عليها بقلم طفلة ثائرة (للعرض فقط ممنوع اللمس) ..."

تتخبط حبيبة بهياج لكن قوته غلبتها وهو يطوقها بقساوة اكبر محتويا هياجها الجسدي هذا وفمها يقذف الشتائم وهي تهدر " حقير حقير ... انا لست كذلك .. لست كذلك .. انت احقر خلق اللّه "

فيرد لها باشتعال غضب فاق حدود الوصف

" بل هي انت الغبية التافهة المنافقة ! تدعين التحرر واللامبالاة من كلام الناس ونظرتهم اليك ولكنك لست اكثر من فتاة من اقصى الارياف في جوهرك ! لااحد يستطيع جمع الاثنين يا حبيبة .. لااحد ... وانا ساتكفل بشدك في الاتجاه الصحيح الذي يرضينا معا يا متوحشة ! "





هذا المرة فاجأها بقبلة الجمت سيل الشتائم وقبل ان تتمكن من فعل شيء كان صوت رجولي يهدر " ماذا يحصل هنا ؟!"

تنهد مهند لتلك الذكرى القبيحة ! ذكرى يستعيدها يوميا ما ان يختلي بنفسه في شقته .. في سكون الليل حيث تصبح الافكار اكثر وضوحا واشد صراحة بمواجهتك ...

مد ذراعه جانبا ليسحق عقب سيجارته المنتهية في مطفئة قريبة بينما تغيم عيناه بظلمة روحه وهو يتذكر شعور حبيبة بالخزي امام شهاب حارس الامن الذي اخذ يتطلع اليهما بحاجبين معقودين ... افلتها وهي تكاد تترنح بانكسار بينما شهاب يقول بلهجة صارمة " ماذا تفعلان هنا بالضبط ..؟! "

فترد هي بتعثر " ارجوك ... الامر .. ليس .. كما تظن ... يا الهي ... يا الهي ...." ثم تحركت بعنف لتلتقط حقيبتها ومفتاح سيارتها ثم غادرت المكتب من توها مهرولة وبرأس منكس تحت نظر شهاب المصدوم !

للاسف (تلك اللحظة) هي اللحظة التي افاق فيها مما فعله حقا بحبيبة ... جاءت متأخرة .. متأخرة جدا ... كان عقله مشتتا وهو يجمع لشهاب قطعا من صور متناثرة بينما يهذر بكلمات لايتذكرها حتى .. فعقله انشده بخروج حبيبة ولم يتنبه لاقتراب شهاب منه الا عندما قال له بلهجة حازمة :





" الفتاة جيدة يا استاذ مهند واعراض النساء ليست لعبة ..! عيب عليك ان تحاول اغواءها هكذا وتقلل من احترامها .. ان كنت تحبها تزوجها والا فلاتتلاعب بمشاعرها كأي نذل خسيس .."

وجد نفسه اكثر تيها بينما شهاب يستدير ليتركه مبتعدا وهو يقول بنبرة حازمة

" ساتغاضى عما رأيته الليلة لاجل الفتاة وسمعتها .. لكن ان تكرر الامر سابلغ عنكما معا ..."

لاحقه مهند بالقول وقد اغرقه شعور مهين بالخجل والخزي

" الامر ليس كما تظن ... انها .."

فقاطعه شهاب بتلويحة من يده الضخمة وهو يقول " لااريد ان اعرف ... فقط لاتؤذها "

لاتؤذها ... لاتؤذها ... لاتؤذها ...

لكنه آذاها ... وآذى نفسه اكثر ... وقضى اسابيعا بعدها يعاني الامرين ...

غضب من نفسه ومنها على حد السواء ...

كيف افلتت كل الامور هكذا ودفعة واحدة ...؟!! خلال اسابيع غيابها لم يتوقف عن الاتصال بها طوال ساعات النهار والليل وهاتفها مغلق على الدوام ... وفي النهاية اعصابه اوشكت على الانهيار وهو لايعرف ما يحصل معها ... ثم بدأ .... يغضب !





اجل .. يغضب ... شعور بالعجز حطمه ...

تذكر تلك الايام العجاف مع لينا عندما عزلها اهلها عنه ليصدمه خبر سفرها مع عريسها ... وظلت الافكار السوداء تتكاثف حوله .. فهل سيعيد التاريخ نفسه لتتزوج حبيبة زواج تقليدي كما فعلت لينا ؟؟!

النوم جافاه والسيجارة اصبحت رفيقته حتى رآها تدخل الشركة ... لايعلم ماذا اصابه

خليط من شوق متفجر وغضب متفاقم يشتهي الانتقام ....!

زفر مهند بقوة بينما يرخي جفنيه ويهمس

" غبي ... غبي ... تهورت بحمق ولسانك سبق عقلك لينطلق بابشع ما لديه مستسلما لانتقام مشاعرك المضغوطة بسببها ...! كم مرة تقع بنفس الخطأ يا مهند ... كم مرة ؟!! "

ومن حيث لايدري طفا على سطح افكاره كلمات والده له قبل بضعة سنوات

(دوما كنت طفلا مدللا انانيا منتقما عندما لاتتحقق رغباتك ! فتلغي عقلك وتستسلم بغباء لموجة غضب طفولية حمقاء فتخسر المزيد دون ان تشعر !)

ثم اخذت شفتاه تهمسان بتتمة حديث والده

" من لايقدر بنيان العائلة ويفهم اهميته لن يبن ولا حتى بطابوقة واحدة بيتا آخر ! "





بعد بضعة ايام

عصرا

يتطلع عبر شباكه لشباكها ... انه يجافيها منذ ايام ! لايزورها ولا يرد على اتصالاتها ... لم يعد يحتمل ... وجودها قريبة بعيدة هكذا يفجر طاقات الألم فيه وبكل انواعه...!

شعر بدخول محسن الذي طلب موافاته لغرفته قبل قليل ....

قال رضا مباشرة وبصوت ثابت

" انا احتاجك محسن .."

فجاء رد اخيه حاسما كالبلسم" وانا رهن اشارتك ! فقط قل لي كيف اساعدك .."

بعد ساعتين ...

دخل لجناحه وعيناه تتركزان على زوجته التي تفترش الارض مع الولدين ويبدو انها تشاركهما الرسم ...

رفعت وجهها اليه حال تنبهها لدخوله فقال لها بصوت هادئ " تعالي رحاب معي لغرفتنا .."

ملامحها اظهرت قلقها لكنها لم تعارض او حتى تسأل ...

لحقت به للغرفة فوجدته هناك بنظرات توحي بالتفكير العميق ، اغلقت باب الغرفة خلفها ونبضات قلبها المتباطئة تعبر عن قلقها المتزايد ...





فاجأها بجملة لم يقلها لها سابقا خلال سنيّ حياتهما الزوجية

" رحاب .. احتاجك ان تدعميني .."

شحبت واصابها الدوار لتقترب منه وهي تختنق بالرعب والحنق في آن واحد " ماذا هناك؟!! اخبرني باللّه عليك .... ماذا يجري هنا ويؤرقك ؟!! لقد تعبت حقا من صمتك وما يلف هذا البيت من ذبذبات غامضة في الاونة الاخيرة .."

ما زالت نظراته ثابتة ليقول بجدية شديدة

" اول الدعم ان لاتسأليني فيما لااقدر ان اجيب عليه ..! "

ارتفع حاجبا رحاب عاليا واتسعت عيناها بينما يضيف محسن بلهجة عملية وهو يتكتف

" كل ما يجب ان تعرفيه انه في غاية الاهمية بأن احصل على دعمك الكامل وتأييدك لكل ما سيحدث مستقبلا ... "

ترققت نظراته قليلا مشفقا لهلعها ليردف قائلا

" الامر لايتعلق بنا تحديدا رغم انه سيتعلق من وجه واحد فقط بنظري .."

ابتلعت ريقها بصعوبة لتسأل بتحشرج

" اي وجه تقصد بالضبط ؟!! "







عندها ناظرها بقوة مطالبا لها بأمر بدا شديد الاهمية بالنسبة له قائلا :

" اثباتك لي انك زوجتي التي تسندني في كل الظروف .. من ستقف معي فلا تعارض قراراتي وتثق بي بشكل مطلق فلا تسألني عن اسباب تلك القرارات عندما اعجز عن تقديمها لها ! "

اخذت تتطلع اليه وقد شعرت ان ما قاله وسيقوله هو صلب علاقتهما معا ! الاساس الصحيح الذي يريده زوجها منها ليبنيان معا بيتهما الذي يختلف عن اي بيت زوجي اخر ... فلكل بيت اساسه وبناؤه .. وبيتهما يجب ان يحمل ملامحهما معا ويعبق برائحة تناغمهما الخاصة ...

هكذا ببساطة عقلها فسر وحدسها اخبر خلال لحظات مميزة من الزمن ....

ليضيف محسن بنفس النبرة " انا اثق بك تماما فلا اريدك ان تتصوري اني اخفي عنك الاسباب لقلة ثقة ! لكن هناك ما لانملك الحكم فيه مع انه يمسنا ..."

ضيّق عينيه وهو ينظر اليها بتركيز ويقول بلهجة تنضح باهمية السؤال

" هل تفهميني يا رحاب ؟! "

ردت وقد استكان خارجها مع استكانة داخلها لتقول

" انا معك محسن في اي قرار تتخذه ... فلا تقلق من شيء .."





في غرفة نوم الحاجة سعاد ...

هدرت سعاد بينما يدها ترتعش ككل جسدها

" ما هذا الهذر السخيف الذي تقوله ؟!! "

تدخلت بدرية بالقول الهادئ وهي تربت على يد صديقتها " انها الحقيقة سعاد .. حذيفة كان في الماضي معجبا بآسيا ... معجبا ..جدا"

ليقول محسن بتأن " رضا لايتقبل تواجدهما معا في مكان واحد لهذا ارسلها لبيت عائلتها حتى يجد حلا .. انت تعرفينه .. انه شديد الغيرة .."

نقّلت سعاد نظراتها بين صديقة عمرها وابنها لتقول باختناق والدموع تتجمع في عينيها

" هل سيُخرج حذيفة من البيت ؟!! هل سيدفعه رضا ليغادرنا من اجل زوجته ؟!! "

طمأنها محسن بالقول " لو كان هذا قراره لما ارسل زوجته اصلا حتى يجد الحل المرضي للجميع... "

ما زال وجه سعاد قلقا بينما يضيف محسن بلطف " انه مدرك لحاجة حذيفة لدعمنا ولدفء العائلة لابنته ... لايفكر للحظة في حرمان حذيفة من هذا بعد سنين الغربة خاصة بوفاة زوجته وتيتم ابنته سعاد الصغيرة..."



تصميم كاردينيا73



سألت سعاد وخوف من نوع اخر يزحف لملامحها

" اذن على ماذا ينتوي اخاك .. ؟!! " ثم

تطلعت لبدرية تتساءل بنفس الهلع " هل

سيتركنا لبيت اخر ؟!! سأموت ان رحل رضا

بعيدا عني .. الا هو ... قولوا عني ما تشاؤون

لكن رضا ... لا ...! اقسم بالله ساضحي ببيت

زوجي الذي اقسمت اني لن اغادره يوما الا

لقبري وألملم اغراضي وارحل مع رضا الى حيث

يذهب ... "

اشفقت عليها بدرية فقالت " اهدأي سعاد ...

رضا سيبقى جوارك لكنه سينفصل بنفس

الوقت .."

اغرقتها الحيرة وهي تسأل بتخوف لايهدأ

" كيف .. ؟؟"

فاجاب محسن مفسرا " سيفصل جزءا من البيت

ويجعل له مخرجا اخر له "

ازدادت حيرة سعاد وارهقها التفسير لتقول

" لم افهم ! "

فقالت بدرية بتفسير ادق " جناحه الحالي

سيعزله عن باقي البيت يا سعاد .. وسيكون له

مدخلا خارجيا من المرآب وليس من داخل

البيت الرئيسي .."



ارتفع حاجبا سعاد متفاجئة بالتخطيط

بينما تضيف بدرية " وبهذا سيكون جوارك

لكن حفظ لاهل بيته انفصالا وخصوصية .."





شاب الحزن نظرات سعاد رغما عنها وهي تقول باحباط " اذن سيتقسم بيت الحاج عقيل ! "

ثم ناظرت محسن بحزن اشد وكآبة واضحة

" وربما سيأتي يوم وتتركنا لبيت اخر تماما ! فما دام اخاك الاكبر وخليفة والدك سينفصل فأنت ستغادر ...! "

مال محسن ليقبل يد امه ويقول بحنان

" لن افعل اماه ولن اعزل مكاني عنك ابدا .."

ثم رفع رأسه ليطالع وجه امه الحزين باشفاق شديد فقال " ساعديه امي .. انه مرهق من التفكير ويحمل هما عظيما فخففي عنه برضاك عما ينتويه .. انه مرهق الى درجة لم يستطع اخبارك بكل هذا بنفسه .."

صمتت سعاد وعجزت بدرية عن قول المزيد بينما محسن ينتظر ....

قالت سعاد اخيرا بصوت يحمل نفس الشجن الحزين

" اليوم سيأتي سالم لبيتنا فدعونا نستعد عسى ان يقسم الله لرفيدة بنصيب حسن فتغادرنا لبيت زوجها .."





الفصل السابع عشر والاخير

دخلت رفيدة على استحياء شديد وهي تهمس

" السلام عليكم .."

رد سالم وهو يقف على قدميه " وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .."

كان رضا قد وقف هو الآخر فقال بلطف

" تعالي اختاه اقتربي... انا ساخرج لاترك لكما التكلم معا بحرية ..."

غادر رضا غرفة الضيوف تاركا الباب مفتوحا ليشير سالم بيده ناحية الاريكة قائلا

" تفضلي بالجلوس لو سمحت ..."

هزت برأسها وهي تتوجه نحو احدى الارائك وجلست دون ان تتطلع اليه ..

جلس سالم على اريكة اخرى وقد شعر بالحرج الشديد !

لم يتصور انه سيقدم يوما على خطبة وزواج بعد وفاة زوجته رحمها الله ...لكن .. الانسان تتلاعب به احتياجاته وتقهره وحدته ....

عاد يتطلع للوجه الاسمر اللطيف امامه ...

كم اشفق عليها عندما تقدم اليها الحاج يونس ... شعر انها لاتدرك حقا مغبة كونها الزوجة الثانية لرجل يعشق زوجته الاولى !

رحمه الله الحاج يونس .. لقد اخطأ التقدير حقا ..





قال سالم بصوت أجش " كيف حالك ؟"

ردت بهمس " بخير الحمد لله .."

تنحنح سالم ليقول " رضا قال انك تريدين التحدث معي قبل ان تقرري ردك على طلبي الزواج منك .."

توردت سمرتها فبدت انثى رقيقة في عينيه بينما تتلعثم كأبنة العشرين " انا .. انا .. "

راقه تلعثمها ثم اوشك ان يضحك بجذل وهي تضيف " اردت ان اقول انك رجل طيب .."

كتم ضحكته ليرد لها بلطف

" شكرا لك هذا من اصلك .."

صمتت وقد زاد ارتباكها بوضوح وشابه اضطراب قلق !

طالعها بحنكة رجل اكسبته السنون والتعامل مع اصناف البشر خبرة في فهمهم ومعرفة دواخلهم ...

سألها بسلاسة " تجدين صعوبة في الافصاح عما يجول بخاطرك ؟؟"

ردت " نعم .." فتبسم قائلا " سأعينك ..."

عندها فقط رفعت نظراتها اليه .. احب عينيها الصغيرتين كبنيتها ...

سأل بوضوح " هل لديك شرط معين لاتمام الزواج ؟؟ "





ردت " نعم .."

فعاد وسأل بنفس الوضوح

" ما هو ؟"

بدت مترددة ثم فجأة لمحة عناد شقية

ارتسمت على محياها لتقول ببعض التلكؤ

" قبل ان .. تتقدم بطلبك .. كنت على ..

وشك .... كفالة طفلة يتيمة .. من الملجأ "

للحظات حدق فيها بذهول ! لم يفاجئه احد

كما فاجأته رفيدة الصائغ !! لم يخطر في

باله للحظة انه طلبها سيكون هذا ! بل لم

يخطر في باله ان امرأة مثلها ستقدم على عمل

كهذا ...

تفوه بكلمة واحدة بدت كردة فعل بليدة

منه " حقا ؟! "

سألته وهي تعقد حاجبيها

" لماذا كل هذه الدهشة ؟!! "

حرّك كفيه ليفتحهما للاعلى وهو يقول

" لااعلم بالضبط لكني .. لم اتوقع هذا .."

تركزت نظراتها العنيدة عليه لتسأل بشكل

صريح " ما رأيك فيه ؟"

ابتسم لها ... شيء في داخله تحرك نحوها

بينما يقول بلطف بالغ " وهل لي رأي بعد قول

رسولنا الاكرم ؟!! قال رسول اللّه صلى اللّه

عليه وآله و سلم (أنا وكافل اليتيم في الجنة

هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما)"



ترقرقت عينا رفيدة بدمعات لم تهطل بينما تهمس بتأثر " عليه الصلاة والسلام .. "

ثم اضافت بسؤال متردد

" اذن .. فلا مانع لديك ؟"

عندها قال سالم وهو يطرق براسه

" حقيقة وبكل صراحة لم افكر بهذا ابدا من قبل لكني لاارفضه قطعا .."

فاجأته وهي تهب على قدميها ببعض الحدة لتقول بتصلب " اذن عليك التفكير فيه والرد علي برأيك لارد انا على طلبك .."

درسها بعناية ... هذه المرأة لديها عناد متصلب قد يتعبه ! لكن لابأس ... بالحكمة ستلين ...

اشار لها قائلا بهدوء " اجلسي من فضلك ..."

بدت على تصلبها واوشك ان ييأس من اقناعها بالجلوس لكنها في النهاية ... جلست ...

قال سالم مفسرا بسلاسة " اريد ان اوضح لك مقصدي ووجهة نظري في التردد .. لو قسم لنا الله الارتباط ستدخلين بيتا غريبا عنك وتعاشرين رجلا لم يكن لك معه اي تواصل وانا في المقابل ستكونين غريبة عني .. لذلك يا رفيدة اريد ان نتفق اننا نحتاج لفترة للاعتياد على بعضنا وعلى وجودنا معا ببيت واحد .."

احمرت بشدة وهي تطرق برأسها كما فعلت اول دخولها لغرفة الضيوف ..





فاضاف متبسما " لذلك اريد ان نتآلف مع بعض قبل ان نفكر باحضار فتاة صغيرة تعيش غربة اكبر فنزيد غربتها بدل ان نخففها ونربيها بما يرضي الله ..."

رفعت رأسها لتسألها بغتة وبلمحة طفولية

" هل يعني هذا انك موافق ؟!"

اتسعت ابتسامته والتمعت عيناه بنظرة رجولية مستها بينما يقول " اذا وافقتِ على طلبي اوافق على طلبك ..."

عادت واطرقت وقد توهجت سمرتها فغض بصره عنها ليقول بصوت أجش " هناك امر يهمني .. يهمني جدا ان تعرفيه وتفهميه .."

سألته دون ان يتطلع نحوها " ما هو ؟!"

رد بتركيز على كل كلمة " بيتي لن يكون كبيتك .. انها شقة في الواقع وليس بيتا .. فسيحة ورحبة وفي منطقة سكنية جيدة وجيرة طيبة .. استطيع ان اجددها لك خلال اسبوع .. واذا اردت تغيير اي شيء فانا على استعداد لفعلها بحدود المعقول ... " صمت للحظة وكأنه يترك لها استيعاب كلماته قبل ان يضيف بصراحة مقصودة " اريدك ان تعلمي انك ستعيشين بما تسمح له امكانياتي فقط .. دون الاقتراب من اي مصدر يخصك او يخص عائلتك .."

عندها فقط رفع عينيه اليها ليسأل مطالبا بتأكيد " هل تفهمين قصدي ؟"





شعرت بانشراح في صدرها وهي تتطلع لوجهه الثابت الملامح .. فوجدت نفسها تقول

" نعم فهمت .. ووافقت ...."

" ماذا تفعل في الظلمة ؟! لاتقل لي انك تدخن سرا يا صغير ؟"

دون ان يتطلع اليه وقف عبد الرحمن على قدميه واخذ ينفض بهدوء الحشائش عن بنطاله وبتجاهل تام تحرك ليغادر الحديقة الخلفية حيث كان يجلس بمفرده مرتاحا لوحدته قبل ان يهدم عليه سكونه اخاه حذيفة !

مر بجانب حذيفة وكان سيتجاوزه عندما امسكه حذيفة من ذراعه قائلا بنفس السخرية التي حدثه بها اولا " قد اشاركك سيجارة يا فتى ولن اخبر احدا عنك .."

نفض عبد الرحمن ذراعه بقوة وهدر في اخيه الاكبر وقدوته القديمة " انا لاادخن اصلا ! "

ضحك حذيفة عاليا والتمعت عيناه بانارة الحديقة الخافته ليقول مستمتعا " خدعتك كالعادة وجعلتك تكلمني ! دوما كنت اجيد فعل هذا عندما تغضب مني وتخاصمني وانت طفل صغير ..."







لم يستجب عبد الرحمن لفكاهة اخيه لتتقبض يداه دون شعوره وهو يرفعها امامه يناظر اخاه بغضب مستعر طال كبته !

تطلع حذيفة لملامح عبد الرحمن ثم هبطت نظراته لقبضتيه فقال بسخرية واضحة " هل تريد مقاتلتي يا فتى ؟! تبدو قوي البنية وليس باطراف (خيار) كما كنت سابقا ! لكني لاأعدك التهاون معك في القتال وثق ساصرعك خلال ثوان ! "

هتف به عبد الرحمن " كف عن التصرف وكأن شيئا لم يحدث في الماضي ! كفّ عن ادعاء انك لاتعرف بأني اعرف فعلتك المشينة الغادرة التي جعلت والدنا يطردك ! "

سكنت ملامح حذيفة ثم ابتسم ابتسامة جانبية ساخرة ليقول ببساطة " ما رأيك ان أكف انا على ان تكف أنت عن محاكمتي يا صغيرا كنت احمله على كتفي يوما ! "

دمعت عينا عبد الرحمن لكنه سارع لمسح دموعه قبل ان تهطل ليقول بحشرجة غاضبة " لاتحاول اثارة عاطفتي لاسامحك ! حتى لو سامحك رضا ومحسن وكل من في البيت ... حتى لو سامحك ابي رحمه الله ... انا لن اسامحك ... لن اسامحك لكل ما جعلتني اعيشه خلال السنوات الماضية وانا اظن نفسي سأكون نسخة عنك ! كنت اخاف ان انظر حتى نظرة عابرة لاي فتاة خوفا ان .... ان ...."





قاطعه حذيفة وهو يمسكه من كتفه ويهتف به " توقف عن اغراق نفسك بالاوهام يا عبد الرحمن ... انت لست مثلي ... ويكفي انك تعرف فداحة ما جنته يداي في الماضي لتمتنع عن نفس الفعل "

تطلع اليه عبد الرحمن للحظات طويلة قبل ان يدفع كفي حذيفة بعيدا عنه ويقول بصوت بارد باهت " لااحتاج لنصائحك ! فرضا ساعدني لاتخطى عقدتي تلك ... كما سيساعدني لاسافر لبلد اخر ... فقط لاخرج من هذا البيت ولااضطر لرؤيتك يوميا ..."

تحرك عبد الرحمن بينما حذيفة ساكن في مكانه بلا حراك ليضيف عبد الرحمن بقسوة " ارجو ان لاتظن انك عدت واستعدت مكانتك كفرد في هذه الاسرة ! انظر كيف يعزلك الجميع عن اهم الاحداث .. ولم يشركك احد بزواج اختنا رفيدة مثلا بينما تتهرب من المواجهة بملاحقتي للحديقة والسخرية مني ! "

سأله حذيفة بصوت مبحوح

" متى ستسافر والى اين ؟! "

رد عبد الرحمن بترفع يليق بمراهقته

" متى هذه ستحدد بعد مفاتحة رضا لامي بعد زواج رفيدة اذا تم ... اما الى اين فستكون الى حيث ابتعد عنك ! حيث ساحصل على شهادة راقية اجعل رضا فخورا بي .. هو الوحيد الذي يستحق مني ان امنحه شعورا كهذا ... "





ثم تركه عبد الرحمن وحيدا يطالع ظلمة الليل وداخله يقاوم ليصمد ...

لاشعوريا قادته قدماه الى الداخل يبحث عن وجه مشع يمنحه بعض الطاقة ..

" بابا .." وجدها مع عمها محسن وولديه سامي وعقيل فنادته لتقفز اليه حالما دخل غرفة الجلوس وهو رفعها ليضمها لصدره فكانت طاقتها نورا يكتسح ذنوبه التي تثقله ...

في اليوم التالي

فتاة تقف وسط المجهول بشعر احمر طويل محلول على الكتفين ، فستانها الابيض باذيال طويل عريضة تتطاير بجموح حولها فبدت كشعلة بيضاء متمردة تحيي الارض الجدباء......

لقد خلبت لبه !

انه اعلان عطر نسائي جديد ولايملك الا ان يلهث للصورة الحية الناطقة المرسومة باليد....

حقا هذه الفتاة خلبت لبه !

لديها طاقة لاتنضب وذهن متوقد مشتعل ... يكاد يقسم انها طلبت شم العطر قبل ان ترسم اعلانه ....

" ماذا تفعل برسوماتي ؟!! "





ببطئ شديد اعاد وضع الرسوم على مكتبها حيث كان يجلس على طارفه ثم رفع نظراته اليها في وقفتها الشرسة عند الباب تطالعه بعينين تقدحان شررا ....

ابتسم باستفزاز ليقول ما يستفزها اكثر

" هل تعلمين ... هذه الفتاة البريّة المشتعلة الرأس تشبهك جدا ! "

رآها كيف تشد قبضتيها وتطبق فكيها بغضب عارم فشعر بكل خلايا جسده تنتعش!

انها شعلة صغيرة في الثالثة والعشرين فقط .. صغيرة جدا عليه لينظر اليها كانثى جذابة !

لكنها وحق الله من اكثر الاناث اللواتي التقى بهن جاذبية ...

مع ذلك هناك شيء حولها يجعله يراها بطريقة مختلفة .. كأنها ليست مجرد (حواء) جميلة وانما روح تفيض بالحياة ....

" لااسمح لاي انسان بالاطلاع على اعمالي دون وجودي ... لااحد على الاطلاق ! "

رفع حاجبيه وهو يتكتف ويقول بلهجة فيها نوع من الحزم " انا رئيسك ان كنت نسيتِ هذا في زحمة اشتعالك ! ويحق لي ان ارى اي شيء بوجودك او عدم وجودك ! "

شمخت بذقنها لتقول بصلف " كنت اتصور ان من يأتي من البلدان المتحضرة يمتلك بعض الديمقراطية لا ان يكون مستبدا مترأسا متسيدا هكذا !! "





انفجر يحيى ضاحكا رغم ارادته مما فاجأها وعقد لسانها .....

تحرك من جلسته ليتقدم منها ينظر اليها بعينين تلتمعان بينما بدت نظراتهما وكأنه ينظر لطفلة شقية !

قال وهو يقف امامها بطوله الفارع " فكرتك عن ديمقراطية الغرب تحتاج لبعض التعديل؟"

تطلع اليها من تحت لفوق بنظرة ذات معنى ليقول " انت بالنسبة للشركة استثمار ! هذا الاستثمار يمنحك كل انواع الدعم لتبدعي وتظهري افضل ما لديك....لكن ... في المقابل كل ما تبدعينه الشركة لها حق التصرف به اكثر منك شخصيا ، وبكلمة اخرى نحن نملك اعمالك الثمينة ويحق لنا رؤيتها متى ما شئنا ودون اذنك ..."

تلاقت النظرات ... التحدي والرغبة في اثارة الشغب يلتمع في عينيها والاستمتاع والحزم في عينيه ...

قال لها بصوت رقيق ساخر " مجرد سماحي لك بأن تكلميني بهذه الطريقة هو ديمقراطية في حد ذاتها الا تعتقدين هذا ؟!! "

فردت بلمحة غرور " هذه انا وانتم رضيتم بي هكذا ... "

ابتسم واغلق جفنيه للنصف بينما يقول " اذن كل واحد منا ليلتزم بجانبه من العقد المبرم.."





تحرك متجاوزا اياها ولم يملك الا ان يغيظها بالسؤال " ماذا تفعلين بالمكتب وقت الغداء ؟! الا تأكلين ايضا كباقي زملائك ؟"

ردت بصوت يوحي انها على وشك الانفجار به " انا ساخرج لساعتين وقد استأذنت من مديري المباشر وجئت لاخذ حقيبتي ... هل هذا تقرير واف مرض عن تحركاتي ؟! "

رد ببراءة تثير الحنق " نعم .. انا راض ..."

وعند الباب التفت اليها ليجدها تنظر اليه بحقد لاتخفيه فابتسم بنفس البراءة وقال

" انا ايضا ساخرج لساعتين لكني محظوظ اني لااحتاج للاستئذان من احد ! "

ثم لوح لها وغادر تاركا اياها ترغي وتزبد !

كانت تكز على اسنانها بغيظ مستفيض بينما تتطلع للسيارة التي تقف قريبا من سيارتها وبطريقة غير نظامية ..

شدت قبضتيها بينما يقف بجانبها فتى مراهق ممن ينظفون السيارات بالشارع وقد بدا عاجزا عن مساعدتها لانه لايعرف صاحب السيارة اين ذهب ليطلب منه ابعاد سيارته قليلا لتتمكن حبيبة من اخراج سيارتها !

نظرت لساعة يدها متأففة ! فقد ضاعت ربع ساعة تقريبا والطريق لسوق الذهب مزدحم جدا في هذا الوقت من النهار ....





عادت لتنظر لوجه الفتى الاسمر وقد بدا مفتونا بالنظر اليها اكثر من رغبته بايجاد صاحب تلك السيارة !

سألته بحاجبين معقودين " هلا تدفع تلك السيارة معي ؟! "

تغيرت ملامح الفتى وهو يتراجع للخلف خطوة رافضا بشكل قطعي " لا ..لا .. يا انسة .. ليس لي علاقة لادفع سيارة احدهم دون وجوده ومعرفته ليأتيني بعدها فيصب جام غضبه علي انا ! "

تنهدت حبيبة بقوة ونظرت بعجز حولها عسى ان يأتي ذلك السائق الفاشل !

" دعيني اساعدك .."

التفتت لتراه يحجب عينيه بنظرات شمسية سوداء كنظارتها ..

منذ ايام وهو يعاملها بتحفظ نوعا ما لكنه لايكف عن النظر اليها .. نظراته اختلفت عما سبق .. فيها شجن .. رقة ... ألفة من نوع ما .. ما تزال تحاول تجاوز مشاعر الخوف التي تلفها لتواجده معها بنفس المكان .. ما تزال تحاول دحر احساسها بالغثيان لتلك الذكريات التي تأبى مفارقة جزء الذاكرة من عقلها ...

وقد نجحت الى حد ما .. ونأي نفسه عنها ساعدها ... تعترف بهذا له ... لكن .. في عمقها هناك صراع ... صراع لاتستطيع تحديد من يشارك فيه من مشاعرها ....





قالت حبيبة بهدوء

" شكرا لك مهند .. لكن لاعتقد ..."

قاطعها وهو يرفع نظارته فوق رأسه ويتقدم ناحية السيارة المخالفة بوقفتها قائلا " ثقي بي .. ساتمكن من اخراج سيارتك .."

نظر الفتى المراهق لمهند بتوجس فاخرج مهند ورقة مالية ووضعها في يد الفتى وهو يقول له بحزم " ادفع معي من الجانب والى جهة اليسار ..."

فعل الفتى كما طلب منه مهند فازاحا السيارة قليلا ولم يعد بامكانهما تحريكها اكثر ..

نظرت حبيبة بعبوس للوضع ! تعترف انها لاتستطيع اخراج السيارة حتى مع الفراغ الذي احدثه مهند ...

اقترب منها مادا يده وهو يقول " اعطني مفتاح سيارتك .. ساخرجها لك بنفسي .."

نظرت اليه واوشكت ان ترفض بعناد لكن تلك العينين المرهقتين اوقفتاها عن الاعتراض ..

وبحذر شديد وضعت المفتاح في يده الممدودة حريصة على ان لاتلمسه ....





رأته كيف تشنجت عضلات وجهه وقد ادرك حرصها ذاك لكنه ابتسم في النهاية ابتسامة جميلة جعلته يبدو وسيما بشكل خاص ثم تقدم من سيارتها وخلال دقائق كانت حبيبة مذهولة كيف استطاع مهند اخراج السيارة ببراعة وسلاسة هكذا ...

ترجل من السيارة ليقول لها وهو يعيد النظارة لعينيه " قودي على مهل فشالوارع تصبح فظيعة في هذا الوقت .."

تركها دون ان ينتظر ردها بينما قلبها يهدر في صدرها ولاتعرف الاسباب !

شهقت وهي تدخل محل الصائغ بينما ترتطم بقامة رجولية فارعة !

رفعت عينيها لتتسعا بصدمة تشابه صدمة من ارتطمت به !

همست ببلاهة " ماذا تفعل هنا ؟! "

ليرد يحيى وهو عابس تقريبا " وماذا تفعلين انت هنا ؟! لاتقولي انك استأذنت لساعتين حتى تشتري مصوغات ذهبية !! "

عبست هي الاخرى لتقول بغيظ " وهل رأيتني يوما ارتدي ايا منها ؟!! انا هنا لازور زوج اختي صاحب المكان ..."





هذه المرة اربكها بردة فعله وقد بدا اكثر صدمة وذهولا وهو يتمتم بغباء " انت اخت زوجة رضا ؟!! "

شعرت بالغباء ! اجل الغباء هو الوصف المناسب لمن يجد نفسه متبلدا ولايعرف ابسط كلمات ليرد على سؤال كهذا ! سؤال لايحتاج الا لكلمة واحدة في الواقع هي ...(نعم) !

وبدلا من ان تقول تلك الـ(نعم) سألته ببرود

" وانت ماذا تفعل هنا ؟! تشتري مصوغات لزوجتك ؟!! "

تلاشى الذهول ليرفع حاجبا وينزل آخر ثم شعت ابتسامة غريبة جعلته يبدو بوسامة ارستقراطية مألوفة لديها بشكل غريب !

قال يحيى بنبرة تثير كل انواع الغيظ والحنق " الحقيقة انا في زيارة عائلية كزيارتك لزوج اختك ! "

عقدت حبيبة حاجبيها وهي تتساءل بتوجس

" ماذا تقصد ؟!! "

رد يحيى ببشاشة تنضح سخرية " يبدو يا انسة حبيبة اننا نوعا ما اقارب ..."

صمتها المتوجس بدا اكثر تعبيرا من كلماتها ليضيف يحيى بابتهاج لايطاق " انا يحيى الصائغ ... والدي ابن عم والد رضا ... بالمختصر انا من عائلة الصائغ لكن من طرف بعيد نسبيا .. والاهم من ذلك اني صديق حميم لرضا قبل ان اكون قريبه بالدم ! "





هل يُسمح لها ان تشد بشعرها تعبيرا عن كل مشاعر الغيظ والاستفزاز التي تركها فيها هذا المتبجح المغرور وهو يغادر المحل ضاحكا من بلاهة ملامحها !

تحركت نحو مكتب رضا وهي تضج بالشحنات المتفجرة بينما عقلها يؤنبها في حوار مع الذات " ايتها الغبية ! هذه الملامح اقرب لمحسن الصائغ ... كيف لم تتنبه للشبه ؟!! ربما لان هذا الـ(يحيى) السخيف لايحلق ذقنه مثلما يفعل محسن ولذلك ملامحه لم تظهر الشبه بوضوح "

اخذت نفسا عميقا بينما العامل يوصلها لباب مكتب رضا وهو يبالغ باظهار الاحترام والترحيب حالما علم انها اخت السيدة اسيا زوجة رضا الصائغ ...

همست باسم اختها وهي تفتح الباب .. انها السبب لتواجدها اليوم في محل الصائغ ... يجب ان تتحدث مع رضا لتفهم ... فالوضع بين اسيا ورضا اصبح مقلقا جدا .....

ليلة زفاف رفيدة

تقدمت اسيا من امها لتقبل كتفها ثم تحولت ناحية الطباخ لتعد الشاي وهي تقول بلطف

" هل تشربين الشاي معي اماه ..."





كانت تضع ابريق الشاي على النار عندما فاجأتها امها بالقول " لماذا لم تذهبي لحفل الزفاف يا آسيا ؟؟ "

للحظة ارتعشت يد اسيا لكنها تماسكت لتشعل النار تحت الابريق وتقول ببشاشة

" فضلت البقاء معك ... لم تقولي لي ستشربين الشاي معي اليس كذلك ؟؟ "

ردت الام بنبرة حازمة تفيض فطنة " قد تقنعين الناس الغرباء انك تفعلين هذا لاجلي ... وسيصدقون ويقولون نِعمَ الابنة البارة هي ! لكني ببساطة لاصدق ! على الاقل ليس هو سببك الوحيد للامتناع عن الذهاب لحفل زفاف بسيط يخص اخت زوجك وانت تسكنين معها بنفس البيت اصلا ! "

تجمدت اسيا وقد عجزت عن الرد فشعرت بكفيّ امها على كتفيها وهي تهمس بحنان قرب اذنها من الخلف " ماذا يحدث معك يا جوهرة ؟! دوما كنت كتومة فيما يخص ما يزعجك ويؤذيك ... لماذا لاتجربين الفضفضة قد تفيدك اكثر.."

ارتشعت اسيا وهي تغمض عينيها فقالت الام ببعض القلق وهي تدير ابنتها لتواجهها " ماذا يحدث بينك وبين زوجك حبيبتي ؟! "





اخذت اسيا نفسا عميقا وزفرته ببطئ ثم قالت بهدوء " صدقيني اماه ستكونين اول من يعلم اذا قررت الكلام .. لكن ارجوك لاتقلقي ... ليس امرا سيئا لهذه الدرجة فيقلقك هكذا"

امعنت ابتهال النظر في وجه ابنتها ثم قالت بلهجة ذات مغزى " حماتك سعاد كفّت عن السؤال عنك وهذا ليس بالامر الجيد ... حتى زوجك لم يأتِ منذ عشرة ايام "

ردت اسيا بحرج " كان مشغولا جدا مع ... رفيدة .... تعرفين ترتيب الامور .. لاجل ...."

شعرت ان طاقتها استنفذت لتوقف سيل كلماتها المبررة لغياب زوجها ثم قالت برباطة جأش وثقة " فقط لاتقلقي حبيبتي ... "

التفتت اسيا ناحية الشاي واحضرت قدحين وصبت فيهما السائل المحمر لتأخذ احدهما وهي تقول

" ساشرب الشاي في غرفتي واصلي العشاء ثم انام باكرا ... اشعر بالتعب اليوم وقد شاركت الشقيتين رباب ورقية بحملة اعادة ترتيب اثاث غرفتهما ..."

ارادت الام الاعتراض لكن اسيا سبقتها لتطبع قبلة على خدها وتقول

" تصبحين على خير امي .."





فتح لها باب الشقة وهو يقول بلطف بالغ "ادخلي عزيزتي .."

دخلت رفيدة بفستانها الزهري الفاتح وقد بدت متوهجة الخدين .. مرتبكة مشغول البال اكثر منها خجلة !

كانت قد زارت شقته سابقا مع رحاب وامها وخالتها بدرية لذلك هي تعرف اركانها واختارت بعض الاثاث لتغيره بناء على نصائح رحاب ....

وسط غرفة الجلوس البسيطة وقفا امام بعض ... مد يداه ببعض التردد ليخلع لها حجابها الذي لائم فستانها وهو يهمس بصوت أجش

" مبارك .."

(اخبريه رفيدة ... اخبريه .. يجب ان تخبريه قبل ان ...)

صوت الخالة بدرية يرن في اذنيها وجعلها ترتعش بقوة فحاول سالم تهدئتها رغم استغرابه " اهدأي عزيزتي .. لماذا ترتعشين هكذا ...؟!! "

رمى حجابها على الاريكة واخذ يلمس خصلات شعرها الناعمة القصيرة فيقول باعجاب رجولي " احب الشعر القصير خاصة وهو بنعومة الحرير هكذا ..."

اوشكت ان تبكي بينما تهمس بأسمه للمرة الاولى " سا...االم .."

ناظرها بعذوبة قائلا " يا عيون سالم .."





تطلعت اليه تستمد منه تفهما لشيء يجهله !

احساس فظيع ! فظيع ان تخبره انها ما زالت ... ما زالت .... فتاة !

همست بتحشرج وقد تلألأت عيناها بالدموع

" هنا...ك ... امر ..."

رد بمناغشة وهو يلامس خدها

" وامرك مطاع "

للحظات تاه عنها الكلام .. وضاع منها التركيز على ما ارادت الاعتراف به ...

وجدت نفسها تتطلع لعينيه بنظراتها المحببة وتفكر كم مرة حلمت بليلة الزفاف! كم مرة تخيلت نظرة عريسها لها .. ابتسامته .. لطفه ...

هل كانت اكثر تاثيرا من نظرة وابتسامة ولطف سالم معها ؟!

لم تتخيل يوما ان عريسها سيكون عاطفيا ولم تتمناه مشتعلا كما تصفه الروايات ... دوما ارادت محبة .. احتواء انتماء .. و...بيت ! ... بيت يكون لها .. تكون سيدته وزوجها شريكها فيه ...

الحاج يونس لم يمنحها اي شعور من هذا القبيل البته ! حتى جاءت نهاية ليلة الزفاف البائسة لتحطمها بعد طول انتظار لها !





لذلك رفضت اي إرث من الحاج يونس وحتى الشقة التي اشتراها لها طلبت من رضا ان يبيعها ويتصرف بالمال !

شعرت انها دخيلة على كل ما يخص الحاج يونس .. دخيلة على حياته ..على عائلته .. على انتماء توسمت ان تجده فيه ...

قال سالم بترو " اخبريني بما يجول بخاطرك ويربكك اكثر ..."

تحشرج صوتها وفاضت نظراتها بنوع من الذل وهي تهمس " هناك امر مهم حصل خلال .. زواجي ... الاول ..."

تطلع اليها سالم بصمت مرتاب لتحيره بالمزيد وهي تقول بألم انوثة مجروحة

" الاصح ... لم يحصل ..."

عبس سالم وهو يسألها بجدية " ماذا تقصدين رفيدة ؟! هلا اوضحت ؟؟"

عضت شفتها السفلى تكتم شهقة بكاء لتنكس رأسها وتهمس بانكسار " الحاج ... يونس ... لم .. يقر...بنـــ...ي .. انا ما ..زلت .."

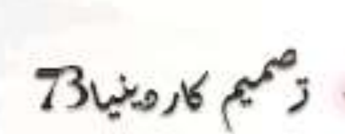
لم تكمل ما كان مفهوما ...ثم ..

صمت مطبق !!!

لا هو قال شيئا ليخفف عنها احساسها الثقيل ولا هي استطاعت النظر اليه لتقرأ ملامحه وتفهم تعابيره !

شعرت بالضياع .. الضياع والخوف ..... ولاتعرف تماما ما هو سبب مشاعرها السلبية هذه !







تأوه مخنوق خرج منها وارتعاشة قوية انتابت جسدها بينما تلفانها ذراعان رجوليتان ...

وجدت نفسها مضمومة لصدره ويداه تضغطان برفق على ظهرها ليهمس في اذنها ببحة رقيقة " اذن يفترض ان اقول عند دخولك .. مبارك يا زينة البنات ..."

" هل اتممت كل اوراقك ؟! "

رد عبد الرحمن على سؤال اخيه " نعم .. كل شيء جاهز وخلال شهر يجب ان اسافر .."

تلكأ عبد الرحمن وهو يطالع اخيه يقلب في الاوراق التي اعطاها له لكنه تشجع ليسأل

" متى ستخبر امي ؟ اعلم .. انك .. مشغول البال بسبب .. آسيا ... لكن ..."

قاطعه رضا ودون ان ينظر اليه سلمه الاوراق قائلا " لاتقلق .. امي ساخبرها بالوقت المناسب .. انتظر بعض الوقت .. انا اعرفها.. سياسة الامر الواقع معها افضل اسلوب .. "

نظر اليه عبد الرحمن وشعور بالذنب يقتله ليقول بتحشرج " كيف ستتصرف مع موضوع .. آسيا ؟؟ هل اخبرتها عن فكرتك ؟؟ هل ..."

لوح له رضا مقاطعا وهو يتجه ناحية سريره قائلا " اذهب للنوم يا فتى ودعني أنم انا الآخر .. لقد كان اليوم طويلا والحمد لله انتهى على خير ورفيدة في بيت زوج يصونها الآن .."





استلقى رضا على سريره مغمض العينين فاردا ذراعيه الى جانبيه ..

ادرك عبد الرحمن ان لافائدة من استخراج الكلام من اخيه الاكبر الآن ... فغادر عبد الرحمن وما زال احساسا بالذنب يثقل كاهله انه سيترك عائلته مع هذه المشكلة العويصة ...

(انا لااعرف ما يحدث بينكما لان اسيا لم تصارحني لكن ما اعرفه جيدا هو طبيعة اختي اسيا ... انها تحتاج للحزم .. لاتدعها تستسلم لفكرة بقائها عندنا .. صدقني رضا .. قد تسيطر عليها فكرة التضحية لاجل الاخرين وتنغمس فيها ... انها تبدّي الاخرين على نفسها الى درجة الغيظ ... اسحبها انت وواجهها بالقبول بالحلول المتاحة للمشكلة التي لااعرف ماهيتها !)

كلمات حبيبة تدور منذ ايام في رأسه .. لم يكف عن التفكير فيها وتقليبها على كل الجوانب ...

فتح عينيه ليهب من على سريره متوجها ناحية شباكه الذي لم يزح الستائر عنه منذ وقت طويل ...





وقف والظلمة تظلل طريق عينيه لشباكها ..
نور ضئيل من غرفتها اضاء في قلبه ...

همس بعنف " اظهري لي ... لقد قتلني
الاشتياق شر قتلة ... اظهري لي الآن واقسم
برب العزة لأكونن بجانبك في لحظات .."

تجلس في سريرها والضوء الخافت للمصباح
المنضدي يؤنس وحشتها ....

شعرت بلوعة تهز فؤادها .. وجع يعتصر قلبها ..
حريق يلهب شرايينها ... ماذا يكون هذا الا
الاشتياق ... ! آه من الاشتياق له ... وكم كان
قاسيا ان يشاركها سريرها هذا فيختم بوجوده
العاطفي الحار حتى في مضجعها عندما كانت
فتاة ....

حركت ساقيها وانفاسها تتسارع .. غادرت
السرير لتتحرك بضع خطوات حافية القدمين
والشوق يسحبها ناحية الشباك عسى ان
تلمحه فينير روحها التي ذبلت ببعده ...

اوشكت ان تصل الشباك عندما جاءها طرق
على الباب وهمس لاختها حبيبة " اسيا ....؟!"

تنهدت وهي تستدير لتعود ناحية باب الغرفة
فتحته لترى حبيبة بوجه باكٍ !

تحشرج صوتها بالقلق واللهفة وهي تسحبها من
ذراعها لتدخلها قائلة

" حبيبة ! ماذا حصل ؟!! "

اجلستها على السرير ثم ذهبت لتغلق الباب
وعادت اليها ...





جلست بقرب اختها تمسد على ظهرها لتهمس لها حبيبة برأس منكس

" احتاج ان اتكلم معك ..."

ردت اسيا بصوت داعم متفهم

" ماذا هناك حبيبتي ..؟! "

عندها قالت حبيبة بهمس مختنق

" ساخبرك بما لم اخبر به امي .. "

للحظة لم تستوعب اسيا الى ماذا تشير حبيبة بالضبط لتضيف حبيبة بصوت باهت " اشعر اني بحاجة لاخبر احدهم ... انه كالسم البطيء في جسدي واريد ان الفظه خارجا لارتاح وارى بوضوح ما يحدث حولي وداخلي ! "

ادركت حبيبة باضطراب انها تتكلم عن تلك الليلة فسألتها بهلع داخلي

" ماذا حصل تلك الليلة يا حبيبة ..."

رفعت حبيبة وجهها لاختها وقد اغرقت خديها الدموع لتقول بغصة " ساخبرك ... بعد ان عضضته ......"

اغلق رضا الستارة وهو يقول بخذلان

" حطمتني يا اميرة البنات ! لم اظنك ستقسين ومن لهفة عشقي ستبرئين فلا يضنيك الشوق الجارف كما يضنيني ! "

غامت عينا رضا ثم...... التمعتا فجأة !





الخاتمة

عصر اليوم التالي

دخل عليها مكتب والدها مكفهر الوجه عابس الملامح وهو يلقي السلام دون ان ينظر نحوها حتى !

وقفت اسيا على قدميها اللتين اوشكتا ان تخذلاها وهي ترى رضا القلب يقف امامها فتهفو روحها لتستريح على رحابة صدره ...

لقد حادثته صباحا على الهاتف تستأذنه الذهاب لمحل والدها تديره بنفسها حتى عودة العم ابو عبدالله للعمل فكان رده باردا وهو يمنحها موافقته !!

قال بنبرة جافة لم تسمعها منه من قبل

" حقيبة ملابسك في الصندوق الخلفي لسيارتي .. وضعت فيها بنفسي كل ما طلبته من رحاب ... "

ابتلعت ريقها بصعوبة ووجهها يحمر بشدة وهي تتذكر طلبها من رحاب احضار بعض الملابس لها قبل ايام ... لابد ان رحاب اخبرته ... همست له باحساس مريع

" لماذا احضرتها الى هنا ..؟! "





عندها فقط رفع عينين بقسوة غريبة عليهما ليقول من بين اسنانه

" لاني لم احتمل حملها لبيت عائلتك امام أعين الجيران الفضولية !"

تبعثرت كلماتها مع افكارها بينما تكتم رغبة حارقة بالبكاء

" حسنا ... نعم ... لكن .. اقصد .."

تنهد بقوة وهو يسأل بملل غاضب

" ما المشكلة الآن ؟! "

فردت باضطراب

" سيارتي .. ليست معي اليوم.."

تنهد مرة اخرى وهو يتمتم

" حبيبة كالعادة .."

دمعة سقطت على خدها فسارعت لمسحها قبل ان يتنبه اليها بينما اخذ رضا يفكر لثوان قبل ان يقول بنزق " هل انهيت عملك ؟! "

ردت بهمس " نعم .. تقريبا ... "

اشار لها بيده قائلا " هيا لاوصلك للبيت على الاقل سادخل بالسيارة في المرآب لانزل لك الحقيبة فلا اثير ضحك الجيران علينا ..."

كانت عيناه تشعان بنظرات الغضب فقالت له بغصة البكاء المكتوم

" رضا لاتجعلني ابدو .."





انفجر بها مقاطعا " اصمتي اسيا .. اصمتي .. ! الايكفي اضطراري لارضى بكل هذا الوضع الشاذ ؟! الايكفي ان ارضى بعودتك لعمل والدك ... "

ثم اضاف بعتب ولوم احرقاها " والا يكفي انك لم تحضري زفاف رفيدة ليلة الامس وقد تمنيت وجودك ورؤيتك "

هذه المرة لم تخفي عنه دمعتها فهمست بألم

" لكن .. رضا انت لم تطلبها .. مني .."

تجاهل دمعتها وارتباكها ليستدير بجسده المتشنج قائلا بهمس آمر

" لافائدة من الكلام ... فقط الحقي بي للسيارة .."

كم مر من الوقت وهي تجلس بجانبه تبكي بصمت وتعجز عن التعبير عن دواخلها اليه ..

مصارحة حبيبة لها البارحة بكل ما حصل لها مع ذلك الوغد مهند جعلتها تدرك ان حبيبة لاول مرة تتصرف بحكمة اكثر منها بكثير ....

لم تستسلم حبيبة لما حصل لها وهو ليس بالهين بل وتعلمت من خطئها وتمسكت بما تحب حتى وان كان مجرد مستقبل مهني ...

اما هي .. آسيا ... فقد نأت بنفسها بعيدا عن وضع ظنته اقرب للمستحيل لكنها بدأت تراه بمنظور مختلف واحتماليات اخرى ...





فجأة تنبهت لما حولها لتتساءل باستغراب فسألته

" الى اين تاخذني ؟! هذا ليس طريق البيت!! "

رد رضا وهو يسترخي اكثر في كرسيه ودون ان ينظر ناحيتها

" اننا ... نغادر مدينتنا كلها! "

عبست آسيا لتقول وهي تمسح وجهها من الدموع " ارجوك رضا الى اين تأخذني ..؟؟! "

عندها فقط ادار وجهه ناحيتها .. ملامحه ذائبة بالعاطفة بينما نظراته تذوب في ملامحها هي !

ابتسامته الصغيرة التي يرف لها قلبها بزغت هامسا لها بحلاوة " رضا القلب ... "

لم تفقه المعنى وقلبها يعلن ثورة الشوق في صدرها بينما تهمس باختناق عاطفي

" ماذا ؟!! ماذا تقول ؟! "

فرد بنفس الابتسامة

" اشتقت لرضا القلب من بين شفتيك .. "

صدرها يعلو ويهبط بينما تشير باصبعها جانبا لتهمس بانفعال " توقف... حالا رضا .. "

لكنه لم يتوقف وهو يتخذ الطريق السريع خارج المدينة ويقول بنبرة شاردة مدغدغة لحواسها " بل سافعل ما وودت فعله منذ زمن بعيد .. بعيد جدا ... "

بغباء تسأل " ماذا ؟! "





فعاد والتفت اليها لتتركز نظراته على عينيها قائلا بصوت رجولي أجش " ان اخرج من جلدي واختطفك رغما عنك يا اميرة البنات ..."

لاشعوريا امسكت ساعده تضغط عليه وتقول برجاء " اتوسل اليك لاتفعل هذا .. انت تزيد الامور تعقيدا ... ليس هكذا تحل الامور ... قد يكون ارتباطنا خا..."

قاطعها بعذوبة " خاص ؟! هذا ما وددته قوله اليس كذلك يا توأمة القلب ... ارتباطنا خاص وحي ومشتعل بعشقنا لبعض رغم كل ما واجهناه .."

همست بعذاب " انا لااعرف كيف ارضيك دون ان أؤذيك او أؤذي نفسي ... لااستطيع ان اطلب منك الانفصال عن عائلتك سيكرهوني وستكرهني انت ايضا فيما بعد ! كما لااستطيع العيش مع حذ...يفة بنفس المكان... حتى لو تغير ... الامر صعب... صعب ... لااتخيل نفسي استيقظ صباحا لاراه واتكلم معه وقد اجالسه ونحن نتشارك يوميا وجبات الطعام ! "

قال رضا بهدوء " لن تضطري لفعل هذا معه .. على الاقل ليس كل يوم ! انا لدي حل وسط ..





لكن يحتاج منك للتنازل كما تنازلت انا وفرضت على عائلتي امرا لم يكونوا ليتقبلوه ابدا ... لكني فعلت لاجلك وانتظر منك ان تفعلي المثل لاجلي... "

سألت بارتباك وحيرة " اي حل ؟!"

رد بابتسامة واسعة تفيض شقاوة جعلته يبدو كفتى يافع

" عندما نصل وجهتنا ساشرح لك بالتفصيل "

عادت لتتلفت حولها وقد شعرت انهما ابتعدا كثيرا عن مدينتهما لتقول بهلع

" رضا .. اتوسل اليك عد بي ... امي ستقلق جدا .. وحتى لو اخبرتها بالهاتف ستقلق من تصرفنا المباغت هذا خاصة وهي لاتعلم شيئا

مما حصل واسباب وجودي في بيت عائلتي .. لااريدها ان تشعر بالانعزال اكثر .."

غمزها رضا قائلا " الخالة ابتهال اخبرتها قبل ساعة وحتى اختك حبيبة تعلم وقد انفعلت حماسة لفكرة اختطافي لك .."

للحظات كان الذهول مرسوما على وجه آسيا ثم اخذت تعبس شيئا فشيئا لتتكتف وهي تدير رأسها بعيدا عنه فبدت لعينيه كطفلة حانقة !

تحشرج صوته بالسؤال " هل .. انت حامل ؟"

التفتت اليه محمرة الوجه لتقول بغيظ " الا تكف عن التفكير بالحمل ؟!! حسنا .. الجواب هو ... لا اعرف ! "





ضحك رضا عاليا ثم قال بنظرات حارة ولهجة فاضت جدية واصرارا

" اذن لن نعود الا وانت تحملين طفلي ...! "

اطرقت وقد عجزت عن قول اي شيء يصف حالها بينما يميل اليها قليلا ليطبع قبلة مباغته على خدها جعلتها تشهق برقة ثم قال بصوت مبحوح

" سافعل كل ما يجب لاربطك بي رغما عنك، آآآه يا اميرة البنات ... هديلك ادماااان ولااريد الشفاء من سماعه .. ولن اقضي ما تبقى من عمري اترقبه عند الفجر وخلسة من الشبابيك!

بل ستضمه جدران بيتي وتحفظه لي انا وحدي ما حييت .."

*** تمت ***

